التنبيهات السنية
على العقيدة الواسطية

تأليف

فضيلة الشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد
رئيس محكمة التمييز بالرياض

دار الرشيد للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م

دار الرشيد للنشر والتوزيع ـ بالرياض

الفهرس

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة
الأصول الثلاثة التى تنبني عليها العبادة: الخوف والرجاء والمحبة	٧٦
كتب ربكم على نفسه الرحمة، وتفصيل ذلك	٧٩
إثبات الأفعال الاختيارية لله تعالى وتفسير الرضا من الله وعن الله	٨١
الناس فى دخول النار بحسب المعاصى على ثلاثة أقسام	٨٣
﴿وجاء ربك﴾ الرد على من زعم أنه من المجاز	٨٧
إثبات الوجه لله حقيقة والرد على الجهمية وأشباههم	٩٠
إثبات اليدين لله والكلام على ﴿ولتصنع على عينى﴾ وإثبات السمع	٩١
معية الله خاصة وعامة ومعنى كل منهما وتفسير ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾	٩٩
تفسير ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾	١٠٢
تعريف العبادة شرعاً وشروطها التى لا تصح إلا بها	١٠٧
التحذير من اتخاذ الأنداد وأنواع الأنداد	١٠٨
استدلال الجهمية بآية على خلق القرآن وبيان فساد هذا الاستدلال	١١٦
دلائل قرآنية وعقلية على وحدانية الله وتفرده بالخلق والتصرف	١١٧
النهى عن الفواحش وأكبرها الشرك، وأقسام الشرك	١٢٢
استواء الله على عرشه كما يليق بجلاله والرد على المؤولة	١٢٤
علو الله على خلقه وأنه بائن وأنه غير المخلوقات	١٣٠
تفسير ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ وأن ذلك بالعلم	١٣٦
إثبات الكلام لله وتفسير ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾	١٣٩
القرآن هو عين كلام الله والرد على من قال أنه مخلوق أو قديم	١٤٣
المؤمن يرى ربه فى الآخرة والأدله على ذلك	١٥٠
السنة تفسر القرآن وتبينه وهى مع القرآن على ثلاثة أوجه	١٥٤
حديث نزوله سبحانه كل ليلة والرد على أنه فى كل مكان	١٥٨
حديث يضحك الله إلى رجلين ـ عجب ربنا من قنوط عباده	١٦٢
حديث حتى يضع فيها رب العزة قدمه ـ وحديث فينادى بصوت	١٦٤
أحاديث كونه تعالى فى السماء	١٦٩
أحاديث فى رؤية المؤمن ربه يوم القيامة	١٨٠
السلف هم الوسط بين الفرق كما أن أمة الإسلام هى الوسط بين الأمم	١٨٣

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

البنيان للتجهيزات الفنية

صف تصويري - إشراف طباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلى الكبير، المتعالى عن الشبيه والنظير، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير، أحمده سبحانه على فضله الغزير، وأشكره وشاكره بالمزيد جدير، وأصلى وأسلم على عبده ورسوله محمد البشير النذير، أعرف الخلق بربه وأنصحهم لأمته وأقدرهم على الإيضاح والتفسير، وعلى آله وأصحابه الذين اقتفوا آثاره واستضاؤوا بأنواره وسلكوا السبيل المستنير، وعضوا على سنته بالنواجذ وحكموها فى القليل والكثير، وعلى أتباعهم الذين ورثوا علمهم واقتفوا أثرهم بدون غلو ولا تقصير.

(أما بعد) فقد طلب منى بعض أبنائنا طلبة المعهد العلمى التعليق على **(العقيدة الواسطية)** لشيخ الإسلام ابن تيمية، فاعتذرت بقصر الباع، وقلة الاطلاع، فلم يفد فيهم معذرة ولا إقناع.

فإسعافاً لطلبتهم، ونزولا على رغبتهم، أقدمت على التعليق، ملتقطاً ما نقلته من كتب أهل الإتقان والتحقيق، وكان غالب استمدادى من كتب الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى، وسميت هذا التعليق **(التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية)** والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم موجبًا للفوز لديه فى جنات النعيم.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد

* هو أحد الذين حملوا مشعل العلم والمعرفة، وخدموا الدولة فى عدد من المناصب القضائية والعلمية، وشاركوا فى التأليف.

* فضيلة الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن عبد الله الرشيد ـ رحمه الله ـ ينتمى إلى قبيلة آل محفوظ من العجمان، ومسقط رأسه بلدة الرس ـ إحدى كبريات بلاد القصيم ـ وكانت ولادته فى سنة ١٣٣٣ هـ .

* كان منذ ولادته وهو متجه إلى العلم والمعرفة، حيث درس القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة فى الكتاتيب المتواجدة فى بلدة الرس حيث درس على عمه محمد الناصر الرشيد، ثم درس على فضيلة قاضى الرس عمه الشيخ محمد العبد العزيز الرشيد، ثم توجه عام ١٣٥٥هـ إلى الرياض للتروي من ينابيع العلم والمعرفة، حيث درس العلم على عدد من العلماء الأعلام . أشهرهم.

أ ـ الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، حيث درس عليه فى الفقه والحديث والتفسير وأصولها.

ب ـ الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، حيث درس عليه فى الفرائض.

جـ ـ الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ قاضي الرياض .

حتى شهد له مشايخه وأقرانه بالنبوغ والمعرفة.

* توجه إلى مكة المكرمة فى أواخر عام ١٣٥٨ هـ ضمن مجموعة من العلماء وطلبة العلم الذين كانوا يدرسون على الشيخ محمد بن

إبراهيم آل الشيخ، حيث تقلد أول عمل له، وهو الوعظ والإرشاد والتدريس فى الحرم المكى الشريف . ثم أضيف إليه عمل هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر برئاسة العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز ابن مانع وانتدب للتدريس فى المعهد السعودى بمكة المكرمة.

* فى عام ١٣٦١ هـ شكلت هيئة التمييز للنظر في قضايا الشكايات برئاسة العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، وصار عضوا في هذه الهيئة مع مجموعة من علماء مكة المكرمة الأجلاء وبإشراف رئيس القضاة آنذاك سماحة الشيخ عبد الله بن حسن. وكان أيضا يواصل طلب العلم على بعض علماء المسجد الحرام. ثم انتهت أعمال هذه الهيئة .

* تولى رحمه الله العديد من المناصب القضائية وهي:

أ ـ قضاء غامد وزهران ـ والتي كان مركزها في ذلك العهد بلدة الظفير ـ حيث مارس عملها فى ٢٤/ ٤/ ١٣٦٣ هـ. وله من العمر ثلاثون عاما.

ب ـ قضاء تربه ـ جنوب الطائف ـ وقد باشر العمل بها فى ١٣/ ٧/ ١٣٦٤ هـ . واستمر قاضيا بها أربع سنوات .

ج ـ حوطة بني تميم ـ جنوب الرياض ـ حيث باشر العمل بها في ١/ ٤/ ١٣٦٩هـ، واستمر بها قاضيا إلى أواخر عام ١٣٧٠هـ وكان بالإضافة إلى الأعمال القضائية يقوم بأعمال الحسبة والإمامة والخطابة في المسجد الجامع الكبير في كل بلد تولى القضاء به، بالإضافة إلى أعمال التعليم والتدريس، حيث درس عليه كثير من طلبة العلم في المناطق التي تولى القضاء بها.

* فى بداية عام ١٣٧١ هـ أمر المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بافتتاح المعهد العلمي في مدينة الرياض، وعهد بالإشراف عليه للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وصار مديره الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ وانتدب للتدريس فيه نخبة من العلماء

من بينهم فضيلته واستمر فى التدريس فيه حتى افتتحت كلية الشريعة فى عام ١٣٧٣ هـ حيث تولى التدريس فيها.

* وفى بداية عام ١٣٧٧ هـ اقتضت المصلحة العامة تشكيل دار الإفتاء في المملكة برئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وعين فضيلته عضوا في دار الافتاء بالإضافة إلى التدريس في كلية الشريعة بالرياض، واستمر في ذلك حتى نهاية عام ١٣٧٩ هـ.

* وفي بداية عام ١٣٨٠ هـ صدر أمر المغفور له الملك سعود بافتتاح مدارس البنات وعين فضيلته رئيسا عاما لها واستمر في هذا المنصب حتى ١/ ٥/ ١٣٨١ هـ.

* عين رئيسا لهيئة التمييز سنة ١٣٨١ هـ، ولما افتتح المعهد العالي للقضاء انتدب للتدريس فيه مضافا إلى عمله في هيئة التمييز وانتهى عمله منه لما تخرج أول فوج من الكلية عام ١٣٨٦ هـ كما أنه أصبح عضوا في مجلس القضاء الأعلى في بداية تشكيله واستمر في عمله بالهيئة والمجلس في عفة وأمانة حتى مرض ـ رحمه الله ـ فطلب الإحالة على التقاعد، حيث وردت الموافقة السامية على طلبه وذلك اعتبارا من ١/ ١/ ١٤٠٥.

* بالإضافة إلى أعماله التعليمية والقضائية، اتجه إلى التأليف، حيث ألف عددا من الكتب الحديثة، أهمها.

١ ـ عدة الباحث في أحكام التوارث، حيث طلب منه طلابه في المعهد العلمي بالرياض إعداد مذكرة مختصرة في درس الفرائض، فأملى عليه هذه المذكرة ثم نقحها ونشرها في كتاب طبع مايقارب العشر طبعات.

٢ ـ التنبيهات السنية في شرح العقيدة الواسطية،وهو كتاب ألفه لشرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، والتي كانت تدرس في المعهد العلمي بالرياض. فقد طلب منه تلامذته إعداد شرح لهذا

الكتاب وقد طبع مايقارب العشر مرات .

٣ ـ افادة السائل إلى أهم الفتاوى والمسائل، حيث طلبت منه إذاعة القرآن الكريم من الرياض عددا من المقالات التي أجاب بها على الكثير من الاستفسارات، ثم جمعت هذه المقالات على شكل كتاب طبع الجزء الأول منه مرتين وبدأ يواصل نشر مقالاته بواسطة الإذاعة مما استلزم أن يعاد النظر فيه ويرتب على أبواب الفقه ويعاد طباعته من جديد. وهو في انتظار الطباعة.

٤ ـ القول الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وهو في انتظار الطباعة.

٥ ـ تفسير آيات الأحكام، وهو قيد التحقيق ثم الطباعة.

٦ ـ ثم له العديد من الرسائل والبحوث والاهتمامات العلمية التي تنتظر دورها في التحقيق .

* ثم اشتد عليه المرض، حيث نقل إلى المستشفي العسكري وتوفى فيه في تمام الساعة الرابعة من يوم الإثنين ١٤٠٨/٣/٤، وصلى عليه ظهر يوم الثلاثاء في المسجد الجامع الكبير، وحضر جنازته سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز وعدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء والعلماء وصلى عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز صلاة الجنازة، ثم نقل إلى مثواه الأخير في مقبرة العود رحمه الله رحمة واسعة وغفر له، وأسكنه فسيح جناته، وأنزله منازل الصديقين والشهداء . وجعل ما قدم من عمل وألف من علم في ميزان أعماله يوم القيامة.

إنه سميع مجيب،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله

قوله:(الحمد لله): الألف واللام للاستغراق، فجميع أنواع المحامد كلها لله سبحانه ملكا واستحقاقا. وهو لغة الثناء بالصفات الجميلة، والأفعال الحسنة، وعرفًا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: الحمد هو ذكر صفات المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله، فإن تجرد عن ذلك فهو مدح، فالفرق بينهما أن الإخبار عن محاسن الغير إما أن يكون إخباراً مجرداً من حب وإرادة أو مقروناً بحبه وإرادته. فإن كان الأول فهو مدح ،وإن كان الثانى فهو الحمد.

قوله:(لله): لفظ الجلالة علم على ذاته سبحانه وهو أعرف المعارف على الإطلاق.

وقال بعض العلماء: إنه الاسم الأعظم وذكر فى القرآن في(٢٣٦٠) ألفين وثلاثمائة وستين موضعاً، وهو يتناول معانى سائر الأسماء بطريق التضمن، وهو مشتق من أله يأله إذا عبد فهو إله بمعنى مألوه أى معبود، فالإله هو المألوه والذى تألهه القلوب، وكونه مستحقا للألوهية مستلزما لصفات الكمال فلا يستحق أن يكون معبوداً محبوباً لذاته إلا هو، وكل عمل لايراد به وجهه فهو باطل، وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد كما قال تعالى: ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾.

قوله:﴿الذى أرسل رسوله﴾: أى بعث رسوله. والرسول إنسان ذكر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه. وأما النبى فهو مأخوذ من النبأ وهو الإخبار لأنهم مخبرون عن الله أو من النبوة وهى الرفعة لارتفاع رتب الأنبياء عليهم السلام، وهو إنسان أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فكل رسول نبى ولا ينعكس، وعدد الأنبياء عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا كما جاء فى حديث أبى ذر، وقيل لايعرف عددهم بدليل قوله سبحانه: ﴿**منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**﴾ الآية. وأما عدد الرسل فهم ثلاثمائة وثلاثة عشر كما فى الحديث المذكور.

وأولو العزم منهم خمسة كما ذكر ذلك البغوى عن ابن عباس وغيرهم وهم: محمد. وإبراهيم. وموسى. وعيسى. ونوح عليهم السلام، ونظمهم بعضهم بقوله:

محمـــد إبراهيم موســـى كليمه فعيسى فنوح هم أولوا العزم فاعلم

وهم فى الفضل على هذا الترتيب المذكور فى البيت.

قوله: (بالهدى): أى العلم النافع.

قوله: ﴿ودين الحق﴾: أى العمل الصالح.

قوله: (ليظهره): أى يعليه وينصره ظهوراً بالحجة والبيان، والسيف والسنان، حتى يظهر على مخالفيه، وقد وقع ذلك، فإن المسلمين جاهدوا فى الله حق جهاده حتى فتح الله عليهم فاتسعت رقعة البلاد الإسلامية شرقًا وغربًا فى مدة يسيرة مع قلة عددهم وعدتهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والبربر وغيرهم، فقهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائرالأديان وامتدت الممالك الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها فى أقل من ثلاثين عاما.

قوله: (على الدين كله): أى على سائر الأديان، كما ثبت فى الصحيح من حديث ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وأن ملك أمتي سيبلغ مازوي لي منها**» . وما فى هذ الحديث أخبر به الرسول ﷺ في أول الأمر وأصحابه فى غاية القلة قبل فتح مكة فكان كما أخبر فإن ملكهم انتشر فى المشرق والمغرب ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة فى المغرب حيث لاعمارة وراءه وذلك مالم تملكه أمة من الأمم، وفى حديث جابر: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله**» أخرجاه فى الصحيحين.

قوله: ﴿وكفى بالله شهيدا﴾: أى شاهداً أنه رسوله وهو ناصره ومعليه، وكفى بشهادته سبحانه إثباتاً لصدقه وكفى بالله شهيداً أى فى علمه واطلاعه على أمر

محمد كفاية في صدق هذا المخبر عنه إذ لو كان مفترياً لعاجله بالعقوبة البليغة كما قال تعالى ﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل**﴾. الآية.

ومن أسمائه سبحانه الشهيد. قال الله تعالى: ﴿**أوَ لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**﴾ أي أنه لا يغيب عنه شيء، ولايعزب عنه، بل هو مطلع على كل شيء مشاهد له عليم بتفاصيله، فشهد سبحانه لرسوله أن ما جاء به حق وصدق، فلا يليق به سبحانه أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب، ويخبر عنه بخلاف ما الأمر عليه ثم ينصره ويؤيده ويعلي شأنه، ويجيب دعوته، ويظهر على دينه من الآيات والبراهين ما يعجز عن مثله قوى البشر، وهو مع ذلك كاذب عليه ومفتر، ومعلوم أن شهادته سبحانه على كل شيء، واطلاعه وقدرته وحكمته وعزته وكماله يأبى ذلك أشد الإباء، ومن جوّز ذلك فهو من أبعد الناس عن معرفته سبحانه. انتهى من كلام ابن القيم رحمه الله سبحانه وتعالى باختصار.

قوله: (أشهد): أي أقر وأعترف أن لامعبود بحق في الوجود إلا الله، وتأتي (شهد) بمعنى أخبر كما في حديث ابن عباس: «**شهد عندي رجال مرضيون وأرضاهم عندي عمر**»، أي أخبرني، وتأتي بمعنى حضر، كما في قوله سبحانه: ﴿**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**﴾ أي حضر، وتأتي بمعنى اطلع كما في قوله سبحانه: ﴿**والله على كل شيء شهيد**﴾ أي مطلع. أفاده ابن القيم رحمه الله في كتابه «بدائع الفوائد».

قوله: ﴿أن لا إله إلا الله﴾: أن مخففه من الثقيلة.

قوله: ﴿لا إله إلا الله﴾ أي لا معبود بحق في الوجود إلا الله سبحانه، وهذا معنى هذه الكلمة العظيمة التي تدل عليه الأدلة، خلافاً لمن زعم أن معناها القدرة على الاختراع كما يقوله الأشاعرة، فإن المشركين الذين بعث إليهم الرسول ﷺ يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمر ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، بل قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأمواهم، ولما قال لهم رسول الله اعبدوا الله واتركوا ما كان يعبد آباؤكم، قولوا لا إله إلا الله، أنكروا ذلك ونفروا، وقالوا: أجعل الآلهة إلهًا واحداً، فدل على أن معنى هذه الكلمة هو إفراد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه.

وهذه الكلمة هي أول واجب وأعظم واجب على الإطلاق كما في الصحيح من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**» وفي رواية «**إلى أن يعبدوا الله**» فدل على أن التوحيد هو أول واجب على العباد، خلافاً لمن زعم أن أول واجب معرفة الله بالنظر أو القصد إلى النظر أو الشك كما هي أقوال لأهل الكلام المذموم، فإن معرفة الله فطرية فطر الله عليها عباده، قال تعالى: ﴿**أفي الله شك فاطر السموات والأرض**﴾ أي أفي وجوده شك، فإن الفطر شاهدة بوجوده مجبولة عل الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة كما قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه**»

ولهذه الكلمة أركان وشروط إلى غير ذلك من الأبحاث المتعلقة بهذه الكلمة العظيمة.

فأركان لا إله إلا الله اثنان: النفي، والإثبات، **فلا إله** نافياً لجميع المعبودات، **وإلا الله** مثبتاً العبادة لله سبحانه، وشروطهما سبعة: العلم واليقين والإخلاص والصدق والمحبة والانقياد والقبول، ونظمها بعضهم بقوله:ـ

علم يقين وإخلاص وصدقك مع   محبة وانقياد والقبول لهـــا

وزيد ثامنها الكفران منــك بمـــا   غير الإله من الأوثان قـد أُلها

وتحقيقها أن لايعبد إلا الله كما أن تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله أن لايعبد الله إلا بما شرع.

وحق هذه الكلمة، هو فعل الواجبات وترك المحرمات، وأما فائدتها وثمرتها فسعادة الدارين لمن قالها عارفاً بمعناها عاملا بمقتضاها، وأما مجرد النطق بها فقط فإنه لاينفع.

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى: من اعتقد أنه بمجرد تلفظه بالشهادة يدخل الجنة ولا يدخل النار فهو ضال مخالف للكتاب والسنة والإجماع.

وأما فضلها فقد تكاثرت الأحاديث في فضل هذ الكلمة. منها حديث عبادة ابن الصامت المتفق عليه أن النبي ﷺ قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده**

لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ماكان من العمل». وفى حديث أبى سعيد الخدرى «**أن موسى عليه السلام قال: يارب علمنى شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: قل ياموسى ، لا إله إلا الله**» . الحديث.

وفى هذا الحديث وغيره رد على من زعم أن الذكر بالاسم المفرد (الله الله) أفضل من الذكر بالجملة المركبة، كقوله: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر وهذا فاسد، فإن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلا ولامفيد شيئا ولا هو كلام ولايدل على مدح ولاتعظيم، ولايتعلق به إيمان ولا ثواب ولا يدخل الذاكر به عقد الإسلام جملة، فلو قال الكافر: (الله الله) طول عمره لم يصر بذلك مسلماً، فضلا أن يكون من جملة الذكر أو يكون أفضل الأذكار، إلى آخر ما ذكره ابن القيم رحمه الله فى كتابه «سفر الهجرتين».

وأما نواقض لا إله إلا الله فكثيرة جداً ذكرها العلماء فى باب حكم المرتد، وأعظمها الشرك بالله.

وأما إعراب هذه الكلمة: فـ(لا) نافية للجنس تعمل عمل إن (وإله) اسمها مبنى معها على الفتح وخبرها محذوف والتقدير حق و(إلا) أداة استثناء ملغاة ولفظ الجلالة مرفوع على البدلية.

وأما دلالتها على التوحيد فإنها دلت على أنواع التوحيد الثلاثة، فدلت على إثبات العبادة لله ونفيها عمن سواه، كما دلت أيضا على توحيد الربوبية، فإن العاجز لايصلح إلها، ودلت على توحيد الأسماء والصفات فإن مسلوب الأسماء والصفات ليس بشيء بل هو عدم محض كما قال بعض العلماء: المشبه يعبد صنما، والمعطل يعبد عدما ، والموحد يعبد إله الأرض والسماء.

قال الشيخ تقى الدين بن تيمية: رحمه الله: وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الإلهيات وهى الأصول الثلاثة. توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات . وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل وما أنزل إليهم، وهى الأصول الكبار التى دلت عليها وشهدت بها العقول والفطر.

قوله: (وحده): فيه تأكيد للإثبات. **وقوله: (لاشريك له)**: تأكيد للنفى.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : تأكيد بعد تأكيد اهتماماً بمقام التوحيد.

وقوله : (إقرارا به): أى اعترافا. **وقوله: (وتوحيدا)**: مصدر وحد يوحد توحيدا أى جعله واحدا أى فردا فهو بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفاتا وأفعالا وسمى دين الإسلام توحيدا؛ لأن مبناه على أن الله واحد فى ملكه وأفعاله، وواحد فى ذاته وصفاته لانظير له، وواحد فى ألوهيته وعبادته لا ند له، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين، وهذه الثلاثة متلازمة كل نوع منها لاينفك عن الآخر.

فتوحيد الربوبية :هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيى المميت المدبر لجميع الأمور، وهذا النوع من التوحيد أقر به المشركون ولم يدخلهم إقرارهم به فى الإسلام.

النوع الثانى: توحيد الألوهية:وهو إفراد الله بالعبادة وهذا النوع هو الذى فيه الخصومة بين الأنبياء وأممهم.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وإن شئت قلت: التوحيد ينقسم إلى قسمين كما ذكره ابن القيم فى «النونية».

(أحدهما): التوحيد الفعلى وهى المسمى بتوحيد الألوهية، سمى فعلياً لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح، فأفعال القلوب كالرجاء والخوف والمحبة، والجوارح كالصلاة والزكاة والحج ونحو ذلك، فهو إفراد الله بأفعال العبيد.

(النوع الثانى): التوحيد القولى الاعتقادى، سمى بذلك لاشتماله على أقوال القلوب وهو اعترافها واعتقادها، وعلى أقوال اللسان، وهذا النوع هو المسمى توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية.

والتوحيد القولى ينقسم إلى قسمين: **الأول: النفى. والثانى: الإثبات،**

فالنفى ينقسم إلى قسمين : **(الأول)**: نفى النقائص والعيوب عن الله

(والثانى): نفى التشبيه والتعطيل عن أسمائه وصفاته.

والثانى: الإثبات: وهو إثبات صفات الكمال لله، ثم السلب أيضاً ينقسم إلى قسمين: **الأول**: سلب متصل. **والثانى**: سلب منفصل، فالأول نفى مايناقض ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من كل ما يضاد الصفات الكاملة من النقائص والعيوب كالموت والإعياء والنوم والنعاس والجهل والعجز، ونحو ذلك. والثانى سلب منفصل وهو تنزيهه سبحانه عن أن يشاركه فى خصائصه التى لاتكون لغيره كالشريك والظهير والشفيع بغير إذنه، ونفى الزوجة والولد ونحو ذلك.

وأما ضد التوحيد: فتوحيد الربوبية ضده اعتقاد مدبر أو خالق مع الله سبحانه وتعالى، وضد توحيد الألوهية هو الإعراض عن عبادته أو عبادة غيره معه، وضد توحيد الأسماء والصفات شيئان: التشبيه، والتعطيل.

قوله: (محمد): هذا أحد أسمائه ﷺ، قيل: سمى به؛ لكثرة خصاله الحميدة، وهو اسمه الذى فى التوراة، وأما اسمه أحمد فهو الذى بشر به المسيح عليه السلام كما قال سبحانه وتعالى: **﴿ومبشرًا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد﴾** الآية.

قوله: (عبده): أضافه إليه إضافة تشريف وتعظيم، ووصفه بالعبودية بأشرف أحواله مقام الإرسال والإسراء والتحدى، ومعنى العبد هنا المملوك العابد والعبودية الخاصة وصفه ﷺ كما قال سبحانه وتعالى: **﴿أليس الله بكاف عبده﴾** وأعلى مراتب العبد العبودية الخاصة والرسالة، والنبي ﷺ أكمل الخلق فى هاتين الصفتين الشريفتين، وأما الربوبية والألوهية فهما حق لله لايشركه فيهما أحد، لاملك مقرب ولانبى مرسل، فضلا عن غيرهما.

وفى قوله: (عبده ورسوله): إشارة للرد على أهل الإفراط والتفريط، أهل الإفراط الذين غلو فيه ورفعوه عن منزلته وارتكبوا ما نهاهم النبى ﷺ من الغلو. وأهل التفريط الذين يشهدون أنه رسول الله حقاً وهم مع ذلك قد نبذوا ماجاء به وراء ظهورهم، واعتمدوا على الآراء المخالفة لما جاء به، فإن شهادة أن محمداً رسول الله تقتضى الإيمان به وطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، فما أثبته وجب

صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما مزيداً.

أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية

إثباته وما نفاه وجب نفيه، فشهادة أن محمداً رسول الله كما تقتضى الإيمان به تقتضى الإيمان بجميع الرسل لما بينهما من التلازم وكذلك الكتب التى جاءت بها الرسل.

قوله:(وصلى الله على نبينا): صلاة الله على عبده هو ثناؤه فى الملأ الأعلى كما ذكره البخارى فى صحيحه عن أبى العالية، وقيل الرحمة، والصواب الأول لوجوه عديدة ذكرها ابن القيم فى «بدائع الفوائد»، «وجلاء الأفهام».

قوله: (وعلى آله): أى أتباعه على دينه كما هو رواية عن أحمد وعليه أكثر الأصحاب وعلى هذا فيشمل الصحابة وغيرهم من المؤمنين.

قوله: (وسلم): السلام بمعنى التحية أو السلامة من النقائص والرذائل، ومن أسمائه سبحانه: السلام لسلامته من النقائص والعيوب كما قال ابن القيم فى «النونية».

وهو السلام على الحقيقة سالم   من كل ما عيب ومن نقصان

وجمع المصنف بين الصلاة والسلام امتثالا لقوله سبحانه وتعالى: **﴿صلوا عليه وسلموا تسليما﴾**.

قوله :(مزيدا) :أى زائداً من الزيادة وهى النمو.

قوله:(أما بعد): هذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر ويندب الإتيان بها فى الخطب والمكاتبات كما كان ﷺ يأتى بها فى خطبه ومكاتباته رواه عبد القاهر الرهاوى فى الأربعين له عن أربعين صحابياً.

قوله: (اعتقاد): الاعتقاد لغة الربط والجزم، اعتقدت كذا عقدت عليه القلب والضمير. انتهى مصباح. وعرفه بعضهم اصطلاحاً بقوله: هو حكم الذهن الجازم فإن طابق فصحيح وإلا ففاسد.

قوله: (الفرقة): أى الطائفة والجماعة، وأما الفرقة بالضم فمعناه الافتراق.

قوله: (الناجية): أى التى سلمت من الهلاك والشرور فى الدنيا والآخرة

وحصلت على السعادة بسبب استقامتها على الحق وتمسكها بما كان عليه ﷺ وأصحابه كما فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة**» رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه، وحديث ابن ماجه مختصر، وقال الترمذى: حسن صحيح، وعن معاوية رضى الله عنه أنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «**إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين: اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة**» رواه أبو داود، وفى رواية الترمذى«**كلهم فى النار إلا واحدة**»قالوا: من هى يارسول الله؟ فقال: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى**» وقال هذا حديث غريب مفسر لانعرفه إلا من هذا الوجه.

وقد أخطأ بعضهم فى تعريف الفرقة الناجية أنها أهل الحديث والأشعرية والماتريدية، فإن لفظ الحديث يرد ذلك فإن قوله: **(واحدة)** ينافى التعدد، فتعين أن تكون الفرقة الناجية هم أهل الحديث فقط وهم أهل السنة والجماعة.

قوله: (المنصورة): أى التى أعانها سبحانه وأيدها وقواها على من خالفها وعادها، وجعل العاقبة لها لتمسكها بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، كما فى الصحيح من حديث المغيرة عن النبى ﷺ قال: «**لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**» وفى حديث جابر بن سمرة وجابر ابن عبد الله أن النبى ﷺ قال: «**لاتزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لايضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة**» رواه مسلم وغيره.

قال البخارى وغيره: هذه الطائفة هم أهل العلم. وقال أحمد: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدرى من هم، وكذا قال يزيد بن هارون قال: قال القاضى عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.

ففيه أعظم بشارة ـ أن الحق لايزول بالكلية ـ وفيه معجزة ظاهرة للنبى ﷺ فإنه لم يزل ولله الحمد هذا الوصف باقياً ولا يزال، وهذا سنة الله فى خلقه أنه

ينصر عباده المؤمنين كما قال سبحانه: ﴿ **ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾ وفى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: من عادى لى ولياً فقد بارزنى بالحرب**» ولهذا أهلك الله قوم نوح وعاد وثمود وأشباههم ممن كذب الرسل وأنجى عباده المؤمنين، وهكذا نصر الله نبيه محمد وأصحابه على من خالفه وناوأه وعاداه، فجعل كلمته العليا، ودينه الظاهر على سائر الأديان، وفتح الله عليه مكة واليمن، ودانت له جزيرة العرب بكمالها وأقام الله أصحابه وخلفاءه من بعده فبلغوا عنه دين الله ودعوا إلى الله وفتحوا البلاد والأقاليم حتى انتشرت الدعوة المحمدية فى مشارق الأرض ومغاربها، ثم لايزال هذا الدين قائماً منصوراً إلى قيام الساعة كما قال الله سبحانه: ﴿**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**﴾ أى يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأجل.

وعن أبى عتبة الخولانى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لايزال الله يغرس فى هذا الدين غرسا يستعملهم فى طاعته**» رواه ابن ماجه.

نقل نعيم بن طريف رحمه الله عن أحمد أنه قال: هم أصحاب الحديث، وفى السنن «**إن الله يبعث لهذه الأمة فى رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**» وقال علي رضى الله عنه لن تخلو الأرض من قائم لله بحجته.

قوله: (إلى قيام الساعة): أى ساعة موتهم بمجيء الريح التى تقبض روح كل مؤمن وهى الساعة فى حق المؤمنين وإلا فالساعة لاتقوم إلا على شرار الخلق كما فى صحيح مسلم: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله** » والمراد بالريح ماروى الحاكم أن عبد الله بن عمرو قال: **لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شر أهل الجاهلية**» وقال عقبة لعبد الله: أعلم ما تقول، وأما أنا فسمعت النبى ﷺ يقول: «**لاتزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله ظاهرين لايضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك**»، قال عبد الله: ويبعث الله ريحا ريحها ريح المسك ومسها مس الحرير فلا تترك أحداً فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس فعليهم تقوم الساعة.

وقوله: (أهل السنة): أى المختصون والمتمسكون بها والمعتنون بدراستها وفهمها المحكمون لها فى القليل والكثير، والسنة لغة: الطريقة، وشرعا: هى أقوال النبى وأفعاله وتقديراته، وسموا أهل السنة لانتسابهم لسنته ﷺ دون المقالات كلها والمذاهب، وقد سئل بعضهم عن السنة فقال ما لا اسم له سوى السنة، يعنى أن أهل السنة ليس لهم اسم ينتسبون إليه سواها خلافاً لأهل البدع، فإنهم تارة ينتسبون إلى المقالة كالقدرية والمرجئة، وتارة إلى القائل كالجهمية والنجارية، وتارة إلى الفعل كالروافض والخوارج، وأهل السنة بريئون من هذه النسب كلها، وإنما نسبتهم إلى الحديث والسنة.

قوله:(والجماعة): لغة: الفرقة من الناس، والمراد بهم هنا أصحاب النبى ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، وقد تكاثرت الأدلة فى الحث على لزوم الجماعة فروى الترمذى عن ابن عباس مرفوعاً: «**إن يد الله على الجماعة**»، وعن أبى ذر مرفوعاً: «**عليكم بالجماعة إن الله لم يجمع أمتى إلا على هدى**»رواه أحمد. وعن أبى ذر مرفوعاً: «**من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**» رواه أحمد وأبو داود.

قال أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبى شامة فى كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث»حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فإن المراد بها لزوم الحق وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيراً؛ لأن الحق هو الذى كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبى ﷺ ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم، وقال ميمون بن مهران: قال ابن مسعود رضى الله عنه: الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك. وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ، ذكره البيهقى وغيره.

قال ابن القيم فى كتابه «أعلام الموقعين»: واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض، وقد شذ الناس كلهم زمن الإمام أحمد بن حنبل إلا نفراً يسيراً فكانوا هم الجماعة، وكان الفقهاء والمفتون والخليفة وأتباعه هم الشاذين، وكان الإمام أحمد وحده هو

الجماعة، ولما لم يتحمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة: ياأمير المؤمنين تكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل، وأحمد وحده على الحق، فلم يتسع علمه لذلك، فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل، فلا إله إلا الله ما أشبه الليلة بالبارحة وهى السبيل المهيع لأهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم، مضى عليها سلفهم وينتظرها خلفهم ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا**﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله. انتهى بتصرف.

ذكر المصنف رحمه الله أن الاعتقاد النافع المنجى من الشرور الذى هو سبب العزة والنصر والتأييد والرفعة والشرف، هو الاعتقاد المأخوذ من الكتاب والسنة، وهو الذى عليه الصحابة وتابعوهم بإحسان، وأصله الذى يبنى عليه هو هذه الأصول الستة المذكورة فى حدث جبريل فى هذه الرسالة من أولها إلى آخرها تفصيل لهذه الأصول الستة المذكورة فى هذا الحديث وغيره من الآيات، قال تعالى: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه**﴾ الآية، وقال: ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب**﴾ الآية، وهذه الأصول الستة اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل، وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع فهم متفاوتون فى جحدها وإنكارها.

قوله: (الإيمان بالله): الإيمان معناه لغة: التصديق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وما أنت بمؤمن لنا**﴾ أى مصدق، وكذلك إذا أقرن العمل فمعناه التصديق، قال الله: ﴿**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾.

أما الإيمان فى الشرع: فهو قول وعمل واعتقاد، وذكر بعضهم إجماع السلف على ذلك، ومعنى الإيمان بالله: إثبات وجوده سبحانه وأنه متصف بصفات الجلال والعظمة والكمال، منزه من كل عيب ونقص وأنه مستحق للعبادة لا إله غيره ولا رب سواه.

قوله: (وملائكته): أى التصديق بوجودهم وأنهم كما وصفهم الله سبحانه وتعالى: ﴿**عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾ فيجب الإيمان بهم إجمالا فيما لم نعلمه تفصيلا، أما من علم عينه كجبريل وميكائيل وإسرافيل ونحوهم فيجب الإيمان بأعيانهم.

أما عددهم فلا يعلمه إلا الله، وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات: منهم موكلون بالسحاب والمطر، ومنهم موكلون بالأرحام، ومنهم موكلون بحفظ بنى آدم، ومنهم موكلون بحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ومنهم الموكلون بالموت والسؤال فى القبر إلى غير ذلك من أصناف الملائكة مما لا يعلمه إلا الله ﴿**وما يعلم جنود ربك إلا هو**﴾ ومما تقدم يعلم بطلان قول من قال إن الملائكة لا عقول لهم، فقد تقدم أن منهم السفراء بين الله ورسله والموكلين بأصناف المخلوقات إلى غير ذلك مما تواترت به الأدلة من صفاتهم وما كلفهم الله به، وما جاءت به الأدلة من عبادتهم العظيمة وخوفهم من الله سبحانه وتعالى، فهل يصدق عاقل أو من شم رائحة الإيمان بما زعمه هذا السفيه، لاشك أن هذا قول باطل مصادم لأدلة الكتاب والسنة.

وقوله: (وكتبه): أى التصديق بأنها كلام الله، وأنها حق ونور وهدى فيجب الإيمان بما سمى الله منها من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لايعرف أسمائها وعددها إلا الله سبحانه قال تعالى: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه**﴾ الآية. وغيرها من الآيات الدالة على أن الله تكلم بها حقاً وأنها أنزلت من عنده، وفى ذلك إثبات صفة الكلام والعلو: أما الإيمان بالقرآن فالإقرار به واتباع ما فيه وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب.

قوله: (ورسله): أى التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به وأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة وأنهم بينوا ما لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليهم جهله ولا يحل خلافه وأنه يجب احترامهم وأن لايفرق بينهم، فيجب الإيمان بمن سمى الله فى كتابه من رسله وأن لله رسلا غيرهم وأنبياء لا يعلم عددهم إلا الله، فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت نص صحيح فى عددهم، وقد قال تعالى: ﴿**ورسلا قد**

والبعث بعد الموت وبالقدر خيره وشره، ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد.

قصصناهم عليك ورسلا لم نقصصهم عليك﴾ الآية، وقد سبق الكلام في هذا الموضوع.

فيجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وتصديقهم بكل ما أخبروا به من الغيب وطاعتهم في كل ما أمروا به ونهوا عنه، قال تعالى: **﴿وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾**.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: والإيمان بالرسل يلزم منه الإيمان بجميع ما أخبروا به من الملائكة والأنبياء والكتب والبعث والقدر وغير ذلك من صفات الله وصفات اليوم الآخر كالصراط والميزان والجنة والنار ونحو ذلك.

وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا ﷺ والأفضل بعده أولوا العزم من الرسل ثم بقية الرسل ثم الأنبياء، ولا يبلغ الولي مهما بلغ من الجد والاجتهاد في طاعة الله درجة الأنبياء عليهم السلام. وقد شنع الشيخ تقي الدين رحمه الله على من يزعم ذلك وردّ عليه أسوأ رد، وقال: إن ذلك مخالف لدين الإسلام واليهود والنصارى.

وأما الكلام على قوله: (والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر) فسيأتي إن شاء الله.

قوله:(ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه): فمن جحد صفات الله سبحانه وتعالى فليس بمؤمن، قال تعالى: **﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾** الآية، وكذلك من عطلها أو شبهها بصفات خلقه، قال نعيم بن حماد: من شبه الله بخلقه كفر ومن نفى ماوصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهاً وقال ابن القيم رحمه الله في «النونية»:

من شبه الله العظيـــم بخلقه ... فهو النسيب لمشرك نصراني

أو عطل الرحمن من أوصافه ... فهو الكفــور وليس ذا إيمان

وفي **قوله:(بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله)**: إثبات أن صفاته سبحانه وتعالى إنما تتلقى من السمع لا بآراء الخلق، فصفاته سبحانه مبنية على التوقيف فلا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

قال أحمد رحمه الله: لايوصف **الله** إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لايتجاوز القرآن والحديث.

قال ابن القيم رحمه الله فى البدائع: مايطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفى وما يطلق عليه فى باب الأخبار لايجب أن يكون توقيفياً كالشيء والموجود والقديم ونحو ذلك.

ذكر المصنف رحمه الله تعالى هذا الأصل العظيم فى باب الأسماء والصفات فيناسب أن نضم إليه عدة أصول مجموعة من كتب المحققين لتكون كالمقدمة.

أولا: إن أسماء **الله** وصفاته غير محصورة بعدد معروف، وأما حديث «**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**» فليس فيه حصر لها وإنما غاية ما فيه أن هذه الأسماء موصوفة بأن من أحصاها دخل الجنة، كما تقول عندى مائة عبد عددتهم للجهاد فى سبيل **الله**، فلا ينافى أن لديك عبيداً غيرهم أعددتهم لغير ذلك.

ثانياً: أن الصفات تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: صفات ذاتية، وهى التى لاتنفك عنه بحال، كالغنى والقدرة والعلو والرحمة ونحو ذلك من الصفات التى هى من لوازم ذاته.

القسم الثانى: صفات فعلية، وهى كل صفة تعلقت بمشيئته وإرادته، ويعبر عنها بالأفعال الاختيارية كالاستواء والمجيء والنزول ونحو ذلك.

ثالثاً: أركان الإيمان بالأسماء والصفات، الإيمان بالصفة ومادلت عليه من المعنى وبما تعلق بها من الآثار، فتؤمن بأنه عليم وذو علم عظيم وأنه لاتخفى عليه خافية.

رابعاً: ليس فى أسماء الله وصفاته نفى محض، بل كل نفى وجد فى أسماء

الله وصفاته فهو لإثبات كمال ضده، إذ النفى المحض عدم، والعدم ليس بشىء، فضلا عن أن يمدح به كما قال تعالى: ﴿**ولا يظلم ربك أحدا**﴾ أى لكمال عدله، ﴿**ولا يؤوده حفظهما**﴾، أى لكمال قوته واقتداره.

خامساً: طريقة أهل السنة والجماعة، هو الإجمال فى النفى والتفصيل فى الإثبات كما دل على ذلك الكتاب والسنة، قال تعالى:﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ فأجمل فى النفى وفصل فى الإثبات،وهذا عكس ما عليه أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وأشباههم فإنهم يجملون فى الإثبات ويفصلون فى النفى.

سادساً: أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته هى بالنظر إلى الذات من قبيل المترادف وبالنظر إلى الصفات من قبيل المتباين.

سابعاً: أسماء الله سبحانه وصفاته حقيقة، وليست من قبيل المجاز خلافاً للمبتدعة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم، فعلى كلام هؤلاء لايكون سبحانه حياً حقيقة ولا مريداً حقيقة ولا قادراً، تعالى الله عن قولهم، وهذا لازم لكل من ادعى المجاز فى أسماء الرب وصفاته وأفعاله لزوماً لامحيد عنه، وكفى أصحاب هذه المقالة كفراً.

ثامنا: أسماؤه سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين: أعلام وأوصاف، والوصيفة فيها لاتنافى العلمية، بخلاف أوصاف العباد.

تاسعا: للاسم من أسمائه ثلاث دلالات: دلالة على الذات والاسم بالمطابقة، وعلى أحدهما بالتضمن وعلى الصفة الأخرى بالالتزام،مثاله اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة وعلى الذات وحدها والسمع وحده بالتضمن، ويدل على الحى وصفة الحياة بالالتزام، وكذلك سائر أسمائه وصفاته.

عاشرا: إذا كانت الصفة منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها فى أسمائه سبحانه بل يطلق عليه منها كمالها كالمريد والصانع، فإن هذه الألفاظ لاتدخل في أسمائه، فإن الصنع والإرادة منقسمة إلى محمود ومذموم.

الحادى عشر: لا يلزم من الأخبار عنه بالفعل مقيدًا أن يشتق له منه اسم مطلق، وقد غلط من جعل من أسمائه الماكر والفاتن والمضل، تعالى الله عن قولهم، ثم أنه على فهم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الجائى والغضبان ونحو ذلك من الأسماء التى أطلقت عليه أفعالها، وهذا لايقوله مسلم ولا عاقل، انتهى من كلام ابن القيم ملخصا.

الثانى عشر: الأسماء والصفات التى تستعمل فى حق الخالق والمخلوق، كالعلم والقدرة والسمع والبصر ونحو ذلك هى حقيقة في الخالق والمخلوق خلافا للجهمية

قال ابن القيم: وهذا قول عامة العقلاء وهو الصواب.

الثالث عشر: أسماء الله وصفاته من قبيل المحكم وليست من المتشابه، فإن معناها واضح معروف في لغة العرب، وأما الكنه والكيفية فهو مما استأثر الله بعلمه.

الرابع عشر: لايلزم من اتحاد الاسمين تماثل مسماهما، فإن الله سمى نفسه بأسماء تسمى بها بعض خلقه، وكذلك وصف نفسه بصفات وصف بها بعض خلقه، فلا يلزم من ذلك التشبيه فقد وصف نفسه بالسمع والبصر والعلم والقدرة، ووصف بذلك بعض خلقه، فليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير فصفات كل موصوف تناسب ذاته وتليق به ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق.

الخامس عشر: ذكر الشيخ تقى الدين فى كتابه «التدمريه» أصلين عظيمين نافعين من هذا الباب:

الأول: القول فى الصفات كالقول فى الذات، فكما أننا نثبت لله ذاتاً لا تشبه الذوات فيجب أن نثبت له صفاتاً لاتشبه الصفات، فالصفات فرع الذات يحذى فيها حذوها.

الثانى: القول فى بعض الصفات كالقول فى البعض الآخر إذ لافرق، فمن أثبت الصفات ونفى البعض الآخر كالأشاعرة فقد تناقض، إذ الدليل الذى ثبتت به الصفات التى أقروا بها يوجد مثله أو أقوى منه يثبت البعض الآخر، إلى

غير ذلك من الأصول العظيمة الى ذكرها الشيخ تقى الدين وابن القيم وغيرهما من المحققين فى كتبهم وقد أفردنا تلك الأصول فى رسالة مفردة فارجع إليها.

قوله: (من غير تحريف):أى تغيير لألفاظ الأسماء والصفات أو تغيير لمعانيها، وقد ذم الله سبحانه وتعالى الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، كما قال الله سبحانه وتعالى عن اليهود: ﴿**من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه**﴾أى يغيرونه ويفسرونه بغير معناه، فالتحريف لغة: التغيير وإمالة الشىء عن وجهه، يقال انحراف عن كذا أى مال وعدل،واصطلاحاً: هو التغيير لألفاظ الأسماء والصفات أو معانيها كقول الجهمية فى قوله سبحانه: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ أى استولى، وقوله﴿**وجاء ربك**﴾أى أمره،فالتحريف ينقسم إلى قسمين:

الأول: تحريف اللفظ كقولهم في ﴿**وكلم الله موسى تكليما**﴾ بنصب لفظ الجلالة،وكقولهم فى﴿**استوى**﴾: استولى،﴿**وجاء ربك**﴾ أى أمره. ويروى أن جهمياً طلب من أبى عمرو بن العلاء أحد القراء يقرأ: ﴿**وكلم الله موسى تكليما**﴾ بنصب لفظ الجلالة فقال له: هبنى فعلت ذلك فما تصنع بقوله: ﴿**وكلمه ربه**﴾ فبهت الجهمى.

الثاني: التحريف المعنوى: كقولهم فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وكلم الله موسى تكليما**﴾ أى جرحه بأضافير الحكمة تجريحاً.

قال ابن القيم رحمه الله: والتحريف نوعان تحريف اللفظ وتحريف المعنى، فتحريف اللفظ: العدول عن جهته إلى غيرها، إما بزيادة أو نقصان، وإما بتغيير حركة إعرابية أو غير إعرابية، فهذه أربع أنواع. وأما تحريف المعنى: فهو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته،وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما.

قوله: (ولا تعطيل): وهو لغة:الإخلاء،يقال حيد عطل، أى خال من الزينة، قال الشاعر:

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إذا هى نصته ولا بمعطل

وأما معناه هنا فهو جحد الصفات وإنكار قيامها بذاته سبحانه ونفى ما دلت عليه من صفات الكمال وأول من قال بالتعطيل فى الإسلام الجعد بن درهم، فقتله

خالد بن عبد الله القسرى بعد استشارة علماء زمانه.

قال ابن القيم رحمه الله فى «النونية»:

ولذا ضحى بجعد خالـــد الــ	قسرى يوم ذبائح القربان
شكر الضحية كل صاحب سنة	لله درك من أخى قربـان

وتلقى عن الجعد مقاله التعطيل الجهم بن صفوان الترمذى فنشرها وناضل عنها، فلذا نسب المذهب إليه، فيقال: جهمية بفتح الجيم، والجهم قتله سلم بن أحوز أمير خراسان والتعطيل ينقسم إلى ثلاثة أقسام كما ذكره ابن القيم رحمه الله:

الأول: تعطيل المصنوع من صانعه كتعطيل الفلاسفة الذين زعموا قدم هذه المخلوقات وأنها تتصرف بطبيعتها.

الثانى: تعطيل الصانع من كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته كتعطيل الجهمية وأشباههم من المعتزلة وغيرهم.

الثالث: تعطيل حق معاملته بترك عبادته أو عبادة غيره معه.

قال ابن القيم رحمه الله: والتعطيل شر من الشرك فإن المعطل جاحد للذات أو لكمالها وهو جحد لحقيقة الألوهية، فإن ذاتا لاتسمع ولاتبصر ولاتغضب ولاترضى ولاتفعل شيئا وليست داخل العالم ولاخارجه ولا متصلة بالعالم ولامنفصلة ولا فوق ولاتحت ولايمين ولاشمال، هو والعدم سواء، والمشرك مقر بالله، لكن عبد معه غيره، فهو خير من المعطل للذات والصفات.

قوله: (ولا تكييف): وهو تعيين كنه الصفة، يقال كيّف الشيء: أى جعل له كيفية معلومة، وكيفية الشيء صفته وحاله، فالتكييف تعيين كنه الصفة وكيفيتها، وهذا مما استأثر الله به، فلا سبيل إلى الوصول إليه، إذ الصفة تابعة للموصوف، فكما لايعلم كيف هو إلا هو، فكذلك صفاته فالصفات يحذى فيها حذو الذات. وقد سئل مالك رحمه الله تعالى فقيل له: ﴿**الرحمن على استوى**﴾ كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه

بدعة. وكذلك روى عن ربيعة نحواً من هذه الإجابة، وكذلك روى عن أم سلمة زوج النبى ﷺ.

فقوله: الاستواء معلوم، أى فى لغة العرب. وقوله: والكيف مجهول، أى كيفية استوائه سبحانه وتعالى لايعلم كنهها وكيفيتها إلا هو سبحانه. وقوله: الإيمان به واجب، لتكاثر الأدلة من الكتاب والسنة في إثبات ذلك، والسؤال عنه، أي عن الكيفية بدعة، ففرّق مالك رحمه الله بين المعنى المعلوم من هذه اللفظة وبين الكيف الذى لايعقله البشر.

وإجابة مالك رحمه الله تعالى وغيره جواب كاف شاف فى جميع مسائل الصفات، فإذا سئل إنسان عن المجىء أو النزول أو السمع أو البصر أو غير ذلك، أجاب بجواب مالك رحمه الله، فيقال مثلا: المجىء معلوم والكيف مجهول، وكذلك من سئل عن الغضب والرضا والضحك وغير ذلك فمعانيها كلها مفهومة، وأما كيفيتها فغير معقولة، إذ تعقل الكيفية فرع العلم بكيفية الذات وكنهها، فإذا كان ذلك غير معقول للبشر فكيف يعقل لهم كيفية الصفات.

قوله:(ولاتمثيل): التمثيل هو التشبيه، يقال مثّل الشىء بالشىء سوّاه وشبهه به وجعله مثله وعلى مثاله، فالشبيه والمثيل والنظير ألفاظ متقاربة فلا تمثل صفاته بصفات خلقه فإنه لا مثل له ولا شبه له ولا نظير، لا فى ذاته وأسمائه ولا فى صفاته وأفعاله كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**ليس كمثله شىء وهو السميع البصير**﴾ والتشبيه ينقسم إلى قسمين:

الأول: تشبيه المخلوق بالخالق، كتشبيه النصارى عيسى بالله، وكتشبيههم العزيز وتشبيه المشركين أصنامهم بالله، وهذا النوع هو الذى أرسلت الرسل وأنزلت الكتب فى النهى عنه، وهو أعظم الذنوب على الإطلاق ومحبط لجميع الأعمال.

الثانى: تشبيه الخالق بالمخلوق كقول المشبة لله يد كأيدينا، وسمع كأسماعنا، وهذا هو الذى صنفت كتب التوحيد للرد على قائله، وكلا النوعين كفر، وكل مشبه معطل وبالعكس، فإن المعطل لم يفهم من صفات الله إلا ما يليق بالمخلوق،

فأراد بزعمه الفاسد تنزيهه عن ذلك فوقع فى التعطيل، فشبه أولا وعطل ثانياً وشبهه ثالثا بالمعدومات والناقصات، تعالى الله عن قولهم.

وكذلك المشبه عطل الصفة التى تليق بالله ووصفه بصفات المخلوق، فعطل أولا ،وشبهه ثانيا، فكل معطل مشبه وبالعكس.

قال الشيخ تقى الدين فى «الحموية»: وكل واحد من فريقى التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل، أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق،ثم شرعوا في نفى تلك المفهومات فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل، مثلوا أولا،وعطلوا آخراً، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو من الصفات اللائقة بالله سبحانه،ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لايمثلون ذاته بذوات خلقه،فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون فى أسماء الله وآياته. انتهى.

قوله: (بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير): كما قال سبحانه: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ أى أنه سبحانه لامثل له فى ذاته ولا فى أسمائه وصفاته ولا فى أفعاله، فقوله: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ رد على المشبهة الممثلة، وقوله: (**وهو السميع البصير**) رد على المعطلة النفاة.

والكاف فى قوله ليس كمثله شيء، أصح الأقوال إنها زائدة، وهذا معروف فى لغة العرب كقوله الشاعر:

ليس كمثل الفتى زهير خلق يوازيه فى الفضائل

فى هذه الآية المتقدمة فوائد:

الأول: إثبات السمع والبصر والرد على من زعم أن السمع والبصر بمعنى العلم، وفيها الرد على المعطلة الذين ينفون الصفات بالكلية كالجهمية والذين يثبتون الأسماء دون المعانى كالمعتزلة الذين يقولون سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، وتصور هذا القول يكفى فى رده واستهجانه.

وفيها الرد على الأشاعرة الذين يثبتون بعض الصفات ويؤولون البعض الآخر وهم متناقضون أعظم تناقض، وفيها النفى المجمل والإثبات المفصل، وفيها الجمع بين النفى والإثبات، وفيها تقديم النفى على الإثبات، لأن الأول من باب التخلية، والثانى من باب التحلية.

وفيها الجمع بين السمع والبصر فكثيراً ما يقرن بينهما لعموم متعلقهما فسمعه سبحانه محيط بجميع المسموعات، وبصره محيط بجميع المبصرات، وسمعه سبحانه ينقسم إلى قسمين:

الأول: سمع عام وهو سمعه سبحانه لكل مسموع، كقوله سبحانه: ﴿**قد سمع الله التى تجادلك فى زوجها**﴾.

الثانى: سمع خاص وهو سمع الإجابة والإثابة، كما قال سبحانه: ﴿**إن ربى لسميع الدعاء**﴾ الآية، ومنه قول العبد: (سمع الله لمن حمده)أى استجاب سبحانه لمن حمده وأثنى عليه، وفيها إثبات الصفات لله على ما يليق بجلاله وعظمته، وفيها أن صفاته ليس كصفات خلقه، والمخلوق وإن كان يوصف بأنه سميع بصير فليس سمعه وبصره كسمع الرب وبصره، فصفات الخالق كما يليق به، وصفات المخلوق كما يليق به، إذ لا مناسبة بين الخالق والمخلوق، فصفات كل موصوف تناسب ذاته وحقيقته، فلا يعلم كيف هو إلا هو.

قال بعض السلف: إذا قال الجهمى: كيف استوى؟ كيف ينزل إلى السماء الدنيا؟ ونحو ذلك، فقل له: كيف هو بنفسه؟ فإذا قال: لا يعلم كيف هو إلا هو، وكنه البارى غير معلوم للبشر، فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن أن يعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته، وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة فلا سبيل إلى العلم بالكنه والكيفية، فإذا كان فى المخلوقات ما لا يعلم كنهه فكيف بالبارى سبحانه، فهذه الجنة، ورد عن ابن عباس: ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء، وهذه الروح نجزم بوجودها وأنها تعرج إلى السماء وأنها تسل منه وقت النزع، وقد أمسكت النصوص عن بيان كيفيتها، فإذا كان ذلك فى المخلوق فكيف بالخالق سبحانه وتعالى.

وفيها أعظم دلالة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله، وإنها لكثرتها وعظمتها لم يكن له فيها مثل. وإلا فلو أريد نفى الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح مع أن كل عاقل يفهم من قول القائل: فلان لامثل له أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لايشاركونه بها، وهذا واضح من معنى الآية أن معناها إثبات الصفات لا نفيها خلافاً لأهل البدع من الجهمية وغيرهم.

وفى الآية متمسك لمن فضل السمع على البصر.

قوله:(فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه) ووصفه به رسوله ﷺ بل يثبتون له الأسماء والصفات وينفون عنه مشابهة المخلوقات.

رضوا لربهم مارضيه لنفسه ورضيه له رسوله ﷺ فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وكذلك رسله فإنهم أعلم بالله وأصدق وأنصح من جميع خلق الله، وأقدر على البيان والتبليغ، وقد بلغوا البلاغ المبين، وقد سار على منهاجهم أصحاب النبى ﷺ والتابعون لهم بإحسان والخير فى اتباعهم.

وخير الأمور السالفات على الهدى　　　وشر الأمور المحدثات البدائع

وأما أهل البدع من الجهمية وغيرهم فنفوا أسماء الله وصفاته وعطلوها زعماً منهم أن إثباتها يقتضى التشبيه أو التجسيم أو التحيز ونحو ذلك من أقوال أهل الضلال الذين نبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم، ورضوا بالتلمذة على اليهود والمجوس والصابئين وأضرابهم من ضلال الأمم، فإن أصل مقالة التعطيل مأخوذة عن هؤلاء كما ذكر ذلك الشيخ تقى الدين وابن القيم وغيرهم، فإن الجهم بن صفوان تلقى مقالة التعطيل عن الجعد بن درهم، والجعد أخذها عن أبان بن سمعان، وأبان أخذها عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم الذى سحر النبى ﷺ، كما أن الجهم قابل قوماً من السمنية وسألوه عن الله فتحير ومكث أربعين يوماً لا يصلى، ويروى أنه دخل حران وقابل قوماً من الصابئة وباحثهم، فمقالته هذه مصادرها لاشك أنها أخبث مقالة، وكفى بقوم أعرضوا عن كتاب الله وسنة رسوله وتتلمذوا على هؤلاء الضلال كفراً وضلالا.

وما عوض لنا منهاج جهم　　　بمنهاج ابن آمنة الأمين

قوله: (ولا يحرفون الكلم عن مواضعه): أى يغيرونه ويفسرونه بغير معناه، قال تعالى : ﴿**من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه**﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: أى يتأولونه على غير تأويله ويفسرونه بغير مراد الله قصداً منهم وافتراء. قال فى شرح الطحاوية: والتحريف على مراتب، منه ما يكون كفراً ومنه ما يكون فسقاً وقد يكون معصية وقد يكون خطأً. انتهى.

قوله: (ولا يلحدون فى أسماء الله وآياته) أى يميلون ويعدلون عن الحق الثابت، فالإلحاد معناه لغة: الميل والعدول عن الشىء، ومنه اللحد فى القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر.

قال ابن القيم: الإلحاد هو العدول بأسماء الله وصفاته وآياته عن الحق الثابت، وقال فى «النونية»:

أسماؤه أوصاف مـــــدح كلها	مشتقـــــة قد حملـت لمعانى
إياك والإلحـــاد فيهـا إنـــه	كفر معاذ الله من كفرانـــى
وحقيقة الإلحـــاد فيها الميـــل	بالإشراك والتعطيـــل والنكرانى
فالملحـدون إذاً ثلاث طوائف	فعليهم غضـــب من الرحمـــن

وقال أيضاً: والإلحاد فى أسماء الله وصفاته أنواع.

أحدها: أن يسمى الأصنام بها، كتسمية اللات من الإلة، والعزى من العزيز ونحوه.

الثانى: تسميته سبحانه بما لايليق بجلاله، كتسمية النصارى له أباً، وتسمية الفلاسفة له موجباً أو علة فاعلة.

الثالث: وصفه بما يتعالى ويتقدس عنه من النقائص، كقول أخبث اليهود: إن الله فقير، وقولهم: يد الله مغلولة.

الرابع: تعطيل الأسماء الحسنى عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية: إنها ألفاظ مجردة لاتتضمن صفات ولا معانى، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحى ويقولون لا سمع له ولا بصر ولا حياة ونحو ذلك.

ولا يكيّفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لاسمي له، ولا كفؤ له، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه

الخامس: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عن قول الملحدين علواً كبيراً فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت له لفظا ولا معنى ، بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئا من التشبيه، وتزيههم خليا من التعطيل، لاكمن شبه حتى كأنه يعبد صنما، أو عطل حتى كأنه يعبد عدما. انتهى.

قوله: (**ولايكيفون**): شيئا من صفاته سبحانه وتعالى، فإنه الموصوف بصفات الكمال التي لاتبلغها عقول الخلائق. قال تعالى: ﴿**ولايحيطون به علما**﴾ فيجب الإيمان بصفات الله واعتقاد أنها حقيقة تليق بجلال الله وعظمته، أما كنهها وكيفيتها فهو مما استأثر الله بعلمه فلا سبيل إلى معرفته وقد تقدم الكلام على هذا الموضوع.

قوله:(**ولايمثلون صفاته بصفات خلقه**): فمذهب أهل السنة إثبات الأسماء والصفات مع نفى مماثلة المخلوقات إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قوله: (**لأنه سبحانه لاسمى له**): أى لانظير له كما قال سبحانه: ﴿**هل تعلم له سميا**﴾ أى من يساميه أو يماثله، ويروى عن ابن عباس مثيلا أو شبيها.

قوله: (**ولاكفؤ له**): أى لا مثل له سبحانه، قال تعالى: ﴿**ولم يكن له كفوا أحد**﴾

قوله: (**ولا ند له**): أى لاشبه له ولا نظير، قال تعالى: ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً**﴾.

وفي قوله:(**ولا ند له..إلخ**) رد على المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه.

قوله:(**ولا يقاس بخلقه**): أى لايمثل بهم ولايشبه، والقياس فى اللغة التمثيل.

قال تعالى: ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال**﴾ فلا يقاس سبحانه بخلقه في أفعاله ولا في صفاته كما لا يقاس بهم في ذاته خلافا للمعتزلة ومن وافقهم من الشيعة فإنهم قاسوه سبحانه بخلقه فشبهوه بهم فوضعوا له شريعة من قبل أنفسهم فقالوا يجب على الله كذا ويحرم عليه كذا بالقياس على المخلوق، فالمعتزلة ومن وافقهم مشبهة فى الأفعال معطلة فى الصفات، جحدوا وبعض ماوصف الله به نفسه من صفات الكمال وسموه توحيداً، وشبهوه بخلقه فيما يحسن ويقبح من الأفعال وسموا ذلك عدلا، فعدلهم إنكار قدرته سبحانه ومشيئته العامة الكاملة التى لايخرج عنها شيء من الموجودات ذواتها وصفاتها وأفعالها، وتوحيدهم إلحادهم فى أسماء الله الحسنى وتحريف معانيها عما هى عليه، فكان توحيدهم فى الحقيقة تعطيلا وعدلهم شركاً، انتهى . من كلام ابن القيم بتصرف.

قوله: (فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره): قال الله تعالى: ﴿**والله بكل شيء عليم**﴾، وقال: ﴿**ولا يحيطون به علماً**﴾ أى لايحيط الخلائق به سبحانه علماً، فهو الموصوف بصفات الكمال التى لاتبلغها عقول الخلائق، كما فى الصحيح «**لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» فما جاء فى الكتاب والسنة من صفاته سبحانه وجب الإيمان به وتلقيه بالقبول والتسليم وترك التعرض له بالرد والتشبيه والتمثيل، فهو الذى وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ فعلينا أن نرضى بما رضيه لنفسه فإنه أعلم بما يجوز ويمتنع ويليق بجلاله.

قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله، وعلى هذا أدرج السلف الصالح رضوان الله عليهم، وقد أمرنا باقتفاء آثارهم والاهتداء بمنارهم كما قال ﷺ: «**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**».

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: «اتبعوا ولاتبتدعوا فقد كفيتم» وقال الشعبي: «عليكم بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول».

قوله: (وأصدق قيلا): قال تعالى: ﴿**ومن أصدق من الله قيلا**﴾ وثبت فى الصحيح من حديث جابر أن رسول الله ﷺ كان يقول فى خطبته يوم الجمعة: «**إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد** ﷺ» الحديث، فما أخبر به الله سبحانه فهو حق وصدق، علينا أن نصدقه ولا نعارضه ولا نعرض عنه، فمن عارضه بعقله لم يصدق به، وكذلك من أقر بلفظه مع جحد معناه أو حرَّفه إلى معانى أُخر غير ما أريد به لم يكن مصدقاً.

قوله: (وأحسن حديثا من خلقه): قال الله تعالى: ﴿**ومن أحسن من الله حديثاً**﴾ لفظه لفظ استفهام ومعناه لا أحد أحسن حديثاً منه سبحانه، فألفاظه أفصح الألفاظ وأبينها وأعظمها مطابقة لمعانيها المرادة منها ومعانيه أشرق المعانى، فلا تجد كلاماً أحسن تفسيراً ولا أتم بياناً من كلامه سبحانه ولهذا سماه الله بياناً، وأخبر أنه يسره للذكر، يسر ألفاظه للحفظ ويسر معانيه للفهم، فمحالا أن يترك باب الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ملتبسا، وهو أشرف العلوم على الإطلاق، بل قد بينه الله ورسوله بيانا شافيا قاطعا للعذر، لا لبس فيه ولا إشكال، فآيات الصفات واضحة المعنى وضوحاً تاما، بحيث يشترك فى فهم معانيها العام والخاص، أى فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية كما أنها مفيدة للعلم اليقينى الكامل.

قوله: (ثم رسله صادقون): أى فيما جاؤوا به عن الله، والصدق هو مطابقة الخبر للواقع، فرسله عليهم السلام صادقون فى جميع ما أتوا به إذ هو الحق الصدق المطابق للواقع، فلا يصح لإنسان قول ولا عمل إلا باعتقاد صدقهم وأمانتهم، وإنهم بلغوا البلاغ المبين بأبلغ عبارة وأوضح أسلوب، ليس فى كلامهم لغز ولا أحاجى وليس له باطن يخالف ظاهره، وأن لديهم من القدرة على التعبير وكمال العلم وتمام الشفقة والنصح ما ليس عند غيرهم، فيجب أن يكون بيانهم للحق أكمل من بيان كل أحد فمن المحال أن يتركوا باب الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ملتبسا وهو أشرف العلوم على الإطلاق وأجلها وأوجبها قد بينوه غاية البيان ولم يبق فيه شك ولا إشكال.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: ومعلوم أنه ﷺ قد بلغ الرسالة كما أمر ولم

يكتم منها شيئاً، فإن كتمان ما أنزله الله عليه يناقض موجب الرسالة، كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة، قال: ومن المعلوم فى دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصوم من الكذب فيها، والآية تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمر الله وبين ما أنزل إليه من ربه، وقد وجب على كل مسلم تصديقه فى كل ما أخبر به.

قوله: (مصدقون): أى فيما يأتيهم من الوحى الكريم، قال تعالى: ﴿**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن لهم مسلمون**﴾ فيجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وأن لايفرق بين أحد منهم وتصديقهم فيما أخبروا به واتباعهم فى كل ما جاؤوا به فهو حق وصدق، وقد اتفق العلماء على كفر من كذب نبياً معلوم النبوة، وكذا من سبه أو انتقصه ويجب قتله؛ لأن الإيمان واجب بجميع المرسلين واتباعهم واتباع ما أنزل إليهم، وقد ختمهم الله بمحمد ﷺ وأنزل عليه الكتاب والحكمة وجعل دعوته عامة لجميع الثقلين باقية إلى يوم القيامة، وانقطعت به حجة العباد على الله سبحانه، وقد بين الله به كل شيء وأكمل له ولأمته الدين خبراً وأمراً، وأقسم بنفسه أنهم لايؤمنون حتى يحكموه فيما شجر بينهم، قال تعالى: ﴿**فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**﴾ الآية، وفى حديث أنس أن النبى ﷺ قال: «**لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**».

وأعظم ما جاء به ﷺ هو وإخوانه من الرسل هو الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له ومعرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه لاشبيه له ولانظير، فهذا هو مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم من أولهم إلى آخرهم، فدينهم واحد وإنما اختلفت الشرائع كما قال النبى ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد**» الحديث

قوله: (بخلاف الذين يقولون على الله مالا يعلمون) أى بخلاف الذين يقولون على الله فى شرعه ودينه أو فى أسمائه وصفاته وأفعاله مالا يعلمون، بل بمجرد عقولهم الفاسدة وتخيلاتهم الكاسدة التى ما أنزل الله بها من سلطان، قال

ولهذا قال سبحانه: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾.

تعالى: ﴿ **وأن تقولوا على الله مالا تعلمون**﴾ وقال: ﴿**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب**﴾ فالقول على الله سبحانه وتعالى بلاعلم من أعظم المنكرات، ولهذا جعله فى أعظم مراتب التحريم فإنه بدأ بأسهلها وختم بأشدها وأعظمها تحريماً وهو القول على الله بلا علم، وتواتر عن النبى ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**».

قال ابن القيم رحمه الله: فالقول على الله بغير علم من كبائر الذنوب سواء كان فى أسماء الله وصفاته وأفعاله، أو فى أحكامه وتقديم الخيال المسمى بالعقل والسياسة الظالمة والعوائد الباطلة والآراء الفاسدة والأذواق والكشوفات الشيطانية على ما جاء به رسول الله ﷺ: انتهى بتصرف.

قوله ولهذا قال سبحانه: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾.

ذكر المصنف رحمه الله تعالى هذه الآية الكريمة دليلا على ما تقدم من إثبات صدق الرسل عليهم السلام وصحة ما جاؤوا به، وأنه الحق الذى يجب اعتقاده، وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ووصفوا الله بما يليق به من صفات الكمال ونزهوه عن صفات النقص والعيب، وأن من قال بخلاف ماجاؤوا به فهو كاذب على الله قائل عليه بدون علم.

قوله: ﴿سبحان ربك﴾: أى تنزيهاً لله عن كل نقص وعيب.

قال ابن القيم: التسبيح: تنزيه الله عن كل سوء، وأصل اللفظة من المباعدة من قولهم: سبحت فى الأرض إذا تباعدت فيها. انتهى، وتأتى سبحان للتعجب.

قوله: ﴿رب العزة﴾: أى القوة والغلبة وأضافها إليه لاختصاصها به، والعزة يراد بها عزة القوة وعزة الامتناع وعزة الغلبة والقهر، فله سبحانه العزة التامة بالاعتبارات الثلاث، يقال من الأول عز يعز بفتح العين فى المستقبل، وفى الثانى بكسر العين، وفى الثالث بضمها.

قوله: ﴿عما يصفون﴾ أى تنزه سبحانه وتقدس عما يصفه به المخالفون للرسل

من النقائص والعيوب.

قوله:﴿وسلام على المرسلين﴾: أى سلام الله عليهم فى الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه فى ربهم وصحته وأحقيته.

قوله:﴿والحمد لله رب العالمين﴾: قوله: (**رب**): هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، ولايطلق إلا على الله سبحانه وتعالى إلا إذا أضيف فيطلق على غيره كرب الدار ورب الدابة ونحو ذلك، ولفظة رب وإله فيهما دلالة الاقتران والانفراد، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإذا ذكرا معاً فسر الرب بما تقدم، وفسر الإله بأنه المعبود المطاع.

قوله: (**العالمين**): العالم كل من سوى الله، سمى بذلك لأنه علامة على وجود خالقه وموجده ووحدانيته وأنه المستحق للعبادة كما قيل:

فوا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفى كـــل شىء لــــه آيـة ... تدل على أنـــه واحــد

ويروى أن أعرابياً سئل عن الله فقال: ياسبحان الله، إن البعرة لتدل على البعير وإن الأثر ليدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحر ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير، ففى هذه الآية نزه نفسه سبحانه عما لايليق بجلاله، ثم سلم على المرسلين، وهذا يقتضى سلامتهم من كل ما يقوله المكذبون لهم، وإذا سلموا من ذلك لزم سلامة كل ماجاؤوا به من الكذب والفساد وأعظم ما جاؤوا به هو التوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى، ووصفه بما يليق بجلاله مما وصف به نفسه على ألسنتهم، وإذا سلم ذلك من الكذب والمحال فهو الحق المحض وما خالفه فهو الباطل والكذب والمحال.

قال ابن كثير رحمه الله: ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال، كما أن الحمد يدل عى إثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه عن النقص، قرن بينهما فى هذا الموضع وفى مواضع كثيرة من القرآن، ولهذا قال: **﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾** الآية. انتهى.

فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب

وفى هذه الآية إثبات أنواع التوحيد الثلاثة، فإن الحمد يتضمن إثبات أنواع التوحيد الثلاثة، فإن الحمد مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله، مع محبته والرضا عنه والخضوع له، ومن المعلوم أن فاقد صفات الكمال لايكون إلهاً ولامدبراً، بل هو مذموم معيب ليس له الحمد وإنما الحمد لمن له صفات الكمال ونعوت الجلال التى لأجلها استحق الحمد، واشتملت هذه الآية على وصفه سبحانه بالعزة المتضمنة للقوة والقدرة وعدم النظير، والحمد المتضمن لصفات الكمال والتنزيه عن أضدادها وعلى إثبات صفة الكلام وعلى الرد على جميع المخالفين، وإثبات أن ماجاء به المرسلون هو الحق الذى يتعين اعتقاده لسلامة ماقالوه فى ربهم من النقص والعيب. انتهى . من كلام ابن القيم ملخصا.

قوله: (فسبح نفسه): أى نزهها عما يصفه به العباد إلا ما وصفه به المرسلون وأتباعهم، فإن هذه الكلمة: أى سبحان ربك، تنزيه للرب وتعظيمه وإجلاله عما لايليق به من النقائص والعيوب ، فالرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم وصفوه سبحانه وتعالى بصفات الكمال ونزهوه عما لايليق به من الشبيه والمثال، وأما أعداء الرسل فوصفوه بضد ذلك من النقائص والعيوب وألحدوا فى أسماء الله وصفاته وآياته وحرفوا الكلم عن مواضعه، فالحق هو ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وما جاء به علماً وعملاً واعتقاداً في باب صفات الرب وأسماؤه، وتوحيده وأمره ونهيه ووعده ووعيده، وكل ذلك مسلم إلى رسول الله دون آراء الرجال وأوضاعهم وأفكارهم واصطلاحاتهم، فكل ما خالف ما عليه الرسول وأصحابه فهو باطل مردود على صاحبه كائنا من كان.

قوله: (لسلامة ما قالوه): أى أن ماقالوه فى ربهم سالم من النقص والعيب، فإنهم أعلم الخلق بالحق وأنصح الخلق وأفصحهم وأقدرهم على البيان والتبليغ، فما بينوه من أسماء الله وصفاته وغير ذلك هو الغاية فى الكمال، وهو الحق الذي يجب اعتقاده واتباعه، ولا تجل مخالفته.

قال فى القاموس: السلامة: البراءة من العيوب. ا.هـ، والعيب والنقصان مترادفان.

قوله:(جمع): الجمع فى اللغة: الضم، والاجتماع: الانضمام، والتفريق ضده.

قوله:(وصف): الوصف لغة: نعته بما فيه. وصف الشيء نعته بما فيه وحلاه والصفة النعت، والصفة ما يقوم بالموصوف كالعلم والجمال، وأسماؤه سبحانه تنقسم إلى قسمين أعلام وأوصاف، والوصفية فيها لاتنافى العلمية بخلاف أوصاف العباد، وصفاته سبحانه وتعالى دالة على معان قائمة بذاته فيجب الإيمان بها والتصديق وإثباتها لله حقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته، وهى بالنظر إلى الذات من قبيل المترادف وبالنظر إلى الصفات من قبيل المتباين، وهى تنقسم كما مضى إلى قسمين: صفات ذات وصفات فعل .

قوله : (بين النفى والإثبات) : فالنفى كقوله: ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ وقوله: ﴿ **ولم يكن له كفوا أحد**﴾ وقوله : ﴿**لاتأخذه سنة ولا نوم**﴾ وقوله: ﴿**ولا يؤوده حفظهما**﴾.

والإثبات كقوله: ﴿**وهو السميع البصير**﴾ وقوله: ﴿**وهو الحكيم الخبير**﴾ وقوله : ﴿**قل هو الله أحد. الله الصمد**﴾.

قال الشخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله: ومعانى التنزيه ترجع إلى هذين الأصلين إثبات الكمال ونفى التشبيه والمثال، وقد دل عليهما سورة الإخلاص، فاسمه الصمد: يجمع معانى صفات الكمال، والأحد: يتضمن أنه لا مثل له ولا نظير من المنهاج. بتصرف.

والنفى ليس مقصوداً لذاته وإنما هو مقصود لغيره إذ النفى المحض ليس بمدح ولا ثناء بل هو عدم محض ولا مدح فى ذلك.

قال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله فى كتابه «التدمرية»: وينبغى أن يعلم أن النفى ليس فيه كمال ولا مدح إلا إذا تضمن إثباتاً، وكل ما نفى الله عن نفسه من النقائص ومشاركة أحد له فى خصائصه فإنها تدل على إثبات ضدها من أنواع الكمالات. انتهى.

وطريقة أهل السنة والجماعة فى النفى الإجمال، وفى الإثبات التفصيل كما جاء فى الكتاب والسنة: فأثبتوا له سبحانه الأسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة المخلوقات، ومن خالفهم من المعطلة والمتفلسفة وغيرهم عكسوا القضية

فجاؤوا بنفى مفصل وإثبات مجمل، فيقولون: ليس كذا ليس كذا. ذكر معناه فى «التدمرية» وغيرها.

قوله:(فلا عدول): أى فلا ميل ولا انحراف لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، بل هم مقتفون آثارهم مستضيئون بأنوارهم مؤمنون بجميعهم، مصدقون لهم فى كل ما أخبروا به من الغيب، إذ هو الحق والصدق الذى يجب اعتقاده واتباعه، ولاتجوز مخالفته، وأعظم ما جاء به المرسلون هو الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له، ومعرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه لاشبيه له، ولا نظير، فهذا دينهم من أولهم إلى آخرهم قال تعالى: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ أى إن الدين الذى جاء به محمدﷺ هو دين الأنبياء من أولهم إلى آخرهم، ليس لله دين سواه فالإسلام دين أهل السموات ودين أهل التوحيد من الأرض، لا يقبل الله من أحد دين سواه.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: فأهل السنة والجماعة المتبعون لمحمد وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من رسل الله يثبتون ما أثبتوه من تكليم الله ومحبته ورحمته وسائر ما له من الأسماء والصفات، وينزهونه عن مشابهة الأجساد التى لاحياة فيها، وأما أهل البدع من الجهمية ونحوهم فإنهم سلكوا سبيل أعداء الرسل إبراهيم وموسى ومحمد الذين أنكروا أن الله كلم موسى تكليما، واتخذ إبراهيم خليلا، وقد كلم الله محمداً واتخذه خليلا ورفعه فوق ذلك درجات، وتابعوا فرعون الذى قال: ﴿**ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً**﴾ وتابعوا المشركين الذين ﴿**وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن**﴾ الآية. واتبعوا الذين ألحدوا فى أسماء الله فهم يجحدون حقيقة الرحمن أو أنه يرحم أو يكلم، وزعموا أن من أثبت له هذه الصفات فقد شبهه بالأجسام الميتة وأن هذا تشبيه لله بخلقه، تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً.

قوله: ﴿ فإنه الصراط المستقيم﴾ أى أن ما جاء به المرسلون هو الصراط

المستقيم الموصل إلى السعادة الأبدية، وهو الذى لاطريق إلى الله ولا إلى جنته سواه، والصراط فى اللغة: الطريق الواضح. قال الشاعر:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوجَّ الموارد مستقيم

والمستقيم: الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف. قال تعالى: ﴿**وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: خط رسول الله خطا بيده ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيما**» ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: «**وهذه السبل ليس من سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ﴿**وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل**﴾ الآية. رواه الإمام أحمد والنسائى وابن أبى حاتم والحاكم وصححه، والمراد بالصراط: قيل: الإسلام، وقيل: القرآن، وقيل: طريق السنة والجماعة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ولا ريب أن ماكان عليه رسول الله وأصحابه علماً وعملا وهو معرفة الحق وتقديمه وإيثاره على غيره هو الصراط المستقيم، وكل هذه الأقوال المتقدمة دالة عليه جامعة له. انتهى.

والصراط المذكور فى الكتاب والسنة ينقسم إلى قسمين: معنوى وحسى، فالمعنوى: هو ما تقدمت الإشارة إليه، والحسى: هو الجسر الذى ينصب على متن جهنم يوم القيامة يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فبحسب استقامة الإنسان على الصراط المعنوى الذى نصبه الله لعباده في هذه الدار تكون استقامته على ذلك الصراط الحسى حذو القذة بالقذة ﴿**جزاءً وفاقا**﴾، ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: أفرد الصراط لأن الحق واحد، وهو صراط الله المستقيم الذى لا صراط يوصل إليه سواه، وهو عبادة الله بما شرع على لسان رسوله ﷺ، وهذا بخلاف طرق الباطل فإنها متعددة متشعبة، ولهذا يجمعها كقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل**﴾ الآية، ولا يناقض هذا قوله سبحانه: ﴿**يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام**﴾ فإن تلك هى طرق مرضاته التى يجمعها سبيله الواحد.

صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

قوله: (صراط): بدل من الصراط الأول، أى طريق المنعم عليهم، قال تعالى فى سورة الفاتحة: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ وهؤلاء هم المذكورون فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً**﴾ والنعمة: بكسر النون الإحسان وبالضم المسرة وبالفتح المتعة من العيش اللين.

قوله: (أنعم الله عليهم): أى أنعم عليهم الإنعام المطلق التام، وهى النعمة المتصلة بسعادة الأبد، وهى نعمة الإسلام والسنة، وهى التى أمرنا الله أن نسأله أن يهدينا صراط أهلها ومن خصهم بها وجعلهم أهل الرفيق الأعلى كما قال تعالى: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين**﴾ الآية، فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة وأصحابها هم المعنيون بقوله: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ فأضاف إليهم الدين إذ هم المختصون بهذا الدين القيم دون سائر الأمم، وأما مطلق النعمة فعلى المؤمن والكافر، فكل الخلق فى نعمته، فالنعمة المطلقة لأهل الإيمان، ومطلق النعمة يكون للمؤمن والكافر. انتهى، ذكره ابن القيم.

وفى قوله: ﴿**صراط الذين أنعم الله عليهم**﴾ تنبيه على الرفيق فى هذا الطريق وأنهم هم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ليزول عن سالك هذا الطريق وحشة التفرد عن أهل زمانه وبنى جنسه إذا استشعر أن رفيقه فى هذا الصراط هم الأنبياء والشهداء والصالحون.

قال بعض السلف: لاتستوحش من الحق لقلة السالكين، ولاتغتر بالباطل لكثرة الهالكين، وقال تعالى: ﴿**ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين**﴾، وقال ﴿**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**﴾.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كتابه «فى مسائل التوحيد»: وفيه عمق علم السلف وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد فى القلة. انتهى.

والصراط تارة يضاف إلى الله سبحانه وتعالى، إذ هو الذى شرعه ونصبه كقوله: ﴿وأن هذا صراطى مستقيما﴾ وتارة يضاف إلى العباد لكونهم أهل سلوكه، أفاده ابن القيم.

وفى قوله: ﴿**صراط الذين أنعم الله عليهم**﴾ إشارة إلى أنهم إنما استحقوا هذا الإنعام المطلق بسبب سلوكهم هذا الصراط، وفيه إشارة إلي وجوب توحيد هذا الصراط بالسلوك، وأن لا صراط موصل للسعادة سوى هذا الصراط.

قال ابن القيم فى «الكافية الشافية»:

فلواحد كن واحداً فى واحد أعنى سبيل الحق والإيمان

قال ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتابه «مدارج السالكين»: والهدى التام يتضمن توحيد المطلوب وتوحيد الطلب وتوحيد الطريق الموصلة والانقطاع وتخلف الوصول يقع من الشركة فى هذه الأمور أو فى بعضها، فالشركة فى المطلوب تنافى التوحيد والإخلاص، والشركة فى الطلب تنافى الصدق والعزيمة، والشركة فى الطريق تنافى اتباع الأمر، فالأول يوقع فى الشرك والرياء، والثانى يوقع فى المعصية والبطالة، والثالث يوقع فى اتباع البدعة ومفارقة السنة. فتأمل، فتوحيد المطلوب يعصم من الشرك والرياء، وتوحيد الطلب يعصم من المعصية، وتوحيد الطريق يعصم من البدعة والشيطان إنما ينصب فخه بهذه الطرق الثلاثة.

قوله: ﴿**من النبيين**﴾: الذين اختصهم من خلقه وشرفهم برسالته ونبوته، وقد تقدم الكلام على الأنبياء.

قوله:(**والصديقين**): الذين صدقوا أقوالهم بأفعالهم، فالصديق المبالغ فى الصدق كما فى الحديث: «**إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا**» أو المبالغ فى التصديق كما سمى أبو بكر الصديق.

قال ابن القيم: الصديق أبلغ من الصدوق، والصدوق أبلغ من الصادق، فأعلى مراتب الصدق الصديقية وهى كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للرسل.

قوله: (**والشهداء**): والشهيد هو المقتول فى سبيل الله، قيل سمي بذلك لأن الله وملائكته شهدوا له بالجنة، أو لأن ملائكة الرحمة تشهده، أى تحضره، قال

وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن.

العلماء: والشهيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: شهيد فى الدنيا والآخرة وهو المقتول في سبيل الله فى حرب الكفار.

الثانى: شهيد فى الآخرة دون أحكام الدنيا وهو الغريق والحريق والمطعون والمبطون ومن قتل دون ماله أو دون نفسه أو دون حرمته.

الثالث: شهيد فى الدنيا دون الآخرة، وهو من غل من الغنيمة أو قتل مدبراً.

قوله: (والصالحين) : الصالح: هو القائم بحدود الله وحقوق عباده.

قال الشيخ تقي الدين فى كتاب «الإيمان»: ولفظ الصالح والشهيد يذكر مفرداً فيتناول النبيين والصديقين والشهداء، ويذكر مع غيره فيفسر بحسبه. ا.هـ.

وقدم النبيين على الصديقين لشرفهم، ولكون الصديق تابعا للنبى فاستحق اسم الصديق بكمال تصديقه للنبى فهو تابع محض، وقدم الصديقين على الشهداء لفضل الصديقين عليهم، وقدم الشهداء على الصالحين لفضلهم عليهم. انتهى من «البدائع» بتصرف.

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى: وأفضل الخلق النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون، وأفضل كل صنف أتقاهم. انتهى.

قوله: (وقد دخل فى هذه الجملة): أى المتقدمة من قوله: **(وقد جمع فيما وصف وسمى به نفسه)**.

قوله: (فى سورة الإخلاص): أى سورة **﴿قل هو الله أحد﴾**، فانها اشتملت على النفى والإثبات: إثبات صفات الكمال و نفى التشبيه والمثال، ومعانى التنزيه ترجع الى هذين الأصلين، وهذا عكس ما عليه أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهم، فإنهم ينفون صفات الكمال، ويثبتون ما لا يوجد إلا فى الخيال.

قوله: (الجملة): وهى لغة: جماعة الشيء وما تركب من مسند ومسند إليه، جمعه جُمل.

قوله: (سورة) : السورة القطعة من القرآن معلومة الأول والآخر.

قوله: (الإخلاص): أى سورة﴿ **قل هو الله أحد**﴾ سميت بسورة الإخلاص لأنها أخلصت فى صفة الله، و لأنها تخلص قارئها من الشرك العلمى الاعتقادى.

قوله: (تعدل): عدل الشىء بالفتح ما سواه من غير جنسه، وبالكسر ما سواه من جنسه.

قوله: (ثلث القرآن): وذلك لأن معانى القرآن ثلاثة أنواع: توحيد، وقصص، وأحكام، وهذه السورة صفة الرحمن فيها التوحيد وحده، وفى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه أن رجلا سمع رجلا يقرأ﴿**قل هو الله أحد**﴾ يرددها فلما أصبح جاء الى النبىﷺفذكر له ذلك، وكأن الرجل يتقالها، فقال النبى ﷺ: «**والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**»، الحديث. والأحاديث بكونها تعدل ثلث القرآن تكاد تبلغ مبلغ التواتر، انتهى من كلام ابن القيم رحمه الله.

قال القسطلانى: وذلك لأن القرآن على ثلاثة أنحاء: قصص، وأحكام، وصفات الله، و﴿**قل هو الله أحد**﴾ متضمنة للتوحيد والصفات فهى ثلثه. قال: وفيه دليل على شرف علم التوحيد، وكيف لا والعلم يشرف بشرف المعلوم، ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز، فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله. انتهى.

وفى هذا الحديث دليل على تفاضل القرآن وكذلك تفاضل آيات الصفات، وإن علم التوحيد أفضل العلوم إذ شرف العلم بشرف موضوعه.

وسبب نزول هذه السورة: هو ما رواه أحمد عن أبىّ بن كعب أن المشركين قالوا للنبى ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله ﴿**قل هو الله أحد**﴾ وأخرجه الترمذي والطبرى، فالمشركون سألوا رسول الله عن حقيقة ربه من أى شىء، فدلهم على نفسه بصفاته فلم يجعل لهم سبيلا إلى معرفة الذات والكنه، فحقيقة الذات والكنه غير معلومة للبشر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**قل**﴾ يا محمد، لهؤلاء المشركين﴿**الله أحد**﴾ أى منفرد فى ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله لا شريك له ولا مثيل ولا نظير، و﴿**أحد**﴾ بمعنى واحد، ولا يطلق هذا اللفظ فى الإثبات إلا عليه سبحانه؛ لأنه الكامل فى جميع صفاته وأحكامه، وفى هذا دليل على أن القرآن كلام الله،

إذ لو كان كلام النبى أو غيره لم يقل ﴿قل﴾ ففيه الرد على المعتزلة القائلين أن القرآن كلام محمد أو جبريل.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فدل على أن النبى ﷺ مبلغ عن الله، فكان مقتضى البلاغ التام أن يقول: «﴿قل هو الله أحد﴾ ففيه الرد على الجهمية والمعتزلة وإخوانهم ممن يقول هو كلامه ابتداه من قِبل نفسه، ففى هذا أبلغ رد لهذا القول، وأنه ﷺ بلغ ما أمر بتبليغه على وجهه ولفظه فقيل له: ﴿قل﴾ فقال: ﴿قل﴾ لأنه مبلغ محض فما على الرسول إلا البلاغ المبين، وفيه دليل على الجهر بالعقيدة والتصريح بها.

قوله: ﴿الله الصمد﴾: قال أبو وائل: الصمد: السيد الذى انتهى سؤدده، والعرب تسمى أشرافها الصمد، لكثرة الأوصاف المحمودة للمسمى به، قال الشاعر:

ألا بكر الناعى بخير بنى أسد ... بعمر بن مسعود وبالسيد الصمد

فإن الصمد من تصمد إليه القلوب بالرغبة والرهبة، وذلك لكثرة خصال الخير فيه. انتهى. وقال عكرمة عن ابن عباس: معنى الصمد: هو الذى يصمد إليه الخلائق فى حوائجهم ومسائلهم.

وقال الربيع بن أنس: هو الذى لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسيرا له، وهو تفسير جيد، وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير عن أبىّ بن كعب فى ذلك وهو صريح فى ذلك. انتهى. من ابن كثير.

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى: ومن قال: إن الصمد هو الذى لا جوف له، فقوله لا يناقض هذا التفسير، فإن اللفظة من الاجتماع، فهو الذى اجتمعت فيه صفات الكمال ولا جوف له، فإنما لم يكن أحد كفواً له لما كان صمداً كاملا فى صمدانيته فلو لم يكن له صفات كمال ونعوت جلال ولم يكن له علم ولا قدرة ولا سمع ولا بصر، ولا يقوم به فعل ولا يفعل شيئاً ألبته، ولا له حياة ولا كلام ولا وجه، ولا يد، ولا فوق عرشه ولا يرضى ولا يغضب ولا يرى، ولا يمكن أن يرى ولا يشار إليه، لكان العدم المحض كفواً له، فإن هذه الصفة منطبقة على المعدوم، فلو كان ما يقوله المعطلون هو الحق لم يكن صمداً وكان

لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾.

العدم كفواً له، فاسمه الأحد دل على نفي المشاركة والمماثلة، واسمه الصمد دل على أنه مستحق لصفات الكمال، فصفات التنزيه ترجع إلى هذين المعنيين: نفى النقائص عنه وذلك من لوازم إثبات صفات الكمال، فمن ثبت له الكمال التام انتفى عنه النقصان المضاد له، والكمال من مدلول اسمه الصمد.

والثانى: أنه ليس كمثله شىء فى صفات الكمال الثابتة له، وهذا من مدلول اسمه الأحد، فهذان الاسمان العظيمان يتضمنان تنزيهه عن كل نقص وعيب، وتنزيهه فى صفات الكمال أن يكون له مماثل فى شىء منها، فالسورة تضمنت كل ما يجب نفيه عن الله وما يجب إثباته لله من وجهين: من جهة اسمه الصمد ومن جهة أن كل ما نفى عنه من الأصول والفروع والنظير، استلزم ثبوت صفات الكمال، فإن ما يمدح به من النفى فلابد أن يتضمن ثبوتاً وإلا فالنفى المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشىء فضلا عن أن يكون صفة كمال. انتهى من كلام الشيخ تقي الدين بن تيمية بتصرف.

قوله: ﴿**لم يلد**﴾: فيه الرد على اليهود والنصارى والمشركين، فإن اليهود قالوا: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، ومشركو العرب زعموا أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم.

قوله: ﴿**ولم يكن له كفواً أحد**﴾ الكفو: المثل والشبيه، فهذه السورة تضمنت توحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب إثباته للرب من الأحدية المنافية لمطلق المشاركة بوجه من الوجوه، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذى لا يلحقه فيها نقص بوجه من الوجوه، ونفى الولد والوالد الذى هو من لزوم صمديته وغناه وأحديته، ونفى الكفؤ المتضمن لنفى التشبيه والتمثيل، فتضمنت هذه السورة إثبات كل كمال، ونفى كل نقص عنه، ونفى إثبات مثل له أو شبيه له فى كماله ونفى مطلق الشريك عنه، فهذه الأصول هى مجامع التوحيد العلمى الاعتقادى الذى يباين به صاحبه جميع فرق الضلال والشرك، ولهذه كانت تعدل ثلث القرآن، فأخلصت سورة الإخلاص الخبر عنه وعن أسمائه وصفاته فعدلت ثلث القرآن، وخلصت قارئها المؤمن بها من الشرك العلمى. ا.هـ، من كلام ابن القيم رحمه الله تعالى ملخصا.

وما وصف به نفسه فى أعظم آية فى كتاب الله، حيث يقول: ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولانوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولايؤوده حفظهما وهو العلى العظيم﴾

وفى هذه السورة الجمع بين النفى والإثبات، وفيها الإجمال فى النفى، والتفصيل فى الإثبات، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة خلافاً لأهل الكلام المذموم، وتضمنت هذه السورة أنواع التوحيد الثلاثة.

قوله:(وما وصف به نفسه فى أعظم آية فى كتاب الله): وهى آية الكرسى، وذلك لما اشتملت عليه من العلوم والمعارف، كما فى الصحيح أن النبى ﷺ قال لأبى بن كعب: «**يا أبا المنذر أتدرى أى آية فى كتاب الله أعظم؟**» فقال: الله ورسوله أعلم، فرددها مراراً ثم قال أبى: هى آية الكرسى **﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾** فقال: « **ليهنك العلم يا أبا المنذر** » .

قوله:(آية): هى لغة: العلامة، واصطلاحاً: طائفة من كلمات القرآن متميزة بفصل. سميت هذه الآية آية الكرسى لذكر الكرسى فيها، وفيه دليل على فضل هذه الآية وإنها أعظم آية فى كتاب الله، وفيه دليل كما تقدم على فضل علم التوحيد. وأن القرآن يتفاضل بل آيات الصفات تتفاضل.

قوله:﴿الله لا إله إلا هو﴾ أى لامعبود بحق إلا هو، قوله: **﴿الحى﴾** أى الدائم الباقى الذى لاسبيل للفناء عليه، قوله: **﴿القيوم﴾** أى القائم بنفسه المقيم لما سواه، فهذان الاسمان عليهما مدار الأسماء الحسنى وإليهما ترجع معانيها جميعا، فإن الحياة مستلزمة لصفات الكمال، والقيوم متضمن لكمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه لايحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته. إنتهى. من كلام ابن القيم بتصرف.

قوله:﴿لاتأخذه سنة ولا نوم﴾: السنة: النعاس وهو النوم الخفيف، والنوم ثقل فى الرأس، والسنة فى العين، والنوم فى القلب، وهو تأكيد للقيوم، أى إنه

سبحانه لايعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول ولا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية، كما فى الصحيح من حديث أبى موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات، فقال: « **إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النار ـ أو النور ـ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه،له ما فى السموات وما فى الأرض ملكا وخلقا وعبيداً**» .

قوله: ﴿**من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه**﴾ أى ليس لأحد أن يشفع عنده لعظمته وكبريائه إلا بإذنه أى بأمره قوله: ﴿**ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء**﴾ أى لايحيط الخلق بشىء من علمه إلا بما شاء أن يعلمهم إياه ويطلعهم عليه كما قال سبحانه عن الملائكة: ﴿**سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا**﴾.

قوله: ﴿**وسع كرسيه السموات والأرض**﴾: أى ملأ وأحاط، والكرسى مخلوق عظيم وهو موضع القدمين لله سبحانه وتعالى، كما يروى عن ابن عباس وغيره، وقد قيل: إنه العرش، والصحيح أنه غيره، كما روى ابن أبى شيبة والحاكم وقال إنه على شرط الشيخين عن ابن عباس فى قوله: ﴿**وسع كرسيه السموات والأرض**﴾: أنه قال: الكرسى موضع القدمين، والعرش لايقدر قدره إلا الله، وقد روى مرفوعاً، والصواب أنه موقوف على ابن عباس، وذكر ابن جرير عن أبى ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما الكرسى فى العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرى فلاة من الأرض**» وأما ما زعمه بعضهم أن معنى ﴿**كرسيه**﴾ علمه ونسبه إلى ابن عباس فليس بصحيح، بل هو من كلام أهل البدع المذموم، وإنما هو كما قال غير واحد من السلف: الكرسى بين العرش كالمرقاة إليه.

قوله: ﴿**ولايؤوده حفظهما**﴾ أى لايكرثه ولا يثقله ولايعجزه حفظهما، أى حفظ السموات والأرض وما بينهما، بل ذلك عليه سهل يسير، وهذا النفى في قوله ولا يؤوده حفظهما لثبوت كمال ضده، وكذلك كل نفى يأتى فى صفات الله، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

قوله : ﴿**وهو العلى العظيم**﴾ : (ال) فى قوله : ﴿**وهو العلى**﴾ للشمول والاستغراق، فله سبحانه العلو الكامل من جميع الوجوه: علو القدر وعلو القهر

وعلو الذات كما تواترت بذلك الأدلة، وطابق على ذلك دليل العقل، فدليل العلو عقلى ونقلى، وهو من الصفات الذاتية كصفة الفوقية، فوصفه سبحانه بالعلو يجمع معانى العلو جميعها: علو القهر، أى أنه سبحانه علا كل شىء، بمعنى أنه قاهر له قادر عليه متصرف فيه، كما قال سبحانه: ﴿**إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض**﴾ وعلو القدر، أى أنه عال عن كل عيب ونقص، فهو عال عن ذلك منزه عنه كما قال سبحانه: ﴿**ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله**﴾ الآية، وفى دعاء الاستفتاح «**وتعالى جدك**». وعلو الذات، أى أنه سبحانه عال على الجميع فوق عرشه، فتبين أن أنواع العلو ثلاثة، وأن اسمه العلى يتضمن اتصافه بجميع صفات الكمال والتنزيه له سبحانه عما ينافيها من صفات النقص. انتهى. من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

قوله: ﴿**العظيم**﴾ أى الذى لا أعظم منه ولا أجل، لا فى ذاته ولا فى أسمائه وصفاته وأفعاله فهذه الآية اشتملت على فوائد عظيمة.

الأولى: إثبات ألوهيته سبحانه وانفراده بذلك، وبطلان ألوهية كل من سواه:

الثانية: إثبات صفة الحياة له سبحانه وتعالى، الحياة التامة الدائمة التى لا يلحقها فناء ولا اضمحلال فهى صفة ذاتية تواطأ على إثباتها النقل والعقل.

الثالثة: إثبات صفة القيوم، أى قيامه بنفسه وقيامه بتدبير أمور خلقه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت**﴾ وهذان الاسمان أعنى الحى والقيوم - ذكرا معاً فى ثلاثة مواضع من القرآن، وهما من أعظم أسماء الله وصفاته وورد أنهما الاسم الأعظم، فإنهما متضمنان لصفات الكمال أعظم تضمن، فالصفات الذاتية كلها ترجع إلى اسم الحى، والصفات الفعلية ترجع إلى اسم القيوم، ويدل القيوم على معنى الأزلية والأبدية وعلى قيامه بذاته وعلى قيام كل شىء به، وعلى أنه موجود بنفسه، وهذا معنى كونه واجب الوجود.

الرابعة: تنزيهه سبحانه عن صفات النقص كالسنة والنوم والعجز والفقر ونحو ذلك وهو تأكيد للقيوم؛ لأن من جازَ عليه السنة والنوم استحال أن يكون قيوماً.

الخامسة: سعة ملكه سبحانه وتعالى، له ما فى السموات والأرض ملكا وعبيداً

تحت قهره وسلطانه.

السادسة: فيه دليل على عظمته وسلطانه، وأن أحداً لايشفع عنده إلا بعد إذنه سبحانه ورضاه عن المشفوع له.

السابعة: فيه إثبات الشفاعة بقيودها، وهو إذن الله للشافع أن يشفع ورضاه عن المشفوع له.

الثامنة: فيه الرد على المشركين الذين يزعمون أن أصنامهم تشفع لهم، فظهر أن الشفاعة تنقسم إلى قسمين: شفاعة منفية وشفاعة مثبتة.

التاسعة: فيه إثبات صفة الكلام لله سبحانه وأنه يتكلم متى شاء، إذا شاء وأنه يتكلم سبحانه بحرف وصوت يليقان بجلاله وعظمته، وأن كلامه سبحانه يسمع لقوله **﴿إلا بإذنه﴾**.

العاشر: فيها إثبات صفة العلم لله سبحانه وإحاطته بكل معلوم وأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

الحادى عشر: فى ذكر إحاطة علمه سبحانه بالماضى والمستقبل إشارة إلى أنه لا ينسى ولا يغفل ولا يحدث له علم ولا يتجدد.

الثانى عشر: فيه الرد على القدرية والرافضة ونحوهم الذين يزعمون أن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، والرد على من زعم أن الله لا يعلم إلا الكليات، تعالى الله عن قولهم.

الثالث عشر: فيها اختصاصه بالتعليم، وأن الخلق لا يعلمون إلا ما علمهم كما قالت الملائكة: **﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾**.

الرابع عشر: فيه إثبات عظمته سبحانه بعظمة مخلوقاته، فإذا كان عظمة كرسيه هذه العظمة التى جاءت بها الأدلة، فمن باب أولى أن يكون الخلق أعظم وأجلّ.

الخامس عشر: فيها إثبات الكرسى وعظمته وأنه مخلوق لله سبحانه وتعالى والرد على من زعم أن كرسيه علمه.

ولهذا كان من قرأ هذه الآية فى ليلة لم يزل عليه حافظ ، ولم يقربه شيطان حتى يصبح.

السادس عشر: فيه إثبات صفة المشيئة لله سبحانه.

السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر: فيه إثبات عظمته واقتداره، وفيه إثبات السماوات وتعددها، وإثبات علوه سبحانه على خلقه وإثبات عظمته سبحانه ذاتاً وصفاتاً وأفعالا.

قال ابن القيم رحمه الله: قرن بين هذين الإسمين الدالين على علوه وعظمته سبحانه فى آخر آية الكرسى وفى سورة الشورى وفى سورة الرعد وسورة سبأ.

ففى آية الكرسى ذكر الحياة التى هى أصل جميع الصفات وذكر معها قيوميته المقتضية لدوامه وبقائه وانتفاء الآفات جميعها عنه من السنة والنوم والعجز وغيرها ثم ذكر كمال ملكه ثم عقبه بذكر وحدانيته فى ملكه وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ثم ذكر سعة علمه وإحاطته، ثم عقبه بأنه لا سبيل للخلق إلى علم شيء من الأشياء إلا بعد مشيئته لهم أن يعلموه، ثم ذكر سعة كرسيه منبهاً على سعته سبحانه وعظمته وعلوه، وذلك توطئة بين يدى علوه وعظمته، ثم أخبر عن كمال اقتداره وحفظه للعالم العلوى والسفلى من غير اكتراث ولا مشقة ولا تعب، ثم ختم الآية بهذين الإسمين الجليلين الدالين على علو ذاته وعظمته. انتهى من الصواعق.

قوله: (ولهذا كان من قرأ هذه الآية فى ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ، ولم يقر به شيطان).

هذا الحديث فى صحيح البخارى،عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعنى فإنى محتاج وعلىّ عيال، لا أعود فرحمتَه وخليت سبيله، فأصبحت فقال لى رسول الله: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يارسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمتَه وخليت سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**» فعرفت أنه سيعود لقول النبى ﷺ: إنه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعنى فإنى محتاج وعلىّ عيال لا أعود فرحمته وخليت سبييله،فأصبحت فقال

رسول الله ﷺ :«**ما فعل أسيرك البارحة؟**» فقلت: يا رسول الله شكا عيالا وحاجة فرحمته فخليت سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**»فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذه آخر ثلاث مرات تزعم فيها أنك لا تعود ثم تعود، فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: وما هي؟ فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى: ﴿**الله لا إله إلا هو الحى القيوم**﴾ حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبى ﷺ: «**أما أنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال؟**» قلت: لا. قال: «**ذاك الشيطان**» كذا رواه البخارى معلقاً بصيغة الجزم وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن إبراهيم بن يعقوب عن عثمان بن الهيثم فذكره، وقد روى عن أبى هريرة بسياق آخر قريب من هذا.

قوله: (لم يزل عليه من الله حافظ): أى يحفظه من الشياطين وغيرهم، وفى رواية: «**إذا قلتهن لم يقربك ذكر ولا أنثى من الإنس ولا من الجن**» وفى حديث على رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**من قرأها ـ يعنى آية الكرسى ـ حين يأخذ مضجعه آمنه الله على داره ودار جاره وأهل دويرات حوله**». رواه البيهقى فى شعب الإيمان.

قوله: (شيطان): الشيطان يطلق على كل متمرد عات من الجن والإنس، من شطن إذا بعُد لبعده عن رحمة الله أو من شاط يشيط إذا هلك واحترق.

فى هذا الحديث فضل آية الكرسى وعظم منفعتها وتأثيرها العظيم فى التحرز من الشيطان وذلك لما اشتملت عليه من العلوم والمعارف ولذلك إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها، مثل من يدخل النار بحال شيطانى أو يحضر المكاء والتصدية وتتنزل عليه الشياطين، وتتكلم على لسانه كلاماً لا يعلم، وربما لا يفقه، وربما كاشف بعض الحاضرين بما فى قلبه إلى غير ذلك من الأحوال الشيطانية، فأهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردها مثل آية الكرسى، أشار إلى ذلك الشيخ تقي الدين فى كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

قوله: ﴿هو الأول﴾ أى الذى ليس قبله شىء كما فسره بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شىء، وأنت الآخر فليس بعدك شىء، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء وأنت الباطن فليس دونك شىء**»رواه مسلم. فهو سبحانه أول ليس له بداية. وأما القديم فقد ذكره بعض المتكلمين فى أسماء الله، والصواب أنه ليس من أسمائه سبحانه لأنه لم يرد دليل فى تسميته سبحانه بذلك، ولأن القِدم ينقسم إلى قسمين:

قِدم حقيقى وقدم نسبى، فالقدم الحقيقى: هو الذى لم يسبقه عدم، والنسبى: هو قِدم بعض المخلوقات على بعض كما قال سبحانه: **﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾** وقد تقدم الأصل الذى ذكره ابن القيم أن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها فى أسمائه الحسنى، وذكر أن باب الإخبار عنه سبحانه أوسع من باب الأسماء والصفات وذكر أنه يخبر عنه سبحانه بالقديم ولا يسمى به وقال فى «النونية»:

وهو القديم فلم يزل بصفاته سبحانه متفردا بل دائم الإحسان

قوله:﴿والآخر﴾ أى الذى ليس بعده شىء. **قوله:﴿والظاهر﴾** أى العالى المرتفع الذى ليس فوقه شىء، ولا ريب أنه ظاهر بذاته فوق كل شىء، فالظهور هنا هو العلو كما قال تعالى: **﴿فما استطاعوا أن يظهروه﴾** ولا يصح أن يحمل الظهور على الغلبة لأنه قابله بقوله وأنت الباطن.

قوله :﴿والباطن﴾ أى الذى ليس دونه شىء كما فسره الرسول: بطن سبحانه بعلمه فلا يحجبه شىء. قال ابن القيم: فهذه الأسماء الأربعة متقابلة اسمان لأزليته وأبديته سبحانه، واسمان لعلوه وقربه، فأوليته سبحانه سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته سبحانه ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته سبقه لكل شىء، وآخريته بقاؤه بعد كل شىء، وظاهريته فوقيته وعلوه على كل شىء، ومعنى الظهور يقتضى العلو وظاهر الشىء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه إحاطته بكل شىء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب الإحاطة العامة. وأما القرب المذكور فى الكتاب والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه وهو ثمرة التعبد باسمه الباطن. ذكر البيهقى عن مقاتل قوله تعالى: **﴿هو الأول والآخر**

والظاهر والباطن﴾ هوالأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء، وإنما يعنى القرب بعلمه وقدرته وهو فوق عرشه وهو بكل شيء عليم .اهـ.

قوله: ﴿عليم﴾جاء على بناء فعيل للمبالغة فى وصفه بكمال العلم والإحاطة بكل شيء علماً فهو من الصفات الذاتية، فهذه الآية أفادت أوليته سبحانه وسبقه لكل مخلوق وأنه لا شيء قبله، كما أفادت دوامه وبقاءه وآخريته،وأنه لا شيء بعده،وأفادت علوه وارتفاعه وفوقيته سبحانه، وأفادت قربه ودنوه وإحاطته وسعة علمه. وأنه لايخفى عليه شيء، وفيه الرد على المعتزلة والرافضة الذين يزعمون أن الله لايعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، والرد على من يزعم أنه يعلم الكليات دون الجزئيات.

قوله: ﴿وتوكل على الحى الذى لايموت﴾: الآية، أى فوض أمورك إليه فمن توكل عليه كفاه وشفاه ويسر له كل شديد وقرب له كل بعيد، قال تعالى: **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾** والتوكل لغة: التفويض، يقال: وكلت أمرى إلى فلان أى فوضته، وحقيقته شرعاً: هو صدق اعتماد القلب على الله فى جلب ما ينفع ودفع مايضر، ومن أسمائه سبحانه الوكيل، ومعناه الكافى لعبده والقائم بأموره ومصالحه، وأما حكم التوكل، فهو فرض لهذه الآية ولغيرها من الأدلة، وهو لاينافى الأخذ بالأسباب بل يجامعه كما فى حديث عمر رضى الله عنه الذى رواه أحمد والترمذى والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم أن النبى ﷺ قال: «**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً**» رواه الترمذى وقال: حسن صحيح، وخرج الترمذى من حديث أنس قال: قال رجل: يارسول الله، أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ فقال: «**اعقلها وتوكل**» وذكر عن يحيى القطان إنه قال: هو عندى حديث منكر.

ففيه إشارة إلى أن التوكل لاينافى الإتيان بالأسباب، بل يكون جمعهما أفضل كما روى أن عمر لقى أناساً من أهل اليمن فقال: من أنتم؟ فقالوا: نحن المتوكلون، قال: بل أنتم المتأكلون، إنما المتوكل الذى يلقى حبه فى الأرض ويتوكل

على الله. ذكره ابن رجب.

قال ابن القيم فى «المدارج»: أجمع القوم على أن التوكل لا ينافى القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد، وقال سهل بن عبد الله: من طعن فى الحركة فقد طعن فى السنة، ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان، فالتوكل حال النبى ﷺ والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته.

والتوكل ينقسم إلى قسمين: **الأول:** توكل على الله فهو من أشرف أعمال القلوب وأجلها. **والثانى:** التوكل على غيره سبحانه وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: التوكل على غير الله فى الأمور التى لايقدر عليها إلا الله كالتوكل على الأموات والطواغيت فى رزق أو نصر أو نفع أو ضر ونحو ذلك فهذا شرك أكبر.

الثانى: التوكل فى الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك فهذا النوع شرك أصغر.

الثالث: توكيل الإنسان غيره فى فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، فهذه الوكالة الجائزة لكن ليس له أن يعتمد عليه بل يتوكل على الله فى تيسير أمره، وذلك من جملة الأسباب الجائزة، فهذه الآية أفادت الحث على التوكل على الله وتعليق الأمل به سبحانه دون غيره، كما أفادت وجوب التوكل على الله، إذ مطلق الأمر يقتضى الوجوب، وأفادت إثبات صفة الحياة الكاملة لله سبحانه وتعالى.

قوله: (الحكيم): أى الحاكم بين خلقه بأمره الدينى الشرعى وأمره الكونى القدرى الذى له الحكم فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿**وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله**﴾ وقال تعالى: ﴿**فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول**﴾فهو سبحانه الحكم والحاكم بين خلقه فى الدنيا والآخرة،يحكم سبحانه وتعالى فى الدنيا بوحيه الذى أنزله على الأنبياء والرسل، ويحكم يوم القيامة إذا نزل لفصل القضاء بين العباد، والحكيم المحكم المتقن للأشياء الذى يضع الأشياء

مواضعها والذى له الحكمة التامة فى خلقه وأمره فعليه يكون للحكيم معنيان.

الأول: بمعنى المحكم المتقن للأشياء والإحكام يكون فى شرعه وأمره وفى خلقه وقدره، وكل منهما محكم من وجهين: الأول: وجوده على صورته المعينة. الثانى :فى غايته المحمودة التى يترتب عليها.

وأما حكمه سبحانه وتعالى فينقسم إلى قسمين:

الأول: حكم كونى قدرى كقوله: ﴿**فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله**﴾.

الثانى: حكم دينى شرعى كقوله: ﴿**أحلت لكم بهيمة الأنعام** ـ إلى قوله ـ **إن الله يحكم مايريد**﴾.

والحكمة وضع الأشياء مواضعها.

قال ابن القيم فى «المدارج»: الحكمة حكمتان علمية، وعملية، فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقاً وأمراً، قدراً وشرعاً، والعملية: وضع الشىء فى موضعه. انتهى.

وحكمته سبحانه صفة قائمة به كسائر صفاته من سمعه وبصره وعلمه وقدرته ونحو ذلك، وهى تنقسم إلى قسمين: **إحداها:** حكمة فى خلقه وهى نوعان:

الأول: إحكام هذا الخلق وإيجاده فى غاية الإحكام والاتقان.

والثانى: صدوره لأجل غاية محمودة مطلوبة له سبحانه التى أمر لأجلها وخلق لأجلها.

الثانية: الحكمة فى شرعه، وتنقسم أيضاً إلى قسمين: الأول: كونها فى غاية الإحسان والاتقان. والثانى: كونها صدرت لغاية محمودة وحكمة عظيمة يستحق عليها الحمد.

قال فى «المنهاج»: أجمع المسلمون على وصفه سبحانه بالحكمة وتنازعوا فى تفسير ذلك فقال الجمهور من أهل السنة وغيرهم: هو حكيم فى خلقه وأمره، والحكمة تتضمن ما فى خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة،

وقوله سبحانه: ﴿يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ وقوله سبحانه: ﴿وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو...

والجمهور يقولون: لام التعليل داخلة فى أفعال الله وأحكامه. انتهى.

فاسمه الحكيم فيه إثبات الحكمة، والحكمة تتضمن كمال علمه وخبرته، وأنه أمر ونهى وخلق وقدر لما له فى ذلك من الحكم والغايات الحميدة التى يستحق عليها كمال الحمد، والإحكام الذى فى مخلوقاته دليل على علمه، وإنما يدل إذا كان الفاعل حكيما يفعل الحكمة. انتهى. من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

والحكم معناه لغة: المنع، وشرعاً: هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو تخييراً، وينقسم الحكم بالنسبة إلى الرضا به وعدمه إلى أقسام: قسم يجب الرضا به والانقياد والاستسلام له، وهو الحكم الدينى الشرعى، قال تعالى: ﴿**فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**﴾ الآية، وأما الحكم الكونى القدرى فمنه مايستحب الرضا به، كالرضا بالفقر والعاهة والأمراض ونحو ذلك، ومنه ما يحرم الرضا به كالرضا بالكفر والمعصية ونحو ذلك.

وأما اسمه سبحانه الخبير، فمعناه الذى انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها. انتهى. من «الصواعق».

يقال: خبرت الأمرأخبره إذا عرفته على حقيقته.

قوله: ﴿**يعلم ما يلج**﴾: أى يدخل، قال ولج يلج، أى دخل يدخل، أى يعلم ما يدخل فيها، أى فى الأرض من القطر والبذور والكنوز والموتى وغير ذلك.

قوله: ﴿**وما يخرج منها**﴾: أى من الأرض من النبات والمعادن.

قوله: ﴿**وما ينزل من السماء**﴾: من المطر والملائكة.

قوله: ﴿**وما يعرج فيها**﴾: أى يصعد فى السماء.

قوله: ﴿**وهو معكم**﴾ سيأتى الكلام على المعية.

قوله: ﴿**وعنده مفاتح الغيب**﴾ أى خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه.

قوله: ﴿**لايعلمها إلا هو**﴾: قال المناوى رحمه الله: فمن ادعى علم شيء منها

ويعلم ما فى البر والبحر وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾ .

كفر، ومفاتح الغيب هى الخمسة المذكورة فى قوله سبحانه وتعالى: **﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غداً وماتدرى نفس بأى أرض تموت﴾** كما رواه البخارى فى صحيحه.

قوله: **﴿ويعلم ما فى البر﴾** : أى القفار من النبات والدواب وغير ذلك.

قوله: **﴿والبحر﴾** أى يعلم ما فيه من الحيوانات والجواهر ونحو ذلك.

قوله: **﴿وما تسقط من ورقة﴾**: أى من أشجار البر والبحر وغير ذلك.

قوله: **﴿إلا يعلمها﴾**: سبحانه .

قوله: **﴿ولا حبة فى ظلمات الأرض﴾** من حبوب الثمار والزروع وغير ذلك.

قوله: **﴿ولا رطب ولا يابس﴾** : هذا عموم بعد خصوص.

قوله: **﴿إلا فى كتاب مبين﴾**: أى مكتوب فى اللوح المحفوظ، لأن الله كتب علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والأرض، فجميع الأشياء صغيرها وكبيرها مثبتة فى اللوح المحفوظ على ما هى عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب: علمه سبحانه الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بحميع الموجودات، ومشيئته العامة الشاملة لكل شىء، وخلقه لجميع المخلوقات، وسيأتى الكلام على هذا إن شاء الله فى الكلام على القدر.

ففى هذه الآية إثبات صفة العلم لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته وهى من الصفات الذاتية، وفيها الرد على المعتزلة حيث قالوا: إنه عالم بلا علم، وفيها إثبات إحاطة علمه بكل شىء فلا يخفى عليه خافية، وأنه يعلم الكليات والجزئيات، ويعلم كل شىء، ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، كما قال سبحانه : **﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾** وقال تعالى: **﴿ولو ردوا لعادوا لما نهو عنه﴾** وفى هذه الآية الرد على من زعم أن رسول الله ﷺ يعلم الغيب فهى صريحة فى أن هذه الخمس لايعلمها إلا الله سبحانه وتعالى كما تقدم الحديث الذى فى الصحيحين أنه ﷺ قال: «**مفاتيح الغيب خمس لايعلمهن إلا**

قوله: ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾، وقوله: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾ .

الله ...: لايعلم ما في الأرحام إلا الله» الحديث.

وقال القرطبي رحمه الله: لامطمع لأحد في علم شيء من هذه الأمور الخمسة. ا.هـ. والمراد بالغيب المشار إليه هو الغيب المطلق: وهو مالا يعلمه إلا الله، لا الغيب المقيد: وهو ما علمه بعض المخلوقات دون بعض فهو غيب بالنسبة لمن لم يعلمه دون من علمه فيكون غيباً عمن غاب عنه من المخلوقين لا عمن شهده، فتلخص أن الغيب ينقسم إلى قسمين: مطلق، ومقيد.

قوله: ﴿وما تحمل من أنثى﴾ «ما» مصدرية أي أنه سبحانه يعلم في أي يوم تحمل وفي أي يوم تضع، وهل هو ذكر أو أنثى، ففي هذه الآية إثبات صفة العلم كما تقدم، وقد تواطأت الأدلة على إثبات هذه الصفة عقلا ونقلا، وفيها سعة علمه سبحانه وأنه منفرد بعلم ما في الأرحام وعلم مدة إقامته فيه، وهذا أحد أنواع الغيب الذي لايعلمها إلا الله.

قوله: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قدأحاط بكل شيء علما﴾ هذه الآية فيها إثبات صفة القدرة لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله، فجميع الأشياء منقادة لقدرته تابعة لمشيئته سبحانه، وقدير فعيل، بمعنى فاعل بمعنى القادر وهي من الصفات الذاتية، كما ذكره في «الفتح» قال ابن البطال: القدرة من صفات الذات، والقوة والقدرة بمعنى واحد: انتهى.

وأما المقتدر فمعناه التام القدرة الذي لايمتنع عليه شيء. قال أحمد رحمه الله: القدرة قدرة الله، واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد، و المعنى أنه لايمنع من قدرة الله شيء ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله سبحانه، وقد قال بعض السلف: ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوه كفروا، وقد استدل العلماء على إثبات القدر بشمول القدرة والعلم، فقوله سبحانه: **﴿وهو على كل شيء قدير﴾** عام يتناول كل شيء فيدخل فيه أفعال العباد من الطاعات والمعاصي فإنها داخلة تحت قدرة الله ومشيئته، وكما أنه المريد لها القادر عليها هم الفاعلون لها الواقعة بقدرتهم ومشيئتهم كما قال سبحانه وتعالى: **﴿لمن شاء منكم أن**

يستقيم. وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾.

والقدرية تنكر دخول أفعال خلقه تحت قدرته ومشيئته وخلقه، فهم فى الحقيقة منكرون لكمال عزته وملكه، قال ابن القيم رحمه الله فى «الكافية الشافية»:

وهو القدير لكل شيء فهو مقـــ	ـــدورله طوعا بلا عصيـــــــان
وعموم قدرته تـــدل بـــــأنه	هوخالق الأفعال للحيـــــــوان
هى خلقه حقا وأفعــــال لهـــم	حقا ولا يتناقض الأمـــــــران
فحقيقة القدر الذى حار الـــورى	فى شأنه هو قدرة الرحمـــــــن
واستحسن ابن عقيل ذا من أحمـد	لما حكاه عن الرضى الربـــــنى
قال الإمام شفى القلوب بلفظـــة	ذات اختصار وهى ذات معانـــى

فهو سبحانه خالق كل شئ وربه ومليكه لا خالق غيره ولا رب سواه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فكل ما فى الوجود من حركة أو سكون فبقضائه وقدره ومشيئته وخلقه، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسوله، ونهى عن معصيته ومعصية رسوله، ولايتناقض الأمران خلافاً لأهل البدع.

قوله تعالى:﴿إن الله قد أحاط بكل شىء علما﴾.

فلا يخرج حادث من الأعيان والأفعال عن قدرته وخلقه كما لايخرج عن علمه ومشيئته .

تنبيه: يجىء فى كلام بعض الناس «وهو على مايشاء قدير» وليس ذلك بصواب بل الصواب ما جاء فى الكتاب والسنة، **﴿وهو على كل شىء قدير﴾** لعموم قدرته ومشيئته خلافاً لأهل البدع من المعتزلة وغيرهم.

قوله: ﴿الرزاق﴾: فعال من أبنية المبالغة، ومعناه الذى أعطى الخلائق أرزاقها وساقها إليهم، والرزق بالفتح العطاء وبالكسر لغة: الحظ والنصيب، وشرعاً: هو ما ينفع من حلال أو حرام.

وينقسم الرزق إلى قسمين:

ذو القوة المتين﴾، وقوله: ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾ وقوله: ﴿إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً﴾ .

الأول: الرزق المطلق: وهو المستمر نفعه فى الدنيا والآخرة وهو رزق القلوب العلم والإيمان والرزق الحلال.

الثانى: مطلق الرزق: وهو الرزق العام لسائر الخليقة برها وفاجرها وبهائمها وغيرها وهو سوق القوت لكل مخلوق، وهذا يكون من الحلال والحرام، والله رازقه، قال تعالى : ﴿**وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها**﴾ . الآية.

قوله: ﴿**ذو القوة**﴾: أى صاحب القوة التامة الذى لايعتريه ضعف وهو بمعنى العزيز. انتهى. والقوة من صفات الذات، وهو بمعنى القدرة، لم يزل سبحانه ذا قوة وقدرة، والمعنى فى وصفه بالقوة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شىء. انتهى. من «الفتح».

قوله: ﴿**المتين**﴾: أى الذى له كمال القوة، قال البيهقى: القوى التام القدرة لاينسب إليه عجز فى حال من الأحوال. انتهى. فهذه الآية فيها إثبات صفة الرزاق، وهى من الصفات الفعلية، وفيها إثبات صفة القوة، وهى من الصفات الذاتية.

قوله: ﴿**ليس كمثله شىء وهو السميع البصير**﴾: هذه الآية قد تقدم الكلام عليها.

قوله: ﴿**نعما يعظكم به**﴾: نِعم من ألفاظ المدح و«ما» قيل نكرة موصوفة كأنه قيل نعم شيئاً يعظكم به، أو موصولة، أى نعم الشىء الذى يعظكم به.

قوله: ﴿**يعظكم**﴾:أى يأمركم به من أداء الأمانات والحكم بين الناس بالعدل.

قوله: ﴿**إن الله كان سميعاً بصيراً**﴾: أى أنه سبحانه سميع لما تقولون وبصير بما تفعلون، فهذه الآية وما قبلها من الآيات تدل على إثبات السمع والبصر لله حقيقة كما يليق بجلال الله وعظمته، وفيه دليل على أن صفة السمع غير صفة البصر، إذ العطف يقتضى المغايرة، فالصفات بالنظر إلى الذات مترادفة، لأنها كلها صفة لذات واحدة وبالنظر إلى الصفات متباينة لأن كل صفة غير الصفة

الأخرى، فالسمع غير البصر وكذلك العلم وهلم جرا.

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقرأ هذه الآية ويضع إبهامه على أذنه والتى تليها على عينه ويقول: هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرأها ويضع أصبعيه، رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه. وعمل النبى ﷺ هذا دليل على إثبات هاتين الصفتين وأنهما غير صفة العلم وإلا لأشار إلى صدره، ووضعه إبهاميه تحقيقاً لصفة السمع والبصر وأنهما حقيقة لا مجاز خلافاً لأهل البدع.

قوله: ﴿ولولا﴾: أى وهلا، قوله: **﴿إذ دخلت جنتك﴾** أى هلا قلت حين دخلت بستانك. قوله: **﴿ما شاء الله﴾**: «ما» موصولة، أى الأمر ما شاء الله إقراراً بمشيئته، أى أنه إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها واعترافاً بالعجز وأن القدرة لله سبحانه.

قال بعض السلف: من أعجبه شىء فليقل: ما شاء الله لاقوة إلا بالله، وفى هذه الآية وصفه سبحانه بالقوة وإثبات المشيئة له الشاملة العامة، فما وقع من شىء فقد شاءه وأراده لا راد لأمره ولامعقب لحكمه.

قوله: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾: أى لو شاء سبحانه عدم اقتتالهم لم يقتتلوا، إذ لايجرى فى ملكه إلاما شاء سبحانه، فهذه الآية فيها إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى، وأن ما شاءه لابد من وقوعه، فكل ماوجد فهو بمشيئته سبحانه لا راد لأمره ولامعقب لحكمه، وهذا يبطل قول المعتزلة، لأنه أخبر أنه لو شاء أن لايقتتلوا لم يقتتلوا، وهم يقولون شاء أن لايقتتلوا فاقتتلوا، والأدلة على بطلان قول المعتزلة كثيرة جداً، ومن أضل سبيلاً وأكفر ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر، والكافر شاء الكفر، فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله: (تعالى الله عن قولهم) وفيها إثبات الفعل حقيقة لله كما يليق بجلاله، وأن القدرة عليه صفة كمال وأنه سبحانه لم يزل فعالا لما يريد ولم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال، والفعل من لوازم الحياة، والرب لم يزل حياً فلم يزل فعالا، وأفعاله

سبحانه كصفاته قائمة به ولولا ذلك لم يكن فعالا ولا موصوفاً بصفات الكمال، فأفعاله سبحانه نوعان: لازمة، ومتعدية كما دلت على ذلك النصوص التى لا تحصى وهى أفعال حقيقة وليست مجازاً، وليست كأفعال خلقه، فصفاته تليق به سبحانه، انتهى. من كلام شيخ الإسلام باختصار.

قال ابن القيم رحمه الله: قوله: ﴿فعال لما يريد﴾: دليل على أمور. أحدها: أنه سبحانه يفعل بإرادته ومشيئته. الثانى: أنه لم يزل كذلك لأنه ساق ذلك فى معرض المدح والثناء على نفسه وأن ذلك من كماله فلا يجوز في وقت من الأوقات أن يكون عادماً لهذا الكمال، وما كان من أوصاف كماله ونعوت جلاله لم يكن حادثا بعد أن لم يكن. الثالث: أنه إذا أراد شيئاً فعله، فإن «ما» موصولة عامة، أى يفعل كل ما يريد أن يفعله، وهذا فى إرادته المتعلقة بفعله، وأما إرادته المتعلقة بفعل العبد فلها شأن آخر، فإن هنا إرادتين: إرادة أن يفعل العبد، وإرادة أن يجعله الرب فاعلا، وليستا متلازمتين وإن لزم من الثانية الأولى من غير عكس. الرابع: إن إرادته وفعله متلازمتان، فما أراد أن يفعله فعله وما فعله فقد أراده، بخلاف المخلوق، فما ثم فعال لما يريد إلا الله.

الخامس: إثبات إرادات متعددة بحسب الأفعال وأن كل فعل له إرادة تخصه، هذا هو المعقول فى الفطر.

السادس: إن كل ماصلح أن تتعلق به إرادته جاز فعله.

قوله: ﴿أحلت﴾ أى أبيحت.

قوله: **﴿بهيمة الأنعام﴾**: أى الإبل والبقر والغنم سميت بهيمة؛ لأنها لا تتكلم وأما النعم فهى الإبل خاصة.

قوله: **﴿إلا ما يتلى عليكم﴾**: أى إلا ما يتلى عليكم تحريمه فى قوله سبحانه: **﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾** الآية.

قوله: **﴿غير محلى الصيد وأنتم حُرم﴾**: غير نصب على الحال، ومعنى الآية: أحلت لكم بهيمة الأنعام كلها إلا ما كان منها وحشيا فإنه صيد لا يحل

لكم فى حال الاحرام.

قوله: ﴿إن الله يحكم ما يريد﴾: أى يحكم ما يريد من التحليل والتحريم لاعتراض عليه، فهو الحكم سبحانه الحكيم لا حاكم غيره، فكل حكم سوى حكمه فهو باطل ومردود، وكل حاكم بغير حكمه وحكم رسوله فهو طاغوت كافر بالله، قال تعالى: **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾** وهذا عام شامل فما من قضية إلا ولله فيها حكم: **﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾** ولا شك أن من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله واعتاض عنها بالقوانين الوضعية أنه كافر بالله.

وكذلك من زعم أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، أو زعم أن هدى غير محمد أفضل من هديه ﷺ أو أحسن أو زعم أنه لايسع الناس فى مثل هذه العصور إلا الخروج عن الشريعة وأنها كانت كافية فى الزمان الأول فقط، وأما فى هذه الأزمنة فالشريعة لاتساير الزمن ولابد من تنظيم قوانين بما يناسب الزمن، لاشك إن اعتقد هذا الاعتقاد أنه قد استهان بكتاب الله وسنة رسوله وتنقصهما فلا شك فى كفره وخروجه عن الدين، وكذلك من زعم أنه محتاج للشريعة فى علم الظاهر دون علم الباطن أو فى علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو أن الإنسان حر فى التدين فى أى دين شاء من يهودية أو نصرانية أو غير ذلك، أو إن هذه الشرائع غير منسوخة بدين محمد، أو استهان بدين الإسلام أو تنقصه أو هزل به أو بشىء من شرائعه أو بمن جاء به، وكذلك ألحق بعض العلماء الاستهانة بحملته لأجل حمله، فهذه الأمور كلها كفر، قال تعالى: **﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون. لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾** الآية.

قوله: ﴿إن الله يحكم﴾: فيها إثبات صفة الحكم لله سبحانه وتعالى، وقد تقدم أن حكمه ينقسم إلى قسمين. كونى، كما فى قوله: **﴿أو يحكم الله لى﴾**، وشرعى: كما فى هذه الآية.

قوله: **﴿مايريد﴾**: فيه إثبات الإرادة لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وأنه لم يزل مريداً بإرادات متعاقبة، فنوع الإرادة قديم، وأما إرادة الشىء المعين إنما

يريده فى وقته، فالإرادة من صفات الفاعل، وهى تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية قدرية، وهذه مرادفة للمشيئة، وما أراده سبحانه كوناً وقدراً فلابد من وقوعه، فهذه الإرادة هى المتعلقة بالخلق وهو أنه يريد سبحانه أن يفعل هو. **الثانى**: إرادة شرعية دينية، وهذه الإرادة المتعلقة بالأمر، وهى أن يريد من عبده أن يفعل، وهذه مرادفة للمحبة والرضا، فتجتمع الإرادتان فى حق المخلص المطيع، وتنفرد الإرادة الكونية فى حق العاصى، ومن لم يفرق بين النوعين فقد ضل كالجهمية والقدرية، فالإرادة الكونية كقوله: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**﴾، والدينية كقوله: ﴿**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج**﴾ الآية، فالمحبة والرضا أخص من الإرادة خلافاً للمعتزلة وأكثر الأشاعرة القائلين: إن المحبة والرضا والإرادة سواء، فأهل السنة يقولون: إن الله لايحب الكفر والفسوق ولايرضاه وإن كان قد أراده كونا وقدراً، كما دخلت سائر المخلوقات لما فى ذلك من الحكمة، وهو وإن كان شراً بالنسبة إلى الفاعل فليس كل ما كان شراً بالنسبة إلى شخص يكون عديم الحكمة، بل لله فى بعض المخلوقات حكم قد يعلمها بعض الناس وقد لايعلمها، انتهى . من كلام الشيخ تقى الدين بن تيمية، بتصرف.

قوله: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه**﴾: أى من شاء سبحانه أن يدله ويرشده ويوفقه ويجعل قلبه قابلا للخير هداه سبحانه وتعالى ووفقه، فهداية القلوب إليه سبحانه يهدى من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، فلا تطلب الهداية إلا منه سبحانه فهو الهادى كما قال سبحانه: ﴿**من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له**﴾ وفى الحديث: «**كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم**» وليست هذه الآية معارضة لحديث عياض بن حمار عن النبى ﷺ يقول الله: «**خلقت عبادى حنفاء** ـ وفى رواية ـ **مسلمين فاجتالتهم الشياطين**» ـ فإن الله خلق بنى آدم وفطرهم على قبول الإسلام والميل إليه دون غيره والتهيؤ لذلك والاستعداد له بالقوة، لكن لابد للعبد من تعليم الإسلام بالفعل، فإنه قبل التعليم جاهلا لايعرف شيئاً، كما قال سبحانه: ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً**﴾ الآية، فإن هداه الله سبَّب له مَن يعلمه الإسلام فصار مهدياً بالفعل بعد أن كان مهديا بالقوة، وإن خذله قيض له ما يغير له فطرته، كما قال ﷺ: «**كل**

يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون﴾ .

مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » الحديث .

قوله: ﴿**يشرح صدره للإسلام**﴾: أى يوسع قلبه للإيمان بأن يقذف فى قلبه نوراً فينفسح له ويقبله .

قوله:﴿**ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا**﴾: أى ومن شاء سبحانه أن يضله عن الهدى يجعل صدره ضيقا،أى عن قبول الإيمان، وحرجا، أى شديد الضيق فلا يبقى فيه منفذ للخير، ومكان حرج، أى ضيق كثير الشجر لاتصل إليه الراعية، والحرج أيضا الإثم.

قوله:﴿**كأنما يصعد فى السماء**﴾: أى إذا كلف الإيمان كأنما يصعد فى السماء لشدته عليه.

قوله : ﴿**كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون**﴾ يقول الله سبحانه : كما يجعل صدر من أراد إضلاله ضيقا كذلك يسلط عليه الشيطان وعلى أمثاله ممن أبى الإيمان بالله ورسوله فيغويه ويصده عن سبيل الله، قال ابن عباس : الرجس : الشيطان، وقال مجاهد : الرجس كل مالا خير فيه، وقيل: العذاب، ففى هذه الآية إن الهداية والإضلال بيد الله، وفيها أن العبد مفتقر إلى ربه فى كل شىء، وأن العباد لايملكون لأنفسهم نفعاً ولاضراً، وأن من تفرد بخلق العبد ورزقه هو المستحق أن يفرد بالألوهية والعبادة والسؤال، وأنه ليس عند أحد من هداية القلوب وتفريج الكروب شىء من ذلك لا الأنبياء ولا الملائكة ولاغيرهم، ففيه الرد على من زعم ذلك للنبى ﷺ فضلا عن غيره . ا.هـ.

وفى هذه الآية كغيرها دليل على إثبات العلة والحكمة فى أفعال الله، إذ لايعقل مريد إلا إذا كان المريد قد فعل لحكمة يقصدها بالفعل، وإثبات الحكمة فى أفعاله سبحانه هو قول السلف وجمهور المسلمين وجمهور العقلاء، وقالت طائفة كجهم وأتباعه: أنه لم يخلق شيئاً لشىء، ووافقه أبو الحسن الأشعرى ومن اتبعه وهم يثبتون أنه مريد وينكرون أن له حكمة يريدها وهذا تناقض، انتهى. من كلام الشيخ تقى الدين بن تيمية بتصرف.

وفى هذه الآية كسوابقها إثبات الإرادة لله كما يليق بجلاله، وعلم مما تقدم أن الإرادة تنقسم إلى قسمين، وأن المشيئة لاتنقسم وأنها مرادفة للإرادة الكونية كما علم أن المحبة والرضا أخص من مطلق الإرادة، وأن الأدلة دلت على الفرق بين المشيئة والمحبة والرضا، وأن من جمع بينهما فقد ضل ضلالا مبينا وصادم أدلة الكتاب والسنة وجمع بين ما فرق الله.

قال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله: فالإرادة الكونية: هى المشيئة لما خلقه وجميع المخلوقات داخلة فى مشيئته وإرادته الكونية، والإرادة الدينية الشرعية: هى المتضمنة للمحبة والرضا المتناولة لجميع ما أمر به وجعله شرعاً وديناً، وهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح، قال ومنشأ ضلال من ضل هو من التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوباً مرضيا، وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصى محبوبة له ولا مرضية، فليست مقدرة ولامقتضية، فهى خارجة عن مشيئته وخلقه.

وقد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة، أما نصوص المشيئة والإرادة فكقوله سبحانه: **﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها..﴾**، **﴿ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض﴾** وأما نصوص المحبة والرضا فكقوله: **﴿والله لايحب الفساد﴾**، وقوله: **﴿ولايرضى لعباده الكفر﴾** الآية. انتهى.

قال ابن القيم رحمه الله فى «المدارج»: ومراده سبحانه نوعان: مراد يحبه ويرضاه ويمدح فاعله ويواليه، فموافقته فى هذا المراد هى عين محبته، وإرادة خلافة رعونة ومعارضة واعتراض، ومراد يبغضه ويكرهه ويمقت فاعله، فموافقته فى هذا المراد عين مشاقته ومعاداته، فهذا الموضع موضع فرقان، فالموافقة كل الموافقة فى معارضة هذا المراد واعتراضه بالدفع والرد. انتهى.

وفى الآية إثبات الهداية لله سبحانه وتعالى وأنه الهادى لاسواه، ومن أسمائه سبحانه الهادى، وهو الذى بصّر عباده وعرّفهم طريق معرفته، وهدى كل مخلوق إلى مالابد له منه، وتنقسم الهداية إلى قسمين:

الأول: هداية خاصة بالله سبحانه وتعالى لا هادى غيره ولا تطلب إلا منه وهى هداية التوفيق والقبول والإلهام، وهى المستلزمة للاهتداء، وهى المذكورة فى قوله سبحانه وتعالى: **﴿إنك لاتهدى من أحببت﴾** .

الثانى: الهداية العامة وهى هداية الدلالة الإرشاد والبيان، وهى المذكورة فى قوله: **﴿وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾** فالنبى ﷺ هوالمبين عن الله والدال على دينه وشرعه، وكذلك الأنبياء، وأتباعهم، وهذه الهداية لاتستلزم الاهتداء، ولهذا ينتفى معها الهدى، كما فى قوله تعالى: **﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾** أى بينا لثمود وأرشدناهم فلم يهتدوا.

فالهداية المنفية عن النبى ﷺ وغيره هى هداية التوفيق والقبول، وأما المثبتة له كغيره من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم فهى هداية الدلالة والإرشاد.

وفى الآية المتقدمة إثبات الصفات الفعلية وإنها تنقسم إلى قسمين: متعدية، ولازمة. فالمتعدية: ما تعدى إلى مفعول مثل خلق ورزق وهدى وأضل. واللازمة كقوله: **﴿ثم استوى إلى السماء﴾﴿ ثم استوى على العرش﴾﴿ وجاء ربك والملائكة صفا صفا﴾** إلى غير ذلك مما لايحصى من النوعين، ذكر ذلك الشيخ تقى الدين وابن القيم رحمهما الله.

ذكر المصنف رحمه الله تعالى الآيات فى إثبات المشيئة والإرادة ثم ذكر الآيات فى إثبات المحبة والرضا، إشارة إلى الرد على من زعم التسوية بين ما ذكر، وأن المحبة والرضا والمشيئة متلازمان، ولاشك فى بطلان هذا القول وفساده، فالأدلة الكثيرة دلت على الفرق بين محبته ورضاه وإرادته.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله فى«المنهاج»: فأهل السنة والجماعة يقولون: إن الله يحب ويرضى، كما دل على ذلك الكتاب السنة، ويقولون: إن المحبة والرضا أخص من الإرادة فيقولون: إن الله لايحب الكفر والفسوق والعصيان ولا يرضاه، وإن كان داخلا فى مراده، كما دخلت سائر المخلوقات لما فى ذلك من الحكمة. انتهى.

قوله: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾: لما حث على الصدقة والإنفاق فى

وجوه الخير أمر بالاحسان وهو أعلى مقامات الطاعة وهو الإتيان بالعمل على أحسن أحواله وأكملها، وهذا أمر عام بالإحسان فى معاملة الله وفى معاملة خلقه، إذ حذف المعمول يؤذن بالعموم.

عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة،وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**» رواه مسلم. فهذا الحديث كالآية فيهما دليل على وجوب الإحسان فى كل شىء من الأعمال، لكن إحسان كل شىء بحسبه، وفى هذه الآية وأمثالها دليل على أن الله موصوف بالمحبة وأنه يحب حقيقة ومحبته سبحانه كما يليق بجلاله،وفيها دليل على أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها،فهو محسن يحب المحسنين ومؤمن يحب المؤمنين، وفي هذه الآية وأمثالها دليل على أن محبته سبحانه وتعالى تتفاضل فيحب بعض المؤمنين أكثر من بعض، وفيها إشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل وأن الإحسان أعظم سبب لمحبة الله سبحانه وتعالى للعبد، وفيها أدلة واضحة على إثبات فعل العبد وكسبه،وأنه يثاب على حسنه ويعاقب على سيئه،فتضمنت هذه الآية الرد على القدرية والجبرية، وفيها إثبات العلة والحكمة.

قوله: **﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾**: أى اعدلوا فى معاملاتكم وأحكامكم مع القريب والبعيد، يقال: أقسط بمعنى عدل، وقسط بمعنى جار، قال تعالى: **﴿فأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾** ومن أسمائه سبحانه: المقسط أى العادل، ففي هذه الآية الحث على العدل وفضله وأنه سبب لمحبة الله، وأن العدل فى الرعية من أفضل القرب سواء كانت رعية عامة كالحاكم أوخاصة كعدل آحاد الناس فى بيته وولده كما فى الحديث: «**كلكم راع ومسؤول عن رعيته**» وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺأنه قال: «**إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا**» وفى الترمذى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن أحب العباد إلى الله يوم القيامة وأدناهم إليه مجلساً إمام عادل**».

وقوله سبحانه: ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾، وقوله: ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ...﴾.

قوله: ﴿فما استقاموا﴾: «ما» شرطية، أى ما استقام لكم المشركون على العهد ولم ينقضوه فاستقيموا لهم على الوفاء به.

قوله: ﴿إن الله يحب المتقين﴾: أى المتقين للذنوب والمعاصى، والتقوى: هى التحرز بطاعة الله عن معصيته، فهى كلمة جامعة لفعل المأمورات وترك المنهيات. قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعبد الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله. فى هذه الآية الحث على الوفاء بالعهد وتحريم الغدر، وفيها فضل التقوى والحث عليها، وفيها إثبات محبة الله.

قوله: ﴿إن الله يحب التوابين﴾: أى من الذنوب والمعاصى، والتواب: هو الذى كلما أذنب تاب، يقال: تاب يتوب أى رجع، وتواب كثير التوبة، وتواب من أسماء الله سبحانه وتعالى، أى كثير التوبة على عبادة، وتاب على العبد ألهمه التوبة وقبل توبته.

قال ابن القيم رحمه الله: والعبد تواب والله تواب، فتوبة العبد رجوعه إلى سيده بعد إباق، وتوبة الله نوعان: إذن وتوفيق، وقبول واعتداد. ا. هـ.

فالتوبة لغة: الرجوع. يقال: تاب وآب وأناب وثاب، كلها بمعنى رجع.

وشرعا: الرجوع عن الذنب وهى واجبة من جميع الذنوب على الفور قال الله تعالى: **﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون﴾** والآيات والأحاديث فى الأمر بالتوبة والحث عليها كثيرة جداً، وتصح التوبة من بعض الذنوب دون بعض، وللتوبة ثلاثة شروط:

الأول: الندم على مافات، **والثانى**: العزم على أن لايعود، **والثالث**: الإقلاع عن الذنب، فإن كانت التوبة من حقوق الآدميين اشترط شرط **رابع**: وهو الخروج عن تلك المظلمة واستحلاله إن كانت غيبة، وللتوبة أيضاً شرط **خامس**: وهو أن يتوب قبل الغرغرة، كما فى الحديث الصحيح: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**». وأما فى حالة الغرغرة وهى حالة النزع فلا يقبل توبته، وأما التوبة النصوح فهى الخالصة التى لايختص بها ذنب دون ذنب، وقيل إن التوبة النصوح

هى أن يترك الذنب ثم لايعود إليه كما لا يعود اللبن فى الضرع.

قوله: ﴿ويحب المتطهرين﴾ أى عن الذنوب والمعاصى، وعن الأحداث والنجاسات.

فالطهارة لغة: النزاهة والنظافة عن الأقذار حسية كانت أو معنوية، فالحسية كالطهارة عن الأحداث والنجاسات، والمعنوية كالطهارة عن الذنوب والمعاصى، والآية شاملة عامة حاثة على الطهارتين، وفى حديث أبى مالك الأشعرى الذى رواه مسلم: «**الطهور شطر الإيمان**» الحديث. وتقديم التوابين على المتطهرين من باب تقديم السبب على المسبب؛ لأن التوبة سبب الطهارة. أفاده ابن القيم فى «بدائع الفوائد».

ففى هذه الآيات المتقدمة إثبات محبته سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته خلافاً للمبتدعة من جهمية ومعتزلة الذين أنكروا محبته سبحانه، وهم فى الحقيقة منكرون للإلهية فإن الإله هو المألوه الذى تألهه القلوب محبة وإجلالا وخوفاً وتعظيمًا.

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية: فى هذه الآيات إثبات محبة الله وهى على حقيقتها عند سلف الأمة ومشائخها. وأول من أنكر حقيقتها شيخ الجهمية الجعد ابن درهم، فهو أول من ابتدع هذا فى الإسلام فى أوائل المائة الثانية، فضحى به خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق والمشرق بواسط. خطب الناس يوم الأضحى فقال: يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإنى مضحى بالجعد بن درهم فإنه زعم أنه لم يتخذ إبراهيم خليلا ولا كلم موسى تكليما ثم نزل وذبحه، وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين رضى الله عنهم، وأخذ هذا المذهب عن الجعد بن درهم: الجهم بن صفوان فأظهره وناظر عليه، وإليه أضيف قول الجهمية فقتله سلم بن أجوز أمير خراسان بها ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة أتباع عمرو بن عبيد وظهر قولهم فى أثناء خلافة المأمون حتى امتحن أئمة الإسلام ودعوهم إلى الموافقة على ذلك؛ وأصل ذلك مأخوذ عن المشركين والصابئة وهم ينكرون أن يكون إبراهيم خليلا، لأن الخلة هى كمال المحبة المستغرقة للمحب كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح منى   وبذا سمى الخليل خليلا

ولكن محبته وخلته كما يليق به كسائر صفاته. اهـ

قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾، وقوله تعالى: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم﴾.

والذى يوصف به سبحانه وتعالى من أنواع المحبة: الإرادة والود والمحبة والخلة كما ورد النص. من «شرح الطحاوية».

قوله سبحانه وتعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾. قال الحسن: ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم، فهذه الآية فيها دليل على أن من ادعى ولاية الله ومحبته وهو لم يتبع ما جاء به رسوله ﷺ فليس من أولياء الله، بل من أولياء الشيطان، وفيها أن علامة ودليل محبة الله هو اتباع رسوله، وأن من اتبع الرسول حصلت له محبة الله. قال بعض السلف: ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب، وفيها إثبات المحبة من الجانبين، فمحبة الله لأنبيائه ورسله وعباده الصالحين صفة زائدة على رحمته وإحسانه وإعطائه، فإن ذلك أثر المحبة وموجبها فإن الله لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه أتم نصيب.

هذا قول أهل السنة والجماعة. وأما الجهمية والمعتزلة فعكس هؤلاء، فإنه عندهم لايحب ولايحب ولم يمكنهم تكذيب النصوص المتكاثرة فى إثبات المحبة من الجانبين، فأولوا نصوص محبة العباد له على محبة طاعته وعبادته، وأولوا نصوص محبته لهم بإحسانه إليهم وإعطائهم الثواب ونحو ذلك من التأويلات الفاسدة المصادمة لأدلة الكتاب والسنة الكثيرة فى إثبات المحبة من الجانبين.

قال ابن القيم رحمه الله: وجميع طرق الأدلة عقلا ونقلا وفطرة وقياساً وذوقاً واعتباراً ووجداناً تدل على إثبات محبة العبد لربه والرب لعبده، وقد ذكرنا لذلك قريبا من مائة دليل فى كتابنا الكبير فى المحبة. ا.هـ.

قوله: ﴿من يرتد منكم عن دينه﴾: أى يرجع، **والرد لغة**: الرجوع.

وشرعا: هو الذى يكفر بعد إسلامه نطقاً أواعتقاداً أو شكاً أو فعلا.

قوله: ﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾: أى من تولى عن نصرة دينه

وإقامة شريعته فإن الله يستبدل به من هو خيراً منه وأقوم سبيلا كما قال تعالى: **﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم﴾** الآية، والقوم الجماعة من الناس.

قوله: ﴿أذلة على المؤمنين﴾: أى أهل رقة وتواضع للمؤمنين. قال عطاء: للمؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته.

قوله: ﴿أعزة على الكافرين﴾: أى أهل غلظة وشدة على الكافرين، وهذه من صفات المؤمنين، كما قال سبحانه: **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾** وفى صفة رسول الله أنه الضحوك القتال، فهو ضحوك لأوليائه قتّال لأعدائه .

قوله: ﴿يجاهدون في سبيل الله﴾: أى بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم وذلك تحقيق دعوى المحبة، **والجهاد لغة**: بذل الطاقة والوسع. **وشرعا**: قتال الكفار، وقد تكاثرت الأدلة على فضل الجهاد والحث عليه.

قوله: ﴿لايخافون لومة لائم﴾: أى لاتأخذهم فى الله لومة لائم، وهذا علامة صحة المحبة، أى لايردهم عن ما هم فيه من طاعة الله ورسوله راد ولايصدهم عنهم صاد، ولايخافون فى ذلك لومة لائم،ولا عذل عاذل كما روى الإمام أحمد من حديث أبى ذر قال: أمرنى خليلى ﷺ بسبع: أمرنى بحب المساكين والدنو منهم، وأمرنى أن أنظر إلى من هو دونى ولا أنظر إلى من هو فوقى، وأمرنى أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرنى أن لا أسأل أحداً شيئاً، وأمرنى أن أقول الحق وإن كان مرأ، وأمرنى أن لاأخاف فى الله لومة لائم، وأمرنى أن أكثر من قول لاحول ولاقوة إلا بالله فإنهن من كنز تحت العرش.

قوله: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾: أى من اتصف بهذه الصفات فإنما هو فضل الله عليه وتوفيقه له.

قوله: ﴿والله واسع عليم﴾: أى واسع الفضل عليم بمن يستحق ذلك ممن يحرمه إياه. أفادت هذه الآية إثبات المحبة حقيقة من الجانبين خلافاً للمبتدعة من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم،وأفادت هذه الآية التحذير عن معصية الله سبحانه وتعالى وأن الكافر والعاصى لم يضر إلا نفسه، وأفادت عظيم قدرته

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾، وقوله: ﴿وهو الغفور الودود﴾.

سبحانه وتعالى فى أن من تولى عن دينه وأعرض عنه فإنه يستبدل به غيره، وأفادت أن هذه الأربع من صفات المؤمنين، وهى: الحب فى الله، والبغض فى الله والجهاد فى سبيل الله والقيام بأمره على الكبير والصغير والقريب والبعيد، وأفادت أيضاً إثبات فعل العبد حقيقة كما أفادت أن الأعمال الصالحة سبب للسعادة كما قال تعالى: ﴿**جزاء بما كانوا يعملون**﴾ وأن ذلك من فضله سبحانه وتوفيقه كما فى الصحيح: «**ليس أحد منكم يدخل الجنة بعمله**» قالوا: ولا أنت يارسول الله؟قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته**». وفيها أيضا وجوب إفراده سبحانه بالمحبة، فإن محبته سبحانه وتعالى هى أصل دين الإسلام، فبكمالها يكمل دين العبد وبنقصها ينقص.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: وقد علم أن العبادة إنما تنبنى على ثلاثة أصول: الخوف والرجاء والمحبة، وكل منها فرض لازم والجمع بين الثلاثة حتم واجب، ولهذا كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها دون الآخر. انتهى.

قوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله﴾: أى يجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فى إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿صفا﴾: أى يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولايزولون عن أماكنهم كأنهم بنيان مرصوص قد رص بعضه ببعض، أى ألزق بعضه ببعض وأحكم، فليس فيه فرجة ولا خلل. روى الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال**» رواه ابن ماجه.

أفادت هذه الآية فضل الجهاد فى سبيل الله والحث عليه، وأفادت الندب إلى الصفوف فى القتال، وأفادت إثبات المحبة لله سبحانه وتعالى وهو قول جميع السلف وأنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين زعما منهم أن المحبة لاتكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة، وهذا القول باطل ترده أدلة الكتاب والسنة المتكاثرة.

قوله: ﴿الغفور﴾: من أبنية المبالغة، أى كثير المغفرة، وأصل الغفر الستر، ومنه

المغفر فهو سبحانه وتعالى يغفر لمن تاب إليه، أى يستر ذنوبه ويتجاوز عن خطاياه.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: المغفرة محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره، ومنه المغفر لما يقى الرأس من الأذى لا كما ظنه بعضهم الستر، فالعمامة لاتسمى مغفراً مع سترها فلابد فى لفظ المغفر من الوقاية. انتهى.

والغفور أبلغ من الغافر، لأن فعول موضوع للمبالغة، والغفار، أى الستار لذنوب عباده أبلغ من الغفور، لأنه للتكثير من غير حصر، وقد جاء فى التنزيل الغفور والغفار والغافر.

قوله: ﴿الودود﴾: من الود: وهو خالص الحب وألطفه وأرقه، والودود من صفات الله سبحانه وتعالى أصله من المودة، أى المتودد إلى عباده بنعمه الذى يود من تاب إليه وأقبل عليه، وهو أيضاً الودود، أى المحبوب. قال البخارى فى صحيحه: الودود الحبيب، والتحقيق أن اللفظ يدل على الأمرين على كونه وإداً لأوليائه ومردوداً لهم. انتهى. من كلام ابن القيم باختصار.

قوله: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم﴾: الباء فى بسم الله للاستعانة وهى متعلقة بمحذوف والتقدير أبتدئ أو أؤلف على حسب مايضمره المتكلم، والاسم مشتق من السمو وهو العلو أو من السمة وهى العلامة، ولفظ الجلالة مشتق من أله، ومعنى كونه مشتق أنه دال على صفة هى الألوهية كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والسميع والبصير ونحو ذلك، وهو جامع لمعانى الأسماء الحسنى والصفات العليا وراجعة إليه.

قوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾: هما صفتان لله سبحانه وتعالى مشتقتان من الرحمة وهما من أبنية المبالغة: والرحمن أبلغ من الرحيم؛ لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، والرحمن خاص بالله سبحانه وتعالى لايسمى به غيره ولايوصف، بخلاف الرحيم فيوصف به غيره سبحانه وتعالى فيقال رجل رحيم، والرحمة صفة من صفات الله سبحانه وتعالى اللائقة بجلاله وعظمته فيجب أن يوصف بها كما وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ بخلاف ما عليه أهل البدع الذين نفوا هذه الصفة وأولوها كمن يؤولها بالإنعام أو بإرادة الإنعام إلى غير ذلك من التأويلات

قوله تعالى: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾، وقوله: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾وقوله: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾.

الفاسدة، فالرحمة ثابتة لله سبحانه وتعالى كغيرها من الصفات، سواء كانت ذاتية كالعلم والحياة، أو فعلية كالرحمة التى رحم بها عباده، فكلها صفات قائمة به سبحانه ليست قائمة بغيره، فيوصف بها سبحانه وتعالى حقيقة كما يليق بجلاله.

وقد اجتمع فى **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾** أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وكذلك قد اجتمع فيها أنواع الخفض الثلاثة فبسم مخفوض بالحرف، ولفظ الجلالة مخفوض بالإضافة، والرحمن الرحيم مخفوضان بالتبعية.

قال ابن القيم رحمه الله: وتضمنت **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾** إثبات النبوات من جهات عديدة: **(الأول)**: من اسم الله وهو المألوه المعبود، ولاسبيل إلى معرفة عبوديته إلا من طريق رسله. **(الثانى)**: من اسمه الرحمن، فإن رحمته تمنع إهمال عباده وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية السعادة، فمن أعطى هذا الاسم حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب أعظم من تضمنه علم إنزال الغيث وإنبات الكلأ وإخراج الحب، فاقتضاء الرحمة لما يحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها ما يحصل به حياة الأبدان والأشباح. انتهى «مدارج».

وقال فى البدائع: **﴿الرحمن﴾**: دال على الصفة القائمة به سبحانه، و**﴿الرحيم﴾** دال على تعلقها بالمرحوم كما قال تعالى: **﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾** ولم يجيء قط رحمن بهم فكان الأول للوصف والثانى للفعل، فالأول دال على أن الرحمة وصفه والثانى دال على أنه يرحم خلقه برحمته. انتهى.

قوله: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ أى وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، فما من مسلم، ولا كافر إلاوهو متقلب فى نعمته، فهذه الآية فيها دليل على إثبات رحمته سبحانه وتعالى ودليل على سعتها وشمولها، روى الإمام أحمد عن أبى عثمان عن النبى ﷺ قال: «**إن لله مائة رحمة، فمنها رحمة يتراحم بها الخلق، وبها تعطف الوحوش على أولادها، وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة**». انفرد بإخراجه مسلم.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ وقوله: ﴿ورحمتي وسعت

كل شيء﴾: أي أن رحمته سبحانه عمت وشملت كل شيء. قال الحسن وقتادة: وسعت رحمته سبحانه في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للمتقين خاصة. فهذه الآية فيها إثبات الرحمة وشمولها، ودلت هذه الآية وما قبلها على أن الرحمة تنقسم إلى قسمين: **الأول**: رحمة عامة وهي الرحمة المشتركة بين المسلم والكافر، فما يصل إليه من رزق وصحة ونحو ذلك فكله من رحمة الله كما في هذه الآية. **الثاني**: رحمة خاصة بالمؤمنين كما في الآية التي قبلها. **﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾**.

قوله سبحانه: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾: أي أوجبها على نفسه الكريمة تفضلا منه وإحساناً، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي**»، الحديث فالكتاب المذكور في الآية هو الإيجاب على نفسه سبحانه وتعالى وكذلك ما ورد في الحديث: «**وحق العباد على الله**» تفضل منه سبحانه وتعالى وإحسان وإلا فليس للعباد حق واجب كحق المخلوق على المخلوق كما تزعمه المعتزلة، فإن المعتزلة تزعم أنه واجب عليه بالقياس على المخلوق، والأدلة ترد قولهم عليهم وتبطل قولهم وتدل على ما عليه أهل السنة والجماعة وهو أن العبد لايستوجب على الله بسعيه نجاة ولا فلاحاً ولا يدخل أحد الجنة بعمله ويقولون: إن الله سبحانه هو الذي كتب على نفسه الرحمة وأوجب الحق لم يوجبه عليه مخلوق خلافاً للمعتزلة قال بعضهم:

ما للعباد حق عليه واجـــب ... كلا ولا سعي لديه ضائــــع
إن عُذبوا فبعدله أو نعمــــوا ... فبفضله وهو الكريم الواســـع

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى: كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل وليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق. انتهى.

وهذا كما في حديث: «**لو عذب الله أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم**»، والحديث المتقدم: «**ليس أحد منكم يدخل الجنة**» الحديث، وهذا الحديث لاينافي قوله: **﴿جزاء بماكانوا يعملون﴾**

فإن الرسولﷺ نفى باء المقابلة والمعادلة، والقرآن أثبت باء التسبب، فالمنفى استحقاقها بمجرد الأعمال وكون الأعمال ثمناً وعوضاً لها كما تزعمه المعتزلة، والمثبت كونها سببا لدخول الجنة بتوفيقه وهداه.

وقوله : ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾،وقوله: ﴿ فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين﴾ : أى أن حفظه سبحانه وتعالى خير من حفظكم، فمن توكل عليه سبحانه وتعالى وفوض أموره إليه كفاه ووقاه وحفظه وحماه فلا سبيل لأحد عليه ولاقدرة لأحد أن يصل إليه بما يؤذيه.

ومن أسمائه سبحانه وتعالى الحفيظ هو نوعان: **أحدهما:** حفظه على عباده جميع ما عملوا من خير وشر وطاعة ومعصية. **والثانى**: أنه الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون، وهذا نوعان: أحدهما: عام. والثانى : خاص.

فالأول :حفظه لجميع المخلوقات بتيسير ما يقيتها ونحو ذلك:

الثانى: حفظ خاص وهو حفظه لأوليائه سوى ما تقدم عما يزلزل إيمانهم ويضعف يقينهم وحفظهم عما يضرهم فى دينهم ودنياهم. انتهى. من كلام ابن رجب.

أفادت هذه الآية كغيرها إثبات صفة الرحمة وأنها أكمل رحمه، وأنها حقيقة لامجاز، وهذا عكس ما عليه الجهمية وأضرابهم الذين نفوا رحمته سبحانه وزعموا أنها مجاز وأن رحمة المخلوق حقيقة، ولا شك أن هذا من أعظم الإلحاد فى أسماء الله وصفاته، فإن الله سبحانه وتعالى أثبت لنفسه هذه الصفات ووصف نفسه بها كما وصف بعض خلقه بهذه الصفات، ولكن ليست رحمته سبحانه وتعالى كرحمة المخلوق ولاسمعه ولابصره فإن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، فاتفاق الاسمين لايقضى باتحاد المسمى، فإنه سبحانه وتعالى وصف نفسه بهذه الصفات ووصف به بعض خلقه فأثبت سبحانه الاسم ونفى المماثلة فقال: **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**.

قال ابن القيم رحمه الله: وفى هذا أظهر دليل على أن أسماء الرب مشتقة من أوصاف ومعانى قامت به، وأن كل اسم يناسب ما ذكر معه واقترن به من فعله وأمره . انتهى.

فهذه الآيات أفادت إثبات صفة الرحمة، وأنها حقيقة لامجاز، كما أفادت أن الرحمة المضافة إليه سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين: قسم يضاف إليه سبحانه وتعالى من إضافة الصفة إلى الموصوف كما قال سبحانه: ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء**﴾ وكما فى الحديث: «**برحمتك أستغيث**». **والثانى**: يضاف إليه سبحانه وتعالى من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهى الرحمة المخلوقه كما فى الحديث «**إن الله خلق مائة رحمة**» والحديث الآخر أنه قال سبحانه وتعالى للجنة «**أنت رحمتى أرحم بك من أشاء**».

قوله: ﴿**رضى الله عنهم ورضوا عنه**﴾ لما ذكر أعمالهم الصالحة ذكر أنه أثابهم عليها رضاه الذى هو أعظم وأجل من كل نعيم، قال تعالى: ﴿**ورضوان من الله أكبر**﴾.

أفادت هذه الآية إثبات صفة الرضا لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله، ولا يقال الرضا إرادة الإحسان والغضب إرادة الانتقام كما تزعمه المبتدعه، فإن هذا نفى للصفة وصرف للقرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب وهذا لايجوز.

وفى هذه الآية دليل على إثبات أفعال الله الاختيارية وأدلة ذلك من الكتاب والسنة لا تحصر، وفيها دليل على إثبات فعل العبد وأن له فعلا اختيارياً.

وفيها دليل على أن الجزاء من جنس العمل، وفيها فضل الرضا عن الله، **والرضا لغة**: ضد السخط والكراهة، وقال بعضهم: هو سكون القلب تحت مجارى الأحكام، قال فى «فتح المجيد»: هو أن يسلم العبد أمره إلى الله ويحسن الظن به ويرضى عنه فى ثوابه.

قال ابن القيم رحمه الله: الرضا ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الرضا بالله، والرضا عن الله، والرضا بقضاء الله، فالرضا بالله فرض، والرضا عنه وإن كان من أجل الأمور وأشرفها فلم يطالب به العموم لعجزهم عنه ومشقته عليهم، وأوجبه بعضهم، وأما الرضا بكل مقضى فلا يجب، بل المقضى ينقسم إلى ما يجب الرضا به، وهو المقضى الدينى، قال تعالى: ﴿**فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**﴾الآية، ومقضى كونى قدرى، فإن كان فقراً أو مرضاً ونحو ذلك استحب الرضا به ولم يجب وأوجبه بعضهم، وإن كان كفراً أو معصية حرم الرضا به مخالفة لربه، فإنه سبحانه لايرضى بذلك ولا يحبه، قال تعالى: ﴿**ولايرضى**

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما﴾.

لعباده الكفر﴾ الآية، وأما القضاء الذى هو صفة الله وفعله فالرضا به واجب. انتهى بتصرف.

وقال الشيخ تقى الدين بن تيمية فى «تائيته»:

فنرضى من الوجه الذى هو فعله ونسخط من وجه اكتساب بحيلتى

وقال السفارينى فى «الدرة المضيه»:

وليس واجبا على العبد الرضا بكل مقضى ولكن بالقضاء

قوله: ﴿ومن يقتل مؤمنا﴾: احترز بذلك عن قتل الكافر **﴿متعمداً﴾ العمد لغة**: القصد. **وشرعا**: أن يقصد من يعلمه آدميا معصوما فيقتله بما يغلب على الظن موته به واحترز بقوله متعمداً عن قتل الخطأ.

وقوله: ﴿فجزاؤه﴾: أى عقابه. **قوله: ﴿جهنم﴾**: علم على طبقة من طبقات النار.

قوله: ﴿خالدا فيها﴾: أى مقيما والخلود: هو المكث الطويل، **قوله: ﴿ولعنه﴾** أى طرده عن رحمته، فاللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

قوله: ﴿وأعد له عذاباً عظيما﴾: أى هيأ له ذلك العظيم ذنبه.

فى هذه الأية الوعيد الشديد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، ويروى عن ابن عباس أنه قال: قاتل المؤمن متعمداً لاتقبل له توبة، ويقول هذه الآية من آخر ما نزل ولم ينسخها شيء، وممن ذهب إلى قوله زيد بن ثابت وأبو هريرة وأبو سلمة ابن عبد الرحمن وعبيد بن عمير والحسن وقتادة والضحاك، نقله ابن أبى حاتم، والذى عليه الجمهور سلفا وخلفاً أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله، فإن تاب وأناب وعمل صالحا بدل الله سيئاته حسنات وعوض المقتول عن ظلامته، قال تعالى: **﴿قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾** الآية، وهذا عام فى جميع الذنوب، وقال تعالى: **﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** الآية، وهذه الآية عامة فى جميع الذنوب عدا الشرك بالله إلى غير ذلك من الأدلة، وما يروى عن ابن عباس

وغيره فهو مبالغة وتشديد فى الزجر عن القتل، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «والتحقيق فى المسألة أن القتل تتعلق به ثلاثة حقوق: حق الله، وحق المقتول وحق الولى، فإذا سلم القاتل نفسه طوعا واختياراً ندما على ما فعله وخوفاً من الله وتوبة نصوحاً سقط حق الله بالتوبة وحق الأولياء بالاستيفاء أو الصلح أو العفو وبقى حق المقتول يعوضه الله عنه يوم القيامة عن عبده التائب المحسن ويصلح بينه وبينه، فلا يضيع حق هذا ولا يبطل حق هذا . انتهى. وبتقدير دخول القاتل النار فليس بمخلد فيها أبداً بل الخلود هو المكث الطويل، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ: « **أنه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان**»، فدخول النار على قسمين: دخول مطلق، دخول.

فالأول:هو دخول المشركين والكفرة فهؤلاء يدخلونها ولايخرجون منها أبداً.

والثانى: وهو دخول الموحدين الذين عليهم ذنوب ومعاصى، فهؤلاء يعذبون فيها بقدر سيئاتهم ثم يخرجون منها إن لم يحصل سبب للخروج منها قبل ذلك من شفاعة أو غيرها من الأسباب، فالناس ينقسمون بحسب ما تقدم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: المشركون والكفار، كفر يخرج عن الملة الإسلامية، فهؤلاء يدخلون النار ويخلدون فيها دائما ولايخرجون منها أبداً.

النوع الثانى: من مات على التوحيد وليس عليه ذنوب فهذا يدخل الجنة من أول وهلة.

الثالث: من مات موحداً وعليه ذنوب ومعاصى فهذا تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول وهلة وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة، هذا ما عليه أهل السنة والجماعه، وهو الذى تواترت به الأدلة من الكتاب والسنة، عكس ما عليه المرجئة والخوارج والمعتزلة .

قال السفارينى فى «الدرة المضيه»:

ومن يمت ولم يتب من الخطا ... فأمره مفوض لذى العطـــا

فإن يشأ يعفو وإن شاء انتقم ... وإن شاء أعطى وأجزل النعم

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه﴾. وقوله تعالى: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾.

وفى هذه الآية دليل على إثبات الغضب، وأنه سبحانه يغضب ويرضى كما يليق بجلالته وعظمته.

قوله: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه﴾: أى ذلك الضرب والقبض لأرواحهم بهذه الشدة بسبب اتباعهم ما يسخط الله من الكفر وعداوة الرسول وبسبب كراهتهم رضوانه، أى ما يرضيه من الإيمان والعمل الصالح.

فهذه الآية أفادت إثبات صفة السخط والرضا، وأنه سبحانه وتعالى يسخط ويرضى حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته، فيجب إثبات ذلك الوجه اللائق بجلاله وعظمته، هذا قول أهل السنة والجماعة وكل ما ورد فى الكتاب والسنة يجب إثباته على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، والباب كله واحد.

وفى هذه الآية إثبات العلل والأسباب، وأن الأعمال الصالحة سبب للسعادة، والأعمال السيئة سبب للشقاوة، وفيها الرد على من زعم أنه لا ارتباط بين العمل والجزاء. انتهى.

وفيها أيضا ذم من أحب ماكرهه الله أو كره ماأحبه،فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب الإتيان بما وجب عليه منه، فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضل،وأن يكره ماكرهه الله كراهة توجب له الكف عما حرم الله عليه منه، فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزيهاً كان ذلك فضلا،وقد ثبت فى الصحيحين عنهﷺ أنه قال: «**لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين**». فلا يكون العبد مؤمنا حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله والمحبة الصحيحة تقتضى المتابعة والموافقة فى حب المحبوبات وبغض المكروهات، قال تعالى: ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره**﴾ الآية، انتهى. من كلام ابن رجب.

قوله: ﴿آسفونا﴾: أى أغضبونا، وأسف لها معنيان: تأتى بمعنى غضب كهذه

وقوله: ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبَّطهم﴾ وقوله: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾.

الآية، وتأتى بمعنى حزن كقوله سبحانه عن يعقوب أنه قال: **﴿يا أسفى على يوسف﴾** الآية.

وقوله: **﴿انتقمنا منهم﴾**: أى عاقبهم سبحانه بالغرق وغيره من العقوبات، والانتقام: هو أن يبلغ فى العقوبة حدها، ومن أسمائه سبحانه المنتقم كما جاء فى حديث أبى هريرة الذى رواه الترمذى فى جامعه فى عدد الأسماء الحسنى ومعناه المبالغ فى العقوبة لمن يشاء، وقال الشيخ تقى الدين رحمه الله: المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابته عن النبى ﷺ وإنما جاء فى القرآن مقيداً كقوله سبحانه: **﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾**، وقوله: **﴿والله عزيز ذو انتقام﴾** والحديث الذى فى عدد الأسماء الحسنى يذكر فيها المنتقم ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبى ﷺ بل هذا ذكره الوليد بن مسلم عن بعض شيوخه ولهذا لم يورده أحد من أهل الكتب المشهورة إلا الترمذى. انتهى.

قوله: ﴿كره الله انبعاثهم﴾: أى أبغض خروجهم معكم إلى الغزو.

قوله: ﴿فثبطهم﴾: أى كسلهم، والتثبيط: رد الإنسان عن الشيء الذى يفعله، أى أنه سبحانه وتعالى كسلهم عن الخروج للغزو قضاءاً وقدراً وإن كان قد أمرهم بالغزو وأقدرهم عليه ولكن ما أراد إعانتهم بل خذلهم وثبطهم لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى: **﴿لايسأل عما يفعل وهم يسألون﴾**.

قوله: ﴿كبر﴾: أى عظم.

قوله: ﴿مقتاً﴾: منصوب على التمييز، والمقت أشد البغض.

وفى الآية الحث على الوفاء بالعهد والنهى الأكيد عن الخلف فى الوعد وغيره، وبها استدل بعض العلماء على أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا، سواء ترتب عليه عزم للموعود أم لا، واحتجوا بما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان**» وفيها دليل على إثبات صفة البغض لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته، وفيه دليل على أن بغضه سبحانه وتعالى يتفاوت فبعضه أشد من بعض كما فى

الحديث: «**إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله ولن يغضب بعده مثله**».

وفيه دليل على أن الشخص قد يكون عدواً لله ثم يصير وليا ويكون الله سبحانه وتعالى يبغضه ثم يحبه، وهذا مذهب الفقهاء والعامة وهو قول المعتزلة والكرامية والحنفية قاطبة، والمالكية والشافعية والحنابلة، وعلى هذا يدل القرآن قال تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**﴾، وقال: ﴿**وإن تشكروا يرضه لكم**﴾،وقوله: ﴿**فلما آسفونا انتقمنا منهم**﴾ وغيرها من الآيات والأحاديث. انتهى ملخصا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

فهذه الآيات المتقدمة دليل على صفة الغضب والرضا والولاية والحب والبغض والسخط والكراهة ونحو ذلك، وهذا مذهب السلف الصالح وسائر الأئمة يثبتون جميع ما فى الكتاب والسنة على المعنى اللائق به، كما يقولون ذلك في السمع والبصر والعلم والكلام وسائر الصفات وقد تقدم ذلك.

قوله:﴿هل﴾: حرف استفهام.

قوله: ﴿**ينظرون**﴾: أى ينتظر الكفار، يقال نظرته وانتظر به بمعنى واحد، إلا إذا عدى بإلى أو ذكر الوجه فمعناه النظر، أو عدى بفى فمعناه التفكر والاعتبار.

قوله:﴿إلا أن يأتيهم الله﴾: أى لفصل القضاء بينهم يوم القيامة فيجزى كل عامل بعمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله:﴿فى ظلل﴾: جمع ظلة، والظلة: ما أظلك وسترك.

قوله:﴿من الغمام﴾: أى السحاب الأبيض الرقيق، سمى غمام؛ لأنه يغم، أى يستر.

قوله :﴿والملائكة﴾: أى والملائكة يجيئون فى ظلل من الغمام، ففيه إثبات مجيء الملائكة يوم القيامة لأنهم يحيطون بالإنس والجن، ثم ينزل الله سبحانه لفصل القضاء بينهم.

وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾، وقوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلاأن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك﴾، وقوله: ﴿كلا إذا دكت الأرض دكا دكا. وجاء ربك والملك صفا صفا﴾.

قوله: ﴿وقضى الأمر﴾: أى تم أمر هلاكهم.

قوله: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾: أى تصير أمور العباد إلى الله فى الآخرة.

قال محمد بن جرير: حيث ذكر إتيان الملائكة فهو محتمل لإتيانهم لقبض الأرواح ويحتمل أن يكون نزولهم لعذاب الكفار وإهلاكهم، وأما إتيان الرب فهو يوم القيامة لفصل الخطاب.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: نزوله سبحانه إلى الأرض يوم القيامة تواترت به الأحاديث والآثار ودل عليه القرآن صريحاً كما فى هذه الآيات. انتهى.

قوله: ﴿إلا أن تأتيهم الملائكة﴾: أى لقبض أرواحهم.

قوله: **﴿أو يأتى ربك﴾**: أى يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد.

قوله: **﴿أو يأتى بعض آيات ربك﴾**: وهو طلوع الشمس من مغربها، وطلوعها من مغربها هو أحد أشراط الساعة الكبار، وإذا طلعت من مغربها أغلق باب التوبة، وإذا رآها الناس طلعت من مغربها آمنوا أجمعون ولكن لايقبل لأحد توبة مالم يكن آمن من قبل ذلك كما فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذاك حين لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل**».

قوله: ﴿كلا﴾: هى حرف ردع وزجر.

قوله: **﴿دكت الأرض﴾**: أى زلزلت حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم.

قوله: **﴿دكا دكا﴾**: أى دكا بعد دك، أى كرر الدك عليها حتى عادت هباء منبثا.

قوله: ﴿وجاء ربك﴾: أى لفصل القضاء بين عباده.

قوله: ﴿والملك﴾: أى جنس الملائكة.

قوله: ﴿صفا صفا﴾: أي يصفون صفا بعد صف قد أحدقوا بالجن والإنس كما روى أن الملائكة كلهم يكونون صفوفا حول الأرض.

قوله: ﴿ويوم تشقق﴾: المراد باليوم يوم القيامة، وتشقق السماء أى انفطارها.

قوله: ﴿بالغمام﴾: أى يخرج منها الغمام وهو السحاب الأبيض وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض فيحيطون بالخلائق فى مقام المحشر ثم يجىء الرب لفصل القضاء بين عباده فهذه الآيات أفادت إثبات المجىء والنزول والإتيان لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته، وهذه من صفاته سبحانه الفعلية فيجب إثبات جميع الصفات الواردة فى الكتاب والسنة كما أثبتها الله سبحانه لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ودلت هذه الآيات أيضا على أن نزوله سبحانه وتعالى وإتيانه ومجيئه ونحو ذلك من أفعاله أنه حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته، إذ الأصل الحقيقة ولا صارف عن ذلك خلافاً لأهل البدع، ودلت على أنه نزول وإتيان ومجىء بذاته سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته خلافا لأهل البدع الذين ينفون ذلك ويؤولون مجيئه بمجىء أمره ونزوله بنزول رحمته أو بعض ملائكته ونحو ذلك، ويقولون هذا مجاز حذف والتقدير فى: ﴿وجاء ربك﴾: أى أمره وينزل ربنا أى أمره أو بعض ملائكته أو رحمته ونحو ذلك من التأويلات الفاسدة ولاشك فى بطلان هذه التأويلات ومصادمتها أدلة الكتاب والسنة الصريحة وما عليه أهل السنة والجماعة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى فى (الصواعق المرسلة): ومما ادعوا فيه المجاز قوله: **﴿وجاء ربك﴾**، **﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾**، قالوا: هذا مجاز الحذف تقديره وجاء أمر ربك، وهذا باطل من وجوه:

أحدها: أنه إضمار مالا يدل عليه اللفظ بمطابقة ولا تضمن ولا لزوم وادعاء حذف بلا دليل برفع الوثوق من الخطاب، وساق وجوها عديدة فى إبطال دعواهم المجاز، وساق الأدلة الكثيرة الصريحة الدالة على أنه مجىء حقيقة بذاته سبحانه. ا. هـ.

والإتيان والمجىء المضاف إليه سبحانه نوعان: مطلق ومقيد، فإذا كان مجىء رحمته أو عذابه ونحو ذلك قيد بذلك كما فى الحديث: «**حتى جاء الله بالرحمة**

وقوله تعالى: ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.

والخير» وقوله: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم﴾. النوع الثانى: الإتيان والمجىء المطلق فهذا لايكون إلا مجيئه سبحانه كقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾، وقوله: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ . انتهى . من الصواعق ملخصا.

وأفادت هذه الآيات إثبات أفعاله سبحانه الاختيارية، فالإتيان والنزول والمجىء والاستواء، والارتفاع والصعود كلها أنواع أفعاله وهو فعال لما يريد، وأفعاله كصفاته قائمة به سبحانه، ولولا ذلك لم يكن فعالا ولاموصوفاً بصفات كماله، وأفعاله سبحانه. **نوعان:** لازمة، ومتعدية كما دلت النصوص التى هى أكثر من أن تحصر على إثبات النوعين وأنها حقيقة ليست بمجاز وليست كأفعال المخلوق، فصفاته سبحانه تليق به أما المبتدعة فإنهم نفوا أفعاله فزعموا أنها مجاز فوقعوا فى محذورين: محذور التشبيه ومحذور التعطيل، انتهى من كلام شيخ الإسلام.

وفى هذه الآيات دليلا على إثبات علو الله على خلقه لأنه لايمكن أن يأتى إلا من جهة العلو، وذكره ابن القيم أحد الطرق فى إثبات العلو.

قوله: ﴿كل من عليها فان﴾: أى كل من على الأرض يعدم ويموت ويبقى وجهه سبحانه، قال الشعبى رحمه الله: إذا قرأت قوله: ﴿كل من عليها فان﴾ فلا تسكت حتى تقرأ قوله: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ وهذا من فقههم فى القرآن، وكمال علمهم إذ المقصود الإخبار بفناء من عليها مع بقاء وجهه، فإن الآية سيقت لبيان تمدحه سبحانه بالبقاء وحده، ومجرد فناء الخليقة ليس فيه مدح إنما المدح فى بقائه سبحانه بعد فناء خلقه فهى نظير قوله سبحانه: ﴿كل شىء هالك إلا وجهه﴾. انتهى. من كلام ابن القيم.

قوله: ﴿وجه ربك﴾: فيه إثبات صفات الوجه لله وهو من الصفات الذاتية كالسمع والبصر واليدين وغير ذلك من الصفات فعلى العباد الإيمان بها والتسليم واعتقاد أنها حقيقة تليق بجلال الله وعظمته، وعلى هذا مضى الصحابة والتابعون والأئمة.

قوله: ﴿ذو الجلال والإكرام﴾: أى ذوالعظمة والكبرياء

وقوله: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ .

قوله: ﴿والإكرام﴾: أى المكرم لأنبيائه وعباده الصالحين، وقيل ذو الجلال أى هو المستحق لأن يجل ولأن يكرم، والإجلال يتضمن التعظيم، والإكرام يتضمن الحمد والمحبة، وقد قال بعض السلف: لايهدين أحدكم لله مايستحى أحدكم أن يهديه لكريمه فإن الله أكرم الكرماء، أى هو أحق من كل شيء بالإكرام إذ كان أكرم من كل شيء، وقال أيضاً: وإذا كان مستحقا للإجلال والإكرام لزم أن يكون متصفاً فى نفسه بما يوجب ذلك كما إذا قال الإله هو المستحق لأنه يؤله أى يعبد كان هو فى نفسه مستحقا لما يوجب ذلك، والإجلال من جنس التعظيم، والإكرام من جنس الحب والحمد، وهذا كقوله: **﴿له الملك وله الحمد﴾** فله الإجلال وله الإكرام والحمد. انتهى. من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

قوله: ﴿كل شىء هالك إلا وجهه﴾: أى أن جميع أهل الأرض وأهل السماء سيموتون ويذهبون إلا من شاء الله ولايبق إلا وجهه سبحانه وتعالى، والمستثنى من الهلاك والفناء ثمانية نظمها السيوطى بقوله:

ثمانية حكم البقاء يعمهـــــا ... من الخلق والباقون فى حيز العدم

هى العرش والكرسى نار وجنة ... وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وأما قوله: ﴿كل شىء هالك﴾، وقوله: **﴿كل من عليها فان﴾** فإن المراد كل شىء كتب عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وكذا العرش فإنه سقف الجنة والكرسى إلى آخرها فإن عموم **﴿كل﴾** فى كل مقام بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن كقوله: **﴿تدمر كل شىء بأمر ربها فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم﴾** ومساكنهم شىء لم تدخل فى عموم كل شىء؛ لأن المراد تدمر كل شىء يقبل التدمير بالريح عادة وكقوله عن بلقيس: **﴿وأوتيت من كل شىء﴾** فالمراد من كل شىء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام إذ المراد إنها ملكة تامة الملك.

ففى هذه الآيات كغيرها من أدلة الكتاب والسنة إثبات صفة الوجه لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته، وإثبات أنه وجه حقيقة لايشبه وجوه خلقه ليس كمثله شىء، وهذا هو الذى عليه أهل السنة والجماعة خلافاً للمبتدعة من الجهمية وأشباههم ممن نفى الوجه وعطله وزعم أنه مجاز عن الذات أو الثواب أو الجهة أو

غير ذلك، وهذه تأويلات باطلة من وجوه عديدة، منها أنه فرق بين الذات والوجه وعطف أحدهما على الآخر يقتضى المغايرة كما فى حديث: «**إذا دخل أحدكم المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم**»، ومنها أنه أضاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه، ولو كان ذكر الوجه صلة ولم يكن صفة للذات لقال ذى الجلال، فلما قال ذو الجلال تبين أنه نعت للوجه وأن الوجه صفة للذات كما ذكر معنى ذلك البيهقى والخطابى، وروى مسلم فى صحيحه حديث: «**إن الله لاينام ولا ينبغى له أن ينام، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**». ومنها أن الوجه حيث ورد فإنما ورد مضافاً إلى الذات فى جميع موارده، والمضاف إلى الرب **نوعان:**

أعيان قائمة بنفسها كبيت الله وناقة الله وروح الله وعبد الله، فهذه إضافة تشريف وتخصيص وهى إضافة مملوك إلى مالكه.

الثانى: صفات لاتقوم بنفسها كعلم الله وحياته وقدرته وسمعه وبصره ونوره، فهذه إضافتها إليه سبحانه وتعالى إضافة صفة إلى موصوف بها، إذا عرف ذلك فإضافة السمع والبصر والوجه ونحو ذلك إضافة صفة إلى موصوف لا إضافة مخلوق إلى خالقه وفى سنن أبى داود عنه ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «**أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**»، فتأمل كيف قرن بين الاستعاذة بالذات وبين الاستعاذة بوجهه الكريم، وهذا صريح فى إبطال قول من قال: إنه الذات نفسها، وقول من قال: إنه مخلوق، إذ الاستعاذة لا تجوز بمخلوق إلى غير ذلك من الوجوه التى ذكرها ابن القيم رحمه الله بالصواعق فى إثبات الوجه صفة لله سبحانه وتعالى وأنه وجه حقيقى يليق بجلاله وعظمته، وإبطال قول من زعم غير ذلك.

قوله: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى﴾: أى يقول سبحانه وتعالى مخاطبا لإبليس لما امتنع من السجود لآدم: **﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى﴾** أى أنه سبحانه باشر خلقه بيده كما فى الحديث: «**لم يخلق الله بيده إلا ثلاثا خلق آدم بيده**» الحديث، ففيه إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى وأنهما يدان حقيقة لائقتان بجلاله وعظمته، وفيها الرد على من زعم غير ذلك ممن صادم أدلة الكتاب والسنة واتبع هواه وعطل هذه الصفة، وزعم أن المراد باليد القدرة أو النعمة كما تقوله

الجهمية والمعتزلة وأشباههم، وهذا التأويل الذى زعموه تأويل فاسد مصادم لأدلة الكتاب والسنة المتكاثرة الصريحة فى إثبات اليدين صفة لله سبحانه وتعالى، فلو كان المراد باليد القدرة لوجب أن يكون له سبحانه قدرتان، وقد أجمع المسلمون على أنه لايجوز أن يكون له قدرتان، وكذلك لايجوز أن يقال خلق آدم بنعمتين؛ لأن نعم الله على آدم وغيره لاتحصى.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ورد لفظ اليد فى الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين فى أكثر من مائة موضع ورودا متنوعا متصرفا فيه مقرونا بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك والطى والقبض والبسط والنضح باليد والخلق باليدين والمباشرة بهما، وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده.

وقوله: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾: فقطع بالضرورة أن المراد يد الذات لا يد القدرة والنعمة، فإن السياق والتركيب لايحتمله البته، انتهى.

وقد رد ابن القيم رحمه الله على المبتدعة الذين عطلوا صفة اليد وزعموا أن المراد باليد القدرة أو النعمة أو غير ذلك من التأويلات الفاسده من وجوه عديدة أنهاها إلى عشرين وجها، وساق الأدلة الكثيرة الصريحة فى إثبات اليد لله سبحانه وتعالى حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته.

قوله: ﴿يد الله مغلولة﴾: قال ابن عباس: المراد بخله. فالغل كناية عن البخل.

قوله: ﴿غلت أيديهم﴾: أى أمسكت عن الخير.

وقوله: **﴿بل يداه مبسوطتان﴾**: أى بالفضل والعطاء، فهذه الآية كسابقتها فيها إثبات صفة اليدين لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته، فعلينا أن نثبت له سبحانه وتعالى ذلك كما أثبته لنفسه وكما أثبته له رسوله ﷺ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وفى حديث عبد الله بن عمرو: «**أن الله لم يباشر بيده أو لم يخلق بيده إلا ثلاثا: خلق آدم بيده وغرس جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده**».

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: هل يصح فى عقل أو نقل أو فطرة أن يقال لم يخلق بقدرته إلا ثلاثا أو لم يخلق بنعمته إلا ثلاثا؟ وأيضاً فلو كان المراد به

هاهنا القدرة لبطل تخصيص آدم فإنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوقا بقدرته، فأي مزية لآدم على إبليس في قوله: ﴿أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾. اهـ.

وقال البيهقي في كتاب(الأسماء والصفات)، «باب ماجاء في إثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة» فذكر الآيات ثم قال: قال بعض أهل النظر قد تكون اليد بمعنى القوة كقوله ﴿ذو الأيد والأبصار﴾، أي ذو القوة وبمعنى الملك والقدرة والنعمة وتكون صلة أي زائدة، ثم أبطل البيهقي ذلك كله وأثبت أن اليدين صفتان تعلقتا بخلق آدم تشريفا له دون إبليس تعلق القدر بالمقدور لا من طريق المباشرة ولا من حيث المماسة وليس لذلك التخصيص وجه غير ما بينه بقوله: ﴿لما خلقت بيدي﴾. اهـ.

قوله: ﴿واصبر﴾: الصبر لغة الحبس والمنع، وهو حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن التشكي والتسخط وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب، وذكره ابن القيم رحمه الله تعالى، أفادت الآية وجوب الصبر. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هو واجب بالإجماع، انتهى.

وينقسم الصبر إلا ثلاثة أقسام:

صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة.

زاد الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله: وصبر عل الأهواء المضلة، والنوعان الأولان أفضل من الأخير، وهو الصبر على أقدار الله المؤلمة، صرح بذلك السلف منهم سعيد بن جبير وميمون بن مهران وغيرهما، والنوع الأول أفضل من النوع الثاني.

قال ابن رجب رحمه الله: وأفضل أنواع الصبر: الصيام فإنه يجمع أنواع الصبر الثلاثة.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه (المدارج): وتمام الصبر أن يكون كما قال الله: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم﴾ الآية، وأقواه أن يكون بالله معتمداً عليه لا على نفسه ولا على غيره من الخلق. انتهى.

وقد تكاثرت الأدلة على الحث على الصبر والترغيب فيه والثناء على أهله، قال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعا من كتابه، وفي الآية إثبات

وقوله: ﴿وحملناه على ذات ألواح ودُسر. تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر﴾، وقوله: ﴿وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى﴾.

صفة الحكم لله سبحانه وتعالى، وقد تقدمت الإشارة إلى تقسيمه إلى قسمين: حكم شرعى دينى، وحكم قدرى كونى، فالشرعى متعلق بأمره، والكونى متعلق بخلقه وهو سبحانه له الخلق والأمر، وحكمه الدينى الطلبى نوعان بحسب المطلوب، فإن المطلوب إن كان محبوباً له فالمطلوب فعله إما وجوباً وإما استحباباً، وإن كان مبغوضاً له فالمطلوب تركه إما تحريما وإما كراهة، وذلك أيضا موقوفاً على الصبر، فهذا حكمه الدينى الشرعى، وأما حكمه الكونى وهو ما يقتضيه وما يقدره على العبد من المصايب التى لاصنع له فيها، فغرضه الصبر عليها، وفى وجوب الرضا بها قولان للعلماء أصحهما: إنه مستحب فرجع الدين كله إلى هذه القواعد الثلاث: فعل المأمور وترك المحظوروالصبر على المقدور، انتهى. من كلام ابن القيم.

قوله: ﴿فإنك بأعيننا﴾: أى بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا والله يعصمك من الناس.

قال ابن القيم رحمه الله: وهذا يتضمن الحراسة والكلائة والحفظ للصابر لحكمه سبحانه وتعالى، وفيها معية الله سبحانه وتعالى للصابر لحكمه سبحانه وحفظه، وفيها إثبات فعل العبد حقيقة وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر.

قوله: ﴿وحملناه﴾: أى نوح عليه الصلاة والسلام.

قوله: ﴿على ذات ألواح﴾: أى على سفينة ذات ألواح، المراد خشب السفينة العريض.

قوله: ﴿ودسر﴾: أى المسامير التى تشد بها الألواح، يقال: دسرت السفينة إذا شددتها بالمسامير.

قوله: ﴿تجرى بأعيننا﴾: أى بأمرنا بمرأى منا تحت حفظنا وكلاءتنا والنون للتعظيم.

قوله﴿: جزاء لمن كان كفر﴾: أى جزاء لهم على كفرهم وانتصاراً لنوح عليه السلام عليهم.

قوله: **﴿وألقيت﴾**: أى وصنعت **﴿عليك محبة منى﴾**: أى أن الله أحبه وحببه

إلى خلقه.

قوله: ﴿ ولتصنع على عينى﴾: أى بمرأى ومنظر منى، والمعنى أن الله أحب موسى وحببه إلى خلقه ورباه بمرئى منه سبحانه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: والفرق بين قوله: ﴿ولتصنع على عينى﴾، وقوله : ﴿تجرى بأعيننا﴾ أن الآية الأولى وردت فى إظهار أمر كان خفيا وإبداء ما كان مكتوما، فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يتغذون ويصنعون سراً، فلما أراد أن يصنع موسى ويغذى ويربى على حال أمن وظهور دخلت على فى اللفظ تنبيها على المعنى لأنها تعطى الاستعلاء، والاستعلاء ظهور وإبداء فكأنه يقول: وتصنع على أمن لا تحت خوف وذكر العين لتضمنها معنى الرعاية والكلائة،وأما قوله: ﴿تجرى بأعيننا﴾ فإنه يريد برعاية منا وحفظ ولا يريد إبداء شىء ولا إظهاره بعد كتم فلم يحتج فى الكلام إلى معنى على بخلاف ما تقدم. ا.هـ.

وفى هذه الآية الكريمة إثبات محبة الله سبحانه لعبده موسى، وتحبيبه لخلقه وفيها عناية الله سبحانه وتعالى بعبده موسى وتربيته على مرأى منه، وهذه عناية خاصة ومعية لعبده موسى تقتضى حفظه وكلاءته وعنايته، وفى هذه الآيات إثبات صفة العينين لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته، فيجب على المؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما أثبته لنفسه من العينين والسمع والبصر وغيرها، وغير المؤمن من ينفى عن الله ما أثبته فى محكم تنزيله، وكذلك أثبته له رسوله ﷺ.

قوله:﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها﴾: أى تراجعك أيها النبى فى شأن زوجها، وهى خولة بنت ثعلبة، وزوجها أوس بن الصامت، وذلك حين ظاهر منها زوجها وقال لها: أنت علىّ كظهر أمى، فأتت النبى ﷺ فقال: «قد حرمت عليه» فقالت: إن لى صبية صغاراً إن ضممتهم إلىّ جاعوا وإن ضممتهم إليه ضاعوا، فقال: «قد حرمت عليه» فقالت: أشكو إلى الله فاقتى وجهدى، وكلما قال حرمت عليه جعلت تهتف وتشكو.

قوله:﴿ وتشتكى﴾ : أى تظهر ما بها من المكروه.

وقوله: ﴿والله يسمع تحاوركما﴾: أى مراجعتكما الكلام، من حار إذا رجع.

قوله: ﴿إن الله سميع بصير﴾: أى أحاط سمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع المبصرات فلا يخفى عليه خافية، وكثيراً ما يقرن سبحانه بين هذين الاسمين(السميع والبصير)فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة والباطنة، فالسميع: هو الذى أحاط سمعه بجميع المسموعات، والبصير: هو الذى أحاط بصره بجميع المبصرات.

وفى هذه الآية الكريمة إثبات السمع لله سبحانه وتعالى وأنه سميع ويسمع، أحاط سمعه بجميع المسموعات، وكل ما فى العالم العلوى والسفلى من الأصوات يسمعه سبحانه وتعالى سواء السر والعلانية، قالت عائشة رضى الله عنها: الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشتكى إلى رسول الله وأنا فى جانب الحجرة يخفى علىَّ بعض كلامها فأنزل الله قوله: ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها﴾الآية، وقال ابن القيم فى (النونية):

وهو السميع يرى ويسمع ما	فى الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر	فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا	يخفى عليه بعدها والدانى

قال البيهقى فى كتاب (الأسماء والصفات): السمع الذى له سمع يدرك به المسموعات، والبصير من له بصر يدرك به المرئيات، ولكل منها فى حق البارى صفة قائمة بذاته، وقد أفادت الأحاديث الرد على من زعم أنه سميع بصير بمعنى عليم، كما أخرج أبو داود بسند قوى على شرط مسلم من حديث أبى هريرة قال: رأيت رسول الله ﷺ يقرأ قوله سبحانه: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ - إلى قوله - ﴿إن الله كان سميعاً بصيراً﴾ويضع أصبعيه، قال أبو يونس: وضع أبو هريرة إبهامه على أذنه والتى تليها على عينه، قال البيهقى وأراد بهذه الإشارة تحقيق إثبات السمع والبصر لله ببيان محلهما من الإنسان، يريد أن له سمعاً وبصراً، لا أن المراد به العلم، فإنه لو كان المراد به العلم لأشار إلى القلب لأنه محل العلم، ولم يرد الجارحة، فإن الله منزه عن مشابهة المخلوقين، ثم ذكر لحديث أبى هريرة شاهداً من حديث عقبة بن عامر: سمعت رسول الله ﷺ يقول

على المنبر: «ربنا سميع بصير» وأشار إلى عينيه، وسنده حسن.

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: «أن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم». انتهى.

ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل فى صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر فصح أن كونه سميعاً بصيراً يفيد قدراً زائداً على كونه عليما، وكونه سميعاً بصيراً يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر، كما تضمن كونه عليما أنه يعلم بعلم، ولا فرق بين كونه سميعاً بصيراً وبين كونه ذا سمع وبصر، وقال وهذا قول أهل السنة قاطبة ذكره فى (فتح البارى).

وفى هذه الآية وغيرها دليل على ثبوت الأفعال الاختيارية لله وقيامها به كقوله سبحانه وتعالى: ﴿**كل يوم هو فى شأن**﴾، وقوله: ﴿**فسيرى الله عملكم ورسوله**﴾ الآيه. وفى هذه الآية الشكوى إلى الله سبحانه وتعالى، وأن الشكوى إليه سبحانه لاتنافى الصبر كهذه الآية، وكشكاية يعقوب إلى الله، وأما الشكوى إلى مخلوق فإنها تنافى الصبر، والشكوى نوعان: شكوى بلسان المقال وشكوى بلسان الحال، وفعلها أعظم، وأما إخبار المخلوق بالحال فإن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته لم يقدح ذلك فى الصبر كإخبار الطبيب للمريض، وقد كان النبى إذا دخل على مريض يسأله عن حاله ويقول: كيف تجدك، انتهى. من كلام ابن القيم بتصرف.

قوله: ﴿**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا**﴾: الآية، سبب نزول هذه الآية أن اليهود حين سمعوا قوله: ﴿**من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا**﴾: قالوا إن إله محمد يستقرض منا فنحن إذاً أغنياء وهو فقير.

قوله: ﴿**سنكتب ما قالوا**﴾: أى سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوا فى الصحائف.

أفادت هذه الآية كغيرها من الآيات والأحاديث إثبات صفة السمع لله كما يليق بجلاله، وفى قوله: ﴿**لقد سمع الله**﴾ تحذير وتخويف، فإنه ليس المراد به مجرد الإخبار بالسمع لكن المراد مع ذلك الإخبار بما يترتب على ذلك من المجازاة

بالعدل وأفادت إثبات وجود الحفظة وانهم يكتبون ما يقال، وسيأتى الكلام على الحفظة.

قوله: ﴿أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم﴾: السر: هو حديث الإنسان بينه وبين نفسه أو غيره فى خفية، والنجوى: هو ما يتحدث به الإنسان مع رفيقه ويخفيه عن غيره.

قوله : ﴿بلى﴾: أى نسمع سرهم ونجواهم، فهو سبحانه السميع الذى أحاط سمعه بجميع المسموعات.

قوله: ﴿ورسلنا﴾ : أى الملائكة الحفظة للأعمال **﴿لديهم﴾**: أى عندهم .

قوله: ﴿يكتبون﴾: أى يكتبون ما يقولون وما يفعلون.

فهذه الآية فيها تحذير وتخويف، فإن طريقة القرآن بذكر العلم والقدرة تهديداً وتخويفاً لترتب الجزاء عليها كهذه الآية، وقوله: **﴿اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾** الآية، وليس المراد به مجرد الإخبار بالقدرة والعلم لكن الإخبار مع ذلك بما يترتب عليهما مع الجزاء بالعدل، انتهى. من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

وفى هذه الآية دليل على إثبات صفة السمع وإحاطته إحاطة تامة بكل مسموع، وفيها دليل على وجود الملائكة الحفظة، وأنهم يكتبون كل ما قال العبد أو فعل أو نوى أو همّ به؛ لأن النية فعل القلب فدخلت فى عموم قوله: **﴿يعلمون ما تفعلون﴾** ويشهد لذلك قوله ﷺ: «**إذا همّ عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها عليه، وإذا هم عبدى بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة وإن عملها فاكتبوها له عشرا**».

ويجب الإيمان بالحفظة، والأدلة على إثبات وجودهم من الكتاب والسنة كثيرة، قال تعالى: **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** وقوله: **﴿وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾**.

قال علماؤنا منهم ابن حمدان فى (نهاية المبتدئين): الرقيب والعتيد ملكان موكلان بالعبد يجب أن نؤمن بهما ونصدق بأنهما يكتبان أفعاله، واستدل بالآيتين المذكورتين، قال ولا يفارقان العبد بحال، وقيل بل عند الخلاء، وقال الحسن: إن

وقوله: ﴿إننى معكما أسمع وأرى﴾. وقوله: ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى﴾.

الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين: عند غائطه وعند جماعه ومفارقتهما للمكلف حينئذ لا يمنع من كتابتهما ما يصدر منه فى تلك الحال كالاعتقاد القلبى يجعل الله لهما أمارة على ذلك.

قوله: ﴿إننى معكما﴾: أى يقول سبحانه لكليمه موسى عليه السلام وأخيه هارون: **﴿إننى معكما﴾** أى بحفظى ونصرى وكلاءتى وتأييدى.

قوله: ﴿أسمع وأرى﴾: أى أسمع كلامكما وكلامه وأرى مكانكما ومكانه ولايخفى على شىء من أمركم، فأنا معكما بحفظى ونصرى، وهذه المعية الخاصة التى تقتضى الحفظ والنصر والتأييد والإعانة كقوله: **﴿كلا إن معى ربى سيهدين﴾**، وقول النبى ﷺ: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما لاتحزن إن الله معنا**».

والمعية تنقسم إلى قسمين: معية خاصة ومعية عامة، فالعامة: هى معية العلم والإحاطة كقوله سبحانه: **﴿وهو معكم أينما كنتم﴾**.

والثانية: وهى المعية الخاصة وهى معية القرب كما تقدم كقوله: **﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾** والفرق بينهما أنها إذا جاءت المعية فى سياق المحاسبة والمجازاة والتخويف فهى عامة، وإذا أتت فى سياق مدح أو ثناء فهى معية خاصة، وكلا المعيتين منه سبحانه مصاحبة للعبد لكن هذه مصاحبة اطلاع وإحاطة، وهذه مصاحبة موالاة ونصر وحفظ، فمع فى لغة العرب للصحبة اللائقة لاتشعر بامتزاج ولا اختلاط ولا مجاورة ولا مجانبة كقوله سبحانه: **﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾** وتقول زوجتى معى، وهذه المعية لا تنافى علو الله على عرشه فإن قربه ومعيته ليست كقرب الأجسام بعضها من بعض، ليس كمثله شىء؛ كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وهذا شأن جميع ماوصف الله به نفسه، فلو قال فى قوله: **﴿إننى معكما أسمع وأرى﴾** كيف يسمع وكيف يرى؟ لقلنا: السمع والرؤية معلوم والكيف مجهول، ولو قال كيف يتكلم لقلنا الكلام معلوم والكيف مجهول.

وقوله: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾: أى أما علم هذا الناهى عن الهدى أن الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أتم الجزاء، وهذا وعيد.

وقوله تعالى: ﴿الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين إنه هو السميع العليم﴾ .

وقوله: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ .

قوله: ﴿يراك﴾: أى يبصرك وينظر إليك لاتخفى عليه خافية، فتوكل عليه فإنه سيحفظك وينصرك ويعزك، وتضمن ذلك الوعد بالإثابة على ذلك أتم الثواب.

وقوله: ﴿حين تقوم﴾: أى يراك حين تقوم للصلاة وغيرها **﴿ وتقلبك فى الساجدين﴾**: أى يرى تقلبك فى الساجدين من قيام وقعود ورموع وسجود ففيه فضيلة صلاة الجماعة . أستفيد من هذه الآيات إثبات صفة السمع والبصر وإثبات علمه المحيط واستفيد منه كما تقدم الاشارة إلى فضيلة السمع على البصر لتقديمه عليه .

وقوله: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾.

أى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين اعملوا ما شئتم واستمروا على باطلكم ولاتحسبوا أن ذلك سيخفى عليه وهذا وعيد شديد لمن خالف أوامره.

قوله: ﴿فسيرى الله عملكم﴾ الآية، أى سيظهر أعمالكم للناس فى الدنيا، وهذا وعيد للمخالف أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه وعلى الرسول وعلى المؤمنين وهذا كائن لامحالة يوم القيامة كما قال سبحانه: **﴿ويومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية﴾** وقال: **﴿يوم تبلى السرائر﴾** وقد يظهر الله ذلك للناس فى الدنيا كما روى الإمام أحمد عن أبى سعيد مرفوعاً: «**لو أن أحدكم يعمل فى صخرة ليس لها باب ولا منفذ لأخرج الله عمله للناس كائناً ما كان**» وقد ورد أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر فى البرزخ.

ففى هذه الآية إثبات الكلام، وفيها دليل على ثبوت الأفعال الاختيارية للرب وقيامها به وأدلة ذلك كثيرة تزيد على الألف كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى. وقال شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية فى كتاب (الرد على المنطقيين) قوله: **﴿فسيرى الله عملكم﴾**وقوله: **﴿إلا لنعلم من**

يتبع الرسول﴾ أى لنرى أو لنميز، وهكذا قال عامة المفسرين إلا لنرى ونميز، وكذا قال جماعة من أهل العلم. قالوا لنعلمه موجوداً واقعاً بعد أن كان قد علم أنه سيكون، ولفظ بعضهم قال العلم على منزلتين: علم بالشىء قبل وجوده وعلم به بعد وجوده والحكم للعلم به بعد وجوده؛ لأنه يوجب الثواب والعقاب، قال فمعنى قوله: **﴿إلا لنعلم﴾** أى لنعلم العلم الذى يستحق به العامل الثواب والعقاب، ولا ريب أنه كان عالما سبحانه بأنه سيكون لكن لم يكن المعلوم قد وجد، والقرآن قد أخبر أنه سبحانه يعلم ما سيكون فى غير موضع وأخبر بما أخبر به من ذلك قبل أن يكون، وقد أخبر بعلمه المتقدم على وجوده ثم لما خلقه علمه كائناً مع علمه الذى تقدم أن سيكون، فهذا هو الكمال، وقد ذكر الله علمه بما سيكون بعد أن يكون فى بضع عشرة آية من القرآن كقوله سبحانه: **﴿وماجعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول﴾** مع اخباره فى مواضع كثيرة من أنه يعلم ما سيكون قبل أن يكون.

وفى هذه الآيات دليل واضح على أن الله موصوف بصفات الكمال من العلم والقدرة والإرادة والحياة والكلام والسمع والبصر والوجه واليدين والغضب والرضا والفرح والضحك والرحمة والحكمة، وبالأفعال كالمجىء والإتيان والنزول إلى سماء الدنيا ونحو ذلك، والعلم بمجىء ذلك عن الرسول ﷺ ضرورى وإخباره به ضرورى فوق العلم بوجوب الصلاة والزكاة وتحريم الفواحش، وفرض على الأمة تصديقه فرضا لا يتم أصل الإيمان إلا به خلافاً للجهمية والمعتزلة وأشباههم.

وفى هذه الآيات أيضاً إشارة إلى إنه ينبغى للعبد أن يعبد الله سبحانه وتعالى على استحضار قربه وإطلاعه وأنه بين يديه، وذلك يوجب للعبد الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ويوجب النصح فى العبادة، وهذا هو مقام الإحسان كما فى حديث عمر: « الإحسان أن تعبد الله كإنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وقد دل القرآن على هذا المعنى فى مواضع كثيرة، وكذلك وردت أحاديث صحيحه بالندب إلى استحضارهذا القرب فى حال العبادات كقوله ﷺ: «**إذا قام أحدكم يصلي فإنه يناجى ربه**» . انتهى. من كلام ابن رجب بتصرف.

قوله: ﴿وهو شديد المحال﴾: أى شديد مماحلته فى عقوبة من طغى عليه وعتى وتمادى فى كفره، وعن على رضى الله عنه: شديد المحال: أى شديد الأخذ، وروى شديد القوة، قال النسفى فى تفسيره: والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه

وقوله:﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾.وقوله﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لايشعرون﴾. وقوله تعالى:﴿إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيداً﴾.

يأتيهم بالهلكة من حيث لايحتسبون. انتهى.

وقوله:﴿ومكروا﴾: أى كفار بنى إسرائيل حين أرادوا قتل عيسى وصلبه، والمكر فعل شيء يراد به ضده.

قوله:﴿ومكر الله﴾: أى جازاهم على مكرهم بأن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل كما روى ذلك.

قوله:﴿والله خير الماكرين﴾: أى أقوى المجازين وأقدرهم على العقاب من حيث لايشعر المعاقب، انتهى. نسفى.

قوله:﴿ومكروا﴾: أى دبروا أمرهم على قتل صالح عليه السلام وأهله على وجه الخفية حتى من قومهم خوفاً من أوليائه.

قوله:﴿ومكرنا مكرا﴾ أى بنصر نبينا صالح عليه السلام وإهلاك قومه المكذبين، وقال تعالى: **﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾**.

هذه الآيات فيها التحذير من الأمن من مكر الله، قال الحسن رحمه الله تعالى: من وسع الله عليه فلا يرى أنه يمكر به فلا رأى له وفى الحديث: «**إذا رأيت الله يعطى العبد على معاصيه ما يحب فاعلم أنما هو استدراج**» رواه أحمد وابن جرير، وابن أبى حاتم، وهذا هو تفسير المكر فى قول بعض السلف يستدرجهم الله بالنعم إذا عصوه ويملى لهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وهذا معنى المكر والخديعة ونحو ذلك، ذكره ابن جرير بمعناه. انتهى. من «فتح المجيد».

قوله: **﴿إنهم يكيدون كيدا﴾**: أى أن كفار قريش يكيدون كيداً، وكيدهم هو ما دبروه فى شأن رسول الله ﷺ من الإضرار به وإبطال أمره.

قوله:﴿وأكيد كيدا﴾: أى أجازيهم على كيدهم، والكيد استدراجهم كما فى الآية: **﴿سنستدرجهم من حيث لايعلمون﴾** قال ابن القيم رحمه الله تعالى: إن الله سبحانه وتعالى يكيدهم كما يكيدون دينه ورسوله وعباده، وكيده سبحانه: استدراجهم من حيث لايعلمون والإملاء لهم حتى يأخذهم على غرة، فإذا فعل ذلك أعداء الله بأوليائه ودينه كان كيد الله لهم حسناً لاقبح فيه فيعطيهم ويستدرجهم من حيث لايعلمون. انتهى. بتصرف.

وقوله: ﴿إن تبدو خيرا أو تخفوه أو تعفو عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا﴾.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: المكر ينقسم إلى قسمين: محمود، ومذموم. فإن حقيقة إظهار أمر وإخفاء خلافه ليتوصل إلى مراده فمن المحمود مكره سبحانه بأهل المكر مقابلة لهم بفعلهم وجزاء لهم من جنس عملهم، قال تعالى: **﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾** وكذلك الكيد ينقسم إلى نوعين، قال تعالى: **﴿وأملى لهم إن كيدى متين﴾** وقوله: **﴿وكذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك﴾**وكذلك الخداع ينقسم إلى محمود، ومذموم. فإن كان بحق فهو محمود، وإن كان بباطل فهو مذموم. انتهى.

وهذه التفاسير المتقدمة للمكر والكيد والخداع ونحو ذلك ليست من باب التأويل الذى ينكره أهل السنة الجماعة، بل من باب التفسير فإن جميع الصحابة والتابعين يصفون الله سبحانه وتعالى بأنه شديد القوة وكذلك شديد المكر وشديد الأخذ كما وصف الله سبحانه نفسه بذلك فى غير آية من كتابه كقوله: **﴿إن أخذه أليم شديد﴾**،وقوله: **﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾**، وقوله: **﴿إن ربك لشديد العقاب﴾** فيمرون هذه الآيات على ظواهرها ويعرفون معناها ولكن لايكيفونها ولايشبهونها بصفات المخلوقين، وهذا مجمع عليه بين أهل السنة. انتهى. ملخصا من رد الشيخ عبد الله بن محمد على الزيدية.

وقال ابن القيم رحمه الله فى «الصواعق»: والله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً، لا ذلك داخل فى أسمائه الحسنى، فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقاً، بل تمدح فى موضع وتذم فى موضع فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله سبحانه وتعالى مطلقاً، فلا يقال إن الله يمكر ويخادع ويستهزئ، فكذلك بطريق الأولى أن لايشتق له منها أسماء يسمى بها، بل إذا كان لم يأت فى أسمائه الحسنى المريد ولا المتكلم ولا الفاعل ولا الصانع، لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم، فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزئ، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل، والمقصود أن الله لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه وتعالى.

قوله: **﴿إن تبدو خيرا﴾**: أى تظهروه.

وقوله تعالى:﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾.

قوله:﴿أو تخفوه﴾ أى فتعملوا سرا، وهذا عام شامل لكل خير قولى أو فعلى ظاهر أو باطن.

قوله:﴿أو تعفو عن سوء﴾: أى تتجاوزوا عمن أساء إليكم فى أنفسكم أو أموالكم أو غير ذلك. فالعفو هو التجاوز عن الذنب والصفح عنه، فعفا تأتى فى اللغة لمعانى:

الأول: عفا عن الذنب، أى صفح عنه وعفى أسقط حقه كما قال تعالى: **﴿إلا أن يعفون﴾**: أى يسقطوا حقوقهم، وعفى القوم، أى كثروا، ومنه حتى عفوا أى كثروا وعفى المنزل أى انطمس، ومنه قول حسان.

عفت ذات الأصابع فالجواء　　　　أى زالت وزال أهلها وانطمست

قوله :﴿عفواً﴾ :معناه ذو العفو، وهو ترك المؤاخذة على ارتكاب الذنب وهو أبلغ من المغفرة فإنها مشتقة من الغفر وهو الستر، والعفو إزالة الأثر، ومنه عفت الديار. قال ابن القيم فى «النونية» :

وهو العفو فعفوه وسع الورى　　　　لولاه غار الأرض بالسكان

قوله:﴿قديرا﴾: أى قادراً على كل شىء.

قال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله: فمن جعل شيئا من الأعمال خارجاً عن قدرته ومشيئته فقد ألحد فى أسمائه وآياته بخلاف ما عليه القدرية. انتهى.

قوله:﴿وليعفوا وليصفحوا﴾: العفو: الستر والتجاوز، والصفح: الإعراض، مشتق من صفحة العنق،وهو أن يعرض عن عقاب المذنب وعتابه وكأنه ولاه صفحة عنقه وهو أبلغ من العفو لأن الصفح لالوم فيه ولا تثريب.

هذه الآية نزلت فى شأن أبى بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه فى أمر عائشة،وكان مسكينا بدريا مهاجراً، فلما تلاها النبى ﷺ على أبى بكر قال: بلى أحب أن يغفر الله لى، وردّ على مسطح نفقته.

وقوله:﴿ والله غفور رحيم﴾: غفور، أى كثير المغفرة وقد تقدم الكلام على ذلك. فى هذه الآيات وصفه سبحانه وتعالى بالعفو والغفور، وفيها الحث على الصفح والعفو ومكارم الأخلاق ومعالى الأمور، وفيها أن ما ذكر سبب للمغفرة،

وفيها دليل على أن الجزاء من جنس العمل، والأدلة على ذلك فى الكتاب والسنة كثيرة، وفيها حلم الله سبحانه وكرمه ولطفه بعباده مع ظلمهم لأنفسهم، وفيها إثبات فعل العبد وأنه فاعل حقيقة، والرد على المجبرة الذين يزعمون أن العبد لا فعل له وإنما ينسب إليه الفعل على جهة المجاز، ولو كان الأمر كما يزعمون لم يؤمر بما ذكر ولم ينسب إليه الفعل ولم يعاقب على سوء، وقولهم باطل ترده أدلة الكتاب والسنة بل الفطرة والعقل وطرده يختل به النظام ولايمكن أن تعيش عليه أمة أبداً.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ثم ختم الآية بصفتين من صفاته سبحانه مناسبتين لما تضمنته، فقال: ﴿**والله غفور رحيم**﴾ ففيه إشارة إلى أن كل اسم يناسب ما ذكر معه واقترن به من فعله وأمره سبحانه، وفيها أن أسماء الرب مشتقة من أوصاف ومعانى قامت به سبحانه، فهى أسماء وهى أوصاف وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظاً لامعانى لها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على المدح ولا الكمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب فى مقام أسماء الرحمة والإحسان، فيقال اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنك أنت المنتقم ونحو ذلك، ونفى معانى أسمائه سبحانه وتعالى من أعظم الإلحاد فيها . انتهى.

قوله: ﴿ولله العزة﴾: يعنى الغلبة والقدرة، فمن يريد العزة فليطلبها بطاعة الله وطاعة رسوله، فالعزة والعلو إنما هما لأهل الإيمان، قال تعالى: ﴿**وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**﴾ فللعبد من العلو بحسب ما معه من الإيمان، قال تعالى: ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ فله من العزة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظه من العلو والعزة ففى مقالة ما فاته من حقائق الإيمان علما وعملا، ظاهراً وباطناً، فالمؤمن عزيز عال مؤيد منصور مكفى مدفوع عنه بالذات أين كان، ولو اجتمع عليه من أقطارها إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته، فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد بحسب ما نقص من إيمانه، انتهى. من كلام شيخ الإسلام بتصرف.

وفى هذه الآية إثبات العزة لله سبحانه وتعالى الكاملة من جميع الوجوه، قال تعالى: ﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾ والعزة فى الأصل؛ القوة والغلبة والشدة، تقول: عز يعز بكسر العين إذا صار عزيزا، وعز يعز بالفتح إذا اشتد وقوى، ومنه أرض عزاز، أى صلبة، وعز يعز بالضم إذا غلب وقهر، فلاسمه العزيز سبحانه ثلاثة معانى:

قوله تعالى: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ وقوله: ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾.

الأول: بمعنى الممتنع الجناب عن أن يصل إليه ضرر أو يلحقه نقص أو عيب، كقوله: ﴿**وما ذلك على الله بعزيز**﴾.

الثانى: بمعنى القوة كقولهم: «من عزيز»

الثالث: بمعنى غلبة الغير وقهره، ومنه: ﴿**وعزنى بالخطاب**﴾: أى غلبنى.

وكل هذه المعانى ثابتة لله سبحانه وتعالى بمقتضى اسمه العزيز كما قال: ﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾ فأل تفيد الاستغراق والشمول لجميع معانى العز، قال ابن القيم فى «النونية»:

وهو العزيز فلن يرام جنابه	أنى يرام جناب ذى سلطان
وهو العزيز القاهر العلاب لم	يغلبه شيء، هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هى وصفه	فالعز حينئذ ثلاث معان
وهى التى كملت له سبحانه	من كل وجه عادم النقصان

قال ابن القيم رحمه الله فى كتابه «المدراج»: فاسمه العزيز يتضمن كمال قدرته وقوته وقهره، وهذه العزة مستلزمة للوحدانية، إذ الشركة تنقص كمال العزة. انتهى.

قوله: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾: فيه دليل على الحلف بعزة الله سبحانه، وكذا غيرها من صفاته، وفيه دليل على أن صفات الله غير مخلوقة، إذ الحلف بالمخلوق شرك، وفيه إثبات العزة لله سبحانه رداً على من قال عزيز بلا عزة، كما قالوا إنه عليم بلا علم، والعزة المضافة إليه سبحانه تنقسم إلى قسمين: قسم يضاف إليه سبحانه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهى العزة المخلوقة التى يعز بها أنبيائه وعباده الصالحين.

والثانى: يضاف إليه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كما فى هذه الآية وكما فى الحديث: «**أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**».

قوله: ﴿تبارك﴾: أى تعاظم، وهو فعل ماض لا يتصرف، وهو خاص بالله سبحانه وتعالى، والبركة **لغة**: النماء والزيادة، والتبريك الدعاء بذلك، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: البركة نوعان.

أحدهما: بركة هي فعله، والفعل منها بارك والمفعول منها مبارك، وهو ما جعل فيها ذلك فكان مباركاً بجعله سبحانه.

والثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة والفعل منها تبارك، ولهذا لايقال لغيره ذلك ولايصلح إلاله سبحانه، فهو المتبارك ورسوله مبارك. كما قال المسيح: ﴿**وجعلني مباركاً أينما كنت**﴾ وأما صفته سبحانه وتعالى تبارك فمختصة به سبحانه كما أطلقها على نفسه. انتهى، ملخصا من «البدائع».

قوله: ﴿**فاعبده**﴾: أي أفرده بالعباده ولا تعبد معه غيره، وهذا أمر بإفراده سبحانه بالعباده، ويتضمن النهي عن عبادة ما سواه، وعبادته سبحانه وتعالى هي أعظم واجب، والإشراك به هو أعظم محرم على الإطلاق، والعبادة **لغة**: الذل، يقال طريق معبد إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام كما قال الشاعر:

تباري عتاقا ناجيات واتبعت   وضيفا وضيفا فوق مور معبد

والعبادة شرعا: ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي، وعرفها الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى بقوله: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة كالصلاة والصوم والحج ونحو ذلك، وفيها دليل على أن العبادة تجب على كل مكلف، وأنه مهما بلغ فلن يصل إلى حد تسقط عنه التكاليف الشرعية، ومن زعم ذلك فهو كافر بالله العظيم، فإن قوله: ﴿ **فاعبده**﴾ خطاب لنبيه، وأمته تبع له، فإذا كان هذا في حقه ﷺ فغيره من باب أولى وأحرى، وللعبادة شروط لا تصح إلا بها:

الأول: الإخلاص، وهو أن يكون العمل لله سبحانه وتعالى. **الثاني**: المتابعة، وهو أن يكون العمل على سنة رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿**بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن**﴾ فقوله: ﴿**من**﴾ إشارة إلى الإخلاص، وقوله: ﴿**وهو محسن**﴾ إشارة إلى المتابعة، وقال الفضيل بن عياض في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾ قال: أخلصه وأصوبه، قيل: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابًا، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على سنة رسول الله ﷺ، وللعبادة ثلاثة أركان وهي: المحبة والخوف والرجاء.

قوله: ﴿**هل تعلم له سميا**﴾: أي هل تعلم له مساميًا ومشابها ومماثلا من

وقوله :﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾، وقوله :﴿فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون﴾.

المخلوقين؟ وهذا استفهام بمعنى النفى المعلوم بالعقل، أى لا تعلم له مشابهًا؛ لأنه الرب وغيره المربوب، الغنى من جميع الوجوه، وغيره الفقير، الكامل الذى له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص من جميع الوجوه، فهذا برهان قاطع على أنه هو المستحق للعبادة وأن عبادة غيره باطلة، وفى الآية دليل على أنه لا مثل له ولا شبيه ولا نظير لا فى ذاته ولا فى صفاته، ولا فى أسمائه ولا فى أفعاله، وهذا النفى متضمن لإثبات جميع صفات الكمال على وجه الإكمال، وهذا هو المعقول فى فطر الناس، فإذا قالوا فلان لا مثل له ولا شبه له، فإنهم يريدون أنه تفرد فى الصفات والأفعال والمجد فلا يلحقه فيه غيره. وفى الآية دليل على إثبات الصفات لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلال الله وعظمته. وفيه دليل على كثرة الصفات وعظمتها، فلو كان المراد به نفى صفاته لكان ذلك وصفًا بغاية الذم، فإن النفى المحض عدم،والعدم لا يمدح به أحد، وإنما يكون النفى كمالا إذا تضمن الإثبات كقوله تعالى: ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾،أى لكمال حياته وقيوميته.

وفيه دليل على نفى المثلية، فاتفاق اسم الخالق واسم المخلوق لا يقضى بتماثلهما، فصفات الخالق تناسبه وتليق بذاته، وصفات المخلوق تناسبه.

قوله :﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾: قد تقدم الكلام على ذلك.

قوله: ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا﴾: أى أمثالا ونظراء تعبدونهم كعبادته وتساوونهم به فى المحبة والتعظيم،فلا ند له فى ذاته ولافى صفاته،ولا فى أفعاله ولافى عبادته، والند فى **اللغة**: المثل والنظير والشبيه،يقال فلان ند فلان، أي شبيهه ونظيره، كما قال حسان بن ثابت رضى الله عنه:

أتهجوه ولست له بند ... فشركما لخيركما الفداء

واتخاذ الند ينقسم إلى قسمين: قسم من الشرك الأكبر كاتخاذ ند يدعوه أو يرجوه أو يخافه أو يذبح له أو ينذر له ونحو ذلك، كما فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله،أى الذنب أعظم؟ قال:«**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**» الحديث. قال ابن القيم رحمه الله فى كتابه «الكافية الشافية»:

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ... ذا القسم ليس بقابل الغفران

وهو اتخاذ الند للرحمن أيا ... كان من حجر ومن إنسان

يدعوه أو يرجوه ثم يخافــــه ويحبــه كمحبـــة الرحمـــن

القسم الثانى: ما هو من نوع الشرك الأصغر كقول الرجل: ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت لم يكن كذا، والحلف بغير الله ونحو ذلك كما فى حديث ابن عباس أن رجلا قال للنبى ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال النبى ﷺ: «**أجعلتنى لله ندًا؟ قل: ما شاء الله وحده**» أخرجه النسائى وابن ماجه.

قوله: ﴿وأنتم تعلمون﴾:أى أنه ربكم وخالقكم وخالق كل شىء، فهو المستحق للعبادة، فكيف تجعلون له أندادًا وقد علمتم أنه لا ند له يشاركه فى فعله.

ففى هذه الآية الرد على جميع فرق الضلال، ففيه الرد على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، والذين يشبهون خلقه به كعبدة الأوثان، وفيها الرد على القدرية الذين يزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه استقلالا بدون مشيئة الله فيكون شريكا لله سبحانه وتعالى وندًا، وفيها الرد على المعطلة الذين نفوا صفات الله فرارًا من التشبيه فشبهوه بالمعدومات والناقصات، وفيها دليل على أن معرفة الله والإقرار به فطرى ضرروى فطر الله عليه العباد كما فى الحديث: «**ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**».

وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل به المعرفة كما قال تعالى: ﴿**أفى الله شك**﴾، أى أيشك فى الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده، وأى دليل أصح وأظهر من هذا المدلول. قال ابن القيم رحمه الله: وسمعت شيخ الإسلام يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شىء، وكان كثيرًا يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

وقد تكلم الشيخ ابن تيمية رحمه الله على قول من قال إن أول واجب هو النظر أو القصد إلى النظر أو الشك، وبيّن أنها كلها غلط مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة وباطلة بالعقل أيضًا، وقرر هو وغيره أن أول واجب على العبد هو التوحيد كما فى حديث معاذ رضى الله عنه حين بعثه النبى ﷺ إلى اليمن وقال: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله**» وفى رواية: «**إلى أن يوحدوا الله**» وكذلك جميع الرسل أول ما يفتتحون دعوتهم بالدعوة إلى التوحيد.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: أول من أنكر معرفة الله الفطرية هم أهل

وقوله تعالى:﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًا لله﴾.

الكلام الذين اتفق السلف على ذمه من الجهمية والقدرية، وهم عند سلف الأمة من أجهل الطوائف وأضلهم. انتهى. وفيها الرد على من زعم أن القرآن مخلوق بقوله: ﴿**إنا جعلناه قرآنًا عربيًا**﴾ ويزعم أن جعل بمعنى خلق. فرد أحمد عليهم بقوله سبحانه: ﴿**فلا تجعلوا لله أندادًا**﴾فليست جعل بمعنى خلق هنا. وفيها أنه سبحانه يحتج على المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية على إثبات توحيد الألوهية. وفيها الاستدلال بهذه المخلوقات على وجوده سبحانه، فهى دليل وآية على توحيد الله، سبحانه وإثبات أسمائه وصفاته وكماله وصدق رسله عليهم الصلاة والسلام، ويروى أنه سئل بعض الأعراب ما الدليل على وجود الرب؟فقال للسائل: يا سبحان الله إن البعر ليدل على البعير وإن أثر الأقدام ليدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحر ذات أمواج ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير.

قوله: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا﴾: أى نظراء وأمثالا يساويهم فى الله بالعبادة والمحبة والتعظيم، وهؤلاء لايساوونهم بالله فى الرزق والتدبير، وإنما يسوونهم بالله فى المحبة فيعبدونهم ليقربوهم إلى الله زلفى، فأخبر سبحانه أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا، ففيها دليل على أنه سبحانه لا ند له وإنما المشركون جعلوا بعض المخلوقات أندادا له تسمية مجردة ولفظا فارغا من المعنى كما قال تعالى: ﴿**وجعلوا لله شركاء**﴾ الآية، والمذكور فى الآية هو المحبة الشركية المستلزمة للخوف والتعظيم والإجلال والإيثار على مراد النفس، فمحبة الله سبحانه هى أصل دين الإسلام وبكمالها يكمل، فهى أعظم الفروض، فصرفها لغير الله شرك أكبر كما قال سبحانه: ﴿**وما هم بخارجين من النار**﴾.

قال ابن القيم رحمه الله: فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه، أى مع الله بعبادته له ،وتوحيد الحب أن لا يبقى فى القلب بقية حب حتى يبذلها له.

وقوله:﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾:أى من أصحاب الأنداد لأندادهم، فمحبة المؤمنين لربهم لا تساويها محبة، والمعنى والذين آمنوا أشد حبا لله من محبة أهل الأنداد لله؛ لأن محبة المؤمنين لله خالصة ومحبة المشركين لله مشتركة قد أخذت أندادهم قسطًا من محبتهم، والمحبة الخالصة أشد من المشتركة، ففى هذه الآيات

وقوله تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا﴾.

أن من أشرك مع الله غيره فى المحبة فقد جعله شريكا لله واتخذ ندا لله، وأن ذلك هو الشرك الأكبر، فالمحبة تنقسم إلى أقسام كما ذكره ابن القيم رحمه الله وغيره.

الأول: محبة الله سبحانه، ولا تكفى وحدها بالنجاة من النار والفوز بالجنة، فإن المشركين يحبون الله سبحانه. **الثانى**: محبة ما يحبه الله، وهذه المحبة هى التى تدخل فى الإسلام وتخرج من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة. **الثالث**: المحبة فى الله ولله، وهى فرض كمحبة أولياء الله وبغض أعداء الله، وهى من مكملات محبة الله ومن لوازمها، فالمحبة التامة مستلزمة لموافقة المحبوب فى محبوبه ومكروهه وولايته وعداوته، ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض أعداء الله ويحب أولياءه. **الرابع**: المحبة مع الله، المحبة الشركية وهى المستلزمة للخوف والتعظيم والإجلال فهذه لا تصلح إلا لله سبحانه، ومتى أحب العبد بها غير الله فقد أشرك الشرك الأكبر. **الخامس**: المحبة الطبيعية وهى ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة المال والولد ونحو ذلك، فهذه المحبة لا تذم إلا إن أشغلت وألهت عن طاعة الله كما قال سبحانه: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾**.

قوله: ﴿وقل الحمد لله﴾: ال للاستغراق والشمول، أى الحمد كله لله، فهو المستحق للحمد لما اتصف به من صفات الكمال، والحمد هو الثناء عليه سبحانه بما هو أهله والثناء هو ذكر الصفات الجميلة مرة بعد أخرى، وأما الثناء بتقديم النون فيكون فى الخير والشر، وأما المجد فهو ذكر صفات الجلال والعظمة، وأما الشكر فهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما، وشرعًا هو صرف العبد جميع ما أنعم الله لما خلق لأجله.

والفرق بين الحمد والشكر، أن الشكر يكون باللسان والجنان والأركان، أما الحمد فلا يكون إلا باللسان والجنان، وأيضًا فإن الشكر لا يكون إلا فى مقابلة نعمة، وأما الحمد فهو يكون فى مقابلة نعمه وفى غير مقابلة نعمه. قال الشيخ تقى الدين بن تيمية: والحمد نوعان: حمد على إحسانه إلى عباده وهو من الشكر، وحمد لما يستحقه من نعوت كماله، وإنما يستحق ذلك من هو متصف

بصفات الكمال وهى أمور وجودية فإن الأمور العدمية لا حمد فيها ولا خير ولا كمال، ومعلوم أن كل ما يحمد فإنما يحمد على ما له من صفات الكمال، فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق، فثبت أنه المستحق للمحامد كلها وهو أحق بالحمد من كل محمود وبالكمال من كل كامل. ا. هـ.

قوله: ﴿**الذى لم يتخذ ولدا**﴾: هذا رد على اليهود والنصارى والمشركين، فإن النصارى يقولون المسيح ابن الله، واليهود يقولون العزير ابن الله، والمشركين يقولون الملائكة بنات الله.

قوله: ﴿**ولم يكن له شريك فى الملك**﴾ هذا رد على المجوس والمشركين والقدرية.

قوله: ﴿**ولم يكن له ولى من الذل**﴾: أى ليس بذليل فيحتاج إلى أن يكون له ولى أو وزير أو مشير؛ لأنه سبحانه عزيز لا يفتقر إلى ولى يحميه ويمنعه من الذل، فنفى الولاية على هذا المعنى لأنه غنى عنها ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده، فلم ينف الولى نفيًا عاما مطلقًا، بل نفى أن يكون له ولى من الذل، وأثبت في موضع آخر أن يكون له أولياء بقوله: ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ فهذه موالاة رحمه وإحسان، والموالاة المنفية موالاة حاجة وذل كما أشار إلى هذا المعنى ابن القيم رحمه الله.

وقوله: ﴿**وكبره تكبيرا**﴾: أى عظمه عما يقوله الظالمون المخالفون للرسل.

ففى هذه الآية أمر نبيه بحمده؛ لأنه المستحق أن يحمد لما اتصف به من صفات الكمال وفيها تنزيهه سبحانه عن الولد، وذلك لكمال صمديته سبحانه وغناه وتعبد كل شىء له، فاتخاذ الولد ينافى ذلك كما قال سبحانه: ﴿**وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الأرض**﴾ الآية.

وفيها تنزيهه سبحانه أن يكون له شريك فى الملك المتضمن تفرده بالربوبية والألوهية وتوحده بصفات الكمال التى لا يوصف بها غيره. وهذه الآية آية عظيمة، وتسمى آية العز. قال ابن كثير: قال قتادة: ذكر لنا أن النبى ﷺ كان يعلم أهله هذه الآية الصغير والكبير.

قلت: وقد جاء فى حديث أن الرسول ﷺ سمى هذه الآية آية العز، وفى بعض الآثار أنها ما قرئت فى بيت فى ليلة فيصيبه سرق أو آفة. انتهى. من كلام ابن كثير.

قوله تعالى: ﴿يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير﴾. وقوله: ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا. الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً وخلق كل شىء فقدره تقديرا﴾.

قوله: ﴿يسبح لله﴾: أى ينزهه عما لا يليق بجلاله وعظمته، فالتسبيح يقتضى التنزيه لله سبحانه من كل سوء وعيب وإثبات صفات الكمال لله سبحانه.

وهذا التسبيح قيل بلسان الحال وقيل بلسان المقال وهو الصحيح، والله سبحانه قادر على خلق الإدراك فى الجمادات وإنطاقها كما قال سبحانه عن الجلود: **﴿أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء﴾** والأصل فى الكلام الحقيقة، وقد سمع النبى ﷺ تسبيح الحصى، وورد أن النبى ﷺ قال: «**إنى لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علىّ**» وكما فى الحديث أن النبى ﷺ لما خطب على المنبر حن الجذع الذى كان يخطب عليه سابقا وقال تعالى: **﴿وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾** الآية.

قوله: ﴿ما فى السموات وما فى الأرض﴾: أى جميع ما فى السموات والأرض يسبح لله وحده وينزهه عما لا يليق بجلاله وعظمته، وقدم السموات على الأرض لأنها مقدمة بالرتبة والفضل والشرف، أفاده ابن القيم فى «البدائع».

قوله: ﴿له الملك﴾: أى هو المالك وحده لجميع المخلوقات النافذ فيها أمره، يتصرف فيها كيف يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لأمره.

قوله: ﴿يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير﴾: ففى هذه الآية دليل على وجود التسبيح من جميع المخلوقات وأنه تسبيح حقيقى وأنه سبحانه قادر على خلق الإدراك للجمادات وقادر على إنطاقها، وفيها إثبات جميع صفات الكمال لله سبحانه ونفى كل نقص وعيب، لأن التسبيح يقتضى ذلك.

قوله: ﴿تبارك﴾: من البركة وهو **لغة**: النماء والزيادة، وتبارك فعل مختص بالله لم ينطق له بمضارع.

قوله: ﴿الذى نزل الفرقان﴾: أى القرآن سمى بذلك؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل ومنه الفاروق، وفيه دليل على أن القرآن منزل من عند الله، وفيه دليل

على علوه سبحانه على خلقه، لأن الإنزال والتنزيل لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل، وأفادت هذه الآية فضل هذا الكتاب على الكتب الأخرى.

قوله: ﴿على عبده﴾: أى على عبده ورسوله محمد ﷺ، وهذا صفة مدح وثناء؛ لأنه أضافه إلى عبوديته ووصفه بها فى أشرف مقاماته مقام الإرسال كقوله سبحانه: **﴿وإنه لما قام عبد الله يدعوه﴾** ومقام الإسراء كقوله سبحانه: **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾** ومقام التحدى كقوله سبحانه: **﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا﴾** الآية، وهذه الإضافة إضافة تشريف وتعظيم، وتقدم أن المضاف إليه سبحانه ينقسم إلى قسمين: إضافة أعيان وإضافة معان، فإضافة المعانى إليه سبحانه وتعالى من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كإضافة السمع والبصر والعلم والقدرة ونحو ذلك إليه سبحانه من كل شىء لا يقوم بنفسه. الثانى: إضافة الأعيان إليه سبحانه، فإضافتها إليه سبحانه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، كبيت الله وناقة الله والحجر يمين الله وعبد الله ورسول الله ونحو ذلك. وفى هذه الآية فضل نبينا ﷺ حيث أضافه إليه ووصفه بالعبودية التى هى من أشرف مقامات العبد.

قوله: ﴿ليكون للعالمين نذيرًا﴾: أى منذرًا، والإنذار: هو الإعلام بأسباب المخافة، فكل إنذار إعلام ولا ينعكس. قال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله سبحانه وتعالى: والإنذار المذكور فى الآية إنذار عام، فإن الإنذار ينقسم إلى قسمين: إنذار عام وإنذار خاص. والخاص كقوله سبحانه: **﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾** وقوله: **﴿إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب﴾** الآية.

فهذا الإنذار الخاص هو التام النافع الذى ينتفع به المنذر، والإنذار: هو الإعلام بالخوف، فعلم المخوف فآمن وأطاع. انتهى.

ونذارته ﷺ تنقسم إلى قسمين: عامة وخاصة، فالعامة كما فى هذه الآية، والخاصة كقوله سبحانه: **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** الآية.

قوله: ﴿ليكون للعالمين نذيرا﴾: اللام فى قوله ليكون لام العلة ودخول لام التعليل فى شرعه أكثر من أن يعد ففيه دليل على تعليل أفعال الله وأنه لا يفعل شيئاً إلا لعلة وحكمة.

قال الشيخ تقى الدين: هذا قول السلف وجمهور المسلمين وجمهور العقلاء وقالت طائفة كجهم وأتباعه إنه لم يخلق شيئاً لشيء ووافقه أبو الحسن الأشعرى ومن اتبعه من الفقهاء أتباع الأئمة. انتهى.

قوله: ﴿للعالمين﴾: المراد بالعالمين هنا الجن والإنس، ففيه دليل على عموم رسالته ﷺ وبعثته إلى الجن والإنس، و وفيه دليل على أن الجن مكلفون ويتضمن الدلالة على أنهم يثابون على الحسنات ويجازون على السيئات، وفيه دليل على أن من بلغه للقرآن فقد قامت عليه الحجة لقوله سبحانه وتعالى: **﴿لينذركم به ومن بلغ﴾** الآية، ففيه الرد على من زعم أن كلام الله ورسوله لايفيد اليقين، فلو كان الأمر كما زعم هؤلاء المبتدعة لم تقم بالقرآن حجة على المكلفين، وأفادت هذه الآية الحكمة فى إرسال الرسل وإنزال الكتب.

قوله: ﴿الذى له ملك السموات والأرض﴾: أى له التصرف فيهما والجميع خلقه وعبيده.

قوله: ﴿ولم يتخذ ولداً﴾: أى لكمال غناه وقيامه بنفسه وحاجة كل شىء إليه وافتقاره وقيام كل شىء به سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿وخلق كل شىء﴾ أى أوجد وأنشأ وأبدع، وتأتى خلق بمعنى قدر، وتأتى بمعنى كذب، كما قال سبحانه: **﴿وتخلقون إفكا﴾**، وقال الشاعر:

لى حيلة فيمن ينـــــمّ ... وليس فى الكذاب حيله

من كان يخلق ما يقــول ... فحيلتى فيـــــه قليـله

وقوله: ﴿وخلق كل شىء﴾ أى خلق كل شيء مخلوق فيدخل فى ذلك أفعال العبد فهى خلق لله وفعل للعبد ولايدخل فى ذلك أسماء الله وصفاته؛ لأن الأسماء والصفات تابعة للذات يحتذى فيها حذوها. وعموم **﴿كل﴾** فى كل مقام بحسبه كقوله سبحانه: **﴿تدمر كل شىء بأمر ربها﴾** أى كل شىء أمرت بتدميره وقوله: **﴿وأوتيت من كل شىء﴾** أى من كل شىء يصلح للملوك فلا يدخل فى ذلك القرآن؛ لأن القرآن كلامه وهو صفة من صفاته والله سبحانه وتعالى بصفاته غير مخلوق كما فى الصحيح من حديث خولة: «**من نزل منزلا وقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شىء حتى يرحل من منزله ذلك**»

فاستعاذ بكلمات الله، والاستعاذة بالمخلوق شرك فدل على أن كلامه سبحانه غير مخلوق كما استدل بذلك أحمد وغيره.

قال ابن القيم رحمه الله فى «المدارج»: استدل الجهمية على خلق القرآن بهذه الآية فأجابهم السلف بأن القرآن كلامه سبحانه، وكلامه من صفاته وصفاته داخلة فى مسمى اسمه كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره ووجهه، فليس لله سبحانه وتعالى أسماء لذات لا نعت لها ولا صفة ولا فعل ولا وجه ولا يدين، فإن ذلك إله معدوم مفروض فى الأذهان لا وجود له فى الأعيان كإله الجهمية الذى فرضوه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل فيه ولا منفصل عنه ولامحايد ولا مباين، أما إله العالمين الحق هو الذى دعت إليه الرسل وعرفوه بأسمائه وصفاته وأفعاله فوق سماواته بائن من خلقه موصوف بكل كمال منزه عن كل عيب، فتجريد الذات عن الصفات والصفات عن الذات فرض وخيال ذهنى لا حقيقة له. انتهى.

قوله: ﴿ فقدره تقديرا﴾ أى قدر رزقه وأجله وحياته وموته وما يصلح له، ففيه دليل على الإيمان بالقدر، ودليل على ما سبق علم الله سبحانه وتعالى بالأشياء وكتابتها كما ثبت فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ أنه قال: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**»، وفى البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، وكتب فى الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض**» وفى رواية: «**ثم خلق السموات والأرض**» وأحاديث تقديره وكتابته سبحانه لما يريد أن يخلقه كثيرة جداً.

أفادت هذه الآية عدا ما تقدم عموم ربوبيته سبحانه وتعالى وملكه وأنه الإله الحق وبطلان عبادة ما سواه، وأفادت الحث على التوكل؛ لأن من وقر فى قلبه أن الملك لله وأنه المتصرف النافع الضار لم يبال بأحد من الخلق، وأفادت كما ذكره بعضهم أن العباد لايملكون الأعيان ملكا مطلقا، وإنما يملكون التصرف فيها على مقتضى الشرع، وأفادت تحريم الإفتاء بغير علم؛ لأن ربوبيته وملكه يمنع من الحكم والإفتاء بغير إذنه وبغير حكمه، وأفادت تعدد السموات وأنها أشرف من الأرض؛ لأنه قدمها، وقد تقدم كلام ابن القيم رحمه الله فى هذا الموضوع، وفيها تنزيهه

وقوله: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولَعلاَ بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون....

سبحانه وتعالى عن مشابهة المخلوقين فى قوله: ﴿**ولم يتخذ ولدا**﴾ فإن الولد عادة يكون من جنس الوالد، وفيها الرد على اليهود القائلين: العزيز ابن الله، والنصارى القائلين المسيح ابن الله، والمشركين القائلين الملائكة بنات الله، وفيها الرد على المشركين فى إشراكهم معه غيره، والرد على المجوس القائلين بأن النور خلق الخير، والظلام خلق الشر، والرد على الدهرية القائلين ماهى إلا حياتنا الدنيا، وفيها الرد على القدرية القائلين بأن العباد يخلقون أفعالهم، وتضمن إثبات صفة العلم لله سبحانه وتعالى، فإن الخالق لابد أن يعلم مخلوقه، إذ الخلق فرع العلم فلا يمكن الخلق إلا بعد العلم، قال تعالى: ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾

ففيها الرد على غلاة القدرة الذين نفوا علمه سبحانه، فكفرهم السلف قاطبة بذلك وفيها الرد على من زعم أن العرش غير مخلوق، وفيها الرد على المجبرة القائلين أن العبد لا فعل له وأن فعله كهفيف الأشجار أو كحركة المرتعش، وهذا باطل ترده أدلة الكتاب والسنة بل العقل والفطرة، فإن أفعال العباد داخلة فى عموم كل المضافة إلى شىء، فهى مخلوقة والمخلوق بائن، ومنفصل عن الخالق فليس هو فعله فإذاً لا بد له من فاعل يقوم به وهم العباد وكل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والاضطرارية وقد قال العلماء: أن من صار كالآلة لاضمان عليه لأنه غير مكلف فيلزم على قول هؤلاء المجبرة أن الناس غير مكلفين، وهذا مما يرده أدلة العقل والنقل والفطرة، والأدلة على إثبات فعل العبد وأن له فعلا حقيقة ينسب إليه على جهة الحقيقة لا على جهة المجاز أكثر من أن تحصر، وفيها انتظام هذا الكون واتساقه على أكمل نظام وأتمه مما يدل دلالة واضحة على أن له خالقا ومدبراً وهو الله سبحانه.

قوله: ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾: أى لأنه منزه عن المثل والشبيه والنظير، والولد يشبه والده فلم يتخذ ولداً لكمال صمديته وغناه وملكه وتعبد كل شىء له، فاتخاذ الولد ينافى ذلك كما قال سبحانه: ﴿**وقالو اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الأرض**﴾ ففيه الرد على من زعم أن له ولداً

كاليهود والنصارى والمشركين وغيرهم والرد على المشبهة الممثلة.

قوله:﴿وما كان معه من إله﴾:أى ليس معه سبحانه شريك فى الألوهية لتفرده سبحانه بالألوهيةوالربوبية وتوجده بصفات الكمال التى لايوصف بها غيره سبحانه فيكون شريكا له، وكذا كل سلب وجد فهو لتضمنه إثبات كمال ضده، وإلا فالسلب المحض ليس بمدح ولا ثناء.انتهى. من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

قوله:﴿إذاً لذهب كل إله بما خلق﴾: أى لو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق، أى انفرد به ومنع غيره من الاستيلاء عليه، فلو قدر ذلك لما كان ينتظم الوجود، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق، **﴿ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت﴾**.

قوله:﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾: أى لو كان معه إله لعلا بعضهم على بعض مغالبة كفعل ملوك الدنيا، فكل واحد منهم يطلب قهر الآخر، والمتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا بدليل التمانع.

قوله:﴿سبحان الله﴾: أى تنزيها لله سبحانه والتسبيح : التنزيه عن كل نقص وعيب.

قوله:﴿عما يصفون﴾: أى تنزيها لله سبحانه عما يصفه به المخالفون للرسل عليهم السلام.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: تأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين، فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابديه النفع ويدفع عنهم الضر، فلو كان معه إله آخر لكان له خلق وفعل،وحينئذ فلا يرضى شركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره والتفرد بالألوهية دونه فعل.وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بممالكهم إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد أمور ثلاثة:

إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض، وإما أن يكونوا كلهم تحت قهر إله واحد يتصرف بهم ولا يتصرفون فيه، فيكون وحده هو الإله الحق وهم العبيد المربوبون المقهورون، وانتظام أمر العالم العلوى والسفلى

عالم الغيب والشهادة فتعالى الله عما يشركون﴾.

وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لايختلف ولايفسد من أدل دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره، كما دل دليل التمانع على أن خالقه واحد لارب غيره فذلك تمانع فى الفعل والإيجاد، وهذا تمانع فى الغاية والألوهية، فكما يستحيل أن يكون للكون ربان خالقان متكافئان، كذلك يستحيل أن يكون له إلهان معبودان. اهـ.

قوله: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أى يعلم ما غاب عن العباد وما شاهدوه، والغيب ينقسم إلى قسمين: غيب مطلق، وغيب مقيد.

فالمطلق: لايعلمه إلا الله وهو ما غاب عن جميع المخلوقين الذى قال فيه: **﴿فلا يظهر على غيبه أحدا﴾**.

والغيب المقيد: ما علمه بعض المخلوقات من الجن والإنس، فهو غيب عمن غاب عنه وليس هو غيبا عمن شهده، والناس قد يغيب عن هذا ما يشهده هذا فيكون غيبا مقيدا، أى غيبا عمن غاب عنه من المخلوقين لا عمن شهده، وليس هو غيبا مطلقا عن المخلوقين قاطبة. انتهى. من كلام شيخ الإسلام بتصرف.

قوله: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾: قوله: **﴿فتعالى﴾** أى علا وتنزه وتقدس عما لا يليق بجلاله فله سبحانه العلو الكامل المطلق من جميع الوجوه، علو القهر، أى أنه علا على كل شىء بمعنى أنه قاهر له، قادر عليه متصرف فيه كما قال تعالى: **﴿إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾** انتهى. وله سبحانه وتعالى علو القدر، فتعالى سبحانه وتنزه عن المثيل والنظير وتنزه عن النقائص والعيوب كما قال: **﴿سبحانه عما يشركون﴾** وفى دعاء الاستفتاح: **«وتعالى جدك»**، وله سبحانه علو الذات، أى أنه عال على الجميع فوق عرشه وإثبات علوه سبحانه على ما سواه وقدرته عليه وقهره يقتضى ربوبيته له وخلقه له، وذلك يستلزم ثبوت الكمال، وعلو عن الأمثال يقتضى أنه لا مثل له فى صفات الكمال فاسمه العلى الأعلى يتضمن اتصافه بجميع صفات الكمال وتنزيهه عما ينافيها من صفات النقص وعن أن يكون له مثل، وأنه لا إله إلا هو ولا رب سواه. انتهى. ملخصا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

قوله: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ـ قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق. وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾.

قوله: ﴿**فلاتضربوا لله الأمثال**﴾: يعنى الأشباه فتشبهونه بخلقه وتجعلون له شريكا فإنه سبحانه لا مثل له ولا ند له لا فى ذاته ولا فى أسمائه وصفاته ولا فى أفعاله، وضرب المثل هو تشبيه حال بحال، فلا يمثل سبحانه وتعالى بخلقه ولا يشبه بهم سبحانه وتعالى فإنه سبحانه لامثل له.

قال الشيخ تقى الدين بن تيمية فى أثناء كلام له: والله سبحانه لاتضرب له الأمثال التى فيها مماثلة لخلقه فإن الله لا مثل له، بل له المثل الأعلى فلا يجوز أن يشرك هو والمخلوق فى قياس تمثيل ولا قياس شمول تستوى أفراده، بل يستعمل فى حقه المثل الأعلى، وهو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال فالخالق أولى به، وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أولى بالتنزيه، قال تعالى: ﴿**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون**﴾ وهذا يبين أن العالم أكمل ممن لا يعلم، وحينئذ فالمتصف به أولى ولله المثل الأعلى، وقال تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً**﴾ فدل على أن السميع البصير الغنى أكمل وأن المعبود يجب أن يكون كذلك، فمن جعل الواجب الوجود لايقبل الاتصاف بصفات الكمال المذكورة فقد جعله من جنس الأصنام الجامدة التى عابها الله وعاب عابديها، والله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال، بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون من سواه فأفاد الأصلين اللذين بهما يتم التوحيد، وهو إثبات صفات الكمال رداً على أهل التعطيل وبيان أنه المستحق للعبادة لا إله إلا هو رداً على المشركين. انتهى.

وقوله: ﴿**إن الله يعلم وأنتم لاتعلمون**﴾: أى يعلم أنه لا مثل له ولا ند وأنه الإله الحق لا إله غيره وأنتم بجهلكم تشركون به غيره من الأوثان والأنداد وتشبهونها به

قوله: ﴿**قل**﴾: أى قل يامحمد، ففيه دليل على أن القران كلام الله ليس كلام محمد ولا غيره، وإنما محمد عليه الصلاة والسلام مبلغ لكلام الله.

قوله: ﴿**إنما**﴾: أداة حصر تثبت المذكور وتنفى ما سواه

قوله: ﴿حرم﴾: أى جعله حراماً ومنع منه، والحرام شرعاً: هو ما أثبت تاركه وعوقب فاعله وبمعناه المحظور والممنوع، والتحريم ينقسم إلى قسمين: شرعى كما فى هذه الآية، وكونى قدرى كما فى قوله تعالى: ﴿**وحرام على قرية أهلكناها أنهم إلينا لا يرجعون**﴾.

قوله: ﴿ربى﴾: الرب هو الخالق الرازق المحيى المميت المدبر لجميع الأمور وإذا أفرد أو عرف لم يطلق إلا على الله سبحانه وتعالى، أما إذا أضيف فيطلق على غيره ما يقال رب الدار ، ورب الدابة ونحو ذلك.

قوله: ﴿الفواحش﴾: هى جمع فاحشة،وهو ما استعظم من الذنوب والمعاصى كالزنا واللواط وقتل النفس ونحو ذلك سماه الله فاحشة لتناهى قبحه.

قال ابن القيم رحمه الله فى كتابه «المدارج»: فيه دليل على أن الأفعال التى توصف بأنها حسنة وقبيحة، كما أنها نافعة وضارة ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهى، قال تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾ وقال : ﴿**ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون**﴾ وعلى أحد القولين هو أن المعنى لم يهلكهم بظلم قبل إرسال الرسل، فتكون الآية دالة على الأصلين أن أفعالهم وشركهم قبيح قبل البعثة وأنه لا يعاقبهم إلا بعد الإرسال.

قوله : ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾: أى ما أعلن منها وما أسر.

قوله: ﴿والإثم﴾: أى الذنب تعميم بعد تخصيص، وقيل المراد بالإثم: الخمر كما قال الشاعر:

شربت الإثم حتى ضل عقلى — كذاك الإثم تذهب بالعقول

قوله: ﴿والبغى﴾:هو التعدى على الناس.

قال ابن القيم فى«**المدارج**»: وأما الإثم والعدوان فهما قرينان، قال تعالى: ﴿**ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾ فكل منهما إذا انفرد تضمن الآخر، فكل إثم عدوان إذ فعل ما نهى الله عنه وترك ما أمر الله به فهو عدوان على أمره ونهيه، وكل عدوان إثم فإنه يأثم به صاحبه، ولكن عند اقترانهما فهما شيئان بحسب متعلقهما ووصفهما، فالإثم: ما كان محرم الجنس كالكذب والزنا وشرب الخمر،

والعدوان: ما كان محرم القدر والزيادة، فالعدوان تعدى ما أبيح منه إلى القدر المحرم كالاعتداء فى أخذ الحق ممن هو عليه، إما أن يتعدى على ماله أو بدنه أو عرضه وهذا نوعان: عدوان فى حق الله، وعدوان فى حق العبد.

فالعدوان فى حق الله كما إذا تعدى ما أبيح له من الوطء الحلال فى الأزواج والمملوكات إلى ما حرم عليه من سواهما، والإثم والعدوان هما الإثم والبغى المذكوران فى سورة الأعراف مع أن الغالب استعماله فى حقوق العباد والاستطالة عليهم، وعلى هذا فإذا اقترن بالعدوان كان البغى ظلمهم بمحرم الجنس كالسرقة والكذب والبهت والعدوان تعدى الحق فى استيفائه إلى أكبر منه، فيكون البغى والعدوان فى حقهم كالإثم والعدوان فى حدود الله. انتهى. بتصرف.

قوله: ﴿وأن تشركوا بالله﴾: أى تصرفوا شيئا من حق الله سبحانه إلى غيره من الأوثان والأنداد، والشرك بالله هو أعظم الذنوب على الإطلاق وأجهل الجهل وأظلم الظلم كما فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك وعقوق الوالدين**»، وكان متكئاً فجلس وقال: «**ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور**» فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. وفى الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود أنه قال للنبى ﷺ: أى الذنب عند الله أعظم؟ فقال: «**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**» قال: قلت: ثم أى؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**» قال: قلت: ثم أى؟ قال: «**أن تزانى بحليلة جارك**».

والشرك ينقسم إلى قسمين: أكبر وأصغر، فحد الشرك الأكبر هو تسوية غير الله بالله فيما هو خاص بالله.

قال ابن القيم رحمه الله: هو التشبه بالله أو تشبيه غيره به والتعريفان متقاربان. وأما الشرك الأصغر فحده ما ورد فى النصوص تسميته شركا ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر.

وينقسم الشرك الأكبر إلى قسمين: شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته، وقسم يتعلق بمعاملته.

فالنوع الأول ينقسم إلى قسمين: شرك تعطيل وشرك تمثيل.

فشرك التعطيل ينقسم إلى ثلاثة أقسام: تعطيل المخلوق من خالقه، وتعطيل

الصانع من كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته، وتعطيل حق معاملته، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

القسم الثانى: شرك التمثيل وينقسم إلى قسمين: تشبيه المخلوق بالخالق، كشرك النصارى وعبدة الأوثان، شبهوا أوثانهم بالله وعبدوها معه. القسم الثانى: تشبيه الخالق بالمخلوق، كأن تقول: يد الله كأيدينا. وعين الله كأعيننا ونحو ذلك، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

النوع الثانى: شرك يتعلق بمعاملته سبحانه وهذا ينقسم إلى أقسام:

الأول: شرك الدعوة كقوله تعالى: **﴿وإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾**.

الثانى: شرك المحبة كقوله سبحانه: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾** الآية.

الثالث: شرك الطاعة كقوله سبحانه: **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾** الآية.

الرابع: شرك الإرادة والقصد كقوله سبحانه: **﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾**.

ويفترق الشرك الأكبر عن الشرك الأصغر فى أمور؛ منها أن الشرك الأكبر لا يغفر لصاحبه لقوله تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾**. أما الشرك الأصغر فهو تحت مشيئة الله سبحانه. ومنها أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال لقوله تعالى: **﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً﴾** وقوله: **﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك﴾** الآية. وأما الشرك الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذى قارنه.

ومنها أن الشرك الأكبر مخرج من الملة الإسلامية، والأصغر لا يخرج من الملة الإسلامية.

ومنها أن المشرك شرك أكبر خالد مخلد فى النار، أما المشرك شرك أصغر فهو كغيره من الذنوب.

وقوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فى سبعة مواضع ـ فى سورة الأعراف فى قوله سبحانه: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾.

قوله: **﴿مالم ينزل به سلطاناً﴾**: أى برهان وحجة بل أنزل البرهان والحجة فى تحريمه وأنه أعظم الذنوب على الإطلاق، والسلطان والبرهان والحجة والدليل ألفاظ مترادفة، وسلطان يأتى بمعنى الحجة كما فى هذه الآية ويأتى بمعنى الملك كقوله: **﴿هلك عنى سلطانيه﴾** ويأتى بمعنى التسلط والسيطرة كقوله: **﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا﴾** الآية.

قوله: ﴿وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون﴾: أى وأن تقولوا على الله من الافتراء والكذب مالا علم لكم به، فختم هذه المحرمات بالقول على الله بلا علم؛ لأنه أصلها وأعظمها، وأصل كل بدعة وحدث فى الدين، ففيه تحريم القول على الله بلا علم، فى أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه وقدره ووصفه بضد ما وصف به نفسه. ا. هـ.

وفى هذه الآية رتب المحرمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها وهى الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريما وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريما منهما وهو الشرك بالله، ثم ربع بما هو أعظم تحريماً من ذلك كله وهو القول على الله بلا علم، فى أسمائه وصفاته وأفعاله وفى دينه وشرعه. انتهى. من كلام ابن القيم رحمه الله.

قوله: ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾: فى سبعة مواضع، أى أنه نص فى معناه لايحتمل التأويل، وصريح فى أنه بذاته استوى استواء يليق بجلاله وعظمته.

قوله: ﴿إن ربكم الله﴾: أى هو المعبود وحده لاشريك له وعبادة غيره باطلة.

قوله: ﴿الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام﴾: خلق، أى أنشأ وأوجد والخلق هو اختراع الشىء على غير مثال سبق، ففيه إضافة الفعل والخلق إليه سبحانه على جهة الحقيقة؛ لأنها الأصل. وقد رد ابن القيم رحمه الله على من زعم أن خلقه وفعله مجاز من وجوه عديدة.

قوله: ﴿فى ستة أيام﴾: أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة وفيه اجتمع الخلق كلهم وهذه الأيام كأيامنا، هذا هو المتبادر إلى الأذهان وهو ظاهر الأدلة.

قوله: ﴿**ثم استوى على العرش**﴾ أى استوى استواء يليق بجلاله، وعظمته لاتكيفه ولا تمثله ولا يعلم كيف هو إلا هو كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به، واجب والسؤال عنه بدعة، فقول مالك: الاستواء معلوم، أى فى لغة العرب، وقوله: والكيف مجهول، أى كيفية استوائه لا يعلمها إلاهو، والإيمان به أى بالاستواء واجب لتكاثر الأدلة فى إثباته، والسؤال عنه، أى عن الكيفية بدعة إذ لايعلم كيفية استوائه إلا هو، فإن الكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات فكما نعلم أن لله ذاتاً لاتشبه الذوات، فكذلك يجب أن نثبت له صفاتاً لاتشبه الصفات، فإثباتنا للصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف وتمثيل، إذ العلم بالصفة فرع عن العلم بالموصوف، ولا يعلم كيف هو إلا هو، وكذلك يقال فى بقية الصفات كصفة المجىء والنزول والإتيان والوجه واليد ونحو ذلك، فهذا الجواب الوارد عن مالك رحمه الله كاف شاف فى سائر الصفات.

قال الذهبى: فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء لله وأخبروا أنه معلوم لايحتاج لفظه إلى نفسير ونفوا عنه الكيفية، أما معنى الاستواء فى اللغة فلها أربعة معان تأتى بمعنى علا وبمعنى ارتفع وبمعنى صعد واستقر كما قال ابن القيم رحمه الله فى كتابه المسمى بـ (النونية) :

ولهم عبارات عليها أربع	قد فسرت للفارس الطعان
وهى استقر وقد علا وكذلك ار	تفع الذى ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذى هو رابع	وأبو عبيدة صاحب الشيبانى
يختار هذا القول فى تفسيره	أدرى من الجهمى بالقرآن
والأشعرى يقول تفسير استوى	بحقيقة استولى على الأكوان

فهذه الأربعة التى ذكرها ابن القيم رحمه الله هى التى تدور عليها تفاسير السلف رحمهم الله، قال البخارى رحمه الله فى صحيحه: قال مجاهد: استوى علا على العرش، وقال إسحاق بن راهويه سمعت غير واحد من المفسرين يقولون: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾، أى ارتفع، وقال محمد بن جرير فى قوله: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾، أى علا وارتفع، وشواهده فى أقوال

الصحابة والتابعين وأتباعهم معروفة.

وأما تفسير ﴿**استوى**﴾ باستولى أو ملك أو قهر فهو تفسير باطل مردود من وجوه عديدة.

منها أن هذا التفسير لم يفسره به أحد من السلف لا من الصحابة ولا من التابعين بل أول من عرف عنه هذا التفسير بعض الجهمية والمعتزلة.

ثانيا: إن الاستواء فى لغة العرب الذين نزل القرآن بلغتهم نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق مالم يقيد بحرف كقوله تعالى: ﴿**لما بلغ أشده واستوى**﴾ وهذه معناها تم وكمل ، وأما المقيد فثلاثة أنواع: أحدها مقيد بإلى كقوله: ﴿**ثم استوى إلى السماء**﴾ وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف. الثانى: مقيد بعلى كقوله: ﴿**لتستووا على ظهوره**﴾ وقوله: ﴿**واستوت على الجودى**﴾وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة. الثالث: المقرون بواو المعية كقولهم: استوى الماء والخشبة، وهذا بمعنى ساواها، فهذه معانى الاستواء المعقولة فى كلامهم ليس فيها معنى استولى البتة ولا نقله أحد من أئمة اللغة، وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق الجهمية والمعتزلة مستدلين ببيت للأخطل النصرانى وهو قوله:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف أو دم مهراق

وهذا البيت ليس من شعر العرب، وأهل اللغة لما سمعوه أنكروه غاية الإنكار ولم يجعلوه من لغة العرب.

ثالثا: إن معنى هذه الكلمة مشهور كما قال مالك وربيعة وغيرهم.

رابعا: إنه لو لم يكن معنى الاستواء فى الآية معلوماً لم يحتج أن يقول والكيف مجهول؛ لأن نفى العلم بالكيف لاينفى إلا ما قد علم أصله.

خامسا: إن الاستواء خاص بالعرش، وأما الاستيلاء فهو عام على سائر المخلوقات فلو كان معنى الاستواء الاستيلاء لجاز أن يقول استوى على الماء والهواء والأرض.

سادساً: أنه أخبر بخلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش، وأخبر أن عرشه على الماء قبل خلقلهما، والاستواء متأخر عن خلقهن، والله مستول على العرش قبل خلق السموات وبعده، فعلم أن الاستواء على

العرش الخاص به غير الاستيلاء العام عليه وعلى غيره.

سابعاً: إنه لم يثبت في اللغة أن معنى ﴿**استوى**﴾ استولى، إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المذكور ولم يثبت نقل صحيح أنه عربي، وغير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا بيت مصنوع لايعرف في اللغة، فكيف تعارض أدلة الكتاب والسنة ببيت شعر لنصراني ومع ذلك لم يثبت، قال الشيخ تقي الدين رحمه الله في (لاميته) المشهورة:

قبحا لمن نبذ الكتاب وراءه ... وإذا استدل يقول قال الأخطل

وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه النونية:

ودليلهم في ذاك بيت قاله ... فيما يقال الأخطل النصراني

إلى غير ذلك من الوجوه التي ذكرها أهل العلم في رد وإبطال هذا التفسير، وقد أنهاها ابن القيم رحمه الله إلى اثنين وأربعين وجهاً.

قوله: ﴿**العرش**﴾ **هو لغة**: عبارة عن السرير الذي للملك كما قال تعالى عن بلقيس: ﴿**ولها عرش عظيم**﴾ فالعرش سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات.

قال البيهقي رحمه الله: اتفقت أقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به، كما خلق بيتاً في الأرض وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله، وقد اختلف العلماء في السابق بالخلق هل هو العرش أو القلم، ونظم ذلك ابن القيم في (النونية) بقوله:

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الأديان

هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند أبي العلا الهمذاني

والحق أن العرش قبل لانه ... قبل الكتابة كان ذا أركان

وكتابه القلم الشريف تعقبت ... إيجاده من غير فصل زمان

وقوله تعالى: ﴿يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا﴾، وقوله: ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾. وقوله: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾.

قوله:﴿يغشى﴾: أى يغطى **﴿الليل النهار﴾** فيذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا بظلام هذا، وكل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً، أى سريعاً لايتأخر عنه بل إذا ذهب هذا جاء هذا وعكسه.

قوله:﴿ الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ أى الجميع تحت قهره وتصريفه ومشيئته.

قوله: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾: أى هو خالق كل شىء،وهذا عام فيشمل أفعال العباد، وله الأمر، أى الملك والتصرف،فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه، والأمر ينقسم إلى قسمين: أمر شرعى دينى كقوله:**﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾** وأمر كونى قدرى كقوله:**﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾** الآية. تضمنت هذه الآية إثبات أنواع التوحيد الثلاثة، وأفادت الرد على الفلاسفة القائلين بقدم هذه المخلوقات، وأفادت عموم خلقه لهذه المخلوقات فيشمل ذواتها وصفاتها، وأفادت الاستدلال بهذه المخلوقات على وجود الخالق، وأفادت إثبات أسمائه وصفاته وأنه المستحق للعبادة، وأفادت إثبات صفة الخلق، وأفادت إثبات الأفعال الاختيارية اللازمة والمتعدية.

وأفادت إثبات خلق السموات ووجودها،وأفادت تعددها،وأفادت فضل السماء على الأرض،وأفادت أن خلق هذه المخلوقات فى ستة أيام أولها يوم الأحد، وأفادت إثبات الاستواء على العرش استواء يليق بجلاله،وتضمنت إثبات العلو لله، وأفادت أن الاستواء صفة فعل،وأفادت أن الاستواء خاص بالعرش،وأفادت أن العرش مخلوق، وقد ثبت أن العرش مخلوق عظيم ذو قوائم وله حملة خلافاً للمبتدعة الذين ينفون وجود العرش ويقولون عرشه ملكه،فعلى قول هؤلاء المبتدعة يكون قوله تعالى:**﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾**معناه ويحمل ملك ربك، وهذا قول باطل مردود، وأفادت أن الاستواء على العرش بعد خلق السموات والأرض لأنه عقبه بثم،وأفادت الرد على الجهمية وأضرابهم الذين يقولون أن معنى استوى استولى؛ لأنه تحريف وزيادة فى كتاب الله وحمل له على غير ما يحتمل،فتوارد الأدلة على هذا المعنى نص فيه فلا يجوز تأويله، قال ابن القيم:

وقال سبحانه فى سورة يونس: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾.

وقال فى سورة الرعد: ﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾.

نون اليهود ولام جهمى هما   فى وحى رب العرش زائدتان

قال الذهبى: وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله فوق عرشه هو من الجعد بن درهم، وكذلك أنكر جميع الصفات، وقتله خالد بن عبد الله القسرى وقصته مشهورة، فأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان إمام الجهمية فأظهرها واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك فى آخر عصر التابعين، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل الأوزاعى وأبى حنيفة ومالك والليث بن سعد والثورى وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك ومن بعدهم من أئمة الهدى.

وأفادت الاستدلال بهذه المخلوقات على وجود خالقها ومدبرها وأنها آية واضحة ودلالة صريحة على وجوده سبحانه، وأنه المدبر والمسخر لهذه المخلوقات، وهى مستلزمة للعلم بصفات كماله، وتضمن ذلك أنه المعبود الحق وأن عبادة غيره باطلة، إذ ما سواه عاجز، والعاجز لايصلح للأهلية، وأفادت التفريق بين الخلق والأمر وفيه الرد على الجهمية والمعتزلة القائلين بأن كلام الله مخلوق وأن خلقه وأمره واحد ويروى عن سفيان الثورى رضى الله عنه أنه قال: فرق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فهو كافر. انتهى.

وفيها الرد على من زعم من الفلاسفة أن العرش هو الخالق الصانع، وفيها الرد على من زعم أن العرش لم يزل مع الله وهو مذهب باطل، انتهى. من(فتح البارى).

قوله: ﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها﴾: أى رفع السموات بغير عمد بل بإذنه وتسخيره رفعها عن الأرض بعداً لاينال ولايدرك مداها كما فى حديث: «**إن بعد مابين السماء والأرض خمسمائة عام وكذلك بعد ما بين السموات**» وجاء عن بعض السلف: أن ما بين العرش إلى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة، وبعد ما بين قطريه خمسين ألف سنة وهو من ياقوتة حمراء.

قوله: ﴿ بغيرعمد ترونها﴾: أى بغير عمد.

وقال تعالى فى سورة طه: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، وقال فى سورة الفرقان: ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾، وقال فى سورة السجدة: ﴿الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾، وقال فى سورة الحديد: ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ .وقوله تعالى: ﴿ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إليّ - بل رفعه الله إليه﴾.

وقوله: ﴿ترونها﴾: تأكيد للنفى،أى هى مرفوعة بغير عمد كما ترونها. قال ابن كثير : وهذا هو الأكمل فى القدرة.

وقوله فى سورة طه: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ إلخ الآيات - فهذه الآيات فيها دلالة واضحة على إثبات الاستواء عل العرش وأنه استواء حقيقة يليق بجلاله وعظمته، وفيها الرد على من زعم أن ذلك مجاز عن القهر أو الاستيلاء، فيها دليل على إثبات العرش وأنه مخلوق والرد على من زعم أن معنى العرش الملك، وفيها دليل على أن الاستواء صفة فعل، وفى هذه الآيات دليل على علوه سبحانه على خلقه، فأدلة الاستواء كلها أدلة على إثبات العلو، وينقسم العلو إلى ثلاثة أقسام:

الأول: علو القهر. **الثانى**: علو القدر. **الثالث**: علو الذات، خلافاً للمبتدعة الذين ينكرون علو الذات.

وأدلة العلو عقلية، فقد تواطأت أدلة السمع والعقل على إثباته، وكذلك قد فطر الخلق على إثباته، أما الاستواء فدليله سمعى فقط، وهو أيضاً صفة فعل. ا. هـ.

وفى الآيات دليل صحيح على أن الله سبحانه ليس هو عين هذه المخلوقات ولا صفة ولاجزء منها، فإن الخالق غير المخلوق وليس بداخل فيها محصور، بل هى صريحة فى أنه مباين لها وليس حالا فيها ولا محل لها سبحانه. انتهى. من كلام ابن القيم رحمه الله تعالى.

قوله: ﴿ياعيسى إنى متوفيك﴾: أى قابضك من الأرض ورافعك إلى من غير موت من قولهم توفيت الشىء واستوفيته إذا قبضته وأخذته تاما، انتهى. الخازن.

والتوفى الاستيفاء، وهو يصلح لتوفى النوم ولتوفى الموت الذى هو فراق

الروح البدن، ولم يذكر القبض الذى هو قبض الروح والبدن جميعاً، والصواب الذى عليه المحققون أن عيسى عليه السلام لم يمت بحيث فارقت روحه بدنه، بل هو حى مع كونه توفى. انتهى. من اختيارات الشيخ تقى الدين بن تيمية.

قوله:﴿ورافعك إلى﴾:أى رفعه الله سبحانه إلى السماء وهو حى كما قال: **﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾** والضمير فى قوله: **﴿قبل موته﴾** عائد إلى عيسى وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، ونزول عيسى ثابت وهو أحد أشراط الساعة الكبار، وفى الصحيحين عن أبى هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لايقبله أحد**». وفى رواية: «**حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها**» ثم يقول: «**اقرءوا إن شئتم﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾**» وفى هذه الآية إثبات الكلام لله سبحانه والرد على من زعم أن كلامه سبحانه معناه المعنى النفسى، وفيها دليل أن الله رفع عيسى إلى السماء وقبضه إليه، وفيه دليل على علوه سبحانه على خلقه إذ الرفع لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى.

قوله:﴿بل رفعه الله إليه﴾: فى هذه الآية كالآية السابقة دليل على أن الله رفع عيسى عليه السلام إلى السماء وقبضه إليه، وفيها دليل على علوه سبحانه على خلقه، وفى هذه الآية والتى قبلها الرد على اليهود الذين تنقصوه وجعلوه ابن زنا، والرد على النصارى الذين غلوا فيه ورفعوه عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

قوله:﴿إليه﴾:أى إلى الله سبحانه وتعالى. **﴿يصعد﴾**: أى يرتفع والصعود الارتفاع وأما أصعد يصعد بالضم فمعناه أبعد فى الهروب ومنه **﴿إذ تصعدون﴾**.

وقوله:﴿الكلم الطيب﴾: يعنى الذكر والتلاوة والدعاء، قاله غير واحد من السلف، انتهى. من ابن كثير.

قوله: ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ قال مجاهد: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب. وقيل الرفع من صفة لله سبحانه وتعالى،أى العمل الصالح يرفعه الله،
الطيب. وقيل الرفع من صفة لله سبحانه وتعالى،أى العمل الصالح يرفعه الله،

وقوله: ﴿وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب. أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً﴾.

قال سفيان بن عيينة: العمل الصالح هو الخالص، يعنى أن الإخلاص يسبب قبول العمل كما قال سبحانه: ﴿**فليعمل عملا صالحا**﴾ الآية. وقال ابن القيم: العمل الصالح هو الخالى من الرياء المقيد بالسنة فى هذه الآية أيضاً دليل على علو الله سبحانه وتعالى؛ لأن الصعود والرفع لايكون إلا من أسفل إلى أعلى.

قوله: ﴿وقال فرعون﴾: هو ملك القبط فى الديار المصرية، وفرعون لقب لكل من ملك مصر.

قوله: ﴿ياهامان﴾ : أى قال فرعون لوزيره هامان ﴿**ابن لى صرحا**﴾: أى قصراً عالياً منيفاً.

قوله: ﴿لعلى أبلغ الأسباب﴾ أسباب: مفرده سبب والسبب يأتى بمعنى الحبل كقوله: ﴿**فليمدد بسبب من السماء**﴾ والطريق ومنه قوله: ﴿**فأتبع سببا**﴾ والباب كقوله: ﴿**أسباب السموات**﴾.

قوله: ﴿أسباب السموات﴾: أى طرقها وأبوابها ومايؤدى إليها وكل ما أدى إلى شىء فهو سبب إليه كالرشا ونحوه

قوله: ﴿فأطلع﴾: بالنصب على جواب الشرط أى أصعد والاطلاع هو الصعود.

قوله: ﴿إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً﴾: أى فى دعواه أن له إلهاً غيرى وأنه أرسله ففى هذه الآية دليل على أن موسى عليه السلام كان يقول ربه فى السماء وفوعون يظنه كاذباً. فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعونى ومن أثبته فهو موسوى محمدى، ففيها دليل على إثبات علو الله سبحانه على خلقه، وأن موسى عليه السلام أخبر أن ربه فى السماء، وعلو الله سبحانه على خلقه مما تواطأ على إثباته العقل والنقل وفطر الله عليه الخلق، وأدلة إثبات العلو كثيرة جداً تزيد على ألف دليل، قيل لعبد الله بن المبارك كيف نعرف ربنا؟ فقال: بأنه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه. وقال الأوزاعى: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى بائن من خلقه، ونؤمن بما وردت به السنة، وقال أبو عمرو الطلمنكى فى كتاب (الأصول): أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه

وقوله تعالى: ﴿أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور. أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير﴾.

على الحقيقة لاعلى المجاز، ثم ساق بسنده عن مالك قال: الله فى السماء وعلمه فى كل مكان، ثم قال فى هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله: **﴿وهو معكم أينما كنتم﴾** ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء، هذا لفظه فى كتابه، وهذا كثير فى كلام الصحابة والتابعين، والأئمة أثبتوا ما أثبته الله فى كتابه على لسان رسوله على الحقيقة فيما يليق بجلاله وعظمته، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين ولم يمثلوا أو يعطلوا.

قوله: ﴿أأمنتم﴾: من الأمن وهو ضد الخوف.

قوله: ﴿من فى السماء﴾: أى أأمنتم عقاب من فى السماء وهو الله إن عصيتموه، وهذا عند أهل السنة على أحد وجهين.

الأول: أن تكون «فى» بمعنى على.

الثانى: أن يراد بالسماء العلو لايختلفون فى ذلك ولا يجوز الحمل على غيره.

قوله: ﴿أن يخسف بكم﴾: أى كما خسف بقارون.

قوله: ﴿ فإذا هى تمور﴾: أى تضطرب وتتحرك.

قوله: ﴿أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً﴾: أى ريح شديدة سميت بذلك لأنها ترمى الحصباء.

قوله: ﴿فستعلمون كيف نذير﴾: أى إذا رأيتم ذلك علمتم كيف إنذارى حين لاينفعكم العلم. فى هذه الآية إشارة إلى التحذير من الأمن من مكر الله، وفى هذه الآية دلالة واضحة على علو الله سبحانه على خلقه، وقد تواترت فى ذلك الأدلة واتفقت على إثبات العلو جميع الرسل، وذكر ابن القيم أن أدلة العلو تزيد على ألف دليل، وينقسم العلو إلا ثلاثة أقسام كما تقدمت الإشارة إلى ذلك: علو القدر، علو القهر، علو الذات، فله العلو الكامل من جميع الوجوه، قال ابن القيم رحمه الله فى (النونية):

إن العلو بمطلقه على التعـ ميم والإطلاق بالبرهان
وله العلو من الوجوه جميعها ذاتا وقهرا مع علو الشان
وعلوه فوق الخليقة كلها فطرت عليه الخلق والثقلان
كل إذا ما نابه أمر يرى متوجها بضرورة الإنسان
نحو العلو فليس يطلب خلفه وأمامه أو جانب الإنسان

وكذلك الفوقية فإنها ثابتة لله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾، وقوله: ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾ وهى من صفات الذات. وفوق وعلا بمعنى واحد، وفوقيته سبحانه ثابتة كعلوه تواطأت على إثباتها أدلة العقل والنقل والفطر التى لم تتغير وأقسام الفوقية ثلاثة:

فوقية القدر. فوقية القهر. فوقية الذات، خلافاً للجهمية والمعتزلة الذين ينكرون فوقية الذات، قال ابن القيم رحمه الله فى (النونية):

والفوق وصف ثابت بالذات من كل الوجوه لفاطر الأكوان
لكن نفاة الفوق ما وفوا به جحدوا كمال الفوق للرحمن
بل فسروه بأن قدر الله اعـ ـــلا لابفـوق الذات للديان
قالوا وهذا مثل قول الناس فى ذهب يرى من خالص العقيان
وهو فوق جنس الفضة البيضاء لا بالذات لا بل فى مقتضى الأثمان
والفوق أنواع ثلاث كلها لله ثابتة بلا نكران
هذا الذى قالوا وفوق القهر والفوقية العليا على الأكوان

قال ابن القيم رحمه الله: ومما ادعى المعطلة مجازه الفوقية، وقد ورد به القرآن مطلقا بدون حرف ومقترن بحرف.

فالأول كقوله: ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾ فى موضعين. والثانى: كقوله سبحانه: ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾ وفى حديث الأوعال: «**والعرش فوق ذلك**

وقوله تعالى: ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾.

والله فوق العرش لايخفى عليه شىء من أعمالكم» وحقيقة الفوقية علو ذات الشىء على غيره فادعى الجهمى أنه مجاز فى فوقية الرتبة والقهر كما يقال الذهب فوق الفضة، وهذا وإن كان ثابتاً للرب لكن إنكار حقيقة فوقيته سبحانه وحملها على المجاز باطل من وجوه عديدة: أحدها: أن الأصل الحقيقة والمجاز خلاف الأصل.

الثانى: أن الظاهر خلاف ذلك إلى أن قال.

الثالث: أن الفطر والعقول والشرائع وجميع كتب الله المنزلة على خلاف ذلك وساق وجوها عديدة فى إبطال ماذكروه والرد عليهم فى (الصواعق).

قوله: ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ فيه إثبات الأفعال الاختيارية للرب سبحانه، وهى تنقسم إلى قسمين: لازمة كالاستوى والمجىء والنزول، ومتعدية كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحو ذلك، فهو سبحانه موصوف بالنوعين وقد جمعهما فى هذه الآية، وفيها بيان أن الخلق غير المخلوق، لأن نفس خلقه السموات والأرض غير السموات والأرض، وفيها دليل على مباينة الرب سبحانه لخلقه فإنه لم يخلقه فى ذاته بل خلقهم خارجا عن ذاته ثم بان عنهم باستوائه على عرشه وهو يعلم ماهم عليه فيراهم وينفذه بصره فيهم ويحيط بهم علما وقدرة وإرادة وسمعا وبصراً، وهذا معنى كونه معهم أينما كانوا.

قوله: ﴿وهو معكم﴾: أى معكم بعلمه، وقد حكى غير واحد: الإجماع على أن المراد بهذه معية العلم ولا شك فى إرادة ذلك فعلمه بهم وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه مطلع على خلقه لايغيب عنه من أمورهم شىء، فإن «مع» فى لغة العرب لاتقتضى أن يكون أحد الشيئين مختلطا بالآخر، كقوله سبحانه: **﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾** وجاءت المعية فى القرآن عامة وخاصة، فالعامة كما فى هذه الآية فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم، فدل على أنه معهم بالعلم، ولهذا

وقوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولاأكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم﴾.

قال ابن عباس والضحاك وسفيان وأحمد والثورى: وهو معهم بعلمه.

أما المعية الخاصة فكقوله: **﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾** فهو مع المتقين دون الظالمين، فلو كان معنى المعية أنه فى كل مكان بذاته لتناقض الخبر الخاص والعام، بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وحفظه وتأييده دون أولئك.

وقد أخبر فى هذه الآية وغيرها أنه سبحانه مع خلقه مع كونه مستويا على عرشه وقرن بين الأمرين كما قال سبحانه: **﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾** الآية، فأخبر أنه استوى على عرشه وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه كما فى حديث الأوعال، فعلوّه سبحانه لا يناقض معيته، ومعيته لاتبطل علوه فكلاهما حق، فهذه الآية فيها إثبات صفة الخلق كما تقدم، وفيها الرد على من زعم قدم هذه المخلوقات وأنها لم تزل ولا تزال، وفيها إثبات الأفعال الاختيارية، وفيها أن هذه المخلوقات خلقت فى ستة أيام، وفيها إثبات الاستواء وفيها إثبات العرش، وفيها دليل على أن الاستواء صفة فعل، وفيها دليل على إثبات صفة العلم ودليل على شمول العلم لكل شىء من الكليات والجزئيات، وفيها إثبات معيته سبحانه لخلقه وأنها لاتناقض علوه واستوائه على العرش بل كلاهما حق.

وفيها إشارة إلى الندب إلى استحضار قربه واطلاعه كما فى الحديث: **«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك»**.

قوله: ﴿مايكون﴾: أى يوجد فكان تامة

قوله: ﴿من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادهم﴾: النجوى إسرار ثلاثة، فالنجوى الإسرار.

قوله: ﴿رابعهم﴾: لما كان سبحانه وتعالى ليس من جنس خلقه جعل نفسه رابع الثلاثة وسادس الخمسة، إذ هو غيرهم بالحقيقة، والعرب تقول: رابع أربعة وخامس خمسة لما يكون فيه المضاف إليه من جنس المضاف فإذا كان المضاف إليه

من غير جنسه قالوا رابع ثلاثة وسادس خمسة ونحو ذلك، أفاده ابن القيم في (الصواعق).

قوله: ﴿إلاهو معهم﴾: أى مطلع عليهم يسمع كلامهم ويعلم سرهم ونجواهم، ورسله مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علمه وسمعه كما قال سبحانه: **﴿أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾** قال ابن كثير رحمه الله: ولهذا حكى غير واحد: الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه سبحانه، ولاشك في إرادة ذلك ولكن سمعه أيضا مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه مطلع على خلقه لايغيب عنه من أمرهم شيء.

قوله: ﴿ ثم ينبئهم ﴾: أى يخبرهم يوم القيامة بجميع أعمالهم، قال تعالى: **﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾**.

قوله: ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾: قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم، وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: أجمع العلماء من الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل - أى تفسير القرآن - قالوا فى تأويل قوله: **﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم﴾** الآية هو على عرشه وعلمه بكل مكان وما خالفهم فى ذلك من يحتج بقوله.

قوله: ﴿إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا﴾: كان هذا القول عام الهجرة لما هم المشركون بقتل النبى ﷺ أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هارباً صحبه صديقه وصاحبه أبو بكر فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا فى آثارهم ثم يسيرون نحو المدينة، فخاف أبو بكر على النبى ﷺ ، فجعل النبى ﷺ يسكنه ويثبته ويقول: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» كما روى الإمام أحمد فى مسنده عن أنس أن أبا بكرحدثه قال: قلت للنبى ﷺ: ونحن فى الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال رسول الله ﷺ: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» أخرجاه فى الصحيحين، ولذلك قال العلماء: من أنكر صحبة أبى بكر فهو كافر لإنكاره كلام الله وليس ذلك لغير أبى بكر.

وقوله: ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾. وقوله تعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾. وقوله: ﴿وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله﴾، ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾.

قوله: ﴿لاتحزن﴾: الحزن هو ضد السرور.

وقوله: ﴿إن الله معنا﴾: أى بنصره وحفظه وكلاءته، ومن كان الله معه فلا خوف عليه.

قوله: ﴿إننى معكما أسمع وأرى﴾ قد تقدم الكلام على هذه الآية الكريمة فارجع إليه.

وقوله: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾: أى معهم بنصره وحفظه وتأييده، وهذه معية خاصة وأما المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم كما تقدم فى قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فهى مقتضية لتخويف العباد منه.

قوله: ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾: فى هذه الآية الأمر بالصبر وهو دليل على وجوبه وهو شامل لأنواع الصبر الثلاثة، فإن حذف المعمول يؤذن بالعموم.

وقوله: ﴿إن الله مع الصابرين﴾: أى بحفظه ونصره وتأييده وهذه معية خاصة

قوله: ﴿فئة﴾: أى جماعة وهى جمع لاواحد له من لفظه.

قوله: ﴿بإذن الله﴾: أى بقضائه وإرادته ومشيئته.

أفادت هذه الآية كالآية السابقة الحث عى الصبر وأنه أعظم سبب فى تحصيل المقصود، وفيه أيضاً المعية الخاصة للصابرين وأن الله ضمن لهم النصر، وفى حديث ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «واعلم أن النصر مع الصبر» وفيها أن النصر من عند الله سبحانه وتعالى، لا عن كثرة عدد ولاعدة، وإنما تلك أسباب، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بتعاطيها واتخاذها كما قال سبحانه: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ أفادت هذه الآيات المتقدمة إثبات المعية، فالآيتان الأوليان فيهما إثبات المعية العامة، والخمس الآيات الأخيرة فيها إثبات المعية الخاصة ومعيته سبحانه لا تنافى علوه على خلقه واستوائه على عرشه بل تجامعه، فإن قربه سبحانه ومعيته ليست كقرب المخلوق ومعيته ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾.

قوله: ﴿وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله﴾: أى هو إله ومعبود أهل

وقوله تعالى: ﴿ ومن أصدق من الله قيلا﴾ ﴿وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم﴾ـ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾ـ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾.

السموات والأرض، كما تقول فلان أمير في خراسان وفي العراق، فلا يدل على أنه فيهما جميعاً وكذلك قوله: ﴿**وهو الله في السماوات وفي الأرض**﴾ فسره أئمة العلم كالإمام أحمد وغيره أنه المعبود في السموات والأرض، فهذه الآيات لاتخالف الآيات التي فيها إثبات علوه سبحانه واستوائه على عرشه، بل تجامعها، فإن قربه ومعيته كما يليق بجلاله وعظمته، ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾.

قوله: ﴿**ومن أصدق**﴾: لفظه استفهام ومعناه لا أحد أصدق من الله في حديثه وخبره ووعده ووعيده، وكان رسول الله ﷺ يقول في خطبته: «**إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ** ».

قوله: ﴿**ومن أصدق من الله قيلا**﴾: أي لا أحد أصدق من الله قولا ولا خبراً.

قوله: ﴿**ابن مريم**﴾ أضافه إلى أمه لأنه لا أب له فهو من أم بلا أب، ففي هذه الآيات إثبات القول لله سبحانه وتعالى وأنه يقول متى شاء إذا شاء وأن الكلام والقول المضاف إليه سبحانه قديم النوع حادث الأحاد، وفيه دليل على أنه سبحانه يتكلم بحرف وصوت كما يليق بجلاله سبحانه، وفيه الرد على من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسي إذ المعنى المجرد لايسمع.

قوله: ﴿**صدقاً**﴾: أي صدقاً في الإخبار وعدلا في الطلب، فكل ما أخبر به سبحانه فهو حق لامرية فيه ولا شك، فكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل؛ لأنه لاينهى إلا عن مفسدة، والمراد بالكلمة: أمره ونهيه ووعده ووعيده، وكلمات الله نوعان: كونية ودينية.

فكلمات الله الكونية: هي التي استعاذ النبي ﷺ بها في قوله: « **أعوذ بكلمات الله التامات التي لايجاوزهن بر ولا فاجر** »، وكقوله: ﴿**وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا**﴾.

النوع الثاني: الكلمات الدينية: وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله،

وقوله تعالى: ﴿منهم من كلم الله﴾ ـ ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾.

وهى أمره ونهيه، انتهى. من كلام الشيخ تقى الدين بن تيمية.

قوله: ﴿لامبدل لكلماته﴾: أى ليس أحد يعقب حكمه سبحانه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة.

قوله: ﴿وهو السميع العليم﴾: الذى أحاط سمعه بسائر الأصوات وأحاط علمه بالظواهر والخفيات.

قوله: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ خصص الله نبيه موسى عليه السلام بهذه الصفة تشريفا له ولذا يقال لموسى عليه السلام الكليم، وهذا دليل على أن التكليم الذى حصل لموسى عليه السلام أخص من مطلق الوحى، ثم أكده بالمصدر الحقيقى رفعا لما توهمه المعطلة من أنه إلهام أو إشارة أو تعريف للمعنى النفسى بشىء غير التكليم فأكده بالمصدر المفيد تحقق النسبة ورفع توهم المجاز، قال الفراء: إن الكلام إذا أكد بالمصدر ارتفع المجاز وثبتت الحقيقة، ويروى أن رجلا قال لأبى عمرو بن العلاء أريد أن تقرأ: **﴿وكلم الله موسى تكليما﴾**، بنصب لفظ الجلالة فقال له: هب إنى قرأت ذلك فما تقول فى قوله: **﴿وكلمه ربه﴾** فبهت المعتزلى.

قوله: ﴿ منهم من كلم الله﴾: أى كلمه الله كموسى عليه السلام ومحمد وكذلك آدم كما ورد به الحديث المروى فى صحيح ابن حبان عن أبى ذر رضى الله عنه.

قوله: ﴿لميقاتنا﴾: أى للوقت الذى ضربنا أن نكلمه فيه.

قوله: ﴿وكلمه ربه﴾: أى كلمه سبحانه وتعالى بكلام حقيقى يليق بجلاله وعظمته وكلمه بلا واسطة، فهذه الآيات أفادت إثبات صفة الكلام لله، وأنه تكلم ويتكلم سبحانه وتعالى، والأدلة الدالة على أنه يتكلم أكثر من أن تحصر، وفيها الرد على من زعم أن كلامه سبحانه معنى واحد قائم بالنفس لايتصور أن يسمع، وفيها دليل على أن كلامه سبحانه وتعالى حقيقة لا مجاز لأنه أكده بالمصدر، فقال: **﴿وكلم الله موسى تكليما﴾**، أكده بالمصدر لنفى المجاز؛ لأن العرب لا تؤكد بالمصدر إلا إذا أرادت الحقيقة، وفيها دليل على أن الله لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وفيها دليل على أن نوع الكلام قديم وإن لم يكن

﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا﴾ ـ ﴿وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين﴾ ـ ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾ ـ ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾.

الصوت المعين قديما فكلام الله سبحانه وتعالى قديم النوع حادث الآحاد، وتقدمت الإشارة إلى أن كلامه سبحانه وتعالى نوعان: كونى قدرى به توجد الأشياء كما قال سبحانه: **﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾**. الثانى: كلام دينى شرعى ومنه كتبه المنزلة على رسله، فهو الذى تكلم بها حقا وليست مخلوقه، بل هى من جملة صفاته، وصفاته سبحانه غير مخلوقه كما تقدم فى حديث خوله وبه استدل الإمام أحمد وغيره على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأنه أمر بالاستعاذة بكلمات الله والاستعاذة بالمخلوق شرك فدل على أن كلام الله غير مخلوق وتكليمه سبحانه وتعالى لعباده نوعان:

الأول: بلا واسطة كما كلم موسى بن عمران وكما كلم الأبوين وكذا نادى نبينا ليلة الإسراء.

الثانى: تكليمه سبحانه لعباده بواسطة،إما بالوحى الخاص للأنبياء وإما بإرساله إليهم رسولا يكلمهم من أمره بما شاء.

وفى الآيات المتقدمة أيضا دليل على أن الكلام المضاف إليه سبحانه وتعالى من صفاته الذاتية من حيث تعلقها بذاته واتصافه بها، ومن صفاته الفعلية حيث كانت متعلقة بقدرته ومشيئته.

قوله:﴿وناديناه﴾: أى نادينا موسى وكلمناه بقول: **﴿ياموسى إنى أنا الله﴾**، وقوله: **﴿الطور﴾**: هو اسم جبل بين مصر ومدين، وقوله: **﴿الأيمن﴾**: أى الذى يلى يمين موسى حين أقبل من مدين، قوله: **﴿وقربناه نجيا﴾**: أى مناجيا.

وقوله:﴿وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين﴾،وقوله: **﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾**: أى نادى آدم وحواء.

وقوله:﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾: قال بعض السلف ما من فعلة وإن صغرت إلا وينشر لها ديوانان لمَ وكيف، أى لم فعلت وكيف فعلت، فالأول سؤال عن الإخلاص، والثانى سؤال عن المتابعة. فإن الله لايقبل عملا إلا بهما، فطريق التخلص من السؤال الأول بتجريد الإخلاص، وطريق التخلص من

السؤال الثانى بتحقيق المتابعة. انتهى. من الإغاثة، وقال بعض السلف: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين؟ فيسأل عن المعبود وعن العبادة.

أفادت هذه الآيات إثبات صفة الكلام لله وأنه نادى وناجى، وقد جاء النداء فى تسع آيات من القرآن، وكذلك النجاء جاء فى عدة آيات والنداء هو الصوت الرفيع وضده النجاء ففيها إثبات أن الله يتكلم بحرف وصوت يليق بجلاله إذ لا يعقل النداء والنجاء إلا ماكان حرفاً وصوتاً، وقد استفاضت الآثار عن النبى ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة بذلك، وقال ابن القيم رحمه الله فى (النونية):

والله قد نادى الكليم وقبله	سمع النداء فى الجنة الأبوان
وأتى النداء فى تسع آيات له	وصفا فراجعها من القرآن
أيصح فى عقل وفى نقل ندا	ء ليس مسموعا لنا بأذان
أم أجمع العلماء والعقلاء من	أهل اللسان وأهل كل لسان
إن الندا الصوت الرفيع وضده	فهو النجاء كلاهما صوتان

وفى هذه الآيات أيضا الرد على من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسى، إذ المعنى المجرد لايسمع.

وقد رد الشيخ تقى الدين على من زعم ذلك من تسعين وجهاً، قال ابن القيم فى (النونية):

تسعون وجها بينت بطلانه	أعنى كلام النفس ذى البطلان

قال بعض العلماء: من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسى فقد زعم أن الله لم يرسل رسولا ولم ينزل كتابا، وقال: من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسى فقد زعم أن الله أخرس، وقال ابن حجر رحمه الله فى شرح البخارى: ومن نفى الصوت فقد زعم أن الله لم يسمع أحدا من ملائكته ولا رسله كلاما بل ألهمهم إياه إلهاما، وفيها الرد على من زعم أن كلام الله هو معنى قائم بذاته لايتجزأ ولايتبعض، فإن الأمر لو كان كما زعموا لكان موسى عليه السلام سمع جميع كلام الله، وفيها الرد على من زعم أن كلام الله مخلوق، فإن صفات الله داخلة

وقوله تعالى: ﴿وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأجِره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾.

فى مسمى اسمه، فليس الله اسما لذات لاسمع لها ولابصر ولاحياة ولاكلام لها، فكلامه وعلمه وحياته وقدرته داخلة فى مسمى اسمه، فهو سبحانه بصفاته الخالق وماسواه المخلوق، وفى إثبات الكلام إثبات الرسالة، فإذا انتفت صفة الكلام انتفت صفة الرسالة، إذ حقيقة الرسالة تبليغ كلام المرسل، ومن هاهنا قال السلف: من أنكر كون الله متكلما فقد أنكر رسالة الرسل كلهم، والرب سبحانه وتعالى يخلق بقوله وبكلامه كما قال: ﴿**إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**﴾، فإذا انتفت حقيقة الكلام عنه فقد انتفى الخلق .

قوله: ﴿**وإن أحد**﴾: أحد مرفوع بفعل يفسره استجارك، وقوله: ﴿**فأجره**﴾: أى أمنه، وقوله: ﴿**حتى يسمع كلام الله**﴾: أى حتى يسمع القرآن مبلغا إليه من قارئه كما قال أبو بكر الصديق حين قرأ على قريش: ﴿**الم. غُلبت الروم**﴾: فقالوا: هذا كلامك أو كلام صاحبك، فقال: ليس بكلامى ولا بكلام صاحبى ولكنه كلام الله، وفى سنن أبى داود أن رسول الله ﷺ كان يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول: « **ألا رجل يحملنى إلى قومه لأبلغ كلام ربى فإن قريشا منعونى أن أبلغ كلام ربى**» فبين أن ما يبلغه ويتلوه هو كلام الله لا كلامه، وفى الآية دليل على أنه إذا استأمن مشرك ليسمع القرآن وجب تأمينه ليعلم دين الله وتنتشر الدعوة، ومنها أن رسول الله كان يعطى الأمان لمن جاءه مسترشدا أو فى رسالة كما جاء فى الحديبية جماعة من قريش وكذلك من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام فى أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو طلب من الإمام أو نائبه أعطى أمانا ما دام متردداً فى دار الإسلام حتى يرجع إلى مأمنه ووطنه، وفيها دليل على إثبات صفة الكلام لله وأنه يتكلم وأن القرآن كلامه، وفيها دليل على أن الكلام إنما ينسب إلى من قاله ابتداءاً لا إلى من قاله مبلغا مؤديا، فإن القارئ يبلغ كلام الله، وكلامه سبحانه صفة من صفاته غير مخلوق، وأما صوت القارئ وكذا المداد والورق فهى مخلوقة لهذه الآية ولحديث: « **بينوا القرآن بأصواتكم**»، فبين أن الأصوات التى يقرأ بها القرآن أصواتنا والقرآن كلام الله، فالقرآن كلام البارى والصوت صوت القارئ، وفى هذه الآية دليل على أن القرآن الذى هو سور وآيات

وحروف وكلمات هو عين كلامه سبحانه حقا لاتأليف ملك ولا بشر، وأن حروفه ومعانيه عين كلامه سبحانه الذى تكلم به سبحانه حقا، وبلغه جبريل إلى محمد ﷺ، وبلغه محمد ﷺ فللرسولين منه مجرد التبليغ والأداء لا الوضع والإنشاء، فإضافته إلى الرسول بقوله: **﴿وإنه لقول رسول كريم﴾** إضافة تبليغ وأداء لا إضافة وضع وإنشاء لا كما يقوله أهل الزيغ والافتراء، وفيه الرد على من زعم أن هذا الموجود بين أيدينا هو عبارة عن كلام الله أو حكاية له فإنه سبحانه أخبر أن الذى يُسمع كلام الله، وعندهم أن الذى يُسمع ليس كلام الله على الحقيقة، وإنما هو مخلوق حكى به كلام الله على أحد قولهم وعبارة عبر بها عن كلام الله على القول الآخر، وهى مخلوقة على القولين، فالمقروء المكتوب والمسموع والمحفوظ ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عبر بها عنه كما يعبر عن الذى لاينطق ولا يتكلم من أخرس أوعاجز، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وفيه دليل على أن القرآن كلام الله وأنه يُسمع وأنه غير مخلوق، وفيها الرد على من زعم أنه مخلوق أو أنه كلام بشر أو ملك أو غير ذلك، وفيها أن من زعم أنه كلام غير الله فقد كفر أو زعم أنه مخلوق.

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله: ولم يقل أحد من السلف أنه مخلوق أو أنه قديم، بل الآثار متواترة عن السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إنهم يقولون القرآن كلام الله، وأول من عرف عنه أنه قال مخلوق الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان، وأول من عرف عنه أنه قال هو قديم عبد الله بن سعيد بن كلاب، أما السلف فلم يقل أحد منهم بواحد من القولين، ولم يقل أحد من السلف إن القرآن عبارة عن كلام الله ولا حكاية له، ولا قال منهم أحد أن لفظى بالقرآن قديم أو مخلوق، بل كانوا يقولون بما دل عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله، والناس يقرأونه بأصواتهم ويكتبونه بمدادهم وما بين اللوحين كلام الله وكلام الله غير مخلوق، والمداد الذى يكتب به القرآن مخلوق والصوت الذى يقرأ به هو صوت العبد، والعبد وصوته وحركاته وسائر صفاته مخلوقة، فالقرآن الذى يقرأوه المسلمون كلام البارى والصوت صوت القارئ، انتهى.

قال البخارى رحمه الله فى كتاب (خلق أفعال العباد) بعد ذكر هذه الآية والآية التى بعدها، أى قوله سبحانه: **﴿بل هو قرآن مجيد. فى لوح محفوظ﴾**

وقوله تعالى: ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا ـ كذلكم قال الله من قبل﴾

وقوله: ﴿**والطور. وكتاب مسطور. فى رق منشور**﴾ قال: ذكر الله أن القرآن يحفظ ويسطر والقرآن الموعى فى القلوب المسطور فى المصاحف المتلو بالألسنة كلام الله ليس بمخلوق، وأما المداد والورق والجلد فإنه مخلوق، انتهى. من (فتح البارى).

قوله: ﴿**فريق**﴾: أى طائفة ﴿**منهم**﴾: أى أحبارهم ﴿**يسمعون كلام الله**﴾: أى التوراة .

قوله: ﴿**ثم يحرفونه**﴾: أى يغيرونه ويتأولونه على غير تأويله ﴿**من بعد ما عقلوه**﴾: أى فهموه ﴿**وهم يعلمون**﴾: أى أنهم مفترون، وإذ كان هذا حال علمائهم فكيف بجهالهم.

فى هذه الآية التأييس من إيمان اليهود الذين شاهد آباؤهم ما شاهدوا، ثم قست قلوبهم ولم ينفعهم ما شاهدوه، وفيها ذم للمحرفين للكلم عن مواضعه وأن التحريف من صفات اليهود، وأفادت هذه الآية كغيرها إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى والرد على من زعم أن الله لايتكلم أو أن كلامه مخلوق، وفيها دليل على أن الكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدءاً لا إلى من قاله مبلغا مؤديا، فإن قوله : ﴿**يسمعون كلام الله**﴾: أى من قارئه ومبلغه.

قوله: ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله**﴾: أى مواعيده بغنائم خيبر، أهل الحديبية خاصة لايشاركهم فيها غيرهم من الأعراب والمتخلفين، فلا يقع غير ذلك شرعا ولا قدراً، ولهذا قال: ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله**﴾ وهو الوعد الذى وعد به أهل الحديبية، اختاره ابن جرير.

قوله: ﴿**قل لن تتبعونا**﴾: أى فى خيبر وهذا خبر بمعنى النهى.

قوله: ﴿**كذلكم قال الله من قبل**﴾: أى من قبل عودنا من قبل انصرافنا من مكة إلى المدينة أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة دون غيرهم.

أفادت هذه الآية كغيرها إثبات صفة الكلام وإثبات القول لله سبحانه وتعالى وأنه قال ويقول متى شاء إذا شاء.

﴿واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه مختلفون﴾.

قوله: ﴿واتل﴾: أى اتبع والتلاوة هى الاتباع، يقال اتل أثر فلان وتلوت أثره وقفوته وقصصته بمعنى تبعت خلفه، ويسمى تالى الكلام تاليا، لأنه يتبع بعض الحروف بعضا لايخرجها جملة واحدة، وحقيقة التلاوة فى هذا الموضع وغيره هى التلاوة المطلقة التامة، وهى تلاوة اللفظ والمعنى. انتهى. ملخصا من كلام ابن القيم.

قوله: ﴿ما أوحى إليك﴾: الوحى: **لغة الإعلام فى خفاء**، وفى **الاصطلاح** إعلام الله أنبياءه بالشىء، إما بكتاب أو رسالة ملك أو منام أو إلهام.

قوله: ﴿من كتاب ربك﴾: أى القرآن بدليل قوله: **﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾** ـ إلى قوله ـ **﴿إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾** الآية والمسموع واحد، والكتاب فى الأصل جنس ثم غلب على القرآن من بين الكتب. انتهى، (الكوكب المنير) ملخصاً.

قوله: ﴿لامبدل لكلماته﴾: أى لاتغير ولاتبدل كما قال سبحانه: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** فى هذه الآية كغيرها دليل على أن الكتاب هو القرآن خلافاً للكلابية فإن الله سبحانه سمى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآناً وكتاباً وكلاماً كما تقدم فى قوله: **﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾** الآية فبين أن الذى سمعوه هو القرآن وهو الكتاب، وقال تعالى: **﴿تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾** وفى الآية المتقدمة دليل على أن القرآن منزل من عند الله وأنه كلامه، وفيها الحث على تلاوته وأنه سبحانه ضمن حفظه من التغيير والتبديل.

قوله: ﴿إن هذا القرآن﴾: مصدر قرأ أى جمع لجمعه السور أو ما فى الكتب السابقة.

قوله ﴿يقص﴾: أى يبين **﴿على بنى إسرائيل﴾** وهم حملة التوراة **﴿أكثر الذى هم فيه مختلفون﴾** وذلك كاختلافهم فى أمر عيسى وتباينهم فيه، فجاء القرآن بالقول العدل الحق أنه عبد من عباد الله ونبى من أنبيائه، وفى الآية دليل على عظمة هذا الكتاب وهيمنته على الكتب السابقة، وتوضيحه لما وقع فيها من اشتباه، وإضافة القصص والتوضيح إليه وتضمن وجوب الرجوع إليه واتباعه.

﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ - ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ - ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون﴾- ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾

قوله :﴿وهذا كتاب﴾: أى القرآن **﴿مبارك﴾**: أى كثير المنافع والخير.

قوله: ﴿لرأيته خاشعا﴾: أى متذللا **﴿متصدعا﴾**: أى متشققا، فإذا كان القرآن لو أنزل على جبل لخشع وتصدع من خوف الله فكيف يليق بكم أيها الناس أن لا تلين قلوبكم وتخشع من خوف الله وقد فهمتم عن الله أمره ونهيه وتدبرتم كتابه، وفى الآية دليل على عظمة القرآن وأنه لو أنزل على جبل لخشع وتصدع من خشية الله، وفيها دليل على أنه سبحانه خلق فى الجمادات إدراكا بحيث تخشع وتسبح، وهذا حقيقة كما دلت على ذلك الأدلة ولا يعلم كيفية ذلك إلاهو سبحانه، وفيها حث على الخوف من الله والخشوع عند سماع كلامه، وأنه ينبغى أن يقرأ بتدبر وخشوع وإقبال قلب وأنه ينبغى الرقة عند سماع كلام الله والبكاء وتلاوته بحزن.

قوله :﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾: أى نسخناها وأنزلنا غيرها لمصلحة العباد.

قوله: ﴿والله أعلم بما ينزل﴾: أى هو سبحانه وتعالى أعلم بما هو أصلح لخلقه فيما يغير وينسخ من أحكامه، وفى الآية دليل على وقوع النسخ فى القرآن وأنه لحكمة ومصلحة يعلمها سبحانه، فهو أعلم بمصلحة عباده، وفيها دليل على إحاطة علمه سبحانه بكل معلوم.

قوله :﴿قالوا﴾: أى الكفار **﴿إنما أنت مفتر﴾**: أى كذاب **﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾**: أى لا يعلمون الحكمة فى ذلك.

قوله: ﴿قل نزله﴾: أى القرآن، والتنزيل والإنزال هو مجيء الشيء من أعلى إلى أسفل **﴿روح القدس﴾**: أى جبريل عليه السلام، فجبريل سمعه من الله والنبى ﷺ سمعه من جبريل، وهو الذى نزل بالقرآن على محمد ﷺ كما نص على ذلك أحمد وغيره من الأئمة، وجبريل هو الروح الأمين المذكور فى قوله سبحانه: **﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾** الآية.

ولم يقل أحد من السلف أن النبى ﷺ سمعه من الله، وإنما قال ذلك بعض المتأخرين، والآية ترد عليه. قال ابن حجر رحمه الله فى شرح (البخارى):

والمنقول عن السلف اتفاقهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق، تلقاه جبريل عن الله وبلغه جبريل إلى محمد ﷺ وبلغه محمد إلى أمته. انتهى.

ففي هذه الآيات دليل على أن القرآن منزل من عند الله وأنه كلامه بدأ منه وظهر لا من غيره، وأنه الذي تكلم به لا غيره، وأما إضافته إلى الرسول في قوله: ﴿**وإنه لقول رسول كريم**﴾ فإضافة تبليغ لا إضافة إنشاء، والرسالة تبليغ كلام المرسل، ولو لم يكن للرسل كلاما يبلغه الرسول لم يكن رسولا، ولهذا قال غير واحد من السلف: من إنكر أن يكون الله متكلما فقد أنكر رسالة رسله، فإن حقيقة رسالتهم تبليغ كلام المرسل، وفيها دليل على علو الله على خلقه، والتنزيل والإنزال المذكور في القرآن ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

إنزال مطلق كقوله: ﴿**وأنزلنا الحديد**﴾.

الثاني: إنزال من السماء كقوله: ﴿**وأنزلنا من السماء ماءً طهورًا**﴾.

الثالث: إنزال منه سبحانه كقوله: ﴿**قل نزله روح القدس من ربك**﴾.

فأخبر أن القرآن منزل منه، والمطر منزل من السماء، والحديد منزل نزولا مطلقا، ففرق سبحانه بين النزول منه والنزول من السماء، وحكم المجرور بمن في هذا الباب حكم المضاف، والمضاف ينقسم إلى قسمين: إضافة أعيان وإضافة معان، فإضافة الأعيان إليه سبحانه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، كبيت الله وناقة الله ونحو ذلك، أما إضافة المعاني إلى الله سبحانه وتعالى فهي من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، كسمع الله وبصره وعلمه وقدرته، فهذا يمتنع أن يكون المضاف مخلوقا بل هو صفة قائمة به وهكذا حكم المجرور بمن، فإضافة القرآن إليه سبحانه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف لا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه خلافا للمبتدعة من المعتزلة والجهمية وأشباههم، وفي هذه الآية الرد على من زعم أن القرآن مخلوق أو أنه كلام بشر وغيره، فمن زعم ذلك فهو كافر بالله العظيم، كما روى ذلك عن السلف، وفيها دليل على أن جبريل نزل به من عند الله، فإنه ﴿**روح القدس**﴾ وهو أيضا الروح الأمين، وفي قوله: ﴿**الأمين**﴾ دليل على أنه مؤتمن على ما أرسل به، فلا يزيد عليه ولا ينقص، وفيها دليل على أن الرسول ﷺ سمعه من جبريل وهو الذي نزل به عليه من عند الله وجبريل سمعه من الله، والصحابة سمعوه من النبي ﷺ، وفيها الرد على من قال أن النبي ﷺ

سمع القرآن من الله، وفيها الدلالة على بطلان قول من قال أنه مخلوق خلقه الله في جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول الجهمية القائلين بخلق القرآن، وفيها الدلالة على بطلان قول من قال إنه فاض على النبى ﷺ من العقل الفعال أو غيره كما يقوله طوائف من الفلاسفة والصابئة، وهذا القول أشد كفراً من الذى قبله، وفيها الدليل على بطلان قول من يقول إن القرآن العربى ليس منزلا من الله بل مخلوق. إما فى جبريل أو محمد أو جرم آخر كالهواء، كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية القائلين بأن القرآن العربى ليس هو كلام الله، وإنما كلامه المعنى القائم بذاته، والقرآن العربى خلق ليدل على ذلك المعنى، وهذا يوافق قول المعتزلة ونحوهم فى إثبات خلق القرآن، وفيها أن السفير بين الله ورسوله محمد ﷺ هو جبريل عليه السلام، وفيها الرد على من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسى، فإن جبريل سمعه من الله والمعنى المجرد لا يسمع، وفيها دليل أن القرآن نزل باللغة العربية وتكلم الله سبحانه بالقرآن بها، وفيها الرد على من زعم أنه يجوز ترجمة القرآن باللغات الأعجمية؛ لأن القرآن معجز بلفظه ومعناه.

قوله: ﴿**بالحق**﴾: أى بالصدق والعدل ﴿**ليثبت الذين آمنوا**﴾: أى يزيدهم يقينًا وإيمانًا .

قوله: ﴿**وهدى**﴾: أى بيان ونور وبصيرة، ويطلق الهدى ويراد به ما يقر فى القلب من الإيمان، وهذا لا يقدر على خلقه فى قلوب العباد إلا الله، قال تعالى ﴿**إنك لا تهدى من أحببت**﴾ الآية، ويطلق ويراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والإرشاد إليه قال تعالى: ﴿**وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم**﴾. انتهى. من ابن كثير، وخصصت الهداية بالمسلمين لاختصاصهم بالنفع بالقرآن؛ لأنه هو بنفسه هدى ولكن لا يناله إلا الأبرار كما قال تعالى : ﴿**هدى للمتقين**﴾.

قوله: ﴿**وبشرى**﴾: البشرى والبشارة هو أول خبر سار، والبشرى يراد بها أمران أحدهما بشارة المخبر. والثانى سرور المخبر، قال تعالى: ﴿**لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة**﴾ فسرت البشرى بهذا وبهذا. قيل وسميت بشرى؛ لأنها تؤثر فى بشرة الوجه ولذلك كانت نوعين: بشرى سارة تؤثر فيه نضارة وبهجة، وبشرى محزنة تؤثر فيه سوءاً وعبوسا، ولكن إذا أطلقت كانت للسرور، وإذا قيدت كانت بحسب ما قيدت به، أما البشارة بالفتح فهى نضارة الوجه وحسنه،

﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين﴾.

وقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة﴾.

وأما البشارة بالضم فهو ما يعطاه المبشر.

وقوله: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون﴾: أى كفار مكة. ﴿إنما يعلمه بشر﴾ والبشر الإنسان ذكرًا كان أو أنثى وهو فى الأصل جمع بشرة وهو ظاهر الجلد، سموه بشرًا لظهور أبشارهم خلافًا لغيرهم من الحيوان، أى أن الذى يُعلم النبى ﷺ آدمى، وذلك أن النبى ﷺ كان يجلس إلى رجل أعجمى فى مكة، وكان ذلك الرجل يقرأ فى الكتب السابقة، فقالت قريش: إن هذا الرجل كان يعلم محمدًا، فأكذبهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين﴾.

قوله ﴿لسان﴾: أى لغة ﴿الذى يلحدون إليه﴾: أى يميلون ويشيرون إليه أنه يُعلم محمدًا ﷺ أعجمى أى لايتكلم بالعربية، والعجمى المنسوب إلى العجم وإن كان فصيحا.

قوله: ﴿لسان﴾: أى لغة كما فى هذه الآية، وفى قوله سبحانه: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ ويطلق اللسان ويراد به الذُكر الحسن كما قال تعالى عن إبراهيم: ﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾ ويطلق ويراد به الجارحة كما قال سبحانه: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ الآية.

قوله: ﴿وهذا لسان عربى مبين﴾: أى وهذا القرآن لسان عربى مبين، أى بيِّن واضح فكيف يكون الذى يقوله أعجمى.

قوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾: أى وجوه المؤمنين. ﴿يومئذ﴾: أى يوم القيامة. ﴿ناضرة﴾: بالضاد من النضارة وهى البهاء والحسن ومنه نضرة النعيم، وروى ابن مردويه بسند إلى ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ قال: من الحسن والبهاء ﴿إلى ربها ناظرة﴾ قال: فى وجه الله.

قوله: ﴿إلى ربها ناظرة﴾: من النظر بالعين فيرونه سبحانه فى عرصة القيامة، ويراه المؤمنون فى الجنة، ولا يجوز حمل النظر هنا بمعنى الانتظار إلى ثواب الله فإنه معدى بإلى ولا يعدى بإلى إلا إذا كان بمعنى النظر بالعين، وأيضا فالانتظار لا

يليق فى دار القرار، فهذه الآية صريحة فى أن الله يُرى عيانا بالأبصار يوم القيامة، وفيها الرد على من زعم أن معنى﴿**ناظرة**﴾: أى منتظرة ثواب ربها؛ لأن الأصل عدم التقدير، ولأن النظر المعدى بإلى لا يكون إلا بمعنى النظر، لا سيما وقد ذكر الوجه الذى هو محل النظر، وقد تواترت الأدلة فى إثبات النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم رحمه الله فى (النونية):

ويرونه سبحانه من فوقهم ... نظر العيان كما يرى القمران

هذا تواتر عن رسول الله لم ... ينكره إلا فاسد الإيمان

وقال ابن حجر:

مما تواتر حديث من كذب ... ومن بنى الله بيتًا واحتسب

ورؤية، شفاعة والحوض ... ومسح خفين وهذى بعض

وفى هذه الآية دليل على أن هذه الرؤية خاصة بالمؤمنين، وفيها دليل على أن الرؤية تحصل للمؤمنين يوم القيامة دون الدنيا، ولم يثبت أن أحدًا رآه سبحانه فى الدنيا، قال الله فى حق موسى عليه السلام: ﴿**قال ربى أرنى أنظر إليك قال لن ترانى**﴾ أى فى الدنيا، وفى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**». واختلف هل حصلت الرؤية لنبينا محمد ﷺ ؟ فالأكثرون على أنه لم يره سبحانه وحكاه عثمان بن سعيد الدارمى بإجماع الصحابة.

قال ابن القيم رحمه الله: والناس فى إثبات الرؤية وعدمها طرفان ووسط، فقسم غلو فى إثباتها حتى أثبتوها فى الدنيا والآخرة، وهم الصوفية وأضرابهم، وقسم نفوها فى الدنيا والآخرة وهم الجهمية والمعتزلة، والوسط هم أهل السنة والجماعة الذين أثبتوها فى الآخرة فقط حسبما تواترت به الأدلة. انتهى.

قوله:﴿على الأرائك ينظرون﴾: الأرائك جمع أريكة وهى: السرر تحت الحجال.

قوله: ﴿ينظرون﴾: أى ينظرون إلى وجه الله، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار فى قوله: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله وهم على سررهم وفرشهم وعن أولئك الفجار أنهم

وقوله تعالى: ﴿للذين أحسنو الحسنى وزيادة﴾. ﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾ وهذا الباب في كتاب الله كثير، من تدبر القرآن طالبًا للهدى منه تبين له طريق الحق.

يحجبون عن رؤيته، وقد استدل العلماء بهذه الآية، أي قوله: **﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾** على إثبات رؤية الله قالوا لأنه لما حجب أعداءه عن رؤيته دل على أن أولياءه يرونه.

قوله: ﴿أحسنوا﴾: أي في أعمالهم، وقد تقدم الكلام على هذا الإحسان.

قوله: ﴿الحسنى﴾: أي الجنة. **﴿وزيادة﴾** وهي النظر إلى وجه الله كما فسرها رسول الله ﷺ والصحابة، ولما عطف الزيادة على **﴿الحسنى﴾** دل على أنها جزاء آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها، وثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم.

قال ابن رجب رحمه الله: وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان؛ لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى عيانًا في الآخرة وعكس هذا ما أخبر به عن جزاء الكفار أنهم عن ربهم محجوبون، وذلك جزاء لحالهم في الدنيا، وهو تراكم الران على قلوبهم حتى حجبت عن معرفته في الدنيا، فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة. انتهى.

قوله: ﴿لهم ما يشاءون فيها﴾: أي في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**قال الله سبحانه وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» ثم قرأ: **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾** رواه البخاري.

قوله: ﴿ولدينا مزيد﴾: وهو النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى كما قال ذلك علي بن أبي طالب وأنس وغيرهم: أفادت الآيات إثبات الرؤية وأنها خاصة بيوم القيامة، وأن رؤية الله سبحانه وتعالى من أجلّ نعيم الجنة وأعظمه. ا.هـ.

قوله (وهذا الباب): أي باب معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وما يستحقه سبحانه من إفراده بالعبادة وترك عبادة ما سواه.

قوله: (في كتاب الله كثير): فقد أفصح القرآن عنه كل الإفصاح، وأغلب سور

القرآن متضمنة لذلك بل كل سورة من القرآن، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمى الخبرى، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه وهو التوحيد الطلبى، وإما أمر ونهى وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وما فعل بهم فى الدنيا وما يكرمهم به فى الآخرة فهو جزاءه وتوحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم فى العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج من توحيده، والقرآن كله فى التوحيد وحقوقه وجزائه وفى الشرك وأهله وجزائهم، فلا تجد كتابا قد تضمن من البراهين والأدلة على هذه المطالب العالية كما تضمنه القرآن بأسلوب واضح جلى فألفاظ القرآن أفصح الألفاظ وأبينها وأعظمها مطابقة لمعانيها المرادة منها، فلا تجد كلامًا أحسن تفسيرًا ولا أتم بيانًا من كلامه سبحانه، ولهذا سماه بيانًا خلافًا لمن زعم أن كلام الله ورسوله لا يفيد العلم بشىء من أصول الدين ولا يجوز أن تستفاد معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله منه وعبر عن ذلك بقوله: الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين.

قال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله: وزعم قوم من غالية أهل البدع أنه لا يصح الاستدلال بالقرآن أو الحديث على المسائل القطعية بناء على أن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين كما زعموا وزعم كثير من أهل البدع أنه لا يستدل بالأحاديث المتلقاه بالقبول على مسائل الصفات والقدر ونحوهما مما يطلب فيه القطع واليقين. ا. هـ.

قوله: (من تدبر القرآن): أى تفكر فيه، والفكر: هو إعمال النظر فى الشىء، وقد جاء فى الكتاب والسنة الحث على التدبر والتفكر، قال تعالى: **﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾**، وقال تعالى: **﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾** إلى غير ذلك من الآيات الحاثة على التدبر وتفهم معانى القرآن، وفيها الرد على من زعم أنه لا وصول إلى ذلك وأن باب الفهم عن الله وعن رسوله قد أغلق وباب الاجتهاد قد سد، وهذا قول باطل ترده أدلة الكتاب والسنة.

قوله: (طالبًا للهدى): أى الرشاد **(تبين له)**: أى اتضح **(طريق)** أى سبيل.

قوله: (الحق): وهو ضد الباطل.

فصل فى سنة رسول الله ﷺ

فالسنة تفسر القرآن

(الفصل) لغة الحاجز بين الشيئين، **واصطلاحا**: هو اسم لجملة من العلم تحته فروع ومسائل غالبًا. لما ذكر المؤلف أدلة الكتاب أتبعها بأدلة السنة جريًا على عادة السلف الصالح رحمهم الله واتباعهم فإنهم كانوا يذكرون الآيات فى الباب ثم يتبعونها بالأحاديث الموافقة لها كما فعل البخارى ومن قبله ومن بعده من المصنفين فى السنة يحتجون على أحاديث النزول والرؤية والتكلم والوجه واليدين والإتيان ونحو ذلك بما فى القرآن ويثبتون بذلك اتفاق دلالة القرآن والسنة عليها، وأنهما من مشكاة واحدة ولا ينكر ذلك من له أدنى معرفة وإيمان، فإن السنة كالكتاب فى إفادة العلم واليقين وفى وجوب القبول واعتقاد ما تضمنته خلافًا لما عليه أهل البدع الذين قالوا لا يحتج بكلام رسول الله ﷺ على شىء من الصفات وقالوا فى تلك الأدلة أنها ظواهر لفظية لا تفيد اليقين، وزعموا أن الذى يفيد اليقين هو نحاتة أفكارهم وسفالة أذهانهم، وهذا إبطال لدين الإسلام رأسًا.

قوله:(سنة رسول الله):السنة **لغة**:الطريقة،**وعرفًا**:هى أقوال النبى ﷺ وأفعاله وتقريراته،وتطلق السنة تارة على ما يقابل القرآن كما هنا وكما فى حديث: «**يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله، فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة**»، وتطلق تارة على ما يقابل الفرض وغيره من الأحكام الخمسة، وربما لا يراد بها إلا ما يقابل الفروض كفروض الوضوء وسننه، وتطلق تارة على ما يقابل البدعة، فيقال أهل السنة والبدعة.

قوله:(فالسنة تفسر القرآن): أى تبينه وتوضحه،والتفسير فى الأصل هو الكشف والإيضاح، وفى **الاصطلاح**: توضيح معنى الآية وشأنها والسبب الذى أنزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة. انتهى. من التعريفات.

فتفسير اللفظ تبيين معناه وتوضيحه ويكون بذكر لفظ أوضح من المفسر ويكون أيضًا بذكر ضد الشىء كما قيل:

والضد يظهر حسنه الضد ... وبضدها تتبين الأشياء

فإن النبى ﷺ بيّن لأصحابه القرآن، لفظه ومعناه، فبلغهم معانيه كما بلغهم ألفاظه، ولا يحصل البيان والبلاغ المقصود إلا بذلك كما قال سبحانه وتعالى:

وتبيّنه وتدل عليه وتعبر عنه.

﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾.

وأيضًا فإن الله أنزل على نبيه الحكمة كما أنزل القرآن، والحكمة هى: السنة كما قاله غير واحد من السلف، وقال ﷺ: «**ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه**» رواه أصحاب السنن من حديث المقدام بن معدى كرب، وقاله سبحانه: **﴿ما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى﴾**، وإنما يحسن الاستدلال على معانى القرآن بما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ثم يتبع ذلك بما قاله الصحابة والتابعون وأئمة الهدى، ولاشك أن تفسير القرآن بهذه الطريقة خير مما هو مأخوذ عن أئمة الضلال وشيوخ التجهم والاعتزال الذين أحدثوا فى الإسلام بدعا وضلالات وفرقوا دينهم وكانوا شيعًا ونبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم.

قوله: (وتبيــــنه): أى توضحه وتكشف معناه، والبيان **اصطلاحًا**: قيل هو إخراج المعنى من حيز الإشكال إلى حيز التجلى والوضوح، فالسنة كما أشار إليها المؤلف تبين مجمل الكتاب كما فى الصلاة والصوم والحج والبيع، وغالب الأحكام التى جاء تفصيلها فى السنة والبيان يحصل بالقول وبالفعل وبالإقرار على الفعل.

قال ابن القيم رحمه الله: وبيان النبى ﷺ أقسام، بيانه لألفاظ الوحى ومعانيه بقوله أو فعله أو إقراره بيان للقرآن، وبيان ابتدائى يبتدئ الناس أو يسألونه، وبيانه بالقول والفعل لمجملات القرآن. انتهى.

قوله:(وتدل عليه):من الدلالة بكسر الدال وفتحها،وهو ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه واسم الفاعل دال ودليل وهو المبين والكاشف،ودلالة اللفظ الوضعية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: دلالة مطابقة،ودلالة تضمن،ودلالة التزام،فدلالة المطابقة: هى دلالة اللفظ على تمام المعنى الذى وضع له،كدلالة الرجل على الإنسان الذكر ودلالة المرأة على الإنسان الأنثى،وسميت مطابقة لتطابق الفهم والوضع فيها، ودلالة التضمن: هى دلالة اللفظ على جزء مسماه،كدلالة لفظ الأربعة على الواحد ربعها،وسميت تضمنًا؛لأن بعض المعنى مفهوم من ضمن كله ضرورة،ودلالة الالتزام: هى دلالة اللفظ على خارج من مسماه ولازم المعنى كلزوم الزوجية للفظ أربعة.

قوله: (وتعبر عنه): أى تبين وتعرب، ويقال: هو عبارة عن كذا أى بمعناه ومساو له فى الدلالة، فظهر مما تقدم أن السنة تفسر القرآن وتبين مجمله وتقيد مطلقه إلى غير ذلك.

وما وصف الرسول به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التى تلقاها أهل المعرفة بالقبول وحب الإيمان بها كذلك

قال ابن القيم رحمه الله: السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه فيكون توارد الكتاب والسنة على الحكم من باب توارد الأدلة وتضافرها.

الثانى: أن تكون بيان لما أريد بالقرآن وتفسير له.

الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو تحريم ما سكت القرآن عن تحريمه ولا تخرج عن هذه الأقسام.

قوله: (وما وصف الرسول به ربه عز وجل من الأحاديث):جمع حديث وهو **لغة**: ضد القديم، **واصطلاحًا**: ما أضيف إلى النبى ﷺ قولا أو فعلا أو تقريراً.

قوله:(الصحاح):من الصحة هو **لغة**: ضد السقم، **واصطلاحًا**: هو ما نقله العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولاعلة، فهو ما جمع خمسة شروط: عدالة الرواة وضبطهم، واتصال السند، وأن لا يكون فيه شذوذ، وأن لا يكون فيه علة، وهذه الشروط شروط الصحيح لذاته أما الصحيح لغيره، فهو ما اختل فيه شرط من هذه الشروط ولكن انجبر بمجيئه من طرق أخرى وحكم الصحيح القبول.

قوله: (تلقاها): أى قبلهاوأخذها ، يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه.

قوله:(أهل المعرفة): أى أهل العلم بالحديث، وهم علماء الحديث العالمون بأحوال نبيهم الضابطون لأقواله وأفعاله، والمعتنون بها، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين وغيرهم، فإن الاعتبار فى كل علم بأهل العلم به دون غيرهم.

فهذه الأخبار تفيد العلم عند من له عناية بمعرفة ماجاء به الرسول ﷺ ومعرفة أحوال دعوته على التفصيل، فإن أهل الحديث لهم فقه خاص فى الحديث مختصون بمعرفته كما يختص البصير فى معرفة النقود، جيدها ورديئها، خالصها ومشوبها، وقد امتحن غير واحد من هؤلاء العلماء فى زمن أبى زرعة وأبى حاتم فوجد الأمر على ذلك، فقال السائل: أشهد أن هذا العلم إلهام، قال الأعمش: كان إبراهيم النخعى صيرفياً فى الحديث، كنت أسمع من الرجال فأعرض عليه ماسمعته ، وقال الأوزاعى: كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما نعرض الدرهم الزائف على الصيارف، فما عرفوا أخذنا وما أنكروا تركنا، وقد روى مثل هذا عن أحمد بن حنبل وغيره.

قوله:(المعرفة): المعرفة فى **اللغة**: بمعنى العلم، قال فى شرح (مختصر التحرير): يطلق العلم ويراد به معنى المعرفة ويراد بها العلم، وذكر ابن القيم رحمه الله فروقاً بين العلم والمعرفة لفظية ومعنوية، فاللفظية أن فعل المعرفة يقع على مفعول واحد، تقول عرفت الدار، وفعل العلم يقتضى مفعولين، كقوله: ﴿**وإن علمتموهم مؤمنات**﴾ الآية، وإن وقع على مفعول كان بمعنى المعرفة كقوله: ﴿**وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**﴾ وأما الفروق المعنوية فذكر عدة فروق منها أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله، فتقول عرفت أباك وعلمته صالحا، وساق عدة فروق فى (المدارج).

قوله: (بالقبول وجب الإيمان بها كذلك): أى كما يجب الإيمان بالقرآن، فإن الله أنزل على رسوله وحيين، فأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ **وأنزل عليك الكتاب والحكمة**﴾ والحكمة هى السنه باتفاق السلف، وما أخبر به الرسول ﷺ عن الله فهو فى وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الرب على لسان رسوله، وهذا أصل متفق عليه بين علماء الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم.

وفى السنن من حديث المقدام بن معدى كرب أن رسول الله ﷺ قال: « **ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه**» فهذه الأخبار التى زعم هؤلاء أنه لا يستفاد منها علم. نزل بها جبريل من عند الله كما نزل بالقرآن، قال تعالى: ﴿ **ما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى**﴾. انتهى. من (الصواعق) باختصار.

والمقبول فى هذا الباب من أنواع السنة أربعة أنواع كما أشار إلى ذلك ابن القيم رحمه الله فى(الصواعق): (الأول) ماتواتر لفظا ومعنى. (الثانى)ماتواتر معنى. (الثالث): أخبار مستفيضة متلقاة بالقبول. (الرابع) أخبار آحاد ثبتت بنقل العدل الضابط عن مثله، فهذه الأنواع هى المقبولة فى باب العلميات فإن هذا الباب لا يبنى إلا على ماثبت بطريق لا كلام فيه، فهذه الأنواع الأربعة مفيدة للعلم واليقين موجبة للعلم والعمل جميعاً.

قال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله: الذى عليه الأصوليون من أصحاب أبى حنيفة والشافعى وأحمد أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقا له وعملا به يوجب العلم إلا فرقة قليلة اتبعوا طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك، وقال فى(الكوكب المنير): ويعمل بآحاد الأحاديث فى أصول الديانات، وحكى ذلك

مثل قوله ﷺ: « ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعونى فأستجيب له. من يسألنى فأعطيه. من يستغفرنى فأغفر له» متفق عليه.

ابن عبدالبر رحمه الله إجماعا، قال الإمام أحمد رحمه الله: لا تتعدى القرآن والحديث، وقال العلامة ابن قاضى الجبل: مذهب الحنابلة أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات، ذكره أبو يعلى والشيخ تقى الدين فى عقيدته، والأدلة على قبول خبر الآحاد كثيرة جداً، وقد ذكر ابن القيم هذا القول فى كتابه(الصواعق) وأفاض فى ذكر الأدلة على ذلك، وكذلك ذكره فى (النونية)، وقال ابن القاص: لاخلاف بين أهل الفقه فى قبول خبر الآحاد، انتهى.

قوله:(**ينزل ربنا إلى سماء الدنيا**»: الحديث، هذا الحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة.

هذا مما تواترت فيه الأدلة عن رسول الله ﷺ، فرواه نحو من ثمانية وعشرين نفساً من الصحابة عن النبى ﷺ فينزل سبحانه نزولا يليق بجلاله وعظمته لا نعطله ولا نشبهه بنزول خلقه ليس كمثله شيء، فيجب الإيمان بذلك إيماناً خالياً من التعطيل والتمثيل.

قوله: «فأستجيب له»: بالنصب على جواب الاستفهام، وقيل: بالرفع على الاستئناف وكذا مابعده، أفاد هذا الحديث فوائد:

الأولى: فيه إثبات نزول الرب إلى سماء الدنيا كل ليلة كما يليق بجلاله وعظمته، فنثبت النزول لله حقيقة، وأما كنه نزوله وكيفيته فلا يعلمها إلا هو سبحانه كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول، وكذلك يقال فى النزول والإتيان والمجيء وغير ذلك من صفاته الفعلية والذاتية.

ثانياً: فيه إثبات العلو لله سبحانه، فإن النزول والتنزيل والإنزال هو مجيء الشيء والإتيان به من علو إلى أسفل، هذا هو المفهوم من لغة العرب، قال تعالى: ﴿ **وأنزلنا من السماء ماءً طهورا**﴾.

ثالثاً: فيه الرد على الجهمية والمعتزلة المنكرين لنزوله سبحانه وتعالى زعماً منهم أن هذا من مجاز الحذف والتقدير ينزل أمره أو رحمته، وهذا باطل من وجوه عديده:

(الأول): أن الأصل عدم الحذف.

(الثانى): أنه قال من يدعونى فأستجيب له فهل أمره أو رحمته تقول من يدعونى، هذا مما لا يعقل أن يكون القائل له غير الله، فلم يكن إلا نزوله سبحانه بذاته، هذا هو صريح الأدلة والمعقول.

(الثالث): أنه حدد لنزوله ثلث الليل الآخر، ولو كان أمره أو رحمته لم يحدد ذلك بثلث الليل، فإن أمره ورحمته ينزلان على وقت.

(الربع): فيه إثبات أفعال الله الاختيارية.

(الخامس): فيه إثبات القول لله سبحانه وتعالى.

(السادس): فيه إثبات أن كلامه سبحانه بحرف وصوت إذ لا يعقل النداء إلا ماكان حرفاً وصوتاً.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: ومن البدع التى أنكرها أحمد فى القرآن قول من قال أن الله تكلم بغير صوت وأنكر هذا القول وبدع قائله، وقد قيل: إن الحارث المحاسبى إنما هجره أحمد لأجل ذلك. انتهى.

(السابع): فيه إثبات أن صفة الكلام صفة فعلية كما أنها من الصفات الذاتية أيضاً .

(الثامن): فيه الرد على الجهمية وأضرابهم القائلين بأنه سبحانه فى كل مكان بذاته فلو كان فى كل مكان لم يقل ينزل ربنا.

(التاسع): أن صفة النزول من الصفات الفعلية ودليله النقل كما تقدم.

(العاشر): فيه الرد على من زعم أن الذى ينزل ملك من الملائكة فإن الملك لا يقول: من يسألنى فأعطيه، فإن هؤلاء الجهمية المعطلة الذين ينفون نزوله سبحانه وينفون كلامه يقولون زعما منهم أن هذا مجاز والتقدير فى قوله فيقول أى فيأمر ملكا يقول ذلك عنه كما يقال: نادى السلطان، أى أنه أمر مناديا، ويقولون فيما ثبت أنه قال ويقول وتكلم ويكلم مما لا حصر له كل هذا مجاز، وقولهم باطل من وجوه، منها: أن المنادى عنه غيره، كمنادى السلطان يقول: أمر السلطان بكذا، لا يقول إنى آمركم بكذا وأنهاكم عن كذا، والله سبحانه يقول فى تكليمه موسى: ﴿**إننى أنا الله لا إله إلا أنا**﴾ والحديث فيقول: «**من يدعونى فأستجيب له**»

وإذا كان القائل ملكا قال كما في الصحيحين: «**إذا أحب الله عبداً نادى في السماء ياجبريل إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل وينادى في السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض**». فقال في ندائه عن الله إن الله يحب فلانا فأحبوه، وفي نداء الرب يقول: من يدعوني فأستجيب له.

(فإن قيل): فقد روى أنه يأمر منادياً فينادى، قيل هذا ليس في الصحيح، فإن صح أمكن الجمع بين الخبرين بأن ينادى هو ويأمر منادياً ينادى، أما أن يعارض بهذا النقل الصحيح المستفيض الذى اتفق أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول مع أنه صريح بأن الله هو الذى يقول: «**من يدعوني فأستجيب له**» فلا يجوز. انتهى. من كلام شيخ الإسلام تقى الدين بتصرف.

(**الحادى عشر**): فيه دليل على امتداد هذا الوقت أى وقت النزول الإلهي إلى إضاءة الفجر.

(**الثانى عشر**): فيه الحث على الدعاء والاستغفار في جميع الوقت المذكور.

(**الثالث عشر**): فيه دليل على فضل الدعاء.

(**الرابع عشر**): فيه دليل على نفع الدعاء والرد على جهلة المتصوفة القائلين بأن الدعاء لا ينفع وهو قول مردود بأدلة الكتاب والسنة مع أدلة العقل، فإن المشركين كانوا يعرفون نفع الدعاء، قال تعالى: ﴿ **فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين**﴾ الآية. فضلا عن غيرهم.

(**الخامس عشر**): فيه أن الدعاء من أفضل الطاعات، فلا يجوز صرفه لغير الله، ومن دعا غير الله فهو مشرك كافر.

(**السادس عشر**): الدعاء لغة: السؤال والطلب سواء كان بلسان الحال أو بلسان المقال، فالدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء عبادة ودعاء مسألة. فالأول: هو سائر الطاعات من تسبيح وتكبير وتهليل وغير ذلك، لأن عامل ذلك؛ هو سائل في المعنى، والثانى: هو دعاء المسألة، وهو طلب ما ينفع الداعى من جلب نفع أو دفع ضر.

(**السابع عشر**): إن الدعاء والاستغفار وغيرهما من أنواع العبادات يختلف فضلها بحسب الزمان والمكان.

وقوله ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته». الحديث متفق عليه.

(الثامن عشر): إن ثلث الليل الآخر مظنة الإجابة وإن آخر الليل أفضل للدعاء وللاستغفار، ويشهد له قوله تعالى: ﴿**والمستغفرين بالأسحار**﴾، وقال: ﴿**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون**﴾ وفيه أن الدعاء في ذلك الوقت مجاب، وتخلف الإجابة عن بعض الداعين قد يكون بسبب إخلال ببعض شروط الدعاء.

(التاسع عشر): فيه تفضيل صلاة الوتر آخر الليل لكن ذلك في حق من طمع أن يقوم آخر الليل، وفيه تفضيل صلاة آخر الليل.

(العشرون): فيه تلطفه سبحانه بعباده ورحمته بهم وكونه سبحانه يأمرهم بدعائه واستغفاره.

قوله: (الحديث): أي اقرأ الحديث على النصب، والمصنف رحمه الله ذكر الشاهد من هذا الحديث، ففيه إشارة إلى أنه لا يرى بأساً باختصار الحديث، وقد صرح علماء الفقه بجوازه بشروط ذكرها علماء الفن في كتبهم.

قوله:(متفق عليه): أي رواه البخاري ومسلم، وهذا من حديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما، وفي رواية لمسلم: «**لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه. من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**». انتهى.

قال ابن القيم رحمه الله : الفرح لذة تقع في القلب بإدراك المحبوب ونيل المشتهى، فيتولد من إدراكه حالة تسمى الفرح والسرور، قال: والفرح صفة كمال، ولهذا يوصف سبحانه بأعلى أنواعه وأكملها، كفرحه سبحانه بتوبة عبده، إلى أن قال: والفرح بالشيء فوق الرضا به، فإن الرضا طمأنينة وسكون وانشراح، والفرح لذة وبهجة وسرور، فكل فرح راض وليس كل راض فرحا، انتهى. (مدارج).

وقوله: (براحلته): الراحلة من الإبل ماكان صالحا لأن يرحل.

وقوله: (لله أشد فرحا): اللام لام الابتداء والفرح تقدم كلام ابن القيم فيه،

وقوله ﷺ: « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة» متفق عليه.

فى هذا الحديث فوائد. منها إثبات الفرح لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته، وهذه الفرحة منه فرحة إحسان، وبر ولطف لا فرحة محتاج إلى توبة عبده منتفعا بها، فإنه سبحانه لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية.

ثانيا: أن فرحه سبحانه يتفاضل. ثالثا: فيه فضل التوبة إلى الله سبحانه وتعالى. رابعا: أنه سبحانه يقبل توبة عبده ويفرح بها إذا وقعت على الوجه المعتبر شرعا. خامسا: فيه دليل على أن الإنسان إذا جرى على لسانه كلمة كفر من شدة دهش ونحو ذلك أو حكى كفراً أنه لا يكفر بذلك ولا يؤاخذ به.

قال ابن القيم رحمه الله: وفى الحديث من قواعد العلم أن اللفظ الذى يجرى على لسان العبد خطأ من فرح شديد أو غيظ شديد ونحوه لا يؤاخذ به، ولهذا لم يكن كافراً بقوله: أنت عبدى وأنا ربك.

وقوله ﷺ: « **يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة**» متفق عليه، أى من حديث أبى هريرة وتمامة « **يقاتل هذا فى سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد** ». انتهى. وروى هذا الحديث أحمد ومالك والنسائى وابن ماجه وابن حبان ورواه البيهقى فى (الأسماء والصفات).

فى هذا الحديث فوائد:

أولا: إثبات الضحك لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته.

ثانيا: فيه فضل الجهاد فى سبيل الله وعظم أجر المجاهد، وقد تكاثرت الأدلة فى الحث على الجهاد فى سبيل الله.

ثالثا: فيه فضل القتل فى سبيل الله وأن المقتول فى سبيل الله يدخل الجنة قال ابن عبد البر: يستفاد من الحديث أن كل من قتل فى سبيل الله يدخل الجنة.

رابعا: فيه أن القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب.

خامسا: فيه أن التوبة تأتى على سائر الذنوب حتى ذنب القتل.

وقوله ﷺ: « عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرحكم قريب» حديث حسن.

قوله ﷺ:«عجب ربنا» إلخ: هذا الحديث رواه أحمد وابنه عبد الله فى حديث طويل ولفظه «**ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب خيره**» إلخ.

قوله:«عجب» العجب لغة: استحسان الشيء ويكون لاستقباح الشيء.

قوله :« من قنوط عباده»: القنوط هو شدة اليأس.

قوله :« وقرب خيره»: أى تغييره الحال من حال شدة إلى حال رخاء.

قوله: «أزلين»: الأزل بالسكون الشدة والضيق، والأزل على وزن كتف: هو الذى أصابه الأزل واشتد به الحال حتى كاد يقنط، وهذا الحديث كقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته**﴾ والمعنى أنه سبحانه وتعالى يعجب من قنوط عباده عند احتباس القطر عنهم وقنوطهم ويأسهم من الرحمة وقد اقترب وقت فرجه ورحمته لعباده بإنزال الغيث عليهم وتغييره لحالهم وهم لا يشعرون فعند تناهى الكرب يكون الفرج كما قيل: « اشتدى أزمة تنفرجى» وكما فى الحديث: «**وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا**» ففى هذا الحديث كغيره من الأحاديث المتكاثرة جداً إثبات الضحك والعجب لله سبحانه وتعالى حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته، والأحاديث فى إثبات الضحك لله سبحانه وتعالى متواترة، وفيه الرد على المعطلة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم الذين ينفون الضحك والعجب ويؤولون ذلك بتأويلات فاسدة وفيه إثبات النظر لله سبحانه وتعالى، وكل هذه من الصفات الفعلية فنثبتها لله سبحانه وتعالى حسب ماجاءت بذلك الأدلة المتكاثرة، وليس فى إثبات هذه الصفات محذور البتة، فإنه ضحك ليس كمثله شيء، وعجب ليس كمثله شيء وحكمه حكم رضاه ومحبته وإرادته وسمعه وبصره وسائر صفاته، فالباب واحد لا تمثيل ولاتعطيل فالقول فى الصفات كالقول فى الذات، فكما أننا نعتقد أن لله ذاتا لا تشبه الذات فالصفات يحذى فيها حذو الذات، والصفات حكمها واحد وبابها واحد، فإذا أثبتنا بعضا ونفينا البعض الآخر تناقضنا؛ لأن الأدلة التى أثبتت تلك الصفة هى التى ثبت بها النوع الآخر من الصفات، فإثبات بعض ونفى بعض تناقض .

قوله:«حديث حسن»: الحسن **اصطلاحا**: هو ماعرف مخرجه واشتهرت

وقوله ﷺ: « لا تزال جهنم يلقى فيها وهى تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة رجله ـ وفى رواية قدمه ـ فينزوى بعضها إلى بعض فتقول قط قط » متفق عليه .

رجاله، وشروطه شروط الصحيح، إلا أن الضبط يكون أقل وأخف من الصحيح، وهذا هوالحسن لذاته، وأما الحسن لغيره فهو ما اختلت فيه شروط الصحيح لكن انجبر بمجيئه من طرق أخرى، والحسن يشارك الصحيح فى الاحتجاج به.

قوله:« لا تزال جهنم»: إلخ هذا الحديث رواه البخارى ومسلم من حديث أنس بن مالك وتمامه « **وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ لها خلق آخر فيسكنهم الله فى فضول الجنة**».

قوله: «جهنم»: هو علم على طبقة من طبقات النار أعاذنا الله منها، قال يونس أو أكثر النحويين: هى عجمية لا تنصرف للعجمة والتعريف، قيل: سميت بذلك لبعد قعرها.

قوله:« يلقى فيها»: أى يطرح «وهى تقول هل من مزيد» أى هل من زيادة تطلب الزيادة لسعتها وبعد قعرها.

قال ابن القيم رحمه الله: وأخطأ من قال إن ذلك للنفى، أى ليس من مزيد، فإن الحديث الصحيح يرد هذا التأويل. انتهى.

قوله:« فتنزوى» : أى ينضم بعضها إلى بعض، قال فى المصباح زويته أى جمعته.

قوله:« فتقول قط قط»: هو اسم فعل بمعنى حسبى أى يكفى، هذا الحديث فيه دليل على إثبات النار وأنها مخلوقة، وفيه إثبات كلام النار وأنها تتكلم، وهل هذا الكلام بلسان المقال أم بلسان الحال، فيه قولان أصحهما الأول للحديث ولأن الأصل الحقيقة، فإن الله سبحانه وتعالى يخلق فيها إدراكا، والله على كل شيء قدير، وفيه دلالة على عظم سعة النار وعمق قعرها بحيث تسع كل عاص لله من حين خلق الله الخلق وتطلب الزيادة.

ولما كان من مقتضى رحمته أن لا يعذب أحداً بغير جرم وكانت النار فى غاية السعة حقق وعده فيضع عليها قدمه فيتلاقى طرفاها ولا يبقى فيها فضل عن أهلها، وأما الجنة فيبقى فيها فضل عن أهلها فينشئ الله لها خلقاً آخرين كما ثبت

وقوله ﷺ : « يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك. فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار» متفق عليه.

ذلك في الحديث، وفى الحديث دليل على إثبات القدم والرجل لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته.

قال محيى السنة: القدم والرجل فى الحديث من صفات الله المنزهة عن التكييف، فالإيمان بها فرض والامتناع عن الخوض بها واجب، فالمهتدى من سلك طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطل، والمكيف مشبه، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير. انتهى، وفى الحديث الرد على المعطلة الذين نفوا صفة القدم لله وأولوا ذلك بنوع من الخلق، وأولوا قوله فى الرواية الثانية التى فيها إثبات الرجل لله، وقالوا هذا كما يقال رجل من جراد وما زعموه من هذه التأويلات الفاسدة مردودة من وجوه:

أولا: أن الأصل الحقيقة.

ثانيا: إنه قال حتى يضع ولم يقل حتى يلقى كما قال فى قوله: **«ولا يزال يلقى فيها»**

ثالثا: إن قوله قدمه لا يفهم منه هذا لا حقيقة ولا مجاز إلى غير ذلك من الوجوه التى ذكرها الشيخ تقى الدين وغيره فى إثبات صفة القدم لله سبحانه وتعالى حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته والرد على من زعم غير ذلك.

قوله: « يقول الله»: إلخ هذا الحديث رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث أبى سعيد الخدرى، وتمامه: **«قال:وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فذلك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»** فاشتد ذلك عليهم، فقالوا: يارسول الله، أينا ذلك الرجل؟ قال: **« أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد، أنتم فى الأرض كالشعرة السوداء فى جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الأسود، إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»** فكبرنا ثم قال **«ثلث أهل الجنة»** فكبرنا ثم قال: **«شطر أهل الجنة»** فكبرنا، وروى هذا المعنى جماعة من الصحابة.

ثوله:« لبيك»: لبيك من ألب بالمكان إذا أقام به، أى أنا مقيم على طاعتك.

قوله:«وسعديك»: من المساعدة وهى المطاوعة، ومعناها إسعاد بعد إسعاد،
قال ابن القيم رحمه الله: وقد اشتملت كلمات التلبية على فوائد عظيمة:

أولا: إن قوله لبيك يتضمن إجابة داع دعاك ومناد ناداك ولا يصح فى لغة ولا عقل إجابة من لا يتكلم ولا يدعو من أجابه.

ثانيا: إنها تتضمن المحبة ولا يقال لبيك إلا لمن تحبه وتعظمه.

ثالثا: إنها تتضمن التزام دوام العبودية، ولهذا قيل من الإقامة، أى أنا مقيم على طاعتك.

رابعا: إنها تتضمن الخضوع والذل، أى خضوعا بعد خضوع من قولهم: أنا ملب بين يديك، أى خاضع ذليل.

خامسا: إنها تتضمن الإخلاص ولهذا قيل: إنها من اللب وهو الخالص.

سادسا: إنها تتضمن الإقرار بسمع الرب إذ يستحيل أن يقول الرجل لمن لا يسمع دعاؤه لبيك.

سابعا: إنها تتضمن التقرب من **الله**، ولهذا قيل: إنها من الألباب وهو التقرب، انتهى.

قوله: « فينادى» بكسر الدال، أى **الله** سبحانه وتعالى .

قوله:«بصوت» : فيه إثبات الصوت حقيقة كما يليق بالله سبحانه وتعالى وصوته من صفات ذاته لا يشبه خلفه ولا حاجة أن يقيد النداء بصوت فإنه بمعناه فإذا انتفى الصوت انتفى النداء ولهذا قيده بالصوت إيضاحا وتأكيداً كما قيد التكليم بالمصدر فى قوله: ﴿ **وكلم الله موسى تكليما** ﴾.

قوله:« بعثا إلى النار»: البعث هنا هو بمعنى المبعوث الموجه إليها ومعناه ميز أهل النار من غيرهم، انتهى، وإنما خص آدم بذلك لكونه والد الجميع ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء، فقد رآه النبى ﷺ ليلة الإسراء وعن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، الحديث. انتهى. من (فتح البارى)، أفاد هذا الحديث إثبات صفة القول لله سبحانه وتعالى وأنه قال ويقول متى شاء إذا شاء كما يليق بجلاله وأفاد إثبات النداء لله سبحانه وتعالى وأنه نداء حقيقة بصوت.

وفيه أن النداء والقول يكون يوم القيامة، فهذا من أدلة الأفعال الاختيارية،

وأفاد إثبات صفة الكلام وأنها صفة ذات وفعل، فإنه سبحانه متصف بهذه الصفة ويتكلم متى شاء إذا شاء كيف شاء، فكلامه سبحانه قديم النوع حادث الآحاد.

قال ابن القيم رحمه الله: وقد دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أن الله يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته، وهى صفة ذات وفعل كما قال تعالى: **﴿إنما أمرنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾**. انتهى، وفيه دليل على أن الله يتكلم بحرف وصوت ولأن النداء لا يكون إلا بحرف وصوت بإجماع أهل اللغة، وكان أئمة السنة يعدون من أنكر تكلمه بصوت من الجهمية كما قال الإمام أحمد لما سئل عمن قال إن الله لا يتكلم بصوت؟ فقال: هؤلاء إنما يدورون على التعطيل.

قال شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية: أول ما ظهر إنكار أن الله يتكلم بصوت فى أثناء المائة الثالثة لما ظهرت الجهمية والمعطلة، وقال عبد الله بن أحمد فى كتاب (السنة): قلت لأبى ياأبتى إنهم يقولون أن الله لا يتكلم بصوت! فقال: بلى يتكلم بصوت. وقال البخارى رحمه الله فى كتاب (خلق أفعال العباد): ويذكر عن النبى ﷺ أنه كان يحب أن يكون الرجل خافضا من الصوت ويكره أن يكون رفيع الصوت، وأن الله ينادى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، وليس هذا لغير الله، قال: وفى هذا دليل على أن صوته لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوت الله يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته، وساق حديث جابر أنه سمع عبد الله بن أنيس يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان**» الحديث ثم احتج بحديث أبى سعيد المتقدم، فهذان إماما أهل السنة على الإطلاق أحمد بن حنبل والبخارى وكل أهل السنة على قولهما وقد صرح بذلك وحكاه إجماعا حرب بن إسماعيل صاحب الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق وصرح به غيره، وقد احتج بحديث ابن مسعود وغيره وأخبر أن المنكرين لذلك هم الجهمية، وقد روى فى إثبات الحرف والصوت فى كلام الله أكثر من أربعين حديثاً بعضها صحاح وبعضها حسان ويحتج بها، أخرجها الضياء المقدسى وغيره، وأخرج أحمد غالبها واحتج به، واحتج بها البخارى وغيره من أئمة الحديث، فقد صححوا رحمهم الله هذه الأحاديث واعتقدوها واعتمدوا عليها

وقوله ﷺ: «مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان» متفق عليه.

منزهين الله عما لا يليق بجلاله كما قالوا فى سائر الصفات من النزول والاستواء والمجىء والسمع والبصر والعين وغيرها فأثبتوا هذه الصفات كما يليق بالله إثباتاً بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل، وفى الحديث دليل على أن الله نادى آدم وكلمه، وفيها الرد على من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسى، فإن آدم عليه السلام سمع كلام الله، والمعنى المجرد لا يسمع، وفيه الرد على من زعم أن كلام الله شىء واحد لا يتجزأ ولايتبعض.

قوله:« مامنكم من أحد»: إلخ هذا الحديث رواه البخارى ومسلم من حديث عدى بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: « **مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمرة**» هذا لفظ البخارى، وفى رواية لهما قال النبى ﷺ: « **اتقوا النار**»، ثم أعرض وأشاح، ثم قال: «**اتقوا النار**» ثم أعرض وأشاح ثلاثاً حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: « **اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**».

قوله:«مامنكم من أحد»: الحديث ظاهر الخطاب للصحابة ويلتحق بهم المؤمنون كلهم سابقهم ومقصرهم، انتهى. والمراد أنه يكلمهم بلا واسطة، فتكليمه سبحانه وتعالى نوعان :

الأول : بلا واسطة، كما فى هذا الحديث.

الثانى : بواسطة وقد تقدمت الإشارة إليه .

قوله (ترجمان): هو من يعبر بلغة عن لغة كما قال بعضهم:

ومن يفسر لغة بلغة ... مترجم عند أهيل اللغة

أفاد هذا الحديث إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى والرد على الجهمية والأشاعرة من نفاة صفة الكلام، فإن الكلام صفة كمال، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة أظهر شىء وأبينه، وأفاد هذا الحديث أنه يكلم جميع الناس، وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لا يكلمهم ولا يزكيهم**﴾ الآية، فالمراد لا يكلمهم كلاماً يسرهم.

وقوله ﷺ في رقية المريض :«ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك، أمرك فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء اغفر لنا حوبنا . وخطايانا، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع». حديث حسن. رواه أبو داود وغيره.

قوله :« فى رقية المريض»: إلخ. هذا الحديث رواه أبو داود من حديث أبى الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من اشتكى منكم شيئا فليقل ربنا الله الذى فى السماء**» الحديث، وأخرجه النسائى أيضا من حديث أبى الدرداء أنه أتاه رجل يذكر أن أباه احتبس بوله وأصابته حصاة فعلمه هذا فرقاه بها فبرأ ، هذا لفظ النسائى وقد رواه البيهقى والحاكم والطبرانى.

قوله:« فى رقية المريض»:أى القراءة على المريض من رقاه برقية إذا قرأ عليه، ففيه دليل على إباحة الرقية لهذا الحديث وغيره كما روى مسلم وأبو داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**لا بأس بالرقى مالم تكن شركاً**»، وقوله ﷺ وقد سئل عن الرقى: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**» رواه مسلم وأحمد وابن ماجه من حديث جابر، وأما مارواه مسلم فى صحيحه من حديث جابر أن رسول الله ﷺ نهى عن الرقى، فالمراد بها الرقى التى تتضمن الشرك وتعظيم غير الله كغالب رقى الجاهلية فلا يعارض ماتقدم من الأحاديث فى إباحة الرقى، وقال السيوطى: قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط.

(١) أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته.

(٢) أن تكون باللسان العربى وما يعرف معناه.

(٣) أن يعتقد أن الرقية لاتؤثر بذاتها بل بتقدير الله. انتهى .

قوله: « ربنا الله الذى فى السماء»: فيه إثبات العلو لله سبحانه وتعالى على الخلق وفسر قوله سبحانه: « **فى السماء**» بتفسيرين:

الأول: إن فى بمعنى على، فقوله فى السماء، أى على السماء، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿**فامشوا فى مناكبها**﴾، وقوله: ﴿ **فسيحوا فى الأرض**﴾أى عليها.

الثانى: إن المراد بالسماء: العلو، فقوله: « فى السماء»، أى العلو، والسماء كل ما علاك وأظلك ، فهو سبحانه فى جهة العلو.

قوله:«تقدس اسمك»: أى تنزه من التقديس، وهو التنزيه عما لايليق، فأسماؤه سبحانه وتعالى منزهة عن العيوب والنقائص وعن تأويل المحرفين وتشبيه الممثلين.

قوله:«أمرك فى السماء والأرض»: أى أمرك الكونى القدرى وأمرك الدينى الشرعى، فأمره سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين :

الأول: أمر كونى قدرى كقوله سبحانه: ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**﴾، وقوله سبحانه: ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها**﴾ الآية .

الثانى: الأمر الدينى الشرعى كقوله سبحانه: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾ الآية، فأمره سبحانه الكونى نافذ لا راد له فى السماء والأرض فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه.

قوله:«كما رحمتك فى السماء»: فيه إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله.

قوله: «أنزل رحمة من رحمتك»: فيه إثبات العلو، وهذه الرحمة مخلوقة، فإن الرحمة المضافة إليه تنقسم إلى قسمين : الأول: رحمة تضاف إليه سبحانه وتعالى من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كقوله: ﴿**ورحمتى وسعت كل شىء**﴾، وقوله فى الحديث: « **برحمتك أستغيث**». الثانى: رحمة تضاف إليه سبحانه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه كما قال فى هذا الحديث: «**أنزل رحمة من رحمتك**» وكما فى حديث: «**خلق الله مائة رحمة**» وقوله ﷺ: «**قال سبحانه للجنة: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء**» وقد تقدم الكلام على هذا البحث فى الكلام على الآيات.

قوله: « اغفر لنا حوبنا»: هذا فعل دعاء من الغفر وهو الستر ووقاية الأثر، ومنه المغفر والجمع الغفير.

قوله:«حوبنا»: الحوب هو الإثم، ومنه قوله : ﴿**إنه كان حوباً كبيراً**﴾.

قوله:« وخطايانا»: الخطايا هى الذنوب والآثام.

قوله:«أنت رب الطيبين»: جمع طيب وخصهم بالذكر لما اتصفوا به من الطيب ومعلوم أنه رب كل شىء، ما يتصف بالطيب والخبث وغيرها، ولكن هذه ربوبية خاصة بأنبيائه وعباده الصالحين، لها اختصاص على الربوبية العامة للخلق

فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره ، فقد ربه ورباه ربوبية وتربية أكمل من غيره فالربوبية تنقسم إلى قسمين.

الأول: ربوبية عامة وهى لسائر الخلق.

الثانى: ربوبية خاصة وهى ربوبية لأنبيائه وعباده الصالحين. وفى هذا الحديث إشارة إلى التوسل بربوبيته سبحانه للطيبين، وهذا التوسل الشرعى وهو التوسل بربوبيته سبحانه وأسمائه وصفاته، وهذا التوسل من أعظم الوسائل للحصول على المقصود، ولا يكاد يرد دعاء من ترسل بها، فلهذا دعا الله بعدها بالشفاء الذى هو شفاء الله الذى لا يدع مرضاً إلا أزاله، وفيه أنه ينبغى أن يأتى من صفاته فى كل مقام بما يناسبه، كلفظ الغفور عند طلب المغفرة، والرازق عند طلب الرزق ونحو ذلك، والقرآن والأدعية النبوية مملوءة بذلك.

قوله :«على هذا الوجع»: بكسر الجيم أى المصاب بالمرض.

قوله :« ألا تأمنونى»: إلخ هذا الحديث أخرجه فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى قال بعث على من اليمن بذهيبة فى أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة: زيد الخير والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل(شك عمارة) فوجد من ذلك بعض الصحابة من الأنصار وغيرهم، فقال رسول الله ﷺ: « **ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء، يأتينى خبر السماء صباحا ومساء** » أخرجه البخارى ومسلم.

قوله: «**ألا تأمنونى**»: ألا : أداة استفتاح .

قوله:« وأنا أمين من فى السماء»:أى أمين الله سبحانه وتعالى الذى فى السماء على تبليغ شرعه ودينه، قيل إن القائل للنبى ﷺ هو ذو الخويصرة اليمنى فاستأذنه بعض الصحابة فى قتله، فقال النبى ﷺ:« **دعه فإنه يخرج من ضئضئ هذا**، ـ أى من جنسة ـ **قوما تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وقراءتكم مع قراءتهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجراً لمن قتلهم**» الحديث فأول بدعة وقعت فى الإسلام فتنة الخوارج، وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم النبى ﷺ غنائم حنين، فكأنهم رأوا فى عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل فى القسمة ففاجئوه بهذه المقالة ثم كان ظهورهم فى أيام على

ابن أبى طالب فقتلهم فى النهروان، ثم تشعبت منهم شعوب وآراء وأهواء. ومقالات ونحل كثيرة منتشرة ثم حدثت بعدهم بدعة القدرية ثم المعتزلة ثم الجهمية وغير ذلك من البدع التى أخبر عنها الصادق المصدوق ﷺ في قوله: «**وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة**» قالوا: وماهم يارسول الله؟ قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابى**» أخرجه الحاكم فى مستدركه، أفاد هذا الحديث فوائد:

أولا: ماكان عليه ﷺ من الصبر والتحمل لأذى المنافقين.

ثانياً: ترك النبى ﷺ هذا المنافق وغيره استبقاء لانقيادهم وتأليفاً لقلوبهم فإنه ﷺ لما استأذنه بعض الصحابة فى قتل بعض المنافقين قال: «**معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**».

ثالثاً: فيه دليل لمن لم يكفر الخوارج، قال النووى: ومذهب الشافعى وجماهير أصحابه وجماهير العلماء أن الخوارج لا يكفرون، وكذلك القدرية والمعتزلة وسائر أهل الأهواء. انتهى.

رابعاً: فيه دليل على علو الله على خلقه، فقوله: «**فى السماء**» فسرت فى بمعنى على، أو أن المراد بالسماء العلو ولا تنافى بين التفسيرين، وقد تقدم، فليس معنى قوله «**فى السماء**» أن السماء تظله أو تقله أو تحيط به أو تحويه، فإن هذا مالا توجبه اللغة وخلاف مافطر الله عليه الخلق.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله فى (الرسالة الحمويه): ثم من توهم أن كون الله فى السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره وضال إن اعتقده فى ربه، وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحداً نقله عن أحد، ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله ورسوله أن الله فى السماء أن السماء تحويه لبادر كل أحد أن يقول هذا شىء لعله لم يخطر ببالنا، وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأوله، بل عند المسلمين أن الله فى السماء وهو على العرش شىء واحد إذ السماء إنما يراد به العلو، فالمعنى أن الله فى العلو لا فى السفل، وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وسع السموات والأرض وأن الكرسى فى العرش كحلقة ملقاة فى أرض

وقوله ﷺ: « والعرش فوق ذلك ، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه» .حديث حسن. رواه أبو داود وغيره .

فلاة، وأن العرش خلق من مخلوق الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهم متوهم بعد ذلك أن خلقا يحصره أو يحويه، وقال الله سبحانه وتعالى عن فرعون: ﴿**لأصلبنكم فى جذوع النخل**﴾، وقال: ﴿**فسيروا فى الأرض**﴾ بمعنى على ونحو ذلك، وهو كلام عربى حقيقة لا مجاز. انتهى .

قوله:« والعرش فوق ذلك» إلخ: هذا الحديث رواه أبو داود وغيره من حديث العباس بن عبد المطلب، ولفظ أبى داود عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت فى البطحاء فى عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال: «**ماتسمون هذه ؟**» قالوا السحاب، قال: «**والمزن**»، وقالوا: والمزن، قال: «**والعنان**»، قالوا: والعنان. قال أبو داود: لم أتقن جيداً، قال: «**هل تدرون بُعد ما بين السماء والأرض؟**» قالوا لا ندرى، قال: « **إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل مابين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل مابين سماء إلى سماء ثم الله فوق ذلك**». ورواه أيضا ابن ماجه والترمذى وحسنه، ورواه الحافظ ضياء الدين المقدسى فى المختاره .

قوله:« والعرش فوق ذلك»: تقدم الكلام على العرش،أفاد هذا الحديث عدة فوائد .

الأول: إثبات العرش، وقد تكاثرت الأدلة من الكتاب والسنة على إثباته، وفيها الرد على من نفى العرش وزعم أن معنى عرشه ملكه وقدرته ولا شك فى بطلان ذلك،وفيه دليل على أن العرش فوق المخلوقات، وأنه ليس فوقه من المخلوقات شىء، وفيه دليل على أن الله فى السماء مستو على العرش، فلو كان فى كل مكان لم يكن لهذا التخصيص معنى ولا فيه فائدة،وفيه تفسير الاستواء بالعلو كما فسره الصحابة والتابعون والأئمة خلافاً للمعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن أخذ عنهم من الأشاعرة وغيرهم ممن ألحد فى أسماء الله وصفاته وصرفها عن

وقوله ﷺ للجارية: « أين الله؟» قالت: فى السماء، قال:« من أنا؟» قالت: رسول الله، قال:« اعتقها فإنها مؤمنة » رواه مسلم.

المعنى التى وضعت له ودلت عليه من إثبات صفات الله التى دلت على كلامه جل وعلا، وفيها إثبات فوقيته سبحانه وتعالى وعلوه على خلقه، وهذا الحديث صريح فى فوقية الذات، ففيه الرد على من زعم أن الفوقية فوقية رتبة وشرف، فإن حقيقة الفوقية علو ذات الشىء على غيره، وقد تقدم ذكر أنواع الفوقية، فله سبحانه الفوقية التامة والعلو الكامل المطلق، هذا مذهب السنة والجماعة، وبدعوا وضللوا من خالفه من الجهمية والمعتزلة، وفى هذا الحديث إثبات علمه المحيط بكل معلوم، فلا تخفى عليه خافية، وفيه الجمع بين الإيمان بعلوه على خلقه واستوائه على عرشه وبين الإيمان بإحاطة علمه بالموجودات كلها، وقد جمع بين الأمرين فى عدة مواضع.

قوله :« للجارية أين الله»: إلخ هذا الحديث رواه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمى وأخرجه أبو داود والنسائى وروى سببه بألفاظ متعددة، وفى بعض ألفاظه عن الحكم بن معاوية السلمى قال: اطلعت على غنيمة ترعاها جارية لى قبل أحد والجوانية فوجدت الذئب قد أصاب منها شاة وأنا من بنى آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة ثم انصرفت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فعظم ذلك علىّ، قال: قلت يارسول الله: أفلا أعتقها؟ قال:**«بلى جئنى بها»**. قال: فجئت بها رسول الله ﷺ فقال لها: **«أين الله ؟»** قالت: فى السماء، قال:« **من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله ﷺ، قال:« **أعتقها فإنها مؤمنة**» .

قال الحافظ الذهبى فى كتاب(العلو): هذا حديث صحيح رواه جماعة من الثقات، قال: وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائى وغير واحد من الأئمة فى تصانيفهم يروونه كما جاء ولا يتعرضون له بتأويل ولا تحريف، ثم بين الذهبى طرقه واختلاف ألفاظه.

هذا الحديث فيه فوائد:

أولا: فيه جواز السؤال عن الله بأين خلافاً للمبتدعة.

ثانيا: فيه جواز الإشارة إلى العلو كما جاء صريحا فى حديث أبى هريرة الذى أخرجه أبو داود فى باب الإيمان والنذور فأشارت بأصبعها إلى السماء.

وقوله ﷺ: « أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك أينما كنت» حديث حسن. أخرجه الطبرانى من حديث عبادة بن الصامت.

ثالثا: فيه إثبات العلو لله سبحانه وتعالى، فإن معنى قوله: «**فى السماء**» أى على السماء يعنى على العرش وقد تقدم الكلام.

رابعا: فيه الدليل على أن من شهد هذه الشهادة أنه مؤمن.

خامسا: فيه دليل على أنه يشترط فى صحة العتق الإيمان.

سادسا: فيه دليل على أن من شهد هذه الشهادة يكتفى فى ذلك بإيمانه ويقبل منه ذلك ولو لم يذكر دليل، فإن النبى ﷺ قبل منها مجرد الشهادة بعلو الله ورسالة رسوله، خلافاً للمتكلمين الذين يقولون لابد من النظر والقصد إلى النظر أو الشك، فإن هذه أقوال باطلة، فإن معرفة الله سبحانه فطرية فطر الله عليها عباده كما فى الحديث قال: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه**». الحديث.

سابعا: فيه دليل على أن الاعتراف بعلو الله سبحانه وتعالى وفوقيته مفطور عليه الخلق مغروز فى نفوسهم، وقد جرت عادة المسلمين عامتهم وخاصتهم بأن يدعو ربهم عند الابتهال والرغبة إليه فيرفعوا أيديهم إلى السماء وذلك لاستفاضة العلم عندهم بأن ربهم المدعو فى السماء، وقد تطابق أدلة العقل والنقل على إثباته.

قوله: «أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك» إلخ، فى هذا الحديث دليل على إثبات معيته سبحانه وتعالى، والمعية تنقسم إلى قسمين وقد تقدم الكلام عليها. وهذا الحديث فيه ذكر المعية العامة وهى معية العلم والاطلاع، وقد تكاثرت الأدلة بالندب إلى استحضار قربه سبحانه فى حال العبادات كقوله ﷺ: «إذا قام أحدكم يصلى فإنه يناجى ربه» وقوله ﷺ: «إن الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته مالم يلتفت» قال ابن رجب رحمه الله: ومن فهم من هذه الأحاديث تشبيهاً أو حلولا أو اتحاداً فإنما أتى من جهله وسوء فهمه عن الله ورسوله، والله ورسوله بريئان من ذلك كله، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. انتهى.

وفى هذا الحديث دليل على أن الإيمان يتفاضل، ودليل على أن بعض خصال الإيمان أفضل من بعض، وفيه دليل على أفضل عمل القلب، ودليل على أن أعمال

وقوله: « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قِبلَ وجهه فإن الله قِبلَ وجهه، ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدمه» متفق عليه .

القلوب داخلة فى مسمى الإيمان، وفيه الرد على من زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وفيه دليل على أن الإحسان أكمل مراتب الدين وهو أن يعبد العبد ربه كأنه يراه فيستحضر قرب الله واطلاعه وأنه بين يديه وذلك يوجب الخشية والخوف والتعظيم ويوجب النصح فى العبادة وبذل الجهد فى تحسينها وإتمامها، فيجمع العبد بين الإيمان بعلو الله سبحانه وتعالى واستحضار قربه ولا منافاة بين الأمرين.

قوله « إذا قام أحدكم إلى الصلاة» إلخ: هذا الحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن جماعة من الصحابة، منهم أنس وأبو هريرة وجابر بن عبد الله وابن عمر وغيرهم.

قوله« يبصق»: أى يتفل والبصاق والبزاق لغتان والبصاق لغة قليلة.

قوله «قبل» بكسر القاف وفتح الباء، أى مواجه،فى هذا الحديث فوائد، فيه دليل على قرب الله سبحانه وتعالى وإحاطته كما يليق بجلاله وعظمته كما قال سبحانه: ﴿**والله من ورائهم محيط**﴾ فإذا كان محيطا بالعالم فهو فوقه بالذات عال عليه من كل وجه وبكل معنى،فالإحاطة تتضمن العلو والسعة والعظمة،وإحاطته سبحانه بخلقه لا تنفى مباينته ولا علوه على مخلوقاته بل هو سبحانه فوق خلقه محيط بهم مباين لهم. انتهى من (الصواعق) باختصار.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله فى (الحموية): وكذلك العبد إذا قام يصلى فإنه يستقبل ربه وهو فوقه فيدعوه من تلقائه لا عن يمينه ولا عن شماله، ويدعوه من العلو لا من السفل كما إذا قدر أنه يخاطب القمر فإنه لا يتوجه إليه إلا بوجهه مع كونه فوقه، اهـ وقد نزع بهذا الحديث بعض المعتزلة إلى أن الله فى كل مكان بذاته، وهذا جهل فاضح، والأدلة المتواترة ترد ذلك وتفيد علو الله واستوائه على عرشه، وأيضا فإن آخر الحديث ينقض قولهم وهو قوله: « **أو تحت قدمه**» وفى الحديث إشارة للندب إلى استحضار قربه سبحانه وتعالى ومعيته فى حال العبادة، فإن ذلك يوجب الخشية والخوف من الله، ويدعو إلى إتمام العبادة على الوجه اللائق، وفيه دليل على القيام فى الصلاة وأن العمل اليسير لا يبطل الصلاة، وفيه دليل على جواز البصاق وهو يصلى، وفيه دليل على الندب إلى إزالة المستقذر أو ما يتنزه عنه من المسجد، وفيها أن النفخ والتنحنح فى الصلاة جائزان؛ لأن

وقوله ﷺ: «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى مُنزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنى الدين واغننى من الفقر» رواه مسلم.

النخامة لابد أن يقع معها شيء من ذلك، وفيه النهى عن البصاق قِبلَ وجهه والنهى عن البصاق عن يمينه تشريفاً لها، وفى رواية البخارى ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكان، وفيه جواز البصاق تحت قدمه وعن يساره والمراد إذا كان خارج المسجد، فأما فى المسجد فلا يجوز البصاق فى أرض المسجد مطلقاً لحديث «**البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها**» فهذا مخصص للحديث المتقدم، فإذا بدره البصاق فى المسجد بصق فى ثوبه ودلك بعضها فى بعض كما دلت على ذلك الأحاديث المخصصة لما تقدم، واستفيد من الحديث تحريم البصاق إلى القبلة سواء كان فى المسجد أو لا، وفى صحيحى ابن خزيمة وابن حبان من حديث حذيفة رضى الله عنه مرفوعا: من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفله بين عينيه، ولأبى داود وابن حبان من حديث السائب بن خلاد أن رجلا أمّ قومًا فبصق فى القبلة فلما فرغ قال رسول الله ﷺ: « **لا يصلى لكم**» الحديث، وفيه إنك قد آذيت الله ورسوله، وفى هذه الآيات دليل على أن النخامة والبصاق طاهران ودليل على صيانة المساجد وتعظيمها.

قوله: «اللهم رب السموات» إلخ: هذا الحديث أخرجه مسلم من حديث سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: « **اللهم رب السموات السبع**» الحديث، قال: وكان يروى ذلك عن أبى هريرة وأخرجه أيضًا أهل السنن.

قوله: «اللهم»: أصله يا الله، فالميم عوض عن ياء، ولذلك لا يجمع بينهما، وشذ قول بعض العرب:

إنى إذا ما حدث ألما   أقول يا اللهم يا اللهما

قال الحسن البصرى: اللهم مجمع الدعاء، وقال النضر بن الشميل: من قال

اللهم فقد دعى الله بجميع أسمائه.

قوله: «**رب**»: تأتى لفظة رب بمعنى المربى والمالك والخالق.

وقوله: «**رب السموات السبع**»: أى هو خالق العالم العلوى.

قوله: «**ورب العرش العظيم**»: أى الكبير، فى الحديث: « **ما السموات السبع والأرضون السبع وما بينهن وما فيهن فى الكرسى إلا كحلقة ملقاة فى أرض فلاة وأن الكرسى بما فيه بالنسبة إلى العرش كتلك الحلقة فى تلك الفلاة**» وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما: إنما سمى عرشًا لارتفاعه. وعن ابن عباس رضى الله عنه: العرش لا يقدر قدره إلا الله، فيه إثبات عظمة العرش وأنه أعظم المخلوقات وأنه مخلوق، ومنه يستفاد عظمة البارى بعظمة مخلوقاته، وفيه الرد على من زعم أن العرش ليس بمخلوق أو أن عرشه ملكه أو قدرته، وقد تقدم الكلام على هذا.

قوله: «**ربنا ورب كل شيء**»: فيه إثبات عموم ربوبيته وملكه، وأنه خالق كل شيء، وأنه المنعم الحقيقى على سائر الخلق، وفيها الرد على القدرية الذين يزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه فإن ربوبيته العامة وقدرته التامة تشمل أفعال خلقه، فمن زعم أن العبد يخلق فعل نفسه فقد أثبت خالقا مع الله ولم يدخل أفعال خلقه فى عموم قدرته وربوبيته.

قوله: «**فالق الحب والنوى**»: أى شاق والفلق الشق، أى الذى يشق حب الطعام ونوى التمر ونحوهما للإنبات، والنوى عجم التمر ونحوه.

قوله: «**منزل التوراة والإنجيل والقرآن**»: أى منزل الثوراة على موسى والإنجيل على عيسى والقرآن على محمد. فيه دليل على أن هذه الكتب من كلام الله وأنها منزلة من عند الله وأنها غير مخلوقة، خلافًا لأهل البدع الذين يزعمون أن كلام الله مخلوق أو أنها كلام غيره، وفيه دليل على علو الله سبحانه؛ لأن الإنزال والنزول والتنزيل المعقول عند العرب لا يكون إلا من أعلا إلى أسفل.

قوله: «**أعوذ**»: أى ألتجئ وأعتصم وألتصق بجناب الله من شر كل ذى شر والعياذ يكون لدفع الشر واللياذ يكون لطلب الخير كما قال المتنبى:

يا من ألوذ بـــه فيما أؤملـــه ... ومن أعـــوذ بـــه مما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره

قوله: «**دابة**»: الدابة **لغة**: كل ما دب على وجه الأرض، وأطلق عرفًا على ذوات الأربع.

قوله: «**بناصيتها**»: أى تحت قهره وسلطانه سبحانه، أى أعوذ بك من شر كل شيء من المخلوقات؛ لأنها كلها في سلطانه وهو آخذ بنواصيها متصرف فيها يصرفها كيف يشاء، والناصية مقدم الرأس.

قوله: «**أنت الأول فليس قبلك شيء**»: هذا تفسير رسول الله ﷺ فلا تفسير أكمل من تفسيره، ففيه دليل على أوليته سبحانه وأنه قبل كل شيء، ففيه الرد على من زعم قدم هذه المخلوقات، وفيه دليل على أبديته سبحانه وبقائه بعد كل شيء، وفيه دليل على علوه سبحانه على خلقه وفوقيته واستوائه على عرشه فإن الظاهر هو العالى المرتفع.

قوله: «**وأنت الباطن**»: فيه دليل على قربه سبحانه وإحاطته وأنه أقرب إلى كل شيء من نفسه، وقربه سبحانه لا ينافى ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه ليس كمثله شيء وليس قربه كقرب الأجسام بعضها من بعض ـ تعالى الله أن يشبهه شيء من خلقه ـ فهذه الأسماء الأربعة متقابلة اسمان منها لأزلية الرب وأبديته واسمان لعلوه وقربه.

وقوله: «**اقض عنى الدين**»: هذا فعل دعاء أى أدّ. قوله: «**الدين**»: أى واحد الديون ،والمراد به حقوق الله وحقوق عباده كلها من جميع الأنواع.

قوله: «**اغننى**»: الغنى بالكسر والقصر هو عدم الحاجة، وبفتح الغين النفع وبالكسر مع المد الأصوات المطربة كما قال بعضهم:

غناء الصوت ممدود بما يستجلب الطرب

وكل غنى فمقصور كذا نطقت به العرب

والفقر بالفتح ضد الغنى، وهو فى **اصطلاح الفقهاء**: من وجد أقل من نصف كفايته أو لم يجد شيئًا أصلا، وأما المسكين فهو: من وجد نصف كفايته فأكثر، فالفقير أشد حاجة من المسكين لكن إذا أطلق الفقير دخل فيه المسكين وبالعكس وإذا ذكرا معًا فسر كل واحد منهما بتفسير كالإسلام والإيمان إذا اجتمعا

وقوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا» متفق عليه.

افترقا وإذا افترقا اجتمعا، وفى الحديث من الفوائد غير ما تقدم دعاء الله بأسمائه وصفاته، وهذا مما تكرر في الأحاديث، وهذا هو التوسل الشرعى والمتوسل بهذه الوسيلة جدير بالإجابة.

قوله: «إنكم سترون ربكم» إلخ: هذا الحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث جرير بن عبد الله البجلى قال: كنا جلوسًا عند النبى ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، وقال: « **إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا**، ثم قرأ: ﴿**فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**﴾» وفى بعض ألفاظه: «**ستعاينون ربكم كما تعاينون القمر**».

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: رسول الله ﷺ: « **هل تضارون فى القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**هل تضارون فى الشمس ليس دونها حجاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**إنكم ترونه كذلك**». إلى غير ذلك من الأحاديث التى بلغت حد التواتر، قال يحيى بن معين: عندى سبعة عشر حديثًا فى الرؤية، كلها صحاح، وقال أحمد: والأحاديث التى رويت عن النبى ﷺ «**إنكم ترون ربكم**» صحيحة وأسانيدها غير مدفوعة والقرآن شاهد أن الله يرى فى الآخرة، انتهى.

وقد تواطأ على إثبات ذلك أدلة الكتاب والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث، وقد أنكر الرؤية الجهمية والمعتزلة وأضرابهم اعتمادًا على عقولهم الفاسدة وتقليدًا لأعداء الدين الذين نبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراءهم ظهريًا.

قوله: «إنكم سترون»: السين فيه لتأكيد الوعد وتحقيق الأمر.

قوله: «سترون»: أى رؤية بصرية والمخاطب بذلك المؤمنون، فالكفار محجوبون عن رؤيته كما قال تعالى ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾.

قوله: «كما ترون القمر ليلة البدر»: القمر بعد ثلاث من الشهر إلى آخر الشهر، سمى قمراً لبياضه. والبدر: القمر ليلة كماله وهو الممتلئ نوراً وهى ليلة الرابعة عشر من الشهر سمى بذلك لمبادرة طلوعه قبل غروب الشمس وطلوعها قبل غروبه.

قوله: «كما ترون القمر»: تحقيقا للرؤية ونفياً لتوهم المجاز الذى يظنه المعطلون فترونه رؤية حقيقية بالعين البصرية والتشبيه فى قوله: **«كما ترون القمر»** تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئى بالمرئى فإنه سبحانه لا شبيه ولا نظير.

قوله: «لا تضامون فى رؤيته»: بضم الفوقية وتخفيف الميم، أى لا يلحقكم ضيم، وروى بالفتح وتشديد الميم من التضام والازدحام كما ينضم بعض إلى بعض فى رؤية الشىء الخفى كالهلال، يعنى إنكم ترونه رؤية محققة كل منكم يراه فى مكانه، فهذا الحديث أفاد إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى فى الآخرة.

قال ابن القيم رحمه الله: دل الكتاب والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث على أن الله سبحانه يرى بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر صحواً، وكما ترى الشمس فى الظهيرة، فإن كان لذلك حقيقة وأن الرؤية حق فلا يمكن أن يرونه إلا من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم، وإن لم يكن لذلك حقيقة كما يقوله أفراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس والفرعونية بطل الشرع والقرآن. انتهى.

وفيه الرد على من زعم أن المراد بالرؤية العلم؛ لأن رأى بمعنى علم تتعدى إلى مفعولين تقول رأيت زيداً فقيهاً أى علمته، فإن قلت: رأيت زيداً لم يفهم منه إلا رؤية البصر ويزيده تحقيقا قوله فى الحديث: **«إنكم سترون ربكم عيانا»** لأن اقتران الرؤية بالعيان لا يحتمل أن يكون بمعنى العلم، وفى الحديث كما تقدم دليل على إثبات علو الله وأنهم يرونه من فوقهم كما فى حديث جابر الذى رواه أحمد وغيره.

قوله: «فإن استطعتم أن لا تغلبوا» معناه لا تصيروا مغلوبين بالاشتغال عن صلاتى الصبح والعصر فهى المرادة فى الحديث كما فى صحيح مسلم، ففى هذا الحديث دليل على فضل هاتين الصلاتين، وأن المحافظ عليهما حقيق بأن يرى ربه يوم القيامة، قال بعض العلماء: ووجه مناسبة ذكر هاتين الصلاتين عند ذكر الرؤية

وقوله: إلى أمثال هذه الأحاديث التى يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه بما يخبر به، فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به فى كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

أن الصلاة أفضل الطاعات، وقد ثبت أن لهاتين الصلاتين من الفضل على غيرهما، ما ذكر من اجتماع الملائكة فيهما ورفع الأعمال وغير ذلك، فهما أفضل الصلوات، فناسب أن يجازى عليهما بأفضل العطايا. وهو النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى. ا. هـ.

قوله: إلى أمثال: أى أشباه هذه الأحاديث التى أوردها المصنف رحمه الله، فان أهل السنة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما جاء فى القرآن، فإن السنة كالقرآن فى وجوب القبول وإفادة العلم واليقين.

قوله:إلى أمثال هذه الأحاديث إلخ: إشارة إلى الرد على الجهمية والمعتزلة والرافضة الذين نبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم وقدحوا فى دلالتهما على الصفات. وقالوا: الكتاب والسنة ظواهر لفظية لا تفيد اليقين، وأن القواطع العقلية والبراهين اليقينية فى المناهج الفلسفية والطرق الكلامية، فانظر كيف لعب بهم الشيطان حتى أخرجهم من الإيمان، قال تعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**﴾ الآية. وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**». وطريق أهل السنة والجماعة هو التمسك بالنص الصحيح ولا يعارضونه بمعقول ولا بقول فلان، فكتاب الله وسنة رسوله هما المعيار فما طابقهما قبل وما خالفهما رد على من قاله كائناً من كان.

قال الإمام أحمد رحمه الله: عجبت لقوم يعرفون الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأى سفيان والله سبحانه يقول: ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾ أتدرى ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك. وقال الإمام الشافعى رحمه الله: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائناً من كان، ونظائر ذلك كثير فى كلام السلف.

وقال ابن القيم رحمه الله فى (النونيه):

من قال قولا غيره قمنا على	أقواله بالسيـــــــر والميزان
إن طابقت قول الرسول وفعله	فعلى الرؤوس تشال كالتيجان
أو خــــــالفت رددناها على	من قالها من كان من إنســـــان
أو أشكلت توقفنــــــا ولم	تجــــزم بلا علم ولا برهان
هـــــذا الذى أدى إليه علمنا	وبه نديـــن الله كل أوان

فالذى عليه أهل السنة والجماعة أن السنة كالقرآن فى وجوب القبول وإفادة العلم واليقين خلافاً لما عليه أهل البدع والضلال وتقدم الكلام على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملا به وتصديقاً له يفيد العلم اليقينى عند جماهير الأمة ولم يكن بين سلف الأمة فى ذلك نزاع وهو الحق الذى تشهد له الأدلة كخبر عمر: «**إنما الأعمال بالنيات**» وكقوله: «**يحرم من الرضاع ما يحرم النسب**» إلى أمثال ذلك، وهو نظير خبر الذى أتى مسجد قباء وهم يصلون وأخبر أن القبلة تحولت فاستداروا إلى القبلة، وكان رسول الله ﷺ يرسل رسله آحاداً ويرسل كتبه مع الآحاد، والأدلة على ذلك كثيرة وقد حقق ذلك الشيخ تقى الدين بن تيمية وتلميذه ابن القيم وأطال عليه فى (الصواعق) وذكر الأدلة ورد على المخالفين رداً وافيا، وكذلك فى (النونية)، وأشار إلى ذلك فى (فتح المجيد)، وذهب غير واحد إلى أن خبر الصحيحين يفيد العلم اليقينى وهو الحق.

قوله: وسط: يأتى بمعنى التوسط بين الشيئين، ويأتى بمعنى العدل الخيار، فأهل السنة وسط، أى عدول خيار معتدلين بين الطرفين المنحرفين فى جميع أمورهم، وفى الحديث: «**خير الأمور أوساطها**».

قال على رضى الله عنه: خير الناس النمط الأوسط الذى يرجع إليهم الغالى ويلحق بهم التالى، ذكره ابن المبارك عن محمد بن طلحة عن على، وقد مدح الله أهل التوسط بين الطرفين المنحرفين، ونهى الله عن الإفراط والتفريط والغلو والتقصير فى غير موضع من كتابه، قال تعالى: ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط**﴾، وقال تعالى: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**﴾. وقال بعض السلف: دين الله بين المغالى فيه والمجافى

عنه. وفي حديث ابن عباس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**» أخرجه النسائي وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان وصححه الحاكم.

والغلو: هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، قال الشاعر:

ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد   كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وفي حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثا.

قال ابن القيم رحمه الله: ومن كيد عدو الله إبليس أن يشم قلب العبد فإن رأى عنده قوة إقدام وعلو همة قلل عنده المأمور وأوهمه أنه لا يكفى وأنه يحتاج معه إلى مبالغة، وإن رأى الغالب عنده الانكفاف و الإحجام ثبطه عن المأمور وثقله عليه حتى يتركه أو بعضه، كما قال بعضهم: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما إلى إفراط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو ولا يبالي بأيهما ظفر، وقد اقتطع أكثر الناس إلا القليل في هذين الواديين، انتهى.

قوله: كما أن هذه الأمة هي الوسط في الأمم: قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾ أي عدلا خياراً لتوسطها بين الطرفين المذمومين فلم يغلوا غلو النصارى، ولم يقصروا كتقصير اليهود ولكنهم أهل وسط واعتدال، فهم معتدلون في باب توحيد الله إذ كان اليهود يصفون الله بالنقائص ويشبهونه بالمخلوق، كما أخبر الله عنهم أنهم: ﴿**قالوا: إن الله فقير**﴾ ونفى عن نفسه اللغوب الذي وصفوه به، والنصارى يصفون المخلوق بصفات الخالق التي اختص بها، فلا يشركه فيها غيره كالإلهية وغيرها، وقالوا بأن المسيح هو الله، وقالوا: ابن الله وثالث ثلاثة، وأمه محمد وسط يعبدون الله سبحانه وتعالى ويصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، فوصفوه بصفات الكمال ونزهوه عن صفات النقص والعيب، وكذلك في النبوات، فاليهود تقتل الأنبياء وتستكبر على أتباعهم، والنصارى يجعلون من ليس بنبي ولا رسول نبياً ورسولا، وهذه الأمة تؤمن بجميع أنبياء الله ورسله، وأما الشرائع فاليهود منعوا الخالق أن يبعث رسولا بغير شريعة الرسول الأول، والنصارى جوزوا لأحبارهم أن يغيروا من الشرائع ما بعث الله به رسله وكذلك في العبادات النصارى يعبدونه ببدع ما أنزل الله بها من سلطان واليهود

معرضون عن العبادات والمسلمون عبدوه بما شرع ولم يعبدوه بالبدع.

وكذلك فى حق الأنبياء عليهم السلام فلم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فى المسيح ولا جفوهم كما جفت فيهم اليهود، فالنصارى عبدوهم واليهود قتلوهم وكذبوهم، والأمة الوسطى هى هذه الأمة آمنوا بهم وعزروهم ونصروهم، فهذه الأمة أفضل الأمم على الإطلاق قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ وقال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾ الآية - وفى حديث أبى هريرة: «**أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**»، وأما قوله سبحانه وتعالى فى بنى إسرائيل: ﴿**وفضلناكم على العالمين**﴾فالمراد أنه سبحانه فضلهم على عالمى زمانهم كشعب بختنصر وغيرهم.

قوله: فهم وسط فى باب صفات الله: أى أهل السنة وسط، أى عدل خيار معتدلون بين الطرفين المنحرفين فهم معتدلون فى باب توحيد الله يصفونه سبحانه بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله أعرف الناس بربهﷺمن غير تعطيل فلا ينفى عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، ولاتشبيه فلا يقال له سمع كأسماعنا ولا بصر كأبصارنا ونحو ذلك كما قال سبحانه: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ فقوله: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ رد على المشبهة، وقوله: ﴿**وهو السميع البصير**﴾ رد على المعطلة.

قوله: أهل التعطيل: أى الذين نفوا حقائق أسماء الله وصفاته وعطلوه منها، من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وأشباههم، فالجهمية نفوا صفات الله لفظها ومعناها وزعموا أن إثباتها يفضى إلى التشبيه فعطلوها، فروا من شيء ووقعوا فى أشد منه، فإنهم لم يعطلوها حتى شبهوا الله سبحانه بخلقه واعتقدوا أن صفات الله كصفات المخلوق فعطلوها فراراً من التشبيه بزعمهم، فوقعوا فى أشد من ذلك، وهو تشبيهه سبحانه وتعالى بالمعدومات والناقصات، فشبهوا أولا وعطلوا ثانيا، ثم شبهوا ثالثا، فإن من لاصفات له بالكلية لا وجود له، فإن من ليس له سمع ولا بصر ولاقدرة ولا إرادة ولا هو فوق ولا أسفل ولا يمين لا شمال إلى آخر ما هو موجود فى كتبهم ليس له وجود بالكلية بل هو مقدر فى الأذهان لا وجود له فى الأعيان، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وكلام العلماء فى ذمهم

وأنهم يدورون على أن يقولوا ليس ثم إلا العدم المحض كثير، وأما المعتزلة فأثبتوا الأسماء ونفوا المعاني، فيقولون إنه سبحانه سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم إلى غير ذلك مما يقولونه وتصور هذا المذهب كاف في رده وإبطاله، وأما الأشاعرة فأثبتوا لله بعض الصفات ونفوا البعض فاضطربوا وتناقضوا.

قوله: الجهمية: نسبة لى الجهم بن صفوان الترمذى الضال، والنسبة إليه جهمى بفتح الجيم، والجهم أخذ بدعته هذه، أى بدعة تعطيل الصفات من الجعد ابن درهم، فهو أول من تكلم فى التعطيل فى الإسلام فقتله خالد بن عبد الله القسرى بعد أن استشار علماء التابعين فأفتوا بقتله، فخطب فى يوم عيد الأضحى فقال: يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحى بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما، فنزل فذبحه فى أصل المنبر، قال ابن القيم رحمه الله.

ولذا ضحى بجعد خالد الـ قسرى يوم ذبائح القربان

إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الدانى

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخى قربان

والجعد بن درهم أول من قال بخلق القرآن، أخذ بدعته عن إبان بن سمعان وأخذها إبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم زوج بنته وأخذها لبيد عن يهودى باليمن وأخذ هذه البدعة عن الجعد الجهم ين صفوان الترمذى وأخذ عن الجهم بشر المريسى وأخذها عن بشر أحمد بن أبى داود، وأما الجهم بن صفوان فقتله سلم بن أحوز أمير خراسان سنة مائة وثمانية وستين، ونسبت الطائفة إلى الجهم؛ لأنه الذى ناضل عن هذا المذهب الخبيث وأظهره ودعا إليه، وتقلد هذا المذهب الخبيث بعده المعتزلة، ولكن كان الجهم أدخل فى التعطيل منهم لأنه ينكر الأسماء حقيقة وهم لاينكرون الأسماء بل الصفات، قال جمع من العلماء فى الجهمية: إنهم ليسوا من فرق هذه الأمة الثنتين والسبعين فرقة، منهم عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط وغيرهم.

قال ابن القيم رحمه الله فى (النونية):

وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط فى باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية.

ولقد تقلد كفرهم خمسون فى عشر من العلماء فى البلدان
واللالكائى الإمام حكاه عنهم بل قد حكاه قبله الطبرانى

قال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله: المشهور من مذهب الإمام أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن، فإن قولهم صريح فى مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب والسنة، وحقيقة قولهم جحود الصانع وجحود ما أخبر به على لسان رسوله بل وجميع الرسل، ولهذا قال عبد الله بن المبارك: إنا لنحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكى كلام الجهمية، وقال غير واحد من الأئمة: إنهم أكفر من اليهود والنصارى.

قوله: وأهل التمثيل المشبهة: أهل التمثيل المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه ومثلوه بهم ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ـ والتشبيه ينقسم إلى قسمين كما تقدم:

الأول: تشبيه الخالق بالمخلوق كما تقول: لله يد كأيدينا، وعين كأعيننا، وقدم كأقدامنا.

الثانى: تشبيه المخلوق بالخالق كتشبيه الأصنام والأوثان بالله سبحانه وتعالى عن ذلك فإنه سبحانه لاشبيه له ولا مثيل له ولا نظير، قال تعالى: **﴿هل تعلم له سميا﴾ ـ ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ـ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ ـ ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾** فالمعطلة غلوا فى النفى حتى شبهوه بالمعدومات والناقصات، والمشبهة غلوا فى الإثبات حتى شبهوه بالمخلوقات، وأهل السنة والجماعة أثبتوا لله الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات.

قوله: وهم وسط فى أفعال الله بين الجبرية والقدرية: فالجبرية نفوا أفعال العباد وزعموا أنهم لايفعلون شيئا البتة وإنما الله هو فاعل تلك الأفعال حقيقة فهى نفس فعله لا أفعالهم، والعبيد ليس لهم القدرة ولا إرادة ولا فعل البتة، وإنما أفعال العباد كفيف الأشجار أو كحركة المرتعش والكل فعل الله، وعليه فسائر الأفعال طاعة؛ لأنها موافقة لإرادة الله الكونية القدرية، فالزنا واللواط والقتل وشرب الخمرعلى هذا القول طاعات، وقد قال بعض غلاتهم:

أصبحت منفعلا لما يختاره ربى ففعلى كله طاعات

ولا شك فى فساد هذا المذهب، وأدلة الكتاب والسنة، بل والعقل متواطئة على رده وإبطاله، بل لايمكن أن تعيش أمة على هذا المذهب الخبيث أو تنتظم أمورها ولا شك أن هذا المذهب مخالف لجميع أديان الأنبياء، والجبرية سموا بذلك؛ لأنهم يقولون إنا مجبورون على أفعالنا، فغلوا فى إثبات القدر، وزعموا أن العبد لافعل له البتة، قال فى التعريفات: الجبرية من الجبر، وهو إسناد فعل العبد إلى الله، والجبرية اثنان متوسطة تثبت للعبد كسباً فى الفعل كالأشعرية ، وخالصة لاتثبت كالجهمية، انتهى.

ولفظ جبر لفظ مبتدع أنكره السلف كالثورى والأوزاعى وأحمد وغيرهم، وقالوا: الجبر لايكون إلا من عاجز،فيقال جبل كما جاءت به السنة، أشار إلى ذلك الشيخ تقى الدين وابن القيم رحمهما الله، وأصل قول الجبرية مأخوذ عن الجهم بن صفوان فهو إمام المجبرة،والجبرية عكس القدرية نفاة القدر، فإن القدرية نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، وقد تسمى الجبرية قدرية؛ لأنهم غلوا فى إثبات القدر والتسمية على النافين أغلب: قال الشيخ تقى الدين فى (تائيته):

ويدعى خصوم الله يوم معادهم إلى النار طرا فرقة القـدرية

سواء نفوا أو سعوا ليخاصمـــوا به الله أو ماروا به للشريعة

فالقدرية النفاة هم الذين ورد فيهم الحديث الذى فى السنن أنهم مجوس هذه الأمة وأكثر المعتزلة على هذا المذهب الباطل، فإنهم يقولون أن أفعال العباد وطاعتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فالله سبحانه وتعالى على زعمهم لايقدر على أفعال العباد ولاشاءها منهم، ولكنهم يعملونها دون مشيئة الله وقدرته، وأن الله لايقدر أن يهدى ضالا ولايضل مهتدياً. فأثبتوا خالقاً مع الله سبحانه، وهذا إشراك مع الله فى توحيد الربوبية.

قال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله: وقول القدرية يتضمن الإشراك والتعطيل فإنه يتضمن إخراج بعض الحوادث عن أن يكون لها فاعل ويتضمن إثبات فاعل مستقل غير الله وهاتان شعبتان من شعب الكفر، فإن أصل كل كفر هو التعطيل والشرك. انتهى. (منهاج).

وقد وردت أحاديث فى ذم القدرية وأنهم مجوس هذه الأمة، وذلك لمضاهاة قولهم لقول المجوس، فإن المجوس يثبتون خالقين، خالق الخير وخالق الشر، وهما النور والظلمة، فالنور خالق الخير، والظلمة خالقة الشر، وكذلك القدرية أثبتوا خالقين: أثبتوا أن الله خالق الحيوان وأن الحيوان يخلق فعل نفسه، فمما ورد فى ذمهم ما رواه أبو داود فى سننه من حديث ابن عمر أن النبى ﷺ قال: **«القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم»** وروى فى ذم القدرية أحاديث أخر،تكلم أهل الحديث فى صحة رفعها،والصحيح أنها موقوفة،وأول من تكلم فى القدر معبد الجهنى ثم غيلان الدمشقى،وكان ذلك فى آخر عصر الصحابة، وأنكر عليهم الصحابة وتبرؤوا منهم وبدعوهم، فالجبرية غلوا فى إثبات القدر والمعتزلة غلوا فى نفيه، وهدى الله أهل السنة والجماعة للقول الوسط الذى تؤيده أدلة الكتاب والسنة، فأثبتوا أن العباد فاعلون حقيقة، وأن أفعالهم تنسب إليهم على جهة الحقيقة لا على جهة المجاز، وأن الله خالقهم وخالق أفعالهم كما قال: **﴿والله خلقكم وماتعملون﴾** وأثبتوا للعبد مشيئة واختياراً تابعين لمشيئة الله كما قال سبحانه: **﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾** وسيأتى الكلام على هذه المباحث إن شاء الله.

قوله: وفى باب وعيد الله: الوعيد: التخويف التهديد، فالوعيد والإيعاد فى الشر، وأما الوعد والعدة ففى الخير كما قال الشاعر:

وإنى وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

قوله: المرجئة المرجئة نسبة إلى الإرجاء أى التأخير لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة غير فاسق وأن الناس فى الإيمان سواء فإيمان أفسق الناس كإيمان الأنبياء،وأن الأعمال الصالحة ليست من الإيمان ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية، ومذهبهم باطل ترده أدلة الكتاب والسنة، ولاشك أن هذا المذهب من أخبث المذاهب وأفسدها إذ يدعو إلى الانسلاخ من الدين وإهمال جميع الأعمال واستباحة جميع المنكرات وهؤلاء أحد فرق المبتدعة، قال الشيخ تقى الدين: لاتختلف نصوص أحمد أنه لايكفر المرجئة، فإن بدعتهم من جنس اختلاف الفقهاء فى الفروع، والمرجئة فرقتان:

الأولى: الذين قالوا إن الأعمال ليست من الإيمان وهم مع كونهم مبتدعة فى هذا القول فقد وافقوا أهل السنة على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم بالشفاعة كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وعلى أنه لابد فى الإيمان أن يتكلم به بلسانه، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب، وقد أضيف هذا القول إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة.

أما الفرقة الثانية: فهم الذين قالوا إن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب وإن لم يتكلم به، ولا شك فى فساد هذا القول ومصادمته لأدلة الكتاب والسنة، فإن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، فإذا اختل واحد من هذه الأركان لم يكن الرجل مؤمناً، وعلى هذا أدلة الكتاب والسنة، ودرج على هذا السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين. انتهى من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بتصرف.

قوله: الوعيدية: وهم القائلون بالوعيد وهو أصل من أصول المعتزلة، وهو أن الله لايغفر لمرتكب الكبيرة إلا بالتوبة وأن أهل الكبائر مخلدون فى النار ويخرجونهم من الإيمان بالكلية ويكذبون بشفاعة النبى ﷺ وغيره زعماً منهم أنه إذا أوعد عبيده فلا يجوز أن يعذبهم ويخلف وعيده، وهذا المذهب يقول به المعتزلة والخوارج وهو باطل ترده أدلة الكتاب والسنة المتواترة والإجماع، قال الله تعالى: ﴿**إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ قال فى (فتح المجيد) : وفى الآية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب وعلى المعتزلة القائلين بأن أصحاب الكبائر يخلدون فى النار، وليسوا عندهم بمؤمنين ولا كفار ، ولايجوز أن يحمل قوله سبحانه: ﴿**ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ على التائب فإن التائب من الشرك مغفور له كما قال تعالى: ﴿**قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً**﴾ فهنا عمم وأطلق، لأن المراد هنا التائب وهناك خص وعلق؛ لأن المراد به من لم يتب، هذا ملخص كلام شيخ الإسلام تقى الدين رحمه الله.

أما القول الوسط الذى عليه أهل السنة والجماعة فهو أن الفاسق معه بعض الإيمان وأصله معه جميع الإيمان الواجب الذى يستوجب به الجنة، فهو تحت مشيئة الله إن عفى عنه أدخله الجنة من أول وهلة وإلا عذبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة

وفى باب أسماء الإيمان والدين، بين الحرورية المعتزلة وبين المرجئة الجهمية، وفى أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج.

فلابد له من دخول الجنة، فلا يعطى الإيمان المطلق، ولايسلب عنه مطلق الإيمان بل يقال مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو يقال مؤمن ناقص الإيمان وهذا هو الحق الذى دلت عليه أدلة الكتاب والسنة، ودرج عليه السلف الصالح، عكس ما عليه الخوارج والمعتزلة والمرجئة، فالمرجئة فى طرف، والخوارج والمعتزلة فى طرف آخر، فالخوارج والمعتزلة غلوا والمرجئة جفوا، فالمرجئة يقولون: لايضر مع الإيمان ذنب، والخوارج يقولون: يكفر المسلم بكل ذنب. وكذلك المعتزلة يقولون: يحبط إيمانه كله بالكبيرة فلا يبقى معه شيء من الإيمان، لكن الخوارج يقولون: يخرج من الإيمان ويدخل فى الكفر، والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل فى الكفر، بل يكون فى منزلة بين منزلتين وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود فى النار وكلاهما مخالف للسنة المتواترة ولإجماع سلف الأمة وأئمتها.

وأما استدلالهم بقوله سبحانه: ﴿**لايصلاها إلا الأشقى**﴾ فقد بين النبى ﷺ أن هذا الصلى لأهل النار الذين هم أهلها كما فى حديث أبى سعيد، وأن الذين ليس هم من أهلها فإنها تصيبهم بذنوبهم، وأن الله يميتهم فيها حتى يصيروا فحما، ثم يشفع فيهم فيخرجون ويؤتى بهم إلى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل، وهذا المعنى مستفيض عن النبى ﷺ بل متواتر فى أحاديث كثيرة فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى سعيد وأبى هريرة وغيرهما، قال والصلى المذكور فى الآية هو الصلى المطلق وهو المكث فيها والخلود على وجه يصل العذاب إليهم دائما، فأما من دخل وخرج فإنه نوع من الصلى المطلق، انتهى. من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بتصرف .

قوله: وفى باب أسماء الإيمان والدين: أى أن هؤلاء تنازعوا فى الأسماء والأحكام أى أسماء الدين مثل مسلم وكافر وفاسق، وكذلك فى أحكام هؤلاء فى الدنيا والآخرة فالخوارج والمعتزلة متفقون فى اسم الدين مثل مؤمن ومسلم وفاسق وكافر، إلا أن المعتزلة أحدثوا المنزلة بين المنزلتين، وهذه خاصة المعتزلة التى اختصوا بها دون غيرهم دون سائر أقوالهم فقد شاركهم فيها غيرهم، فالخوارج والمعتزلة يقولون: إن الدين والإيمان قول وعمل واعتقاد ولكن لايزيد ولا ينقص، ومن أتى كبيرة كفر عند الحرورية، وصار فاسقاً عند المعتزلة فى منزلة بين المنزلتين

لا مؤمن ولا كافر. وأما الحكم فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم فى الآخرة، فعندهم أن من أتى كبيرة فهو خالد مخلد فى النار لايخرج منها لابشفاعة ولابغير شفاعة، أما فى الدنيا فالخوارج حكموا بكفر العاصى واستحلوا دمه وماله، وأما المعتزلة فحكموا بخروجه من الإيمان ولم يدخلوه فى الكفر ولم يستحلوا منه ما استحلته الخوارج، وقابلتهم المرجئة والجهمية ومن اتبعهم فقالوا: ليس من الإيمان فعل الأعمال الواجبة، ولا ترك المحظورات البدنية فإن الإيمان لايقبل الزيادة ولا النقصان بل هو شىء واحد يستوى فيه جميع المؤمنين من الملائكة والمقتصدين والمقربين والظالمين، فالمرجئة يقولون: الإيمان مجرد التصديق، والجهمية يقولون: مجرد المعرفة والأعمال ليست من الإيمان، فإيمان أفسق الناس كإيمان الأنبياء والمرسلين، وقالوا: لايضر مع الإيمان ذنب، فالخوارج والمعتزلة غلوا والمرجئة والجهمية جفوا، وهدى الله أهل السنة والجماعة للقول الوسط وهو كما تقدم أن الإيمان والدين قول وعمل واعتقاد وأنه يزيد وينقص وأن صاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان، وأما حكمه فى الآخرة فهو تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة من أول وهلة وإلا عذب بقدر ذنوبه ثم دخل الجنة، فلا بد له من دخول الجنة، هذا هو القول الحق الذى تدل عليه أدلة الكتاب والسنة وعليه السلف الصالح والأئمة.

قوله:الحرورية: هم الخوارج، سموا حرورية نسبة إلى قرية حروراء بالفتح والمد قرية بالعراق قريبة من الكوفة اجتمعوا فيها حين خرجوا على علىّ رضى الله عنه فسمى الخوراج حرورية.

وأما المعتزلة فهم أصحاب واصل بن عطاء العزال، اعتزل عن مجلس الحسن البصرى وأخذ يقرر أن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولاكافر ويثبت له المنزلة بين المنزلتين. فقال الحسن: قد اعتزل عنا واصل، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وقالوا: إن من يقول بالقدر خيره وشره من الله أولى باسم القدرية، ويرده قوله ﷺ: **«القدرية مجوس هذه الأمة»** ولقبوا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد لقولهم بوجوب الأصلح على الله، وقولهم بنفى الصفات وبأن كلامه مخلوق محدث، وبأنه غير مرئى فى الآخرة، ويجب عليه رعاية الحكمة فى أفعاله، وثواب المطيع والتائب، وعقاب صاحب الكبيرة ثم افترقوا عشرين فرقة

بكفر بعضهم بعضا.

قوله: الرافضة: من الرفض وهو الترك، سموا بذلك؛ لأنهم قالوا لزيد بن على بن الحسين بن أبى طالب تبرأ من الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، فقال: معاذ الله وزيرا جدى فتركوه ورفضوه،فسموا رافضة والنسبة رافضى، والرافضة فرق شتى، قد تكفل الشيخ تقى الدين بن تيمية ببيان مذهبهم والرد عليهم فى كتابه(منهاج السنة) ويلقبون بالشيعة، وكان هذا اللقب فى الأصل للذين ألفوه فى حياته كسلمان وأبى ذر والمقداد وعمار وغيرهم، ثم صار بعد ذلك لقباً على من يرى تفضيله على كل الصحابة ويرى أموراً أخرى لايرضاها علىّ ولا أحد من ذريته ولا غيرهم ممن يقتدى به، قال فى (المنهاج): سموا بالشيعة لما افترق الناس فرقتين: فرقة شايعت أولياء عثمان، وفرقة شايعت علىّ رضى الله عنه. ولم يكونوا يسمون رافضة فى ذلك الوقت، وإنما سموا رافضة لما خرج زيد بن علىّ بن الحسين فى الكوفة فى خلافة هشام بن عبد الملك فسألته الشيعة عن أبى بكر وعمر فترحم عليهما فرفضه قوم. فقال: رفضتمونى فسموا رافضة، وتولاه قوم فسموا زيدية لانتسابهم إليه، انتهى.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: أول من ابتدع الرفض عبد الله بن سبأ وكان منافقاً زنديقاً أراد إفساد دين الإسلام، كما فعل بولس صاحب الرسائل التى بأيدى النصارى حيث ابتدع لهم بدعاً أفسد بها دينهم - وكان يهودياً - فأظهر النصرانية نفاقاً لقصد إفساد ملتهم، وكذلك كان ابن سبأ يهوديا فأظهر الإسلام والتنسك والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليتمكن بذلك من أغراضه الفاسدة، فسعى فى فتنة عثمان بن عفان وقتله، ثم لما قدم الكوفة أظهر الغلو فى علىّ بن أبى طالب فبلغ ذلك علياً فطلبه ليقتله فهرب إلى قرقيسا، انتهى.

والرافضة من أخبث الطوائف حتى أخرجهم بعض العلماء من فرق الأمة، وروى عن الشعبى أنه قال: أحذركم هذه الأهواء المضلة وشرها الرافضة لم يدخلوا فى الإسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتا لأهل الإسلام وبغيا عليهم، قد حرقهم علىّ بن أبى طالب ونفاهم إلى البلدان، منهم عبد الله بن سبأ - يهودى من أهل صنعاء نفاه إلى ساباط - وعبد الله بن يسار - نفاه إلى خازر - وكلام أهل العلم فى ذمهم كثير جداً.

وأما الخوارج فسموا بذلك لخروجهم على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ومفارقتهم له وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «**تمرق مارقة على حين فرقة من الناس تقتلهم أولى الطائفتين بالحق**» فخرجوا فى زمن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقتلهم علىّ وطائفته. وقال ﷺ فى حقهم: « **يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن فى قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة**»، وقد روى مسلم أحاديثهم فى صحيحه من عشرة أوجه، واتفق الصحابة على قتالهم، وفى الترمذى عن أبى أمامة الباهلى عن النبىﷺ فى الخوارج: «**إنهم كلاب أهل النار**»، وقرأ هذه الآية﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾. وقال الإمام أحمد: صح الحديث فى الخوارج من عشرة أوجه، وقد خرجها مسلم فى صحيحه، وخرج البخارى طائفة منها، وقال الشيخ تقى الدين رحمه الله: الخوارج هم أول من كفَّر المسلمين بالذنوب ويكفرون من خالفهم فى بدعتهم ويستحلون دمه وماله، وأول بدعة حدثت فى الإسلام بدعة الخوارج والشيعه حديثا فى أثناء خلافة أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب فعاقب الطائفتين، أما الخوارج فقاتلوه فقتلهم، وأما الشيعة فحرق غاليتهم بالنار، وطلب قتل عبدالله بن سبأ فهرب منه، وأمر بجلد من يفضله على أبى بكر وعمر، وروى عنه من وجوه كثيرة أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، ورواه عنه البخارى فى صحيحه. انتهى.

فالخوارج والرافضة فى أصحاب رسول الله ﷺ فى طرفى نقيض، فالرافضة غلوا فى على بن أبى طالب وأهل البيت وكفروا جميع الصحابة كالثلاثة ومن والاهم وفسقوهم، ويكفرون من قاتل عليا ويقولون إن عليا إمام معصوم، وقالوا لا ولاء إلا ببراء، أى لايتولى أحد عليا حتى يتبرأ من أبى بكر وعمر، وقد تقدم الكلام عليهم.

وأما الخوارج فإنهم يكفرون عليا وعثمان ومن والاهما، وأما أهل السنة والجماعة فقولهم فى الصحابة وسط لم يغلوا غلو الرافضة ولم يجفوا كالخوارج بل والوا جميع الصحابة وأحبوهم وعرفوا فضلهم وأنزلوهم منازلهم التى يستحقونها فلم يغمطوهم حقهم ولم يغلوا فيهم واعتقدوا أنهم أفضل هذه الأمة علما وعملا فرضوان الله عليهم أجمعين.

فصل

وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله، الإيمان بما أخبر الله به فى كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة

قوله: (تواتر): التواتر **لغة**: التتابع يغلوا. **واصطلاحا** خبر عدد يمتنع معه لكثرته تواطء على الكذب عن محسوس، وينقسم إلى قسمين(الأول): لفظى، وهو ما اشترك عدده فى لفظ بعينه، وذلك كحديث: «**من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**» رواه نيف وستون منهم العشرة. (الثانى): معنوى، بأن يتواتر معنى فى ضمن أحاديث مختلفة الألفاظ متحدة المعنى.

قوله:(سلف الأمة): أى متقدموهم، والمراد السلف الصالح وهم الصدر الأول من التابعين وغيرهم الذى هم حملة الشريعة ونقلة الدين على التحقيق.

قوله:(وقددخل). إلخ، أى وقد دخل فى الإيمان بالله الإيمان بعلوه سبحانه وفوقيته واستوائه على العرش، فمن لم يؤمن بعلوه وفوقيته لم يؤمن به ولم يصدق رسله ولم يؤمن بكتابه وبما جاء به رسوله محمد ﷺ. قال إمام الأئمة ابن خزيمة: من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سموات وأنه بائن من خلقه فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقى على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة .

قوله:(بما أخبر الله فى كتابه وتواتر عن رسوله): كما قال سبحانه: ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾ وقوله: ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾ إلى غير ذلك من الآيات الصريحة فى إثبات العلو التام بجميع أنواعه والفوقية، وقد تقدم ذكر أنواع العلو والفوقية وتقدم حديث الاوعال وغيره من الأحاديث الصريحة فى إثبات العلو والفوقية وأدلة إثبات العلو والفوقية متواترة،وانضم إلى ذلك شهادة الفطر والعقول المستقيمة والنصوص الواردة الدالة على علو الله وكونه فوق عباده تقرب من عشرين نوعاً، وإفراد هذه الأنواع لو بسطت لبلغت نحو ألف دليل كما ذكره ابن القيم رحمه الله وغيره.

قوله:(وأجمع عليه سلف الأمة): قال أبو عمر الطلمنكى رحمه الله: أجمع أهل السنة على أن الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله فى السماء وعلمه فى كل مكان، ثم قال أجمع المسلمون من

من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه عليٌّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون ـ كما جمع بين ذلك فى قوله: ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾.

أهل السنة أن معنى قوله: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته مستوى على عرشه، وهذا كثير فى كلام الصحابة والتابعين والأئمة فأثبتوا ما أثبته الله فى كتابه وعلى لسان رسوله على الحقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته.

قوله: (وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون): أى سبحانه مع عباده بعلمه وإحاطته واطلاعه ومشاهدته، لايخفى عليه منهم شىء، ومعيته سبحانه لعباده لاتنافى علوه وفوقيته، فإنه جمع بينهما فى قوله: ﴿**وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام**﴾ الآية، كما أشار إلى ذلك المصنف بقوله:

(كما جمع بين ذلك فى قوله: ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض﴾) إلخ. فأخبر سبحانه أنه خلق السموات والأرض وأنه استوى على عرشه وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه، فعلوه سبحانه وتعالى لايناقض معيته، ومعيته لاتبطل علوه بل كلاهما حق، وهذه الآية من أدل شىء على مباينة الرب لخلقه فإنه لم يخلقهم فى ذاته بل خلقهم خارجاً عن ذاته ثم بان عنهم باستوائه على عرشه، وهو يعلم ماهم عليه وينفذ بصره فيهم ويحيط بهم علما وقدرة وسمعاً وبصراً، وفى هذه الآية إثبات علوه سبحانه وتعالى واستوائه على عرشه، وفيها إثبات علمه، وإحاطة علمه بالكليات والجزئيات وبما كان وما يكون وما لم يكن ولو كان كيف يكون، وفيها إثبات معيته سبحانه لخلقه وأن معيته سبحانه وتعالى لاتنافى علوه وفوقيته، فإنه جمع بينهما، وفيها الرد على من زعم أن الاستواء مجاز، وأن معنى استوى استولى، لأن الله قال: استوى فى عدة مواضع والاستواء غير الاستيلاء، فإن الاستواء معناه العلو والارتفاع، وأما الاستيلاء فلا يكون إلا بعد مغالبة، ولأنه سبحانه خص العرش بالاستواء ولو كان المراد الاستيلاء لم يخصه؛ لأنه مستول على الخلق جميعهم، وقد رد تأويل الاستواء

وليس معنى قوله:﴿وهو معكم﴾ إنه مختلط بالخلق، فإن هذا لاتوجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف مافطر الله عليه الخلق،

بالاستيلاء من وجوه عديدة أنهاها ابن القيم رحمه الله إلى اثنين وأربعين وجهاً وقد تقدم ذكر بعضها وفي الآية فوائد غير ما ذكر، قد تقدمت الإشارة إليها في الكلام على الآيات.

قوله:(**وليس معنى قوله:﴿ وهو معكم﴾إنه مختلط بالخلق**): بل المعنى أنه معهم بعلمه واطلاعه ومشاهدته، وقد تقدم طرف من الكلام في هذا الموضوع.

قوله:(**فإن هذا لاتوجبه اللغة**): أي لغة العرب لا توجب أن (مع) تفيد اختلاطا أو امتزاجاً أو مجاورة، فإن مع في كلام العرب للصحبة اللائقة لاتشعر بامتزاج ولا اختلاط ولا مماسة ولا مجاورة فتقول زوجتي معي وهي في مكان وأنت في مكان، ويقولون ما زلنا نسير والقمر معنا، وقال تعالى: **﴿وكونوا مع الصادقين﴾**. فليس في هذا ما يدل على الاختلاط والامتزاج، فكيف تكون حقيقة المعية في حق الرب ذلك فليس في ذلك ما يدل على أن ذاته فيهم ولا ملاصقة لهم ولا مجاورة بوجه من الوجوه، وغاية ما تدل عليه المصاحبة وهي في كل موضع بحسبه.

قوله:(**وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة**): أي أن ما زعمه أهل البدع أنه سبحانه في كل مكان بذاته أو أنه مختلط بالخلق ممتزج بهم أوحال فيهم إلى غير ذلك من الأقوال مبتدعة مخالفة ما عليه السلف الصالح، فإن السلف الصالح أجمعوا على أن الله سبحانه مستو على عرشه عال على خلقه بائن منهم ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته كما تواترت بذلك الأدلة، وقد تقدم أيضاً ذكر إجماع السلف على معنى قوله: **﴿وهو معكم﴾** أنه معهم بعلمه، وقال أبو بكر الآجرى إمام عصره في الحديث والفقه في كتابه: فإن قال قائل فما معنى قوله: **﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾**الآية، قيل له علمه معهم والله على عرشه، وعلمه محيط بهم، كذا فسره أهل العلم، والآية تدل أولها وآخرها على أنه العلم وهو على عرشه، هذا قول المسلمين. انتهى.

قوله:(**فطر**) أي خلق ابتداء ومنه **﴿فاطر السموات﴾** الآية ، أي أن ما زعموه

بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع فى السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان،

من أنه سبحانه مختلط بالخلق أو حال فيهم خلاف مافطر الله عليه الخلق، فإن الخلق فطروا على الإقرار بعلوه سبحانه على خلقه، وإنما جاءت الرسل بتقرير ما فى الفطر والعقول، فالعقل الصحيح لا يخالف النقل الصريح، ولما سأل النبى ﷺ الجارية: «**أين الله؟**» قالت: فى السماء، وقال يزيد بن هارون: من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما تقرر فى قلوب العامة فهو جهمى.

قال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله: والذى تقرر فى قلوب العامة هو ما فطر الله عليه الخليقة من توجهها إلى ربها عند النوازل والشدائد إليه تعالى نحو العلو لاتلتفت يمنة ولا يسرة من غير موقف وقفهم عليه ولكن فطرة الله التى فطر الناس عليها، وما من مولود إلا وهو يولد على هذه الفطرة حتى يجهمه وينقله إلى التعطيل من يقيض له، انتهى.

قوله:(بل القمر آية) الآية **لغة**: العلامة. والآية والدليل والبرهان والسلطان والحجة ألفاظ متقاربة، أى أن القمر من الآيات الدالة على وجوده سبحانه وعظيم قدرته وأنه المستحق للعبادة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر**﴾ الآية، وقد أقسم الله سبحانه بالقمر الذى هو آية الليل، وفيه من الآيات الباهرة الدالة على ربوبية خالقه وبارئه وحكمته وعلمه ما هو معلوم بالمشاهدة.

والآيات تنقسم إلى قسمين: آيات مشاهدة مرئية كالسموات والأرض والشمس والقمر ونحو ذلك، وآيات مسموعة متلوة كالقرآن، وكذلك السنة فإنها مبنية ومقررة لما دل عليه القرآن، فآياته العيانيه فى خلقه تدل صدق آياته المسموعة المتلوه كما قال تعالى: ﴿**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾، أى أن القرآن حق فأخبر أنه يدل بآياته المرئية على صدق آياته المتلوة المسموعة.

قوله:(وهو موضوع فى السماء): أى القمر موضوع فى السماء الدنيا

قوله:(وهو مع المسافر): من السفر وهو **لغة**: قطع المسافة من أسفر **إذا** برز، ومنه السفر وهى الكتب؛ لأنه يسفر عما فيه، قيل سمى السفر بالفتح سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال.

قوله:(وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان): أى القمر مع المسافر وغير

وهو سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم - إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.

المسافر، فإنه يقال ما زلنا نسير والقمر معنا أو النجم والقمر فى مكانه غير مختلط بهم ولا محاذ ولاممّاس ولا مجاور ولا يفهم أحد منه هذا، هذه لغة العرب المعروفة لديهم، فإذا كان هذا القمر الذى هو من أصغر مخلوقات الله فكيف تكون حقيقة المعية فى حق الرب ذلك، فإن غاية ما تدل عليه(مع) المصاحبة وهى فى كل موضع يحسبه، وقد ضرب النبى ﷺ مثلا بذلك بالقمر(ولله المثل الأعلى) ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه لاتشبيه الخالق بالمخلوق، فقال النبى ﷺ: «**مامنكم من أحد إلا سيرى ربه مخلياً به**» فقال له أبو رزين العقيلى: كيف يارسول الله وهو واحد ونحن جمع؟ فقال النبى ﷺ: «**سأنبئك بمثل هذا فى آلاء الله، هذا القمر كلكم رآه مخليا به، وهو آية من آيات الله فالله أكبر**» أو كما قال النبى ﷺ، فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئى مشابهاً للمرئى، فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر، ولا منافاة أصلا، انتهى. من (الحموية) باختصار.

قال ابن القيم رحمه الله على حديث أبى رزين: وفيه القياس فى أدلة التوحيد والمعاد والقرآن مملوء منه، وفيه أن حكم الشىء حكم نظيره، انتهى.

قوله:(فوق العرش) كما قال سبحانه: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ فى سبع مواضع من القرآن، وقال تعالى: ﴿**يخافون ربهم من فوقهم وهو القاهر فوق عباده**﴾ إلى غير ذلك من الآيات، وقد تقدم الكلام على هذا الموضوع والإشارة إلى أن الأدلة على علو الله وفوقيته بلغت حد التواتر وتواطأ على ذلك دليل العقل والفطرة.

قوله:(رقيب على خلقه): قال الله سبحانه: ﴿**إن الله كان عليكم رقيبا**﴾ أى أنه سبحانه مراقب لأحوالكم وأعمالكم لايخفى عليه خافية، وفيها إرشاد وحث على مراقبة الله واستحضار قربه، كما فى الحديث: «**أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت**».

قوله: **(مهيمن عليهم)** قال ابن عباس وغير واحد: المهيمن أى الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى هو رقيب عليهم، كقوله سبحانه: ﴿**والله على كل شىء شىء شهيد**﴾ يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشىء.

وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لايحتاج إلى تحريف، ولكن يصان، عن الظنون الكاذبة

قوله:(إلى غير ذلك من معاني ربوبيته): فإن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعالاً مدبراً متصرفاً فى خلقه، يعلم ويقدر، ويسمع ويبصر، فإذا انتفت أفعاله وصفاته انتفت ربوبيته.

قوله:(حق على حقيقته): فيجب اعتقاده والإيمان به لتواطؤ الأدلة على إثباته، والحق فى **اللغة**: هو الثابت الذى لايسوغ إنكاره، وفى **اصطلاح** أهل المعانى: هو الحكم المطابق للواقع يطلق على الأقوال والأديان والعقائد والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل، انتهى. تعريفات.

قوله:(حقيقته): الحقيقة اسم لما أريد به ما وضع له فعليه من حق الشيء إذا ثبت بمعنى فاعله، وفى **الاصطلاح**: هو كلمة مستعملة فيما وضعت له فى اصطلاح التخاطب به.

قوله:(ولكن): حرف استدراك.

قوله:(يصان): أى يحفظ، يقال صانه يصونه صيانة أى حفظه.

قوله: (من الظنون الكاذبة) الظن مصدر من باب قتل، وهو خلاف اليقين، قاله الأزهرى وغيره، وقد يستعمل بمعنى اليقين كقوله سبحانه: ﴿**الذين يظنون أنهم ملاقوا الله**﴾ الآية.

قوله:(وكل هذا الكلام حق على حقيقته): إلخ. هذا إشارة للرد على المعطلة من الجهمية والمعتزلة وأشباههم الذين يزعمون أن ماجاء من ذكر فوقيته وعلوه واستوائه على عرشه ليس بحقيقة وإنما هو مجاز، وما زعموه باطل مصادم لأدلة الكتاب والسنة الصحيحة الصريحة وإجماع السلف على أن ذلك حقيقة كما يليق بجلال الله سبحانه وعظمته.

قال ابن القيم رحمه الله فى(الصواعق): ومما ادعوا فيه إنه مجاز(الفوقية) وساق أدلة كثيرة فى إثبات الفوقية الكاملة مع جميع الوجوه، منها أن الأصل الحقيقة والمجاز على خلاف الأصل، ومنها أن الظاهر خلاف ذلك، ومنها أن الاستعمال المجازى لابد فيه من قرينة تخرجه عن حقيقته فأين القرينة فى فوقية الرب؟

مثل أن يظن أن ظاهر قوله: ﴿ فى السماء﴾أن السماء تُقلُه أو تظله وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان

وقال أبو عمر الطلمنكى: أجمع أهل السنة على أن الله استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز.

وقال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة مملوء بما هو نص أو ظاهر أن الله فوق كل شىء، وأنه فوق العرش، وأنه العلى الأعلى، وأن مستو على عرشه، وساق أدلة كثيرة فى إثبات ماذكر وأنه حقيقة وإبطال ما زعموه من المجاز، وقد تكاثرت الأدلة فى ذلك، وأجمع على ذلك السلف ودل على ذلك أيضاً دليل العقل وليس مع من خالف سوى الظنون الكاذبة والشبه الفاسدة التى لايعارض بها ما دل عليه نصوص الوحى والأدلة العقلية، وقد ذم الله سبحانه الظن المجرد وأهله فقال: **﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس وإن الظن لايغنى عن الحق شيئا﴾** وفى الصحيح أن النبى ﷺ قال: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**».

وقال الشيخ تقى الدين رحمه الله: النفاة للعلو ونحوه من الصفات معترفون بأنه ليس مستندهم خبر الأنبياء لا الكتاب ولا السنة ولاأقوال السلف الصالح، ولامستندهم فطرة العقل وضرورته، ولكن يقولون معنا النظر العقلى، وأما أهل السنة المثبتون للعلو فيقولون إن ذلك ثابت بالكتاب والسنة والإجماع مع فطرة الله التى فطر العباد عليها وضرورة العقل مع نظر العقل واستدلاله، انتهى

وقوله: (لايحتاج إلى تحريف): إشارة للرد على المعطلة الذين حرفوا الأدلة وسموا تحريفهم تأويلا، ترويجا على الجهال، وهو فى الحقيقة تبديل وتغيير لكلام الله ورسوله، فإن ما جاء من الأدلة فى إثبات العلو والفوقية وغير ذلك من الصفات صريح اللفظ واضح المعنى نص فى معناه لايحتمل التأويل.

قوله:(تقله): أى تحمله وترفعه.

قوله (أو تظله) أى تستره والظلة الشىء الذى يظلك من فوق.

قوله(مثل أن يظن أن ظاهر قوله فى السماء): إلخ. أى فى مثل قوله سبحانه: **﴿أأمنتم من فى السماء﴾** وقول الجارية لما سألها النبى ﷺ قالت: «فى السماء» وهذا ظن فاسد مصادم لأدلة الكتاب والسنة الصريحة الدالة على علو الله سبحانه وفوقيته وعلى أنه فوق عرشه حقيقة بائن من خلقه لا يحل فيهم ولا يختلط،

فان الله قد وسع كرسيه السموات والأرض، وهو يمسك السموات والأرض أن تزولا ـ ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه، ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾.

فليس فى ذاته شىء من مخلوقاته، ولا فى مخلوقاته شىء من ذاته، من زعم غير ذلك فقد ظن به ظن السوء وتنقصه غاية التنقص.

وقال الشيخ تقى الدين رحمه الله: فأهل السنة إذا قالوا إنه فوق العرش أو أنه فى السماء لا يقولون أن هناك شىء يحويه أو يحصره ويكون محلا له أو ظرفا أو وعاء، تعالى الله عن ذلك، بل هو فوق كل شىء، وهو مستغن عن كل شىء وكل شىء مفتقر إليه، وهو عال على كل شىء، وهو الحامل للعرش ولحملة العرش بقوته وقدرته، وهو غنى عن العرش وعن كل مخلوق. . . قال: وما جاء فى الكتاب والسنة من قوله: «فى السماء» قد يفهم منه بعضهم أن السماء نفس المخلوق العالى العرش فما دونه، فيقولون إن قوله: «فى السماء»، كما قال: ﴿لأصلبنكم فى جذوع النخل﴾ ولا حاجة لهذا، بل السماء جنس للعالى لا يخص شيئا، فقوله: « فى السماء»، أى العلو دون السفل، وهو العلى الأعلى فله أعلى العلو، وهو مافوق العرش، وليس هناك غير العلى الأعلى سبحانه. انتهى.

قال: فالجهمية وأشباههم لايصفونه سبحانه بالعلو بل إما أن يصفونه بالعلو والسفول وإما أن ينفو عنه العلو والسفول فهم نوعان: قسم يقولون: إنه فى كل مكان بذاته. والقسم الآخر يقولون: إنه لا داخل العالم ولا خارجه، فالقسم الأول وصفوه بالحلول في الأمكنة ولم ينزهوه عن المحال المستقذرة، والقسم الثانى وصفوه بالعدم ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

قوله: (فإنه قد وسع كرسيه السموات والأرض): لما ذكر المصنف رحمه الله العلو والفوقية وأنهما حقيقة ثابتة لله على ما يليق بجلاله وعظمته أورد بعد ذلك بعض الأدلة النقلية والعقلية فى إثبات ذلك فقال: **(فان الله قد وسع كرسيه السموات والأرض)** أى ملأ وأحاط، والكرسى مخلوق عظيم بين يدى العرش، وهو أعظم من السموات والأرض، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شىء وقد ذكر ذلك، فإذا كانت السموات والأرض بالنسبة للكرسى الذى هو بالنسبة إلى العرش شىء صغير والله سبحانه وتعالى العظيم الأعظم الذى لا أجلّ منه ولا أعظم، فكيف تحويه السموات والأرض أو تحوطه أو تقله أو تظله، فهذه الآية صريحة فى

علو الله ومباينته لخلقه وأنه غير مختلط بهم ولا ممازج لهم ولا حال فيهم ـ تعالى الله عما يقول المبتدعة علواً كبيراً .

قوله: (**وهو يمسك السموات والأرض أن تزولا**): أى أن تضطربا عن أماكنهما.

قوله: (**ويمسك السموات أن تقع على الأرض إلا بإذنه**) أى إلا بأمره ومشيئته. وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**».

قوله: ﴿**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره**﴾: أى من العلامات الدالة على وجوده سبحانه وعظيم قدرته وقيام كل شىء به قال سبحانه: ﴿**قل هو القائم على كل نفس بما كسبت**﴾، وقال: ﴿**الله لا إله إلا هو الحى القيوم**﴾أى القائم لنفسه المقيم لغيره،القائم بتدبير خلقه وأرزاقهم وجميع أحوالهم.وفى الصحيح من حديث أبى موسى الأشعرى «**أن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**» رواه مسلم.

فهذه الآيات صريحة فى أن الرب سبحانه ليس هو عين هذه المخلوقات ولا صفة ولا جزء منها، فإن الخالق غير المخلوق وليس بداخل فيها محصور، بل هى صريحة فى أنه مباين لها وأنه ليس حالا فيها ولامحلا لها،فإن الكرسى فى العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، والعرش من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقا يحصره ويحويه،وفيها دلالة على عظمته سبحانه وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته،وقد تعرف سبحانه إلى عباده بصفاته وعجائب مخلوقاته، وكلها تدل على كماله وأنه المعبود الحق وحده لا شريك له فى ربوبيته وإلهيته وأن العبادة لا تصلح إلا له ولا يصلح منها شىء لملك مقرب ولا نبى مرسل،فضلا عن غيرهما، وتدل أيضا على إثبات الصفات لله على ما يليق بجلاله إثباتاً بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل، وعلى هذا سلف الأمة ومن تبعهم بإحسان. وهو الذى دلت عليه أدلة الكتاب والسنة.

فصل

وقد دخل فى ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب كما جمع بين ذلك قوله: ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب﴾ الآية.

فصل

قوله: (وقد دخل فى ذلك): أى فى الإيمان بالله بأنه قريب مجيب كما جمع بين ذلك فى الآية والحديث. وسبب نزول الآية أن أعرابيا قال: يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبى ﷺ فأنزل الله هذه الآية. رواه ابن أبى حاتم وابن جرير. وروى الإمام أحمد عن أبى موسى قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة فجعلنا لا نصعد شرفا ولا نعلو شرفا ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال فدنا منا فقال: «**يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصما ولا غائبا، إنما تدعون سميعاً بصيراً، إن الذى تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله**» خرجاه فى الصحيحين وبقية الجماعة.

قوله:(أربعوا): بهمزة وصل وبفتح الباء الموحدة معناه ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه وأنتم تدعون الله وليس هو بأصم ولا غائبا بل هو سميع قريب. ففيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى رفعه، فإنه إذا خفضه كان أبلغ فى توقيره وتعظيمه، فإن دعت الحاجة إلى الرفع رفع كما جاءت به أحاديث كما فى التلبية وغيرها فقد ورد الشرع برفعه فيها.

قوله: (هو أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته): المراد به قرب الإحاطة والعلم كما فى قوله : ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ انتهى. نووى.

ومن أسمائه سبحانه القريب، وقربه سبحانه نوعان:

قرب عام، وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء كما فى الحديث المتقدم، وقوله سبحانه: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾. وقيل: إن المراد قرب ملائكته منه، وأضاف ذلك إلى نفسه بصيغة الجمع على عادة العظماء فى إضافة أفعال عبيدها إليها، ورجحه ابن القيم واختاره الشيخ تقى الدين.

الثاني: قرب خاص وينقسم إلى قسمين: قربه من داعيه بالإجابة، وقربه من عابده بالإثابة، فالأول: كقوله: ﴿**وإذا سألك عبادى عنى**﴾ الآية. ولهذا نزلت جواباً للصحابة وقد سألوا رسول الله: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ والثاني: كقوله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وأقرب ما يكون الرب من عبده فى جوف الليل**» فهذا قربه من أهل طاعته. وأما حديث أبى موسى المتقدم ففيه القرب الخاص بالداعين دعاء العبادة والثناء، وهذا القرب لا ينافى كمال مباينته سبحانه لخلقه واستوائه على عرشه بل يجامعه ويلازمه، فإنه ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولكنه نوع آخر.

قال ابن القيم رحمه الله فى (المدارج) على قوله وأنت الباطن فليس دونك شيء، قال: فهذا قرب الإحاطة العامة وأما أقرب المذكور فى الكتاب والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه وهو من ثمرة التعبد باسمه الباطن، قال تعالى: ﴿**وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب**﴾الآية. وفى الصحيح: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»، فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة وقرب البطون. انتهى.

قوله: (مجيب): أى المجيب لدعاء الداعين وسؤال السائلين، وإجابته سبحانه وتعالى نوعان

(الأول): إجابة عامة لكل من دعاه دعاء عبادة أو دعاء مسألة، كما قال: ﴿**وقال ربكم ادعونى أستجب لكم**﴾ فهذا يقع من البر والفاجر ويستجيب الله سبحانه لكل من دعاه بحسب الحال المقتضية وبحسب ما تقتضيه حكمته سبحانه، وهذا مما يستدل به على كرم المولى سبحانه وشمول إحسانه، ولا يدل على حسن حال الداعى إن لم يقترن بذلك ما يدل عليه كسؤال الأنبياء ودعائهم على قومهم ولقومهم فيجيب سبحانه، فإنه يدل على صدقهم فيما أخبروا به وكرامتهم على الله سبحانه وتعالى.

(الثانى): إجابة خاصة ولها أسباب عديدة، منها دعوة المضطر، قال الله سبحانه: ﴿**أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه**﴾ ومن أسبابها طول السفر والتوسل إلى الله سبحانه بأحب أسمائه وصفاته ونعمه، وكذلك دعوة المريض والمظلوم والصائم والوالد على ولده أو له، وفى الأوقات والأحوال الفاضلة، وفيما تقدم دليل على أن

وما ذكر فى الكتاب والسنة من قربه لا ينافى ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شىء فى نعوته وهو علىّ فى دنوه قريب فى علوّه.

الدعاء من أقوى الأسباب فى جلب المنافع ودفع المضار، وفيه الرد على من زعم من المتصوفة وأتباعهم أن الدعاء لا ينفع، وقولهم باطل مردود بأدلة الكتاب والسنة المتواترة والعقل وتجارب الأمم. وفيه أن الدعاء يطلق على السؤال والطلب ويطلق على العبادة، فالدعاء معناه **لغة**: السؤال والطلب وينقسم إلى قسمين: دعاء عبادة ودعاء مسألة، فدعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعى من جلب نفع أو دفع ضر، وأما دعاء العبادة فهو سائر العبادات من تسبيح وتهليل وتكبير وصلاة وغير ذلك؛ لأن العابد سائل فى المعنى فيكون داعياً عابداً.

قوله: (**وما ذكر فى الكتاب والسنة من قربه لا ينافى ما ذكر من علوه وفوقيته**). فإن علوه سبحانه من لوازم ذاته، فلا يكون قط إلا عالياً ولا يكون فوقه شىء ألبته كما قال أعلم الخلق بربه: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شىء**» فهو سبحانه قريب فى علوه عالى فى قربه، فأخبر ﷺ أنه أقرب إلى أحدهم من عنق راحلته، وأخبر أنه فوق سماواته على عرشه مطلع على خلقه يرى أعمالهم، وهذا حق لا يناقض أحدهما الآخر والذى يسهل عليك فهم هذا معرفة عظمته سبحانه وإحاطته بخلقه وأن السماوات السبع فى يده كخردلة فى يد العبد، فكيف يستحيل فى حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش. انتهى. من (الصواعق).

قوله: (**فى دنوه**): أى قربه.

قوله: (**فى نعوته**): أى فى صفاته، فالوصف والنعت مترادفان وقيل متقاربان، فالوصف للذات والنعت للفعل.

فصل

ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق

فصل

قوله: (ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله): فمن لم يؤمن بأن القرآن كلام الله لم يؤمن بالله وكتبه. قال عبد الله بن المبارك: من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن، ومن قال لا أؤمن بهذا الكلام فقد كفر.

قوله:(كلام الله): قال تعالى: ﴿**فأجره حتى يسمع كلام الله**﴾، وقال: ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله**﴾الآية. وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعرض نفسه فى الموسم فيقول: «**ألا رجل يحملنى إلى قومه لأبلغ كلام ربى**». رواه أبو داود. فاتضح بهذا أن القرآن كلام الله لا كلام غيره، فمن زعم أنه كلام غيره فهو كافر بالله العظيم.

وقال غير واحد من السلف: من أنكر أن يكون الله متكلماً أو يكون القرآن كلامه فقد أنكر رسالة محمد ﷺ، بل ورسالة جميع الرسل التى حقيقتها تبليغ كلام الله عز وجل، فإذا لم يكن ثم كلام فماذا يبلغ الرسول، بل كيف يعقل كونه رسولاً؟ ولهذا قال منكروا رسالته عن القرآن: إن هذا إلا قول البشر، فمن قال أن الله لم يتكلم به ـ أى القرآن ـ فقد ضاهى قوله قولهم ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

قوله: (منزل): هذا رد لكلام الجهمية والمعتزلة ممن يقول إنه لم ينزل منه، فبين فى غير موضع أنه منزل من الله، فمن قال إنه منزل من بعض المخلوقات كاللوح والهواء فهو مفترى على الله مكذب لكتابه، قال تعالى: ﴿**تنزيل من حكيم حميد**﴾، وقال: ﴿**قل نزله روح القدس من ربك**﴾ وروح القدس جبريل وهوالروح الأمين المذكور فى قوله: ﴿**نزل به الروح الأمين**﴾ فجبريل عليه السلام سمعه من الله والنبى ﷺ سمعه من جبريل، ولم يقل أحد من السلف أن النبى ﷺ سمعه من الله، وإنما قاله بعض المتأخرين، والآية صريحة فى الرد عليهم، وصريحة فى أنه المتكلم به وأنه منه نزل ومنه بدء وهو الذى تكلم به، ومن هنا قال السلف من الله بدء، فأخبر فى الآيات المتقدمة أنه منزل من الله ولم يخبر عن شىء أنه منزل من الله إلا كلامه بخلاف نزول الملائكة والمطر والحديد وغير ذلك، وقد تقدم ذكر أقسام الإنزال فى الكلام على الآيات.

قوله:(غير مخلوق): هذا رد لكلام الجهمية والمعتزلة وغيرهم ممن يقول كلام الله مخلوق، فالجهمية يقولون: إن الله لا يتكلم، بل خلق كلاما فى غيره وجعل غيره يعبر عنه، وماجاء من الأدلة أن الله تكلم أو يكلم أو نادى أو نحو ذلك، قالوا هذا مجاز، وأما المعتزلة فيقولون: إن الله متكلم حقيقة لكن معنى ذلك أنه خلق الكلام فى غيره فمذهبهم ومذهب الجهمية فى المعنى سواء وحقيقة قول الطائفتين أنه غير متكلم، وهذا باطل مخالف لقول السلف والأئمة ومخالف للأدلة العقلية والسمعية، فإنه لايعقل متكلم إلا من قام به الكلام ولا مريد إلا من قامت به الإرادة ولامحب ولا راض إلا من قام به ذلك، ولأن كلام الله سبحانه من صفاته سبحانه غير مخلوقة، كما فى الصحيح عن خولة بنت حكيم أن النبى ﷺ قال: «**من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**» فاستدل العلماء بذلك على أن كلام الله غير مخلوق. قالوا لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله**﴾ الآية، فهذا دليل على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأن كل مخلوق ينفد ويبيد، وكلماته لا تنفد ولا تبيد، وهذا الوصف لايكون لمخلوق، فالقرآن كلام الله ووحيه وتنزيله فهو غير مخلوق، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كما روى ذلك عن السلف.

وذكر الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخى فى كتابه (الأصول) قال: سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول: سمعت أبا حامد الاسفراينى يقول: ومذهبى ومذهب الشافعى وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل مسموعاً من الله عز وجل، والنبى ﷺ سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ، وهو الذى نتلوه بألسنتنا وفيما بين الدفتين وما فى صدورنا مسموعاً ومكتوبا ومحفوظاً وكل حرف منه كالباء التاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والناس أجمعين.

وقال الشيخ تقى الدين رحمه الله: ولم يقل أحد من السلف إن القرآن مخلوق أو قديم بل الآثار متواترة عنهم بأنهم يقولون القرآن كلام الله، ولما ظهر

من قال إنه مخلوق قالوا رداً لكلامه إنه غير مخلوق، وأول من عرف أنه قال القرآن مخلوق الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان، وأول من عرف أنه قال إنه قديم هو عبد الله بن سعيد بن كلاب. انتهى.

وأما أفعال العباد كأصواتهم ومدادهم الذى يكتبون به القرآن، والورق الذى يكتبون عليه، فإن ذلك من جملة المخلوق، ولذلك يقولون الكلام كلام البارى والصوت صوت القارئ وفى الحديث: « **زينوا القرآن بأصواتكم**». قال ابن القيم فى (النونية):

وكذلك القرآن عين كلامه الـ ... مسموع منه حقيقة ببيان

هو قول ربى كله لا بعضه ... لفظا ومعنى ما هما خلقان

تنزيل رب العالمين وقوله ... اللفظ والمعنى بلا روغان

لكن أصوات العباد وفعلهم ... كمدادهم والرق مخلوقان

فالصوت للقارى ولكن الكلا ... م كلام رب العرش ذو الإحسان

قوله: (منه بدا): أى ظهر وخرج منه سبحانه، أى هو المتكلم به وهو الذى أنزله من لدنه، فمن قال إنه مخلوق يقول إنه خلق فى بعض المخلوقات القائمة بنفسها، فمن ذلك المخلوق نزل وبدأ ولم ينزل من الله، فإخبار الله أنه منزل من الله يناقض زن يكون قد نزل من غيره، قال تعالى: ﴿**ولكن حق القول منى**﴾ وقال: ﴿**قل نزله روح القدس من ربك**﴾.

وروى أحمد وغيره عن جبير بن نفير قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم لن ترجعوا إلى الله بشىء أفضل مما خرج منه**» وقال خباب بن الأرت: ياهنتاه تقرب إلى الله بما استطعت فلن تتقرب إلى الله بشىء أحب إليه مما خرج منه وقال أبوبكر الصديق لأصحاب مسيلمة الكذاب لما سمع قرآن مسيلمة: ويحكم أين يذهب بعقولكم إن هذا كلام لم يخرج من ال، أى من رب. وقال أحمد رحمه الله: كلام الله من الله ليس ببابن منه، وهذا معنى قول السلف: « القرآن كلام الله منه بدا وإليه يعود». ومقصود السلف الرد على الجهمية فإنهم زعموا أن القرآن خلقه الله فى غيره، فيكون قد بدا وخرج من ذلك المحل الذى خلق فيه لا من الله، كما يقولون كلامه لموسى خرج من الشجرة، فبين السلف والأئمة أن

القرآن من الله بدا وخرج وذكروا قوله سبحانه: ﴿**ولكن حق القول منى**﴾فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات و(من)لابتداء الغاية، فإن كان المجرور بها عينا يقوم بنفسه لم يكن صفة الله، كقوله: ﴿**وسخر لكم ما فى السموات والأرض جميعاً منه**﴾ وأما إذا كان المجرور بها صفة ولم يذكر لها محل كان صفة لله، كقوله: ﴿**ولكن حق القول منى**﴾.

قوله:(وإليه يعود): أى يرجع بأن يسرى به فى آخر الزمان ويرفع فلا يبقى فى الصدور منه ولا فى المصاحف منه آية، كما جاء ذلك فى عدة آثار، وهو أحد أشراط الساعة الكبار كما فى حديث ابن مسعود وغيره أنه قال: يسرى على القرآن فلا يبقى فى المصاحف منه آية ولا فى الصدور آية. أخرجه الطبرانى وأخرجه ابن ماجه عن حذيفة وأخرجه الديلمى عن معاذ.

قوله:(وان الله تكلم به حقيقة): قال تعالى: ﴿**فأجره حتى يسمع كلام الله**﴾ والآيات والأحاديث فى إثبات كلامه سبحانه وأنه تكلم بالقرآن كثيرة جداً وكلها دالة على أنه سبحانه تكلم حقيقة لا مجازاً، بل حقيقة الإرسال تبليغ كلام المرسل، وإذا انتفت عنه حقيقة الكلام، انتفت عنه حقيقة الرسالة والنبوة، والرب يخلق بقوله وكلامه، فإذا انتفت عنه حقيقة الكلام انتفى عنه الخلق، وقد عاب الله آلهة المشركين بأنها لا تتكلم ولا تكلم عابديها، والجهمية وصفوا الرب بصفة هذه الآلهة وقد تكاثرت الأدلة على أن الله نادى وناجى وأمر ونهى، وكل هذا دال أنه تكلم حقيقة لا مجازاً فاتضح بما ذكرناه أن الله يتكلم حقيقة، وأما من ادعى المجاز بعد هذا البيان فقد شاق الله ورسوله والمؤمنين، فالقرآن كلام الله حروفه ومعانيه، هذا قول السلف.

وفى قوله:(حقيقة): رد على من زعم أن كلامه سبحانه معنى واحد قام بذات البارى لم يسمع منه، وإنما هو الكلام النفسانى ولم يتكلم به حقيقة؛ لأن لا يقال لمن قام به الكلام النفسانى ولم يتكلم به إن هذا كلام حقيقة وإلا يلزم أن يكون الأخرس متكلما ولزم أن لا يكون الذى فى المصحف عند الإطلاق هو القرآن ولا كلام الله ولكنه عبارة عنه ليست كلام الله كما لو أشار إلى شخص بإشارة مفهومة فكتب ذلك الشخص عبارة عن المعنى الذى أوحاه إليه ذلك الأخرس فالمكتوب هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى، فعندهم أن الملك

فهم منه معنى قائما بنفسه لم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً، بل فهم معنى مجرداً ثم عبر عنه، فهو الذى أحدث نظم القرآن وتأليفه، وقد تقدم الكلام فى الرد على من زعم أن كلام الله المعنى النفسى وأن الشيخ تقى الدين رد ذلك من تسعين وجهاً كل واحد يدل على بطلانه بأدلة نقلية وعقلية وقال ابن القيم فى (النونية):

تسعون وجها بينت بطلانه   أعنى كلام النفس ذا البطلان

قوله:(**وإن هذا القرآن**)إلخ، قال تعالى: ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء**﴾ الآية.

وقال:﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين**﴾: وقال: ﴿**فأجره حتى يسمع كلام الله**﴾ والأدلة على إثبات صفة الكلام كثيرة لاتنحصر، والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال وضده من أوصاف النقص، قال تعالى﴿**واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار، ألم يروا أنه لايكلمهم ولا يهديهم سبيلا**﴾ الآية. فعلم أن عدم التكلم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل.

قال البخارى فى صحيحه: «باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة» وساق فيه عدة أحاديث، فأفضل نعيم الجنة رؤية وجهه سبحانه وتكليمه وكم فى الكتاب والسنة من دليل على تكلم الله لأهل الجنة وغيرهم، قال تعالى: ﴿**سلام قولا من رب رحيم**﴾ وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا أبصارهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة**». وهو قوله سبحانه: ﴿**سلام قولا من رب رحيم**﴾ الحديث ويأتى إن شاء الله.

قوله:(**ولايجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة**): كما تقوله الأشاعرة والكلابية، فالأشاعرة يقولون: إن هذا الموجود المقروء عبارة عن كلام الله، والكلابية يقولون: حكاية عن كلام الله، وبعض هؤلاء يقول الخلاف لفظى لا طائل تحته فالأشاعرة والكلابية يقولون: القرآن نوعان ألفاظ ومعانى، فالألفاظ مخلوقه وهى هذه الألفاظ الموجودة، والمعانى قديمة قائمة بالنفس وهى معنى واحد لاتبعض فيه ولا تعدد إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرانية كان

توراتاً أو بالسريانية كان إنجيلاً، وهذا القول تصوره كاف بمعرفة بطلانه، وليس لهم دليل ولا شبهة إلا بيت ينسب للأخطل النصراني وهو قوله:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وهذا البيت إن ثبت فمعناه إن الكلام يخرج من القلب ويعبر عنه اللسان، وأما الكلام الذي في اللسان فقط فهو يشبه كلام النائم والهاذي ونحوهما، وأدلة الكتاب والسنة ترد هذا القول، والذي يعقله العقلاء إن الكلام صفة المتكلم المسموع منه، وإن ما في النفس لا يسمى كلاماً بوجه من الوجوه، كما في حديث: «**عفى لأمتي عن الخطأ والنسيان وما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم**» فهذا صريح بأن ما حدثت به أنفسها ليس بكلام.

إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على بطلانه، وأيضاً فإن الحكاية تماثل المحكي، فمن قال إن القرآن حكاية كلام الله بهذا المعنى فقد ضل ضلالاً مبيناً، فإن القرآن لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله، ولا يقدر أحد أن يأتي بما يحكيه، وأول من قال إنه حكاية عن كلام الله عبدالله بن سعيد بن كلاب. وأما القول بأنه عبارة عن كلام الله كما هو قول الأشاعرة فإنه يلزم عليه أن كل تال معبراً عما في نفس الله والمعبر عن غيره هو المنشئ للعبارة، فيكون كل قارئ هو المنشئ لعبارة القرآن، وهذا معلوم الفساد بالضرورة.

قال ابن القيم رحمه الله في(الصواعق): وهذا المذهب مبني على مسألة إنكار قيام الأفعال الاختيارية بالله، ويسمونها مسألة حلول الحوادث، وحقيقتها إنكار أفعاله سبحانه وتعالى وربوبيته ومشيئته، انتهى. وأول من قال بالعبارة هو الأشعري وهو قول باطل كالقول بالحكاية فإن الأدلة دلت على أن القرآن لفظه ومعناه كلام الله.

وأما القول بأن القرآن عبارة عن كلام الله أو حكاية فهو قول مبتدع باطل ترده الأدلة ولم يقل أحد من السلف بذلك. قال الإمام أحمد رحمه الله: القرآن كيف تصرف فيه، فهو غير مخلوق ولا نرى القول بالحكاية والعبارة، وغلط من قال بهما وجهله، وقال هذه بدعة لم يقل بها السلف.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في (الفتح): المنقول عن السلف اتفاقهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق تلقاه جبريل عن الله وبلغه جبريل إلى محمد ﷺ وبلغه محمد إلى أمته. انتهى. قال الله سبحانه: ﴿**فأجره حتى يسمع كلام الله**﴾ ولم يقل ما هو عبارة عن كلام الله والأصل الحقيقة، ومن قال إن المكتوب في

بل إذا قرأه الناس أو كتبوه فى المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤديا

الصحف عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلام الله وليس فيها كلام الله، فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة وكفى بذلك ضلالا. قال ابن القيم فى (النونية):

زعموا القرآن عبارة وحكاية	قلنا كما زعموه قرآنـــــان
هذا الذى نتلوه مخلوق كما	قال الوليد وبعده الفئـــتان
والآخر المعنى القديم فقائم	بالنفس لم يسمع من الديان
ودليلهم فى ذلك بيت قاله	فيما يقال الأخطل النصرانى

ولو كان ما فى المصحف عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله لما حرم على الجنب والمحدث مسه، ولو كان ما يقرأ القارئ ليس هو كلام الله لما حرم على الجنب، بل القرآن كلام الله. محفوظ فى الصدور ومقروء بالألسن مكتوب فى المصاحف كما قال أبو حنيفة فى الفقه الأكبر وغيره: وهو فى هذه المواضع كلها حقيقة لا يصح نفيه، والمجاز يصح نفيه، فلا يجوز أن يقال ليس فى المصحف كلام الله ولا ما قرأ القارئ كلام الله.

قوله:(بل إذا قرأه الناس): إلخ. قال تعالى: ﴿**إنه لقرآن كريم. فى كتاب مكنون**﴾ وقال تعالى: ﴿**بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم**﴾ وقال تعالى: ﴿**يتلو صحفا مطهرة. فيها كتب قيمة**﴾ وفى حديث ابن عمر قال: نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن ينال بسوء. وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على أن القرآن كلام الله حقاً حيث تلاه التالون أو حفظه الحافظون أو كتبه الكاتبون وهو المعجزة بلفظه ومعناه.

قوله:(فان الكلام إنما يضاف): إلخ. قال تعالى: ﴿**فأجره حتى يسمع كلام الله**﴾ أى من مبلغه، فسماع كلام الرب وغيره ينقسم إلى قسمين: مطلق ومقيد. فالمطلق ما كان بغير واسطة كما سمع موسى بن عمران كلام الرب، وكما يسمع جبريل وغيره كلامه سبحانه وتكليمه، ومنه قول الرسول: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان**».

وأما المقيد: فالسمع بواسطة المبلغ كسماع الصحابة، وسماعنا لكلام الله حقيقة بواسطة المبلغ عنه ومنه قوله: ﴿**فأجره حتى يسمع كلام الله**﴾ وكما فى الحديث المتقدم أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا رجل يحملنى حتى أبلغ كلام ربى**» وكما قال أبو بكر الصديق لما خرج على قريش فقرأ: ﴿**ألم. غلبت الروم**﴾ الآية، فقالوا: هذا كلامك أو كلام صاحبك، فقال: ليس بكلامى ولا بكلام صاحبى، وإنما هو كلام الله. فبين أن ما يبلغه ويتلوه هو كلام الله وإن كان يبلغه بأفعاله وصوته، والناس إذا سمعوا من يروى قصيدة أو كلاماً أو قرآنا قالوا هذا كلام فلان.

قوله: (وهو كلام الله): لأنه هو الذى ألفه وأنشأه، وأما قوله: ﴿**إنه لقول رسول كريم**﴾ الآية، فإضافته إليه إضافة تبليغ لا إضافة إنشاء وابتداء، فإنه قال قول رسول ولم يقل قول ملك ولا نبى، فإن الرسول يبلغ كلام مرسله، وأيضا فقوله: أمين دليل على أنه لايزيد ولا ينقص، بل هر أمين على ما أرسل به يبلغه عن مرسله، وأيضا فإن الله كفر من جعله قول البشر ومحمد بشر، فمن جعله قول محمد بمعنى أن محمداً أو غيره أنشأه فقد كفر، وما ذكر الله فى القرآن عن موسى عليه السلام وغيره وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك الكلام كلام الله إخباراً عنهم، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق والقرآن كلام الله لا كلامهم.

قوله:(وهو كلام الله حروفه ومعانيه): ليس شيئا منه كلاما لغيره لا لجبريل ولا لمحمد ولا لغيرهما، بل قد كفر الله من جعله قول البشر، ولم يقل أحد من السلف إن جبريل أحدث ألفاظه ولا محمد ولاأن الله خلقها فى الهواء أو غيره من المخلوقات ولا أن جبريل أخذها من اللوح المحفوظ إلى غير ذلك من الأقوال المبتدعة، بل أهل السنة يقولون: إن القرآن عين كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعانى ولا المعانى دون الحروف عكس ما عليه أهل البدع من المعتزلة والأشاعرة والكلابية وغيرهم؛ لأن كلام المتكلم هو عبارة عن ألفاظه ومعانيه، وعامة ما يوجد فى الكتاب والسنة وكلام السلف فإنه عند إطلاقه يتناول اللفظ والمعنى جميعا لشموله لهما، فلفظ القول والكلام وما تصرف منهما من فعل ماضى ومضارع وأمر ونحو ذلك إنما يعرف فى القرآن وسائر كلام العرب إذا كان لفظا ومعنى.

قال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله: والصواب الذى عليه السلف والأئمة أن الكلام حقيقة فى اللفظ والمعنى، كما أن الإنسان حقيقة فى البدن

والروح فالنزاع فى الناطق كالنزاع فى منطقه، انتهى، والدليل على أنه حروف حديث ابن مسعود أن النبى ﷺ قال: «**من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات**» وقال النبى ﷺ: « **اقرؤوا القرآن قبل أن يأتى قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لايجاوز تراقيهم يتعجلون آخره ولا يتأجلونه**» رواه بنحوه أحمد، وأبوداود والبيهقى فى سننه والضياء المقدسى فى المختاره عن جابر، وقال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه، وقال على رضى الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله، واتفق المسلمون على عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه، ولاخلاف بين المسلمين فى أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرف، متفق عليه أنه كافر، وفى هذا حجة قاطعة على أنه حروف، انتهى .

قوله:(ليس كلام الله الحروف): إلخ . فالقرآن كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعانى كما يقوله بعض المعتزلة، ولا المعانى فقط دون الحروف كما هو قول الأشاعرة ومن شابههم، وكلا القولين باطل مخالف للكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، فإن الأدلة دلت على أن القرآن العزيز الذى هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه سبحانه لا تأليف ملك ولا بشر وأن القرآن جميعه حروفه ومعانيه نفس كلامه والذى تكلم به وليس بمخلوق ولا بعضه قديم وهو المعنى وبعضه مخلوق وهو الكلمات والحروف بل القرآن جميعه حروفه ومعانيه تكلم الله به حقيقة والقرآن اسم لهذا النظم العربى الذى بلغه الرسول عن جبريل عن رب العالمين قال تعالى: ﴿**فإذا قرأت القرآن**﴾ وإنما يقرأ القرآن العربى لايقرأ معانيه المحددة، وقال تعالى: ﴿**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر**﴾ الآية، فأبطل سبحانه قول الكفار بأن لسان الذى يلحدون إليه أعجمى والقرآن لسان عربى مبين، فلو كان الكفار قالوا يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا رداً لقولهم، فإن الإنسان قد يتعلم من الأعجمى شيئا بلغه ذلك العجمى ويعبر عنه بعباراته، وإذا كان الكفار جعلوا الذى يعلمه بشر فأبطل الله ذلك بأن لسان ذلك أعجمى، وهذا لسان عربى مبين على أن روح القدس نزل باللسان العربى المبين وأن محمداً لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس، وإذا كان روح القدس نزل من الله علم أنه سمعه ولم يؤلفه هو ، انتهى.

فصل

وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبملائكته وبرسله الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عِياناً بأبصارهم كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر لايضامون فى رؤيته.

فصـــل

قوله:(وقد دخل فيما ذكرناه): إلخ. أى قد دخل فى الإيمان بالله وبكتبه وملائكته ورسله الإيمان بأن المؤمنين يرونه سبحانه يوم القيامة، فمن لم يؤمن بأنه سبحانه يُرى يوم القيامة فقد رد أدلة الكتاب والسنة وخالف ما عليه سلف الأمة وأئمتها ولم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.

قال أحمد رحمه الله: من لم يقل بالرؤية فهو جهمى، وقال أبو داود: سمعت الإمام أحمد رحمه الله يقول: من قال إن الله لايرى فى الآخرة فهو كافر، وقال من زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وقال ابن خزيمة رحمه الله: إن المؤمنين يرون ربهم خالقهم يوم المعاد، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين.

وقال ابن القيم رحمه الله: دل الكتاب والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة أهل الإسلام والحديث على أن الله يرى يرم القيامة بالأبصار عياناً كما يرى القمرليلة البدر، وكما ترى الشمس صحواً، فإن كان لما أخبر الله به ورسوله حقيقة ـ وإن له والله حق الحقيقة ـ فلا يمكن أن يروه إلا من فوقها لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو وراءهم أو قدامهم ونحو ذلك، ولايجتمع فى قلب عبد اطلع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمدا رسول الله أبداً، ا.هـ.

قوله:(بأن المؤمنين يرونه): كما تواترت بذلك الأدلة، وهذا بخلاف الكفار فإنهم لا يرونه سبحانه، قال تعالى: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ قال الشافعى رحمه الله: لما أن حجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على أن أولياءه يرونه فى حال الرضا. قال ابن كثير رحمه الله: وهذا الذى قاله الإمام الشافعى فى غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة.إلى ربها ناظرة**﴾وكما دلت على ذلك الأحاديث

المتواترة في رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة بالأبصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنات الفاخرة. ا.هـ.

قوله: (يوم القيامة): إشارة للرد على من زعم أنه سبحانه يرى في الدنيا كما يقوله بعض المتصوفة، وهذا باطل ترده الأدلة كما في صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ: هل رأى ربه؟ فقال: «**نور أنى أراه، أي حالت بيني وبين رؤيته الأنوار**» وقالت عائشة رضي الله عنها. من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، وفي صحيح مسلم مرفوعاً: «**واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**» وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله: أهل السنة متفقون على أن الله سبحانه لا يراه أحد بعينه في الدنيا لا نبي ولا غير نبي، وإنما يروى ذلك بإسناد موضوع باتفاق أهل المعرفة.

قوله:(عياناً بأبصارهم): كما في حديث جرير وغيره، وقوله: (عياناً)بكسر العين من قولك: عاينت الشيء عيانا إذا رأيته بعينيك، أي ترونه رؤية محققة لا خفاء فيها، قال ابن القيم: وقوله(عياناً) تحقيقاً للرؤية ونفياً لتوهم المجاز الذي يظنه المعطلون. ا.هـ.

قوله:(كما يرون الشمس صحواً): إلخ. كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن أناساً قالوا: يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يارسول الله، قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك**» وتقدم حديث جرير إلى غير هذه الأحاديث التي بلغت حد التواتر والتي يجزم من أحاط بها علما أن الرسول ﷺ قالها، فهذه الأحاديث فيها إثبات الرؤية والرد على الأشاعرة والقائلين بأنه سبحانه يرى من غير مواجهة ومعاينة.

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله: وهذا قول انفردوا به دون سائر طوائف الأمة وجمهور العقلاء على أن فساد هذا معلوم بالضرورة.

وقوله:(صحواً): أي ذات صحو أي انقشع عنها الغيم.

وقوله:(كما ترون): إلخ، هذا تشبيه للرؤية بالرؤية، فإن الكاف حرف تشبيه دخل على الرؤية ولم يشبه المرئي، فإنه سبحانه لاشبيه له ولامثيل ولا نظير.

وقوله:(**لاتضارون فى رؤيته**): قال فى النهاية: يروى بالتشديد والتخفيف، فالتشديد معناه لاينضم بعضكم إلى بعض وتتزاحمون وقت النظر إليه، ويجوز ضم التاء وفتحها، ومعنى التخفيف لا ينالكم ضيم فى رؤيته فيراه بعضكم دون بعض، والضيم الظلم، وأما من زعم أن الخبر يدل على أنهم يرونه لا فى جهة فهذا تفسير باطل لم يقله أحد من أئمة أهل العلم، بل هو تفسير منكر، فإن الحديث يدل صراحة على أنه سبحانه يتجلى تجليا ظاهراً، فيرونه كما ترى الشمس والقمر بلا ضيم يلحقهم فى رؤيته على هذه الرواية، وعلى الرواية الأخرى معناه لا ينضم بعضكم إلى بعض كما يتضام الناس عند رؤية الشيء الخفى كالهلال، انتهى من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

قوله:(**يرونه فى عرصات القيامة**): كما فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما، وفى أفراد مسلم عن جابر فى حديثه: «**إن الله يتجلى للمؤمنين**» يعنى فى العرصات.

قوله:(**العرصات**): جمع عرصة وهى كل موضع واسع لا بناء فيه، وعرصة الدار وسطها، وعرصات القيامة مواقف الحساب والعرض وغير ذلك. ويرونه بعد دخول الجنة كما فى حديث جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا أبصارهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة**» وهو قول الله سبحانه: ﴿**سلام قولا من رب رحيم**﴾ فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، وتبقى بركته ونوره، رواه ابن ماجه وغيره، قال ابن القيم رحمه الله: ففى هذا الحديث إثبات صفة الكلام وإثبات الرؤية وإثبات العلو، والمعطلة تنكر هذه الثلاثة وتكفر القائل بها، ا.هـ.

وأما ما استدل به المعتزلة وغيرهم من نفاة الرؤية من قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لاتدركه الأبصار**﴾، وقوله لموسى: ﴿**لن ترانى**﴾ فالجواب أن الآية الأولى هى على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها، فإن الله سبحانه إنما ذكرها فى سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به، فلو كان المراد بكونه: ﴿**لاتدركه الأبصار**﴾ أنه لا يرى بحال لم يكن فى ذلك مدح ولاكمال لمشاركة المعدوم له فى ذلك، فإن العدم الصرف

كما يشاء الله تعالى.

لايرى ولاتدركه الأبصار، والرب سبحانه وتعالى جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذاً المعني إنه يرى ولايدركَ ولايحاط فقوله: ﴿**لاتدركه الأبصار**﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدركَ بحيث يحاط به، فان الإدراك هو الإحاطة بالشيءوهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى: ﴿**فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا**﴾ فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم: ﴿**إنا لمدركون**﴾ إنا لمرئيون فإن موسى عليه السلام نفى إدراكهم إياهم بقوله: كلا، وأخبر أنه لا يخاف دركهم بقوله لاتخاف دركا ولاتخشى، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب يُرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به، وهذا الذى فهمه الصحابة والأئمة من الآية. قال ابن عباس: ﴿**لاتدركه الأبصار**﴾ لاتحيط به، وقال قتادة:هو أعظم من أن تدركه الأبصار، انتهى. ملخصا، من حادى الأرواح.

وأجاب بعضهم بقوله: ﴿**لاتدركه الأبصار**﴾: أى فى الدنيا،وبأن نفى الإدراك لايستلزم نفى الرؤية لإمكان رؤية الشيء من غير إحاطة بحقيقته، والجواب عن الاستدلال بقوله لموسى: ﴿**لن ترانى**﴾ استدلال فاسد،والآية حجة عليهم فإنها دالة على الرؤية من وجوه (**أحدها**): أنه لا يظن بموسى عليه السلام أن يسأل ربه مالا يجوز عليه. (**الثانى**): انه لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محال لأنكره عليه. (**الثالث**): أنه أجابه بقوله: ﴿**لن ترانى**﴾ولم يقل إنى لا أرى أو تجوز رؤيتى،فهذا يدل على أنه يرى ولكن موسى لاتحتمل قواه رؤيته فى هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى إلى غير ذلك من الوجوه الدالة على أن الآية فيها إثبات الرؤية،وليست دالة على نفيها كما يقوله المعتزلة وأشباههم فى إثبات الرؤية،هذا مع ماجاء من الأحاديث الدالة على إثبات الرؤية والتى تلقاها المسلمون بالقبول من لدن الصحابة والتابعين حتى حدث من أنكر الرؤية وخالف السلف.

قوله: (كما يشاء الله): أى من غير إحاطة ولا تكييف كما نطق بذلك الكتاب وفسرته السنة على ما أراد الله سبحانه وعلمه،وكل ما جاء فى الكتاب والسنة فهو كماقالَ معناه على ما أراد،ولاتدخل فى ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بهوائنا كما قال الإمام الشافعى رحمه الله: آمنت بالله على ماجاء من عند الله على مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ.

فصل

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبى ﷺ مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمه

فصـــل

قوله: (الإيمان باليوم الآخر): الذى هو أحد أصول الإيمان الستة المذكورة فى حديث عمر وغيره، والمراد بالإيمان به التصديق بما يقع من الحساب والميزان والجنة والنار وغير ذلك وسمى باليوم الآخر لتأخره عن الدنيا

قوله:(الإيمان بكل ما أخبر به النبى ﷺ ما يكون بعد الموت): أى من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وتوسيعه على بعض وتضييقه على بعض وضغطه ونحو ذلك وإعادة الروح إلى الميت فيؤمنون بما يقع فى البرزخ مما وردت به الأدلة، والبرزخ **لغة**: الحاجز بين الشيئين كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**بينهما برزخ**﴾أى حاجز،وفى **الشرع**: البرزخ من وقت الموت إلى القيامة من مات دخله، وسمى برزخاً لكونه يحجز بين الدنيا والآخرة.

قوله:(فتنة القبر): الفتنة **لغة**:الامتحان والاختبار،والفتانان منكر ونكير، ويريد بفتنة القبر مسألة منكر ونكير، ويجب الإيمان بذلك لثبوته عن النبى ﷺ فى عدة أخبار يبلغ مجموعها حد التواتر.

قوله:(وبعذاب القبر ونعيمه): تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ فى ثبوت عذاب القبر ولمن كان أهلاً لذلك، فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به ولا يتكلم فى كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به فى هذه الدار، وعلى هذا درج السلف الصالح، وأنكر الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة.

قال ابن رجب رحمه الله: تواترت الأحاديث عن النبى ﷺ فى عذاب القبر، ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: سألت النبى ﷺ عن عذاب القبر قال:«**نعم عذاب القبر حق**» وفى صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السور من القرآن: «**اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر،وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال**» وفى الصحيحين من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر النبى ﷺ بقبرين فقال: « **إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير**» ثم

فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجل من ربك وما دينك ومن نبيك؟

قال: « **بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان لايستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة**».

وقال المروذى: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله: عذاب القبر حق لاينكره إلا ضال مضل .ا.هـ. وعذاب القبر على الروح والبدن .

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة.

قوله:(فإن الناس يفتنون فى قبورهم): أى بأن تعاد إليهم أرواحهم كما فى حديث البراء وغيره فتعاد إليه روحه إعادة غير الإعادة المألوفة فى الدنيا ليسأل ويمتحن فى قبره،انتهى. وهذا الرد إعادة خاصة توجب حياة البدن قبل يوم القيامة،فإن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:أحدها: تعلقها به فى بطن الأم جنيناً. الثانى: تعليقاً به خروجه إلى الأرض. الثالث: تعلقها به حال النوم،فلها تعلق به من وجه ومفارقة من وجه. الرابع: تعلقها به فى البرزخ فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كليا. الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد وهذا أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ا.هـ. من كتاب الروح.

قوله:(فيقال للرجل): أى للإنسان من رجل وامرأة وغيرهما ممن وردت الأدلة أنه يمتحن فى قبره أى يقوله له الملكان واسمهما (المنكر والنكير) نص على ذلك أحمد وفى حديث أبى هريرة: «**يأتيه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر ولآخر النكير**» رواه ابن حبان والترمذى، وفى رواية ابن حبان: «**يقال لهما منكر ونكير**» وقوله منكر مفعل ونكير فعيل بمعنى مفعول من أنكر وكلاهما ضد المعروف وسميا به، لأن الميت لم يعرفهما ولم ير صورة مثل صورتهما، وظاهر هذا ومقتضى الأحاديث استواء الناس فى اسمهما، وذكر بعض العلماء أن اللذين يسألان المؤمن اسمهما البشير والمبشر والأول هو الصحيح.

قوله:(فيقال للرجل من ربك): إلخ. كما أخرج الشيخان من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا**﴾ الآية، نزلت فى عذاب القبر، زاد مسلم: «**فيقال له من**

ربك؟ فيقول ربى الله ودينى محمد» فذلك: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت**﴾ الآية.

وفى الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له انظر مقعدك من النار وقد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال فيراهما جميعا ـ يعنى المقعدين**».

قال قتاده: ذكر لنا أنه يفسح له فى قبره، وأما المنافق والكافر فيقال له: ما تقول فى هذا الرجل؟فيقول: لاأدرى، كنت أقول مايقول الناس، فيقال: لادريت، ولاتليت، ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه غير الثقلين.

قوله:(فإن الناس يفتنون): إلخ، ظاهره أن السؤال فى القبر عام للمؤمن والفاسق والكافر كما اختاره الشيخ تقى الدين وابن القيم وجمهور العلماء، خلافا لابن عبدالبر حيث قال: لا يسأل إلا مؤمن أو منافق كان منسوبا لدين الإسلام بظاهر الشهادة، بخلاف الكافر، والكتاب والسنة تدل على خلاف هذا القول، قال الله تعالى: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين**﴾وفى البخارى: «**وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدرى**» بالواو، ورجحه أيضا ابن حجر، ويفيد أيضا أن السؤال عام للأمم كلها ليس خاص بهذه الأمة، كما اختاره ابن القيم وعبد الحق الاشبيلى وغيرهم، وجزم به القرطبى، وقال الحكيم الترمذى: إنه خاص بهذه الأمة، وتوقف ابن عبد البر، ويستثنى مما تقدم المرابط فى سبيل الله فقد صح أنه لايفتن فى قبره كما فى صحيح مسلم وغيره، وكشهيد المعركة والصابر فى الطاعون وغير هؤلاء مما جاء فى الأحاديث.

قوله:(فى قبورهم): وكذا من لم يدفن من مصلوب ونحوه يناله نصيبه من فتنة السؤال وضغطة القبر. قال ابن القيم رحمه الله فى كتاب (الروح): ومما ينبغى أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه من ذلك قبر أو لم يقبر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار

فـ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾، فيقول المؤمن: ربى الله والإسلام دينى ومحمد ﷺ نبيي.

رماداً أو نسف فى الهواء أو غرق فى البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور. ا.هـ.

وقوله:(فيقال للرجل): ظاهره اختصاص السؤال بالمكلف، أما الصغير فجزم غير واحد من الشافعية أنه لايسأل، وجزم القرطبى فى التذكرة بأنه يسأل، وهو منقول عن الحنفية.

وأفاد **قوله:(فيقال للرجل)** إلى آخره أن السؤال والجواب يكون باللغة العربية، خلافا لما ذكر عن البلقينى أنه يجيب باللغة السريانية إذ لا دليل عليه، وأفاد أيضا أن السؤال فى القبر للروح والبدن، وكذلك عذاب القبر ونعيمه، والأدلة صريحة بذلك وعليه أهل السنة والجماعة، وأفاد قوله:**(فيقولان له)** إن الملائكة الذين يسألون فى القبر اثنان، وزعم بعضهم أنهم أربعة، والصحيح الأول للأدلة الصحيحة فى ذلك، وأفاد أيضا أن السؤال مرة واحدة.

وقال القسطلانى: وذكر ابن رجب عن بعضهم أن المؤمن يفتن سبعا والكافر أربعين صباحاً، ومن ذلك كانوا يستحبون أن يطعم عن المؤمن سبعة أيام من يوم دفنه . قال: وهذا مما انفرد به ولا أعلم أن أحداً قاله غيره، انتهى.

وأفاد أيضا أن عذاب القبر واقع على الكفار ومن شاء الله من الموحدين، وأفاد ذم التقليد فى الاعتقادات لمعاقبة من قال سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، وأفاد أيضا أن الميت يحيى فى قبره للمسألة، خلافا لابن حزم وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

قوله:﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾: تزلت هذه الآية فى سؤال المكلفين فى القبركما قاله الجمهور،قال الطبرى: يثبتهم فى الدنيا على الإيمان حتى يموتوا وفى الآخرة عند المسألة، انتهى .

وقوله:﴿بالقول الثابت﴾: أى الذى ثبت عندهم بالحجة، وهى كلمة التوحيد وثبوتها تمكنها فى القلب واعتقاد حقيقتها واطمئنان القلب بها، وتثبيتهم فى الدنيا أنهم إذا فتنوا لم يزالوا عنها وإن ألقوا فى النار ولم يرتابوا، وتثبيتهم فى الآخرة أنهم إذا سئلوا فى القبر لم يتوقفوا فى الجواب، وكذلك إذا سئلوا فى الحشر وعند

وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لاأدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق ثم بعد هذه الفتنة ـ إما نعيم وإما عذاب، إلى أن تقوم القيامة الكبرى

موقف الأشهاد، عن معتقدهم ودينهم لم تدهشهم أحوال يوم القيامة، وبالجملة فالمرء على قدر ثباته فى الدنيا يكون ثباته فى القبر وما بعده.

قوله:(**وأما المرتاب**): أى الشاك(**فيقول:هاه هاه**)هى كلمة توجع والهاء الأولى مبدلة من همزة آه وهو الآليق بمعنى هذا الحديث، ا.هـ .

قوله:(**فيضرب بمرزبة من حديد**): قال فى النهاية: المرزبة بالتخفيف: المطرقة الكبيرة التى للحداد.

قوله:(**يسمعها كل شيء إلا الإنسان**): وفى حديث آخر فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين، أى الجن والإنس، قيل لهم ذلك؛ لأنهم كالثقل على وجه الأرض، انتهى فتح البارى.

قوله:(**لصعق**) :أى خر ميتا، وصعق أيضا إذا غشى عليه.

قوله:(**ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب**): المراد أنه لابد من أحد الأمرين، ولايفهم منه دوام العذاب، فإن الناس بالنسبة لدوام عذاب القبر وعدمه ينقسمون إلى قسمين: قسم عذابه دائم لاينقطع كما قال سبحانه: ﴿**النار يعرضون عليها غدواً وعشياً..**﴾ الآية، وكما فى حديث البراء بن عازب فى قصة الكافر: ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة. رواه أحمد فى بعض طرقه.

النوع الثانى: إلى مدة ينقطع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه، وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج أو غير ذلك من الأسباب.

قوله: (**إلى أن تقوم القيامة الكبرى**) بعد ما ينفخ فى الصور نفخة البعث، فإن يوم القيامة يقع على ما بعد نفخة البعث من أهوال وزلزلة وغير ذلك إلى آخر الاستقرار فى الجنة أو النار.

قوله:(الكبرى): إشارة إلى أن فيه قيامة صغرى وهو الموت كما قيل:

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى   غداة أقل الحاملون جنازتى

قال القرطبى رحمه الله: القيامة قيامتان: صغرى وكبرى، فالصغرى: ما تقوم على كل إنسان فى خاصته من خروج روحه وانقطاع سعيه وحصوله على علمه، وأما الكبرى: فهى التى تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة، قيل: سمى ذلك اليوم يوم القيامة؛لكون الناس يقومون من قبورهم، قال تعالى: ﴿**يوم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر**﴾ وقال: ﴿**يخرجون من الأجداث سراعا**﴾ وروى مسلم فى صحيحه مرفوعا: «﴿**يقوم الناس لرب العالمين**﴾، قال: يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه»، قال ابن عمر: يقومون مائة سنة.

قوله:(فتعاد الأرواح إلى الأجساد): وذلك حين ينفخ إسرافيل فى الصور نفخة البعث والنشور، قال تعالى: ﴿**وإذا نفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون**﴾ وإذا أطلق النفخ فى الصور فالمراد به نفخة البعث، والأرواح جمع روح وهو ما يحيا به الإنسان، وهو من أمر الله كما قال سبحانه: ﴿**قل الروح من أمر ربى**﴾.

قال شيخ الإسلام تقى الدين: وروح الآدمى مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل الحديث، وقد حكى إجماع الأمة على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة السلف، ويجب الإيمان بالبعث والنشور ويكفر الإنسان بإنكاره، قال الله سبحانه: ﴿**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير**﴾ والبعث لغة: إثارة الشيء، والمراد به هنا إحياء الأموات وخروجهم من قبورهم ونحوها إلى حكم يوم القيامة، والبعث والنشور مترادفان وهما بمعنى إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها، يقال نشر الميت وأنشره بمعنى أحياه، وأما الحشر فهو لغة: الجمع، تقول: حشرت الناس إذا جمعتهم، والمراد جمع أجزاء الإنسان بعد تفرقها ثم إحياء الأبدان بعد موتها، فيبعث الله جميع العباد ويعيدهم بعد موتهم ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء بينهم، وأدلة ذلك فى الكتاب والسنة والإجماع.

وتقوم القيامة التى أخبر الله بها فى كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين.

قال ابن القيم وغيره: معاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى، قال جلال الدين الدارنى: هو بإجماع أهل الملل وبشهادة نصوص القرآن الذى لايقبل التأويل كقوله سبحانه: ﴿**قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾، وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو حاتم والضياء فى المختارة وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال: جاء العاص بن وائل إلى النبى ﷺ بعظم حائل ففته بيده فقال يا محمد: يحيى الله هذا بعد ما أرم؟ قال: «**نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم**»، فنزلت الآيات من آخر سورة يس: ﴿**أوَ لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة**﴾ الآيات، فهذا نص صريح فى الحشر الجسمانى، وقد ورد فى عدة مواضع من القرآن التصريح به بحيث لايقبل التأويل، فيجب الإيمان به واعتقاده ويكفر منكره كما تقدم.

وأما النفخ فى الصور فينفخ فيه ثلاث نفخات: نفخة الفزع وهى التى يتغير بها العالم، قال الله سبحانه: ﴿**وما ينظرهؤلاء إلاصيحة واحدة مالها من فواق**﴾ أى رجوع ومرد، وقال تعالى: ﴿**ويوم ينفخ فى الصورففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلامن شاء الله**﴾ سميت نفخة الفزع لما يقع من هول تلك النفخة، والنفخة الثانية: نفخة الصعق، وفيها هلاك كل شىء قال تعالى: ﴿**ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله**﴾ الآية.

وفسر الصعق بالموت وهو متناول حتى الملائكة، والاستثناء متناول لمن فى الجنة من الحور العين وغيرهم، الثالث: نفخة البعث والنشور، قال تعالى: ﴿**ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون**﴾ وقال: ﴿**ونفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون**﴾ وأخرج ابن جرير والبيهقى وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قلت يارسول الله: وما الصور؟ قال: «**عظيم إن عظم داره فيه كعرض السماء والأرض، فينفخ فيه ثلاث نفخات:الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين**»، انتهى.

قوله:(فيقوم الناس من قبورهم): إلخ. قال سبحانه: ﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾ وروى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر مرفوعاً: ﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾ قال: يقوم الناس حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى نصف أذنه، وفى

البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يقول: «**إنكم ملاقو ربكم حفاة عراة غرلا**» وزاد فى رواية «مشاة»، وفى رواية فيهما قال: قام رسول الله فينا بموعظة فقال: «**يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا: ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾**.

قوله: (**حفاة**): جمع حاف :وهو الذى ليس عليه نعل ولاخف.

قوله:(**عراة**) :جمع عار: وهو الذى ليس عليه لباس، **وقوله**: (**غرلا**): بضم الغين المعجمة وإسكان الراء جمع أغرل: وهو الأقلف،وفى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: قلت يارسول الله: الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض؟قال: «**الأمر أشد من أن يهمهم ذلك**». قال العلماء رحمهم الله: مراتب المعاد: البعث والنشور ثم المحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين والشمال ثم السؤال والحساب ثم الميزان. انتهى.

قوله:(**تدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق**): أى تقرب منهم الشمس حتى تكون قدر ميل أو ميلين،كما روى مسلم عن المقداد رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: «**إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين**»، قال: «**فتصهرهم الشمس فيكونون فى العرق كقدر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عقبيه،ومنهم من يأخذه إلى حقويه،ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً**».

قوله:(**عقبيه**): هو مؤخر القدم، **وقوله**:(**حقويه**): الحقو معقد الإزار.

قوله:(**يلجمهم العرق**): أى يصل إلى أفواههم فيصير لهم بمنزلة اللجام يمنعهم عن الكلام. انتهى .نهاية.

وقوله:«**يلجمهم العرق**»: ظاهره التعميم لكن دلت أحاديث على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر، ويستثنى من ذلك الأنبياء والشهداء ومن شاء الله، انتهى.

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة مرفوعاً: «يعرق الناس يوم القيامةحتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم، فهذا اليوم العظيم فيه

وتنصب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون﴾.

من الأهوال العظيمةوالشدائد الجسيمة ما يذيب الأكباد ويذهل المراضع ويشيب الأولاد قال الله تعالى: **﴿يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾**.
قوله: **﴿يوم تذهل كل مرضعة﴾** وذلك يوم القيامة وهو حق ثابت ورد به الكتاب والسنة والإجماع.

قوله:(**وتنصب الموازين، وتوزن فيها أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون،ومن خفت موازينه فأولئك فى جهنم خالدون**): تكاثرت أدلة الكتاب فى إثبات الميزان كما تواترت بذلك الأحاديث، وأجمع أهل الحق على ثبوته ووجوب الإيمان به وأنه ميزان حقيقى حسى له لسان وكفان كما هو صريح الأدلة، فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن موسى عليه السلام قال يارب: علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به، قال: قل: يا موسى لا إله إلا الله، قال يارب: كل عبادك يقولون هذا؟ قال ياموسى: لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله**» الحديث، وروى الإمام أحمد وغيره من حديث عبد الله بن عمرو فى حديث البطاقة، وفيه «...**فيخرج له بطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع السجلات فى كفة، ولا إله إلا الله فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة**...» الحديث، إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التى بلغت حد التواتر وجمع المصنف الموازين ظاهره تعددها، والصحيح أنه ميزان واحد وجمعه. قيل: لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا باجتماعها، ويحتمل أن الجمع للتفخيم كما فى قوله: **﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾** مع أنه لم يرسل إليهم إلا واحد، وقيل: يجوز أن يكون لفظه جمعاً ومعناه واحدا، كقوله: **﴿يا أيها الرسل﴾** وأما الوزن فهو للأعمال كما أشار إليه المصنف، واستدل بالآية المذكورة، فى صحيح مسلم عن أبى مالك الأشعرى، قال: قال رسول اله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان**...» الحديث.

وأخرج أبو داود والترمذى وصححه ابن حبان عن أبى الدرداء عنه ﷺ قال: «**ما يوضع فى الميزان أثقل من خلق حسن**»، وفى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**» إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على أن الوزن للأعمال، وإلى هذا ذهب أهل الحديث، وقيل: الوزن لصحائف الأعمال كما فى حديث صاحب البطاقة، وصوبه مرعى فى بهجته، وذهب إليه جمهور من المفسرين وصححه ابن عبد البر والقرطبى وغيرهما، وقيل يوزن صاحب العمل كما فى الحديث: «**يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة ثم قرأ قوله سبحانه: ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾**الآية.

وقال ابن كثير رحمه الله: وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها والله أعلم.

قال الغزالى والقرطبى: ولا يكون الميزان فى حق كل أحد، فالسبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا، اهـ.

وقال القرطبى رحمه الله: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء، فينبغى أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، قال الشيخ مرعى رحمه الله: والحكمة فى الوزن مع أن الله عالم بكل شىء إظهار العدل وبيان الفضل حيث يزن مثاقيل الذر من خير وشر، انتهى. ومن المقرر أن أحوال البرزخ وأحوال الآخرة لا تقاس على مافى الدنيا وإن اتفقت الأسماء، فنؤمن بها كما وزد من غير بحث عن كنهها وحقيقتها كما أخبر الصادق المصدوق من غير زيادة ولا نقصان.

قوله: ﴿فمن ثقلت موازينه﴾: أى رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة قاله ابن عباس.

قوله: ﴿فأولئك هم المفلحون﴾: أى الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة، والفلاح هو الفوز والظفر والحصول على المطلوب.

وتنشر الدواوين: وهى صحائف الأعمال، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره كما قال سبحانه وتعالى:﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ .

قوله: **﴿ومن خفت موازينه﴾**: أى ثقلت سيئاته على حسناته **﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾**: أى خابوا وفازوا بالصفقة الخاسرة، وقوله: **﴿فى جهنم خالدون﴾** أى ماكثون فيها دائمون، والخلود هو المكث الطويل .

أفادت هذه الآية إثبات الميزان والرد على المعتزلة الذين أنكروه وقالوا: الميزان عبارة عن العدل، وهذا تأويل فاسد مخالف للكتاب والسنة والإجماع ، وأفادت أن الوزن للأعمال، وأما جمع الموازين مع إنه ميزان واحد فقد تقدم الجواب عنه.

قوله:(وتنشر الدواوين): جمع ديوان: وهو الدفتر الذى يكتب فيه أعمال العباد والصحائف جمع صحيفة: وهى الورقة يكتب فيها من الرق والقرطاس، والمراد بها هنا الكتب التى كتبتها الملائكة وأحصوا ما فعله كل إنسان من سائر أعماله القولية والفعلية، قال تعالى: **﴿ وإذا الصحف نشرت﴾** قال الثعلبى: أى التى فيها أعمال العباد نشرت للحساب، فيجب الإيمان بنشر الصحف وأخذها بالأيمان أو بالشمائل لثبوت ذلك بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: **﴿ وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً. وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً ﴾**.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا قال: «**تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال معاذير، وعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى فآخذ كتابه بيمينه وآخذ بشماله**»،رواه الترمذى. وقال الترمذى: لايصح؛ لأن الحسن لم يسمع من أبى هريرة، وهو عند أحمد وابن ماجه من هذا الوجه مرفوعا، وأخرجه البيهقى فى البعث بسند حسن عن عبد الله بن مسعود مرفوعا.

وروى أحمد والترمذى وأبو بكر بن أبى الدنيا عن أبى موسى الأشعرى قال، قال رسول الله ﷺ: « **يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فعرضتان جدال ومعاذير وعرضة تطاير الصحف، فمن أوتى كتابه بيمينه وحوسب حسابا يسيرا**

دخل الجنة ،ومن أوتى كتابه بشماله دخل النار».

قوله:﴿وأما من أوتى كتابه وراء ظهره...﴾: الآية ، قال مجاهد: تجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه، وقال سعيد بن المسيب: الذى يأخذه بشماله تلوى يده خلف ظهره ثم يعطى كتابه.

وقوله سبحانه وتعالى:﴿ وكل إنسان﴾ :انتصب كل بفعل مضمر، **وقوله: ﴿طائره﴾**: هو ماطار عنه من عمله من خير وشر. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: والمعنى أن عمله لازم له والمقصود أن عمل الإنسان محفوظ عليه قليله وكثيره ويكتب عليه ليلاً ونهاراً كما قال سبحانه: **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** وقال تعالى: **﴿وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون﴾** وقوله: **﴿ فى عنقه﴾** : خص العنق بالذكر؛ لأن اللزوم فيه أشد، ومن ألزم شيئا فيه فلا محيد له عنه، والمعنى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو لعل فى العنق لا ينفك عنه.

قوله: **﴿ ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾** : أى صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات، يعطاه بيمينه إن كان سعيداً وبشماله إن كان شقياً.

قوله: **﴿ يلقاه منشوراً﴾**: أى يلقى الإنسان ذلك الكتاب، أى يراه منشورا أى مفتوحا يقرؤه هو وغيره فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره كما قال تعالى: **﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾** .

قوله: **﴿ اقرأ كتابك﴾**: تقديره يقال له اقرأ كتابك، أى كتاب أعمالك وماكان منك. **قوله :﴿ كفى بنفسك﴾** : الباء زائدة فى الفاعل. قوله: **﴿ اليوم عليك حسيبا﴾** أى محاسبا لأنك ذكرت جميع ماكان منك وعرفته، ولا ينسى أحد ما كان منه، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمى.

الحساب مصدر حاسب وحسب الشيء يحسبه إذا عده فهو **لغة:** العدد، **واصطلاحا:** هو توقيف الله العباد قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيراً كانت أو شراً إلا من استثنى منهم، وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق فيجب الإيمان به واعتقاد ثبوته، قال تعالى: **﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾** وقال تعالى :**﴿وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً**

ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك فى الكتاب والسنة، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنه لا حساب لهم ،

يسيراً﴾ الآية، وقال تعالى: **﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياوليتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾** وقوله: **﴿ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾** أى عدها وكتبها وأثبتها فيه إلى غير ذلك، من الآيات الدالة على إثبات الحساب. وفى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **من نوقش الحساب عُذب**»، قالت: فقلت: أليس يقول الله: **﴿وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا﴾** الآية، فقال: « **إنما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**»، والمعنى: أنه لو ناقش فى حسابه لعبيده لعذبهم ولكنه يعفو ويصفح.

قوله:(ويحاسب الله الخلائق). . . إلخ: ، ظاهره العموم ولكن دلت الأدلة أنه يستثنى من ذلك من يدخل الجنة بغير حساب، كما فى الصحيحين من حديث ابن عباس فى السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب.

قوله:(ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه): أى ينفرد سبحانه بعبده ويقرره بذنوبه فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟، يقال قرره بكذا أى جعله يعترف به كما فى الصحيح من حديث ابن عمر، وفيه يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: عملت كذا وكذا فيقول: نعم فيقرره ثم يقول: إنى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسابه، وأما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق: **﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾**. قال المهلب فى الحديث : تفضل الله سبحانه على عباده وستره لذنوبهم يوم القيامة، وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم بخلاف قول من أنفذ الوعيد على أهل الإيمان . ا.هـ .

قوله: (وأما الكفار...) إلخ: أى لأنه إنما يحاسب من له حسنات وسيئات، والكافر ليس له فى الآخرة حسنات توزن، فإن أعمالهم حابطة باطلة؛ لأنها فاقدة لشروط العبادة التى هى الإخلاص والمتابعة، فكل عمل لا يكون خالصا وعلى

ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيقفون عليها ويقرون بها ويجزون بها.

وفى عرصة القيامة الحوض المورود للنبى ﷺ.ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا.

الشريعة المرضية فهو باطل ، وأعمال الكفار لا تخلو من ذلك فلا يحصل لهم من أعمالهم التى عملوها فائدة، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿**فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا**﴾ ففيها دليل على أن الكافر لا توزن أعماله إذ لا ثواب له فى الآخرة ولا يجازى فيها بشىء من عمله فى الدنيا، قال تعالى: ﴿**وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءًا منثورا**﴾ وإن عمل كافر من نحو عتق أو صدقة أو عمل حسن وفى له فى حياته الدنيا، فليس له فى الآخرة جزاء عمل لكن يرجى أن يخفف عنه من عذاب معاصيه لحديث ثويبة حين أعتقها أبو طالب. وفى صحيح مسلم عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يظلم مؤمن حسنة يعطى بها فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ماعمل بها لله فى الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها**». قال النووى فى شرح صحيح مسلم: أجمع العلماء على أن الكافر الذى مات على كفره لا ثواب له فى الآخرة ولا يجازى فيها بشىء من عمله فى الدنيا متقربا به إلى الله، وصرح فى هذا الحديث بأنه يطعم فى الدنيا بما عمله من الحسنات، أى بمافعله متقربا به إلى الله مما لا تفتقر صحته إلى النية كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها، وأما المؤمن فيدخر له أيضا حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة ويجزى بها مع ذلك فى الدنيا ولا مانع من جزائه بها فى الدنيا والآخرة، وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده .

وقوله:(**ولكن تعد أعمالهم وتحصى ويوقفون عليها...**) إلخ : ، أى تحسب أعمالهم ويخبرون بها ويقررون بها، كقوله: ﴿**ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر**﴾ وقال: ﴿**ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه**﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله: (عرصة): بوزن ضربة **لغة**: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، وعرصات القيامة مواقفها من العرض والحساب وغير ذلك، والحوض **لغة**: مجمع

الماء، والمراد به هنا هو ماذكره المصنف وهو حق ثابت بإجماع أهل الحق، وأنكره الخوارج وبعض المعتزلة، وقد تواترت الأحاديث فى إثبات الحوض. قال ابن القيم رحمه الله: قد روى أحاديث الحوض أربعون من الصحابة وكثير منها أو أكثرها فى الصحيح، ا.هـ.

وقال الحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابه البدور السافرة: ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابياً، منهم الخلفاء الأربعة الراشدون وحفاظ الصحابة المكثرون رضى الله عنهم، ثم ذكر الأحاديث واحداً واحداً، انتهى. فمنها مارواه البخارى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**إن قدر حوضى ما بين أيلة إلى صنعاء اليمن، وأن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء**».

وروى البخارى ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا فرّطكم على الحوض..**» والفرط الذى سبق إلى الماء، وفى الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبداً**»، وفى رواية: «**حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق**» وهى عندهما أيضا إلى غير ذلك من الأحاديث المتواترة فى إثبات الحوض، فيجب الإيمان بذلك واعتقاد ثبوته.

قوله: ﴿**وفى عرصة القيامة**﴾: ظاهره أن الحوض قبل الصراط؛ لأنه يختلج ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط، وروى البخارى عن سهل بن سعد الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنى فرطكم على الحوض من مر علىّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً ليردن علىّ أقوام أعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم**».

قوله: (الحوض المورود للنبى ﷺ): ظاهره أن الحوض خاص به ﷺ دون غيره من الأنبياء والمرسلين، ولكن جاء فى عدة أحاديث أن لكل نبى حوضاً ترد عليه أمته، وإنما الحوض الأعظم مختص به ﷺ لايشركه فيه غيره، فحوضه ﷺ هو أعظم الحياض وأحلاها وأكثرها واردا، كما أخرج الترمذى من حديث سمرة رفعه: «**إن لكل نبى حوضا وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته إلا**

والصراط منصوب على متن جهنم ـ وهو الجسر الذى بين الجنة والنار ـ يمر الناس عليه على قدر أعمالهم.

أنهم يتباهون أيهم أكثر تبعا، وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم تبعا»، واختلف فى الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر، فقيل: الميزان، وقيل: الحوض. قال أبو الحسن القابسى: والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبى: والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيقدم قبل الميزان والصراط. قال القرطبى: هما حوضان الأول قبل الصراط وقبل الميزان على الأصح ، فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيردونه قبل الميزان، والثانى: فى الجنة ، وكلاهما يسمى كوثراً، كما روى مسلم فى صحيحه عن أنس قال: بينا رسول الله بين أظهرنا إذ أغفى إغفائة ثم رفع رأسه مبتسما، فقلنا: ما أضحكك يارسول الله؟ قال: « **أنزلت على آنفا سورة، فقرأ: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر﴾**»، ثم قال: « **أتدرون ما الكوثر**»؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال: « **فإنه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير، وهو حوضى ترد عليه أمتى يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء يختلج العبد منهم فأقول يارب أنه من أمتى، فيقال أما تدرى ما أحدثوا بعدك**».

قوله:(الصراط): لغة: الطريق الواضح، وفى **الشرع:** جسر منصوب على متن جهنم، وهو الجسر الذى بين الجنة والنار يرده الأولون والآخرون فيمرون عليه على قدر أعمالهم، وذلك بعد مفارقة الناس للموقف وحشرهم وحسابهم، فإن الصراط عليه ينجون إلى الجنة ويسقط أهل النار فيها، كما ثبت ذلك فى الأحاديث.

قوله: «يمر الناس عليه على قدر أعمالهم»: أى أنهم يكونون فى سرعة المرور على حسب مراتبهم وأعمالهم، فبحسب استقامة الإنسان وثباته على دين الإسلام يكون ثباته واستقامته على الصراط، فمن ثبت على الصراط المعنوى الذى هو دين الإسلام ثبت على الصراط الحسى المنصوب على متن جهنم، ومن زل عن الصراط المعنوى زل عن الصراط الحسى جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد، وقد تكاثرت الأحاديث فى إثبات الصراط، فيجب الإيمان به واعتقاد ثبوته .

فى الصحيح أن النبى ﷺ قال: «**يضرب الصراط بين ظهرى جهنم ويمر المؤمنون عليه فرقا، فمنهم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وأشد الرجال حتى يجىء الرجل ولا يستطيع السير إلا زحفا، وفى حافتيه كلاليب معلقة مأمورة بأخذ**

فمنهم من يمر عليه كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوا ومنهم من يمشى مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يخُطف ويلقى فى جهنم، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس.بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة، فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة.

من أمرت بأخذه فمخدوش ناج ومكردس فى النار»، ووقع فى حديث أبى سعيد: قلنا وما الجسر؟ قال «**مدحضة مزلة**» أى زلق تزلق فيه الأقدام، ووقع عند مسلم قال: قال أبو سعيد: بلغنى أن الصراط أحد من السيف، وأدق من الشعرة وعن سعيد بن هلال قال: بلغنا أن الصراط أدق من الشعر على بعض الناس، ولبعض الناس مثل الوادى الواسع، أخرجه ابن المبارك وابن أبى الدنيا وهو حديث معضل إلى غير ذلك من الأحاديث الثابتة فى الصحاح والمسانيد والسنن مالا يحصى إلا بكلفة، وقد أجمع السلف على إثباته .

قوله:(وهو الجسر): بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط،

قوله:(يمر الناس على قدر أعمالهم): أى أنهم يكونون فى سرعة المرور على حسب مراتبهم وأعمالهم . قوله :(**يعدو عدوا**) أى يجرى أو يركض.

قوله:(يزحف زحفا):قال ابن دريد:الزحف: هو المشى على الإست مع إشرافه بصدره.

قوله:(فإن الجسر عليه كلاليب): جمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة وهى حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم ويرسل إلى التنور.

قوله:(تخطف):هى بفتح الطاء ويجوز كسرها أى يختلسها،والخطف: هو استلاب الشىء وأخذه بسرعة. **قوله:(بأعمالهم)**: أى تخطفهم بسبب أعمالهم القبيحة.

قوله :(فإذا عبروا عليه وقفوا): إلخ وذلك لما فى الصحيح عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «**يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة**

وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته ،

بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالماً كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة، فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى الدنيا». وأخرج ابن أبى حاتم بسند صحيح عن الحسن قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: « **يحبس أهل الجنة بعد ما يجوزون الصراط حتى يؤخذ لبعضهم من بعض ظلامات الدنيا ويدخلون الجنة، وليس فى قلوب بعضهم على بعض شيئا** » .

قوله: (عبروا): أى مضوا ونجوا من السقوط فى النار بعد ماجازوا على الصراط، قال القرطبى: هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفد حسناتهم .اهـ .

وخرج من هذا صنفان : من دخل الجنة بغير حساب، ومن أوبقه عمله.

قوله:(على قنطرة): القنطرة الجسر وما ارتفع من البنيان، قاله فى القاموس، وهذه القنطرة المذكورة في الحديث قيل: هى من تتمة الصراط وهى طرفه الذى يلى الجنة، وقيل: إنهما صراطان، وبهذا جزم القرطبى، ولكن القنطرة صراط خاص بالمؤمنين وليس يسقط أحد منهم فى النار . ا هـ .

قوله:(فيقتص لبعضهم من بعض): أى يستوفى لكل واحد ماله عند الآخر.

قوله: (فإذا هذبوا ونقوا): بضم الهاء والنون وهما بمعنى التمييز والتخليص من التبعات ، انتهى ، فتح .

وقوله:(أذن لهم فى دخول الجنة): أى بعد اقتصاص بعضهم من بعض وخلاصهم من التبعات التى بينهم فلا يبقى فى قلوب بعضهم على بعض شىء، فيدخلون الجنة وقد ذهب ما فى قلوب بعضهم على بعض من الغل والحقد وغير ذلك، قال تعالى: ﴿**ونزعنا ما فى صدورهم من غل ...**﴾ الآية.

قوله:(وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ): أى يطلب الفتح للجنة بالفرع فيفتح له ﷺ، كما فى الصحيح عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد،**

فيقول: **بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك**» وفى رواية: « **وأنا أول من يقرع باب الجنة...** » الحديث.

قوله :(وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته): وذلك لفضلها على الأمم، قال الله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**﴾ الآية، وفى المسند عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: « **أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله** » وأما قوله سبحانه فى بنى إسرائيل: ﴿**وفضلناهم على العالمين**﴾ فالمراد ـ والله أعلم ـ على عالمى زمانهم، كشعب بختنصر وغيرهم.

وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **نحن السابقون الأولون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم**» أى لم يسبقونا إلا بهذا القدر، فمعنى (بيد) معنى سوى وغير وإلا ونحوها وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة**».

وروى الدارقطنى من حديث عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى**» قال ابن القيم رحمه الله: فهذه الأمة أسبق الأمم خروجا من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف، وأسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط ، وأسبقهم إلى دخول الجنة، فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ، ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته، وأما أول الأمة دخولا فأبو بكر الصديق كما رواه أبو داود فى السنن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ، اهـ .

الشفاعة هى السؤال فى التجاوز عن الذنوب والجرائم، وعرّفها بعضهم بقوله: هى سؤال الخير للغير، وهى مشتقة من الشفع وهو ضد الوتر، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع، والشفاعة ثابتة تواترت الأدلة فى إثباتها فمنها مافى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قـــال: « **لكل نبى دعوة يدعوها فأريد أن أخبأ دعوتى شفاعة لأمتى يوم**

القيامة». وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل لكل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة، فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا»** متفق عليه .

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا أول شافع وأول مشفع**» وأنه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «**لعله تنفعه شفاعتى فيجعل فى ضحضاح من نار**» وروى البيهقى حديث: «**خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين؟ لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين**» إلى غير ذلك من الأحاديث التى بلغت حد التواتر، فيجب الإيمان بها واعتقاد مضمونها عكس ماعليه الخوارج والمعتزلة الذين أنكروا شفاعة النبى ﷺ في أهل الكبائر من أمته، فالناس فى إثبات الشفاعة وعدمه انقسموا إلى ثلاثة أقسام: قسم غلوا فى إثباتها حتى أثبتوا شفاعة الأصنام والأوثان، وهم المشركون ومن وافقهم من مبتدعة هذه الأمة، فأثبتوا الشفاعة التى نفاها القرآن، كما ذكر الله عنهم فى قوله : ﴿ **ويقولون مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ .

القسم الثانى: غلوا فى نفى الشفاعة، وهم الخوارج والمعتزلة، فأنكروا شفاعة النبى ﷺ فى أهل الكبائر من أمته.

القسم الثالث: أهل السنة والجماعة أثبتوا الشفاعة للنبىﷺ ولغيره من النبيين والصديقين وغيرهم بقيودها حسب ماجاءت بذلك الأدلة وتواترت الأحاديث فى إثبات شفاعته ﷺ، وأما ما أحتجت به المعتزلة لمذهبهم الفاسد فى نفى الشفاعة من قوله سبحانه : ﴿**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**﴾ وقوله سبحانه : ﴿**لا يقبل منها شفاعة**﴾ فاستدلال فاسد فإن الآيات المذكورة مخصوصة بالكفار، ويؤيد هذا أن مساق الخطاب معهم، وأيضا فالشفاعة المذكورة فى القرآن تنقسم إلى قسمين: شفاعة منفية وشفاعة مثبتة، فالمنفية هى الشفاعة للكافر والمشرك كما قال تعالى : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾ وقوله : ﴿ **ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ـ إلى قوله ـ **عما يشركون**﴾، فنفى وقوع شفاعة هؤلاء وأخبر أنها شرك بقوله: ﴿**عما يشركون**﴾.

وله ﷺ ثلاث شفاعات: أما الشفاعة الأولى فيشفع فى أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم الشفاعة حتى تنتهى إليه،وأما الشفاعة الثانية فيشفع فى أهل الجنة أن يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان خاصتان له، وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.

النوع الثانى: من الشفاعة المثبتة وهى التى أثبتها القرآن، وهى خالصة لأهل الإخلاص وقيدها بأمرين: إذن الله للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع له كما قال تعالى: ﴿**من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه**﴾ وقوله: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾ الآية وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد، كما فى الصحيح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال للنبى ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله؟ قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه**»، ا هـ .

قوله:(وله ﷺ ثلاث شفاعات): الشفاعة الأولى فى أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتدافعها الأنبياء أصحاب الشرائع آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وقد تكاثرت الأحاديث فى إثباتها، فوردت من حديث أبى بكر الصديق وأنس وأبى هريرة وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعقبة بن عامر وأبى سعيد الخدرى وسلمان وغيرهم، وهى المرادة بقوله ﷺ: « **لكل نبى دعوة مستجابة**» الحديث، وهذا الحديث ذكر السيوطى أنه متواتر، وهذه الشفاعة خاصة به ﷺ وهى مجمع عليها لم ينكرها أحد.

قوله:(وأما الشفاعة الثانية فيشفع فى أهل الجنة أن يدخلوا الجنة): وقد ذكرها أبو هريرة فى حديثه الطويل المتفق عليه، وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه أن رسول ﷺ قال: « **أنا أول شفيع فى الجنة**»، وهذه الشفاعة كالتى قبلها خاصتان له ﷺ.

قوله :(الثالثة فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها) إلخ: فهذه الشفاعة فى عصاة الموحدين الذين يدخلون النار بذنوبهم،والأحاديث بها متواترة عن النبى

ﷺ وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة وبدعوا من أنكرها وصاحوا به من كل جانب ونادوا عليه بالضلال.

قوله: ﴿ ولسائر﴾ : أي باقي وجميع، وذلك لما روى ابن ماجه في حديث عثمان: يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء. وفي الصحيح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيراً قط**» الحديث، ذكر المصنف رحمه الله هذه الأنواع الأربعة، وزاد في شرح الطحاوية وغيره أربعة أنواع أخر، فيكون الجميع ثمانية بالأربعة التي ذكرها المصنف.

والخامس:شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم، وهذه مما لم ينازع فيه أحد.

السادس: شفاعتهﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

السابع: شفاعته في أقوام أن يدخلوا الجنة من غير حساب ولاعذاب، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بما في الصحيحين من حديث عكاشة بن محصن حين دعا له النبي ﷺ أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب .

الثامن: شفاعته ﷺ في بعض أهله الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه وهذه خاصة بأبي طالب، فإن قيل إن أبا طالب مات كافراً وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **لا تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾ فأجاب بعض العلماء بقوله: إن شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب شفاعة تخفيف لا شفاعة إخراج، والمقصود في الآية أنها لا تنفعهم في الإخراج من النار .

وقوله: « **ويخرج الله أقواما من النار**» إلخ، قال الله سبحانه: ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ وقال: ﴿**وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما**﴾ وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديثه الطويل قال: فيقول الله: «**شفعت الملائكة وشفع النبيون**

ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشىء الله لها أقواما فيدخلهم الجنة. وأصناف ماتضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب، والجنة والنار.

وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيراً قط».

قوله: (بل بفضله ورحمته): يفيد أن دخول الجنة والنجاة من النار بفضله سبحانه ورحمته لابمجرد العمل، كما قال ﷺ: «ليس أحد منكم يدخل الجنة بعمله» الحديث، وإنما العمل سبب لدخول الجنة كما قال تعالى: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ والله سبحانه هو خالق السبب والمسبب فرجع الكل إلى محض فضله وإحسانه ورحمته.

قوله: (ويبقى فى الجنة فضل): إلخ، أى زيادة فى الجنة عمن دخلها من أهلها وذلك لسعتها العظيمة، فإنها كما وصفها فى كتابه: ﴿عرضها كعرض السموات والأرض﴾.

قوله (فينشىء الله) أى يخلق ويحدث سبحانه أقواماً فيدخلهم الجنة بفضله ورحمته، كما فى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لاتزال جهنم يلقى فيها وهى تقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة عليها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض وتقول: قط قط بعزتك وكرمك، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة» وفى لفظ مسلم: «يبقى من الجنة ماشاء الله أن يبقى ثم ينشىء الله سبحانه لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة»، قال ابن القيم رحمه الله: وأما اللفظ الذى فى البخارى من حديث أبى هريرة أنه ينشأ للنار من يشاء فيلقى فيها، فتقول هل من مزيد، فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه، والروايات الصحيحة، ونص القرآن يرده، فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ النار من إبليس وأتباعه، فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله، كما قال سبحانه: ﴿كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ...﴾ الآيتين.

قوله: (وأصناف): جمع صنف، وهو النوع والصنف، والنوع والضرب بمعنى واحد.

قوله: (تضمنته): أى اشتملت عليه.

قوله :(الدار الآخرة): سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعدها.

قوله:(والثواب والعقاب) الثواب والمثوبة جزاء الطاعة، وهو من ثاب يثوب إذا رجع ويكون الثواب في الخير والشر إلا أنه في الخير أخص وأكثر استعمالا، وهو المراد هنا، والعقاب: العقوبة. قال الله سبحانه: ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾، وقال: ﴿**يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه**﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ **ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى**﴾، وفي حديث أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه يقول: «**ياعبادى إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**» إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على أن الجزاء مرتب على الأعمال، قال تعالى: ﴿ **جزاء بما كانوا يعملون**﴾ أي بسبب أعمالكم، فالباء باء السببية، وأما قوله ﷺ: « **ليس أحد منكم يدخل الجنة بعمله**» الحديث، فالباء المنفية باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الجنة كما زعمت المعتزلة أن العامل يستحق دخول الجنة على ربه بعمله، وقولهم باطل، وقد تقدم الكلام على هذا البحث.

قوله :(الجنة والنار): الجنة **لغة**: البستان الذي فيه أشجار مثمرة، سميت جنة؛ لاجتنانها وتسترها بالأشجار، والمراد هنا الدار التي أعدها الله لأوليائه وعباده الصالحين، وأما النار فأعدها الله سبحانه وتعالى لأعدائه ـ أعاذنا الله منها ـ فيجب الإيمان بهما واعتقاد أنهما حق موجودتان الآن لثبوت ذلك في الكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال الله سبحانه عن الجنة: ﴿ **أعدت للمتقين**﴾ ﴿ **أعدت للذين آمنوا بالله ورسله**﴾، وعن النار: ﴿ **أعدت للكافرين**﴾، ﴿**إن جهنم كانت مرصادا. للطاغين مآباً**﴾ وأما الأحاديث فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر إليها، فنظر إليها فقال: أي رب وعزتك وجلالك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ثم حفها بالمكاره ثم قال: ياجبريل اذهب فانظر إليها فذهب ونظر إليها ثم جاء فقال:أي رب لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، فلما خلق النار قال:ياجبريل اذهب فانظر إليها،فذهب فنظر إليها فقال:أي رب وعزتك وجلالك لايسمع بها أحد فيدخلها، ثم حفها بالشهوات ثم قال: ياجبريل اذهب فانظر إليها قال: أي رب وعزتك وجلالك لقد خشيت أن لا**

وتفاصيل ذلك مذكورة فى الكتب المنزلة من السماء ،والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء عليهم السلام.

يبقى إحد إلا دخلها»رواه أبو داود والترمذى والنسائى، وقال الترمذى: حسن صحيح.

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: « **إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار ، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»، وفى الصحيحين واللفظ للبخارى عن عبد الله بن عباس قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فذكر الحديث وفيه فقالوا: رأيناك تناولت شيئا فى مقامك ثم رأيناك تكعكعت، فقال: «**إنى رأيت الجنة وتناولت عنقودا لو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع منها...**» الحديث.

وفى صحيح مسلم من حديث أنس رضى الله عنه: « **وأيم الذى نفسى بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً**»، قالوا: وما رأيت يارسول الله؟ قال: « **أعد الله الجنة لأوليائه وأعد النار لأعدائه**»، ولم يزل على ذلك أهل السنة والجماعة حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وزعمت أن الله ينشئهما يوم القيامة وأن إيجادهما الآن عبث، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغى أن يفعل كذا ولاينبغى له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه فى أفعالهم، فهم مشبهة فى الأفعال معطلة فى الصفات، والأدلة على بطلان هذا القول أكثر من أن تحصى، كما تكاثرت أدلة الكتاب والسنة على دوام الجنة والنار وأنهما لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، قال تعالى: ﴿**أكلها دائم وظلها**﴾ وقال: ﴿**إن هذا لرزقنا ماله من نفاد**﴾ وقال: ﴿**وماهم منها بمخرجين**﴾ وقال فى النار: ﴿**ولهم عذاب مقيم**﴾ وقال: ﴿ **خالدين فيها أبداً**﴾ إلى غير ذلك من الأدلة التى لا تحصر.

قوله: ﴿وتفاصيل ذلك﴾: أى تبيين ذلك وتوضيحه (مذكورة فى الكتب المنزلة من السماء) فإن يوم القيامة وما اشتمل عليه معروف عند الأنبياء عليهم السلام من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من حين أهبط آدم، قال تعالى: ﴿ **اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين**﴾ وقال: ﴿ **فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون**﴾ ولما قال إبليس: انظرنى

إلى يوم يبعثون قال: ﴿ **إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم**﴾ وأما نوح فقال سبحانه حكاية عنه: ﴿ **والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً**﴾ وقال إبراهيم: ﴿ **الذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين**﴾ وقال: ﴿**رب اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب**﴾ وقال عن موسى: ﴿ **إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى**﴾ ومؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد وإنما آمن بموسى وحذر قومه مما يقع يوم القيامة، فقال تعالى حكاية عنه: ﴿**ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد**﴾ إلى قوله: ﴿ **إنما هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هى دار القرار**﴾ إلى غير ذلك مما هو مذكور فى الكتب السابقة وعن الأنبياء عليهم السلام.

قوله:(المأثور): أى المنقول المذكور، يقول أثرت الحديث إذا نقلته عن غيرك **واصطلاحاً**: الأثر يطلق على المروى مطلقاً سواء كان عن رسول الله ﷺ أو عن صحابى، وهو قول الجمهور.

قوله: (العلم): أى العلم الشرعى النافع، وهو ماجاء عن الرسول ﷺ قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: العلم ماقام عليه الدليل والنافع ماجاء عن الرسول ﷺ، وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل علم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة** »، قال ابن القيم رحمه الله فى النونية:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة هم أولو العرفان

ماالعلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأى فلان

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: العلم الممدوح هو الذى ورثه الأنبياء، وهذا العلم أقسام ثلاثة:

الأول: علم بالله وأسمائه وصفاته ومايتبع ذلك، وفى مثله أنزل الله سورة الإخلاص وآية الكرسى ونحوهما.

الثانى: العلم بما أخبر الله به مما كان من الأمور الماضية، ومما يكون من المستقبلة، ومما هو كائن من الأمور الحاضرة، وفى مثله أنزل الله القصص والوعد والوعيد وصفة الجنة والنار.

وفى العلم الموروث عن محمد ﷺ من ذاك ما يشفى ويكفى،فمن ابتغاه وجده.

الثالث: العلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله ومن معارف القلوب وأحوالها وأحوال الجوارح وأعمالها، وهذا يندرج فيه العلم بأصول الدين وقواعد الإسلام والعلم بالأقوال والأفعال الظاهرة مما هو مذكور فى كتب الفقه، انتهى. وقال ابن القيم:

والعلـم أقسـام ثلاث مـالها	مـن رابع والحـق ذو تبيـان
علم بأوصـاف الإله وفعـله	وكـذلك الأسماء للرحمـن
والأمـر والنـهى الذى هو دينه	وجـزاؤه يـوم المعـاد الثـانى

قوله:(الموروث عن محمد ﷺ): الموروث من الإرث وهو **لغة**: البقية وانتقال الشىء من قوم إلى قوم آخرين، والمراد به هنا إرث العلم والحكمة كما قال النبى ﷺ فى حديث أبى الدرداء: «**والعلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»،ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنه: إنما ترك مابين الدفتين،يعنى القرآن والسنة مفسرة له ومبينة وموضحة، أى تابعة له، والمقصود الأعظم كتاب الله.

قوله:(يكفى): أى يغنى: **قوله: (يشفى)**: مأخوذ من شفى يشفى، أى يبرىء، فالكتاب والسنة بهما غاية الشفاء والكفاية، فقد أنزل الله على نبيه القرآن العظيم الذى شرفة الله على كل كتاب أنزله وجعله مهيمناً عليها وناسخاً لها، والسنة مفسرة للقرآن ومبينة له وموضحة له كما قال تعالى: ﴿ **وأنزلنا عليك الذكر لتبين الناس مانُزل إليهم** ﴾: وقال تعالى:﴿ **أوَ لم يكفهم أنا أنزلنا إليك الكتاب يتلى عليهم**﴾، وقال: ﴿**وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾، وقال: ﴿ **قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور**﴾ ففى كتاب الله وسنة رسوله غاية الشفاء لجميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة، وفى حديث ابن عباس أن النبى ﷺ قال: « **ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» ولما رأى مع عمر ورقة من التوراة غضب ﷺ وقال: « **أمتهوكون ياابن الخطاب، لو كان موسى حياً ماوسعه إلا اتباعى** ».

وروى عن عمر رضى الله عنه أنه حينما سمع رجلا من قيس كتب كتاب

دانيال غضب عليه وأمره فمحاه، وساق ماعمل معه النبى ﷺ: ولم يمت رسول الله ﷺ حتى أكمل الله له الدين فلا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها عنه، وقد أعطى ﷺ جوامع الكلم وخواتمه، وقال ﷺ:«**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**» وقال أبو ذر رضى الله عنه: توفى رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه فى السماء إلا وذكر لنا منه علما.

قوله : (**فمن ابتغاه**): أى طلبه،**قوله**: (**وجده**): أى حصله وأدركه فهو سهل اللفظ، قريب المعنى، واضح الأسلوب، قال الله سبحانه: ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾.

قوله :(**وتؤمن الفرقة الناجية**): **إلخ** (**القدر**) بالفتح والسكون **لغة**: مصدر قدرت الشيء إذا أحطت بمقداره، وعرفه بعضهم بقوله: هو تعلق علم الله وإرادته أزلا بالكائنات قبل وجودها، فلا حادث إلا وقد قدره الله أزلا أى سبق به علمه وتعلقت به إرادته، والإيمان بالقدر هو أحد أصول الإيمان الستة المذكورة فى حديث جبريل وغيره وأجمع عليها أهل السنة والجماعة ولم يخالف فى ذلك إلا مجوس هذه الأمة القدرية،وقد خرجوا فى أواخر عهد الصحابة، وأنكر عليهم الصحابة الموجودون إذ ذاك، وأول من قال ذلك معبد الجهنى بالبصرة، كما روى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر أنه قال: والذى نفسى بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره،ثم استدل بقول النبى ﷺ: « **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**» فجعل الإيمان بالقدر سادس أصول الإيمان فمن أنكره فليس بمؤمن بل ولا مسلم فلا يقبل عمله، وقال ابن القيم رحمه الله بعد ذكر آثار فى الإيمان بالقدر، قال: وهذه الآثار كلها تحقق هذا المقام وتبين أن من لم يؤمن بالقدر فقد انسلخ من التوحيد ولبس جلباب الشرك، بل لم يؤمن بالله ولم يعرفه، وهذا فى كل كتاب أنزله الله على رسله، انتهى.

وقال طاووس رحمه الله: أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيء بقدر. وقال أيوب السختيانى: أدركت الناس وما كلامهم إلا أن قضى وقدر، وفى صحيح مسلم عن طاووس:أدركت أناساً من أصحاب رسول الله يقولون كل شيء بقدر، وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله

والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين:الأولى: الإيمان بأن الله علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى والأرزاق والآجال.

ﷺ: «**كل شىء بقدر حتى العجز والكيس**».

قوله:(خيره وشره) : فلا كائن إلا بإرادته ومشيئته فهو الخالق لكل شىء.

قال ابن القيم رحمه الله: إثبات الشر فى القضاء إنما هو بالإضافة إلى العبد والمفعول إذا كان يقدر عليه بسبب جهله وظلمه وذنوبه لا إلى الخالق فله فى ذلك من الحكم ما تقصر عنه أفهام البشر فهو شر بالإضافة إلى العبد، وأما بالإضافة إلى الخالق فكله خير وحكمة، فإنه صادر عن حكمة وعلم، وماكان كذلك فهو خير محض بالنسبة إلى الرب إذ هو موجب أسمائه وصفاته، ولاتعارض بينه وبين قوله: « **والشر ليس إليك**»؛ لأن معناه أنه يمنع إضافة الشر إليك بوجه من الوجوه، فلا يضاف الشر إلى ذاته ولا إلى أسمائه وصفاته وأفعاله، فإن ذاته منزهة عن كل شر وصفاته كذلك، إذ كلها صفات كمال ونعوت جلال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، انتهى. بتصرف.

قوله:(والإيمان بالقدر على درجتين): الخ ذكر المصنف مراتب الإيمان بالقدر فبدأ بمرتبة العلم، وقد تقدم الكلام على صفة العلم وأنها من الصفات الذاتية وأنها متناولة الموجود والمعدوم والواجب والممكن والممتنع. قال شيخ الإسلام: إن علم الله السابق محيط بالأشياء على ماهى عليه لا محو فيه ولا تغيير ولا زيادة ولانقص فإنه سبحانه يعلم ماكان وما يكون وما لا يكون ولو كان كيف يكون، انتهى، والأدلة على إثباتها من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر واتفق عليها الصحابة والتابعون ومن تبعهم ولم يخالف فيها إلا مجوس هذه الأمة.

قوله:(الأولى الإيمان بأن الله): إلخ قال تعالى: ﴿ **إن الله بكل شىء عليم**﴾، فهو سبحانه موصوف بالعلم وبأنه بكل شىء عليم أزلا وأبداً، فلم يتقدم علمه جهالة، ﴿**وما كان ربك نسيا**﴾، فيعلم سبحانه ماكان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، كما قال تعالى: ﴿**ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه**﴾ وأشار بما تقدم للرد على غلاة المعتزلة والرافضة الذين أنكروا أن الله عالما بالأزل وقالوا: إن الله لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوها ـ تعالي الله عن قولهم علواً كبيراً ـ قال

تعالى: ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾.

قوله:(**أزلا أبداً**): الأزل القدم الذى لا نهاية له، فالأزل هو الدوام فى الماضى والأبد ماليس له آخر فهو الدوام فى المستقبل، فالأزلى: هو الذى لم يزل كائنا، والأبدى: هو الذى لا يزال كائناً، وكونه لم يزل ولايزال معناه دوامه وبقاؤه الذى ليس مبتدأ ولا منتهى، انتهى، من كلام شيخ الإسلام.

قوله: (**من الطاعات**): جمع طاعة مأخوذة من طاع يطوع، **واصطلاحاً**: الطاعة: هى موافقة الأمر وكل قربة طاعة ولا عكس،والمعاصى: جمع معصية وهى ضد الطاعة،والمعصية: هو الذنب والإثم ألفاظ مترادفة،والمعصية **اصطلاحاً**: مخالفة الأمر.

قوله: (**والأرزاق والآجال**): الأرزاق جمع رزق وهو لغة: الحظ والنصيب **وشرعاً**: هو ما ينفع من حلال وحرام، قال الله تعالى: ﴿ **وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها**﴾ فلا بد لكل مخلوق من استكمال رزقه،كما فى حديث حذيفة أن رسول الله ﷺقال: «**هذا رسول رب العالمين نفث فى روعى أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها**» رواه البزار، وفى المتفق عليه من حديث ابن مسعود قال: «**يرسل الملك فيؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد**» الحديث، وزعمت المعتزلة أن الحرام ليس برزق، فعلى قولهم يكون من أكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله، وهذا باطل مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف، فإن الله سبحانه رازق كل الخلق، وليس مخلوق بغير رزق، ومعلوم أن الحرام معيشة لبعض الناس، وقد قال تعالى: ﴿ **وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها**﴾ وقد قسم سبحانه معايشهم فى الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا**﴾ وفى الحديث: « **إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم**» إلى غير ذلك من الأدلة.

قوله :(**والآجال**): أى أنه سبحانه قد علم رزقه وأجله قبل خلقه وإيجاده، قال تعالى: ﴿ **إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾ والأجل هو غاية الوقت فى الموت ومدة الشىء.وفى صحيح مسلم عن عبد الله قال: قالت أم حبيبة زوج النبى ﷺ: «**اللهم أمتعنى بزوجى رسول الله وبأبى أبى سفيان وبأخى**

ثم كتب الله فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فأول ما خلق الله القلم قال له :اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة .

فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام وطويت الصحف.

معاوية» قال فقال النبى ﷺ: «لقد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئا قبل أجله أو يؤخر شيئاً عن أجله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب فى النار أو عذاب فى القبر كان خيرا أو أفضل» إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على أن الميت مات بعد استيفاء أجله واستكمال رزقه، سواء مات حتف أنفه أو مات بالقتل، خلافاً للمعتزلة القائلين بأن المقتول قطع عليه أجله، وقولهم باطل ترده أدلة الكتاب والسنة.

قوله: (ثم كتب الله فى اللوح): إلخ هذه المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر وهى مرتبة الكتابة، وهى أن الله كتب مقادير الخلائق وماهو كائن إلى يوم القيامة فى اللوح المحفوظ، فأعمال العباد تجرى على ما سبق فى علمه وكتابته، والأدلة من الكتاب والسنة على إثبات هذه المرتبة كثيرة جداً، وأجمع على إثباتها الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث، قال الله تعالى: ﴿**ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب**﴾ الآية، وفى سنن أبى داود عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أول ماخلق الله القلم فقال له: اكتب قال: وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شىء حتى تقوم الساعة**»، وفى الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**». وأفاد هذا الحديث أن التقدير وقع بعد خلق العرش، فدل على أن العرش مخلوق قبل القلم.

قوله: (فما أصاب الإنسان): إلخ هذا هو حقيقة الإيمان بالقدر فما يصيب الإنسان مما يضره وينفعه فكله مقدر عليه ولا يصيب العبد إلا ما كتب له من مقادير ذلك فى الكتاب السابق كما قال سبحانه: ﴿ **قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا**﴾ وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال له: «**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك...**» الحديث.

قوله: (جفت الأقلام وطويت الصحف): هذا كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من أمد بعيد، وقد دل الكتاب والسنة على مثل هذا المعنى كما فى حديث ابن عباس المتقدم: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**» رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «**جف القلم بما أنت لاق**». وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه أن رجلا قال يارسول الله: فيم العمل؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟، أم فيما يستقبل؟قال: «**فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**»، قال ففيم العمل؟قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**». قال ابن القيم رحمه الله: قد تضمن هذا الحديث الرد على القدرية والجبرية، وإثبات القدر والشرع وإثبات الكتاب الأول المتضمن لعلم الله سبحانه الأشياء قبل كونها، وإثبات خلق الفعل الجزائى وهو يبطل أصول القدرية الذين ينفون خلق الفعل مطلقاً، ومن أقر منهم بخلق الفعل الجزائى دون الابتداء هدم أصله ونقض قاعدته، والنبى ﷺ أخبر بمثل ما أخبر به الرب أن العبد ميسر لما خلق له لا مجبور، فالجبر لفظ بدعى والتيسير لفظ القرآن والسنة. ا.هـ.

قوله: (الأقلام): ذكر الأقلام فى هذه الأحاديث وغيرها مجموعة، دليل على أن للمقادير أقلاماً غير القلم الأول الذى تقدم ذكره مع اللوح المحفوظ، والذى دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة.

الأول: القلم العام الشامل لجميع المخلوقات وهو الذى كتب به مقادير كل شيء.

الثانى: خبر خلق آدم وهو قلم عام أيضا لكن لبنى آدم، وورد فى هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بنى آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم عقيب خلق أبيهم.

الثالث: حين يرسل الملك إلى الجنين فى بطن أمه فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد.

الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه الذى بأيدى الكرام الكاتبين الذين

قال تعالى: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم مافى السموات والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير، وقال ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾، وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون فى مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب فى اللوح المحفوظ ما شاء وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات فيقال: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد، ونحو ذلك.

يكتبون مايفعله بنوآدم كما ورد ذلك فى الكتاب والسنة، انتهى. من كلام ابن القيم.

قوله:(ما أصاب من مصيبة فى الأرض):أى من قحط وقلة نبات وقلة ثمار.

قوله:﴿ولا فى أنفسكم ﴾: من أمراض وفقد أولاد ونحو ذلك.

قوله :﴿ إلا فى كتاب﴾: وهو اللوح المحفوظ.

قوله:﴿من قبل أن نبرأها﴾: أى من قبل أن نخلق الأرض والأنفس.

قوله:﴿ إن ذلك على الله يسير﴾: أى أن علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله، لأنه سبحانه يعلم ماكان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، ففى هذه الآيات أخبر سبحانه عن قدره السابق فى خلقه قبل أن يبرأ البرية، فما أصابهم من خير وشر قد كتب عليهم وقدر ولابد من وقوعه، وهذه الآيات فيها الرد على القدرية نفاة العلم السابق.

قال النووى فى شرح مسلم: قال العلماء رحمهم الله: وكتاب الله ولوحه وقلمه والصحف المذكورة فى الأحاديث، كل ذلك مما يجب الإيمان به، وأما كيفية ذلك وصفته فعلمه إلى الله **﴿ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء﴾** ، اهـ.

قوله:(وهذ التقدير): إلخ، أى المتقدم ذكره، وهو تقدير الله سبحانه وتعالى لمقادير الخلق فى علمه وكتابه قبل تكوينها وإيجادها يكون فى مواضع جملة وتفصيلا فمنها ما هو عام شامل لكل كائن كما فى حديث: لما خلق الله القلم قال له اكتب فجرى بما هو إلى كائن إلى يوم القيامة، ومنها ماهو كالتفصيل من القدر

السابق وبعضها أخص من بعض فما فى الحديث المتقدم تقدير شامل، وأخص منه ما فى حديث ابن مسعود: «**يجمع خلق أحدكم...**»، الحديث، وأخص منهما ماورد أنه يقدر فى ليلة القدر مايلقاه فى تلك السنة إلى السنة الأخرى، **فقوله:(فقد كتب الله فى اللوح المحفوظ)** إلى آخره، هذا هو التقدير العام قبل خلق السموات والأرض، وما ذكره فى حديث ابن مسعود: «**يجمع خلق أحدكم فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم أربعين يوماً علقة مثل ذلك ثم أربعين يوماً مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد**»، الحديث، فهذا تقدير عمرى، وما رواه عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿**تنزل الملائكة والروح**﴾ الآيه. قال: يقضى مايكون فى السنة إلى مثلها، فهذا التقدير تقدير حولى وما فى حديث ابن عباس رضى الله عنه: « إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور عرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء، فكذلك قوله سبحانه: ﴿**كل يوم هو فى شأن**﴾ رواه عبد الرزاق وابن المنذر والطبرانى والحاكم، فهذا التقدير المذكور فى هذا الحديث تقدير يومى.

قال ابن القيم رحمه الله: وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من القدر السابق، وفى ذلك دليل على كمال علمه سبحانه وقدرته وحكمته وزيادة تعريفه الملائكة وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه، قال: فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه بل يوجب الجد والاجتهاد. اهـ .

قوله: (فهذا القدر): أى المذكور فيما تقدم وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد فى حينها قد كان ينكره غلاة القدرية كمعبد الجهنى الذى سأل ابن عمر عن مقالته، وكعمرو بن عبيد وغيره فينكرون علمه المتقدم وكتابته السابقة، ويزعمون أنه أمر ونهى وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، بل الأمر أنف أى مستأنف، وهذ القول أول ماحدث فى الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين، وكان أول من أظهر ذلك بالبصرة معبد الجهنى، وأخذ عنه هذا المذهب غيلان الدمشقى فلما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر رد عليهم من بقى من الصحابة

وأما الدرجة الثانية فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة. وهو الإيمان بأن ماشاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه مافى السموات ومافى الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله لايكون فى ملكه مالا يريد.

كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وواثلة بن الأسقع وغيرهم، والقدرية ينقسمون إلى فرقتين:

الأولى: تنكر أن الله سبق علمه بالأشياء قبل وجودها وتزعم أن الله لم يقدر الأمور أزلا ولم يتقدم علمه بها، وإنما يعلمها إذا وقعت، قال العلماء: والمنكرون لهذا انقرضوا وهم الذين كفرهم الأئمة مالك والشافعى وأحمد، وهم الذين قال فيهم الشافعى ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا.

الفرقة الثانية: المقرون بالعلم وإنما خالفوا السلف فى زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال، وهو مع كونه مذهباً باطلا أخف من المذهب الأول: قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: وأما هؤلاء - يعنى الفرقة الثانية - فإنهم مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك، قال: وفى هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد وكتب عنهم. وأخرج البخارى ومسلم لجماعة منهم، لكن من كان داعية لم يخرجوا له، وهذا مذهب فقهاء الحديث كأحمد وغيره، ومن كان داعية إلى بدعة فإنه يستحق العقوبة بدفع ضرره عن الناس، وإن كان فى الباطل مجتهداً فأقل عقوبته أن يهجر فلا يكون له رتبة فى الدين، فلا يستقضى ولا تقبل شهادته ونحو ذلك . اهـ.

قوله: (**وأما الدرجة الثانية...**): إلخ هذه المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر وهو إثبات مشيئة الله النافذة، أى الماضية التى لا راد لها من نفذ السهم نفوذاً إذا خرق الرمية، ونفذ الأمر مضى، هذه المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر وهو إثبات نفوذ قدرته ومشيئته، وشمول قدرته قد دل عليها الكتاب والسنة وأجمع عليها سلف الأمة، قال الله تعالى: ﴿**ولو شاء الله ما اقتتلوا**﴾ وقال: ﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها**﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على نفوذ مشيئته فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه، وفى هذه الآيات وغيرها الرد على القدرية والمعتزلة نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله من العبد وشاءه، وأما أهل السنة والجماعة فتمسكوا بالكتاب والسنة فى هذا الباب

وغيره واعتقدوا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله في كل شيء مما يوافق ماشرعه وما يخالفه من أفعال العبد وأقواله، فالكل بمشيئة الله، فما وافق ماشرعه رضيه وأحبه، وما خالفه كرهه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر**﴾ الآية.

قوله :(وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان...) إلخ فسر المصنف معنى الإيمان بهذه المرتبة وأشار بهذا إلى الرد على القدرية والمعتزلة الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف مشيئة الله، وتقدم ذكر الأدلة على بطلان قولهم، وهل أضل ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر والكافر شاء الكفر، فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله - تعالى الله عن قولهم - وقد تقدم ذكر أقسام الإرادة والمشيئة والفرق بينهما وبين المحبة والرضا.

قوله:(وأنه سبحانه على كل شيء قدير...) إلخ قال الله سبحانه: ﴿ **والله على كل شيء قدير**﴾ ففيها دليل على شمول قدرته، فكل ممكن فهو مندرج فيها، وفيها الرد على القدرية فإن مذهبهم أنه سبحانه ليس على كل شيء قدير، وأن العباد يقدرون على مالا يقدر عليه، وأنه سبحانه لا يقدر أن يهدى ضالا ولا يضل مهتدياً، وهذا المذهب باطل ترده أدلة الكتاب والسنة، وهو كما قال بعض العلماء شرك في الربوبية مختصر، ولذلك ورد أن «القدرية مجوس هذه الأمة» لمشابهة قولهم لقول المجوس، وأما أهل السنة فيثبتون أن العبد فاعل حقيقة ولكنه مخلوق لله ومفعول ولا يقولون هو نفس فعل الله، ويفرقون بين الخلق والمخلوق والفعل والمفعول.

قوله:(من الموجودات): كأفعال خلقه من الملائكة والنبيين وسائر حركات العباد فلا يخرج عن خلقه وملكه شيء.

قوله:(والمعدومات): كما قال سبحانه: ﴿**إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**﴾ وقال: ﴿ **وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا**﴾ أى شيئا في الخارج وإن كان شيئا في علمه سبحانه، وأما المحال لذاته فلا حقيقة له ولا يتصور وجوده فلا يسمى شيئا باتفاق العقلاء وذلك مثل كون الشيء الواحد موجوداً معدوماً ومن هذا الباب خلق مثل نفسه .

فما من مخلوق فى الأرض ولا فى السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه .

قوله:(**فما من مخلوق...**) إلخ قال تعالى :﴿**وخلق كل شيء**﴾ وقال : ﴿**الله خالق كل شيء**﴾ فامتدح بأن الله خلق كل شيء وبأنه يعلم كل شيء، فكما أنه لا يخرج عن علمه شيء فكذا لا يخرج عن خلقه شيء، فثبت أن الأفعال خيرها وشرها كلها صادرة عن خلقه وإحداثه إياها .ا.هـ.

وفى هذه الآيات الرد على القدرية الذين يزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه استقلالا بدون مشيئة الله وإرادته، ولا شك فى بطلان هذا المذهب وفساده ومصادمته لأدلة الكتاب والسنة، فإن قوله سبحانه: ﴿ **خالق كل شيء**﴾ شامل لأفعال العباد لدخولها فى عموم كل ولا يدخل فى ذلك أسماء الله وصفاته، كما أنه سبحانه لم يدخل فى عموم كل، فكذلك أسماؤه وصفاته.

قال ابن القيم مامعناه: فى هذه الآيات دليل على أن سبحانه خالق أفعال العباد كما أنه خالق ذواتهم وصفاتهم، فالعبد كله مخلوق: صفاته وذاته وأفعاله، ومن أخرج أفعاله عن خلق الله فقد جعل فيه خالقاً مع الله، ولهذا شبه السلف القدرية النفاة بالمجوس وقالوا: هم مجوس هذه الأمة، صح ذلك عن ابن عباس.ا.هـ.

قوله :(لا خالق غيره ولا رب سواه): إشارة إلى الرد على القدرية المجوسية الذين يثبتون مع الله خالقين للأفعال ليست أفعالهم مقدورة له وهى صادرة بغير مشيئته وإرادته ولا قدرة له عليها فربوبيته سبحانه الكاملة المطلقة تبطل أقوال هؤلاء كلهم؛ لأنها تقتضى ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال، وحقيقة قول هؤلاء أنه ليس رباً لأفعال الحيوان ولا تناولتها ربوبيته وكيف تتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه، أما أهل السنة والجماعة فيؤمنون بأن الله خالق كل شيء لا خالق غيره وأنه على كل شيء قدير، وبشمول مشيئته لكل ماكان وأنه بكل شيء عليم، فيؤمنون بعموم خلقه وشمول قدرته ونفوذ مشيئته وعلمه بالأشياء قبل أن تكون تقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون، فعندهم مراتب الإيمان بالقضاء والقدر أربع كما سبقت إشارة المصنف إليها.
الأولى: علمه السابق بما هم عاملون قبل إيجادهم. **الثانية**: كتابته لذلك فى الذكر عنده قبل خلق السموات والأرض. **الثالثة**: مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لاخروج له عن علمه. **الرابعة**:خلقه له وإيجاده وتكوينه فإنه

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسوله ونهاهم عن معصيته.

وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد.

لا خالق غيره ونظم ذلك بعضهم بقوله:

علم كتابة مولانا مشيئته   وخلقه وهو إيجاد وتكوين

فيجب الإيمان بالقضاء والقدر ولا يجوز الاحتجاج به فى ترك أوامر الله وفعل نواهيه بل يجب أن نؤمن بذلك، ونعلم أن لله الحجة علينا بإنزال الكتب وبعث الرسل.

قوله:(ومع ذلك فقد أمر العباد) :الخ قال تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله**﴾، وقال: ﴿**ومن يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ الآية، والإيمان بالقدر من تمام طاعة الله وطاعة رسوله ومن أثبت القدر وجعل ذلك معارضاً للأمر فقد أذهب الأصل، فقول المصنف: ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته إلخ، إشارة للرد على من عارض شرعه وأمره بقضائه وقدره وجعل مشيئته العامة دافعة للأمر كفعل الزنادقة إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر، وقد احتج سارق على عمر بالقدر فقال: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره. قال الشيخ تقى الدين رحمه الله تعالى: من ادعى أن العارف إذا شهد الإرادة سقط عنه الأمر كان هذا من الكفر الذى لا يرضاه أحد، بل هذا ممتنع فى العقل محال فى الشرع، انتهى، وقال ابن القيم بعد كلام: والمقصود أنه لم يؤمن بالقضاء والقدر والحكمة والأمر والنهى والوعد والوعيد حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل وورثتهم.

قوله: (وهو يحب المتقين) إلخ هذا رد على من زعم أن المشيئة والمحبة سواء أو ملازمان كما يقوله الجبرية والقدرية، وقد دل على الفرق بينهما الكتاب والسنة والإجماع والفطرة قال الله تعالى: ﴿ **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول**﴾ مع أن ذلك كله بمشيئته، قال تعالى: ﴿ **والله لا يحب الفساد**﴾ مع أنه واقع بمشيئته وقضائه وقدره، وفى المسند: «**إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته**»، فهذه المحبة والكراهة لأمرين اجتمعا فى المشيئة وافترقا فى المحبة والكراهة، وهذا أكثر من أن يحصر،

والعباد فاعلون حقيقة،والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم.

فالمشيئة والمحبة ليس مدلولهما واحداً ولا هما متلازمان، بل قد يشاء الله مالا يحبه ويحب مالا يشاء كونه فالأول: كمشيئته لوجود إبليس وجنوده، ومشيئته العامة لجميع مافى الكون مع بغضه لبعضه. الثاني: كمحبته لإيمان الكفار والفجار ولو شاء ذلك لوجد كله، فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فأهل الكتاب والسنة يقولون الإرادة فى كتاب الله نوعان:

الأول: إرادة كونية قدرية، **والثاني**: إرادة دينية شرعية.

فالإرادة الشرعية هى المتضمنة للمحبة والرضا، والكونية هى المشيئة الشاملة لجميع الحوادث، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك فى الكلام على الآيات بما فيه الكفاية إن شاء الله.

قوله:(والعباد فاعلون...): إلخ قال الله تعالى: **﴿والله خلقكم وما تعملون﴾** أى خلقكم والذى تعملونه، فدلت على أن أفعال العبد مخلوقة لله وعلى أنها أفعال لهم حقيقة ففيها الرد على الجبرية الذين يقولون إن العبد لافعل له،وفيها الرد على القدرية الذين يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه استقلالا،وفى حديث حذيفة: «**أن الله خالق كل صانع وصنعته**»، فالله سبحانه خلق الإنسان بجميع أغراضه وحركاته، والآيات الدالة على خلق أفعال العباد كثيرة، فقول المصنف: **(والعباد فاعلون حقيقة)** رد على الجبرية الذين يقولون إن العبد ليس بفاعل أصلا بل هو مجبور على أفعاله وواقعة بغير اختياره، وأن الفاعل فيه سواه والمحرك له غيره، فهو آلة محضة وحركاته بمنزلة هبوب الرياح وحركات المرتعش، وقد يغلون فى ذلك حتى يروا أفعالهم كلها طاعات خيرها وشرها لموافقتها للمشيئة والقدر، وهؤلاء شر من القدرية النفاة وأشد عداوة لله ومناقضة لكتابه ورسله ودينه.

قوله:(والله خالق أفعالهم): رد على القدرية النفاة الذين يقولون: إن الله لم يخلق أفعالهم وأنها واقعة بمشيئتهم وقدرتهم دون مشيئة الله، وأن الله لم يقدر ذلك عليهم ولم يكتبه ولا شاءه، وأن الله لا يقدر أن يهدى ضالا ولا يضل مهتدياً، وأن العباد خالقون لأفعالهم بدون مشيئة الله، فشابهوا المجوس فى كونهم أثبتوا خالقا مع الله،ولذا سموا مجوس هذه الأمة،والأدلة على فساد قولهم وبطلانه كثيرة جداً،وقد أطبق الصحابة والتابعون على ذمهم وتبديعهم وتضليلهم،

وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم ، وهذا الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبى ﷺ مجوس هذه الأمة .

وبيَّن أئمة الإسلام أنهم أشباه المجوس وأنهم قد خالفوا أدلة الكتاب والسنة، بل وخالفوا العقل والفطرة.

قوله:(**والعبد هو المؤمن والكافر...**): إلخ قال تعالى: ﴿ **يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك**﴾ وقال: ﴿ **إن الذين كفروا بآياتنا**﴾، وقال: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾، وقال: ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه**﴾ إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على نسبة أفعال العبد إليه من أفعال عبيده، بل العبد حقيقة هو المصلى والصائم، وهل يليق بالله سبحانه أن يعاقبهم على نفس فعله، بل إنما يعاقبهم على أفعالهم التى فعلوها حقيقة كما قال تعالى: ﴿ **وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين**﴾ فالعبد هو الذى صام وصلى وأسلم وهو الفاعل حقيقة، يجعل الله له فاعلا، قال تعالى: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾وقال: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون إلى النار**﴾ إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على أن العبد فاعل حقيقة: وأن فعله ينسب إليه، وأنه يثاب على حسنته ويجازى على سيئته ، قال تعالى: ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾ .

قوله:«وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة» إشاره للرد على الجبرية.

قوله:(**والله خالقهم وخالق قدرتهم...**) إلخ إشارة للرد على القدرية، فالجبرية والقدرية فى طرفى نقيض، فالجبرية غلوا فى الإثبات، والقدرية غلوا فى النفى، وهدى الله أهل السنة والجماعة للقول الوسط، فأثبتوا أن العباد فاعلون ولهم قدرة على أعمالهم ولهم إرادة ومشيئة وأن الله سبحانه وتعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم، قال الله تعالى: ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين**﴾ فأثبت مشيئة للعبد وأخبر أنها لا تكون إلا بمشيئة الله، فأفعال العبد تضاف إليه على جهة الحقيقة والله خلقه وخلق فعله، كما قال تعالى: ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾فأخبر أن العباد يعملون ويصنعون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون ويكذبون، والأدلة على إثبات أفعال العباد كثيرة جداً.

قوله: (وهذه الدرجة من القدر): وهى إثبات أن العبد فاعل حقيقة، وأن الله

ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها.

خلقه وخلق فعله يكذب بها عامة القدرية، أى جميع القدرية أو أكثرهم، فيزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه استقلالا بدون مشيئة الله وإرادته، وسموا قدرية لإنكارهم القدر، وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية لخوضهم فى القدر، والتسميه على الطائفة الأولى أغلب، قال ابن تيمية فى تائيته:

ويدعى خصوم الله يوم معادهم — إلى النار طرا فرقة القدرية

سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا — به الله أو ماروا به الشريعة

قوله: (مجوس هذه الأمة): سموا بذلك لمضاهاة قولهم لقول المجوس، فإن المجوس يثبتون خالقين، وكذلك القدرية أثبتوا أن الله خلقهم وأنهم خلقوا أفعالهم استقلالا كما روى أبو داود فى سننه عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**» وروى أبو داود أيضاً عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوه، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال**» وأحاديث القدرية المرفوعة كلها ضعيفة، وإنما يصح منها الموقوف، وقد تقدم الكلام على هذا الموضوع، وقد اختلف العلماء فى تكفير هؤلاء، وأما من أنكر العلم القديم فنص الشافعى وأحمد وغيرهما من أئمة الإسلام على تكفيره، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

قوله:(وبغلو فيها قوم...): إلخ أشار المصنف بقوله هذا إلى المجبرة فإنهم غلوا فى نفى أفعال العباد حتى سلبوا العباد قدرتهم واختيارهم، وزعموا أنهم لا يفعلون شيئاً البتة، وإنما الله هو فاعل تلك الأفعال حقيقة فهى نفس فعله لا أفعالهم، والعبيد ليس لهم قدرة ولا إرادة ولا فعل البتة، وأن أفعالهم بمنزلة حركة الجمادات لا قدرة له عليها، وإمام هؤلاء الجهم بن صفوان الترمذى، وقولهم باطل؛ لأننا نفرق بالضرورة بين حركة البطش وحركة المرتعش ونعلم بأن الأول باختياره دون الثانى، ولأنه لو لم يكن للعبد فعل أصلا لما صح تكليفه ولا ترتب استحقاق الثواب والعقاب على أفعاله ولا إسناد الأفعال التى تقتضى سابقة قصد إليه على سبيل الحقيقة مثل صلى وصام وكتب بخلاف مثل طال واسود لونه،

....

والنصوص القطعية تنفى ذلك، قال الله تعالى: ﴿ **جزاء بما كانوا يعملون**﴾ وقال: ﴿**من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ إلى غير ذلك.

قال ابن القيم: وهؤلاء خصماء الله الذين جاء فيهم الحديث: «**يقال يوم القيامة أين خصماء الله فيؤمر بهم إلى النار**» وتقدم ماذكره الشيخ فى تائيته، وقال ابن القيم: سمعت الشيخ تقى الدين يقول: القدرية المذمومون فى السنة وعلى لسان السلف هم هؤلاء الفرق الثلاثة نفاته وهم: القدرية المجوسية والمعارضون به للشريعة الذين قالوا: لو شاء الله ما أشركنا، وهم القدرية المشركية والمخاصمون به للرب وهم أعداء الله وخصومه وهم القدريه الإبليسية وشيخهم إبليس، وهو أول من احتج على الله بالقدر فقال: ﴿**بما أغويتنى**﴾ ولم يعترف بالذنب ويبوء به كما اعترف به آدم، فمن أقر بالذنب وباء به ونزه ربه فقد أشبه أباه آدم ومن أشبه أباه فما ظلم ومن برء نفسه واحتج على ربه بالقدر فقد أشبه إبليس، ولا ريب أن هؤلاء القدرية الإبليسية والمشركية شر من القدرية النفاة، والذى عليه أهل السنة والجماعة هو ماتقدم الإيمان بأن أفعال العباد مخلوقة لله صادرة عن مشيئته وإرادته، وهى أفعال لهم وكسب لهم باختبارهم، فلذا ترتب عليها الثواب والعقاب كما تكاثرت بذلك الأدلة.

قوله:(ويخرجون عن أفعال الله...): إلخ أى أن هؤلاء الجهمية يزعمون أن الله تعالى لا يفعل لعلة ولا حكمة، وإنما هو محض مشيئة وصرف إرادة مجردة عن الحكمة والرحمة، وكان شيخهم الجهم بن صفوان يقف على الجذماء فيقول: أرحم الراحمين يفعل مثل هذا؟ إنكاراً للرحمة والحكمة، وأدلة الكتاب والسنة تبطل هذا المذهب. قال ابن القيم رحمه الله: ولهذا الأصل لوازم وفروع كثيرة فاسدة، وذكرها وردها من تسعين وجهاً، اهـ.

والذى عليه أهل السنة والجماعة هو إثبات العلة والحكمة فى أفعاله سبحانه وشرعه وقدره، فما خلق شيئاً ولا قضاه ولا شرعه إلا لحكمة بالغة وإن تقاصرت عنها عقول البشر، والأدلة فى إثبات ذلك كثيرة جداً، فإنه سبحانه حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحة، فما خلق شيئا عبثاً ولا خلقه سدى كما قال تعالى: ﴿**أفحسبتم أنما خلقنكم عبثا** ﴾، وقال: ﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدى**﴾، وقال: ﴿**وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما إلا بالحق**﴾ وقال: ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ وقال: ﴿ **ليكون للعالمين نذيراً**﴾

فصل

ومن أصول أهل السنة ـ أن الدين والإيمان قول وعمل ـ قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح.

إلى غير ذلك من الأدلة على إثبات هذا الأصل.

فصـــل

قوله:(إن الدين): معناه **لغة**: الذل، يقال دنته فدان، أى أذللته فذل، **وشرعاً**: هو ما أمر الله به على ألسنة رسله، والإيمان **لغة**: التصديق كما قال تعالى: ﴿**وما أنت بمؤمن لنا**﴾أى بمصدق ، **وشرعاً**: الإيمان هو ماذكره المصنف.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: لفظ الإيمان إذا أطلق يراد به ما يراد بلفظ البر وبلفظ التقوى وبلفظ الدين، فكل مايحبه الله ورسوله يدخل فى اسم الإيمان. انتهى. وفى حديث جبريل : سمى النبى ﷺ الإسلام والإيمان والإحسان ديناً.

قوله:(قول القلب): وهو الاعتقاد كاعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله.

قوله:(قول اللسان): وهو التكلم بالشهادتين والقيام بذكره سبحانه وتبليغ أوامره والدعوة إليه والذب عن دينه ونحو ذلك.

قوله: (وعمل القلب): وهو نيته وإخلاصه والتوكل والإنابة والمحبة والانقياد والخوف منه سبحانه والرجاء وإخلاص الدين له والصبر ونحو ذلك من أعمال القلوب .

قوله:(وعمل اللسان والجوارح):كالصلاة والحج والجهاد ونحو ذلك، فالإيمان عند أهل السنة والجماعة هو ماتقدم أنه قول واعتقاد، وحكى الشافعى على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم، وأنكر السلف على من أخرج الأعمال من الإيمان إنكاراً شديداً.

روى اللالكائى بإسناد صحيح عن البخارى قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف فى أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص، وقال الأوزاعى: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان وفى صحيح البخارى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدى بن عدى أن للإيمان

فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً فمن استكملها فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينه لكم وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص، وفى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال لوفد عبد القيس: «**آمركم بأربع: الإيمان بالله وحده، وهل تدرون ماالإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تؤدوا الخمس من المغنم**». قال ابن القيم رحمه الله: فيه أن الإيمان بالله هو مجموع هذه الخصال من القول والعمل كما علم ذلك أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم، وعلى ذلك مايقارب من مائة دليل من الكتاب والسنة .ا. هـ .

قوله:(وإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية):كما قال سبحانه: ﴿**ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم**﴾، وقال تعالى: ﴿**وما زادهم إلا إيماناً وتسليما**﴾: وقوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً**»، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **الإيمان بضع وسبعون شعبه فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الإذى عن الطريق والحياء من الإيمان**» ولفظه لمسلم إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على أن الإيمان يزيد وينقص، وعلى أن المؤمنين يتفاضلون فى الإيمان فبعضهم أكمل إيماناً من بعض، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله**﴾ فدلت هذه الآية أن المؤمنين ينقسمون إلى ثلاثة أقسام سابقون ومقتصدون وظالمون لأنفسهم، فالسابق إلى الخيرات: هو الذى عمل الواجبات والمستحبات ،واجتنب المحرمات والمكروهات، والمقتصد: هو من اقتصر على فعل الواجبات واجتناب المحرمات، والظالم لنفسه: هو من أخل ببعض الواجبات وانتهك بعض المحرمات، فكل واحد من هذه الأقسام يطلق عليه أنه مؤمن .

أما أصول الإيمان فستة كما فى حديث جبريل وهى: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**»، وفى الحديث المذكور جعل مراتب الدين ثلاثة : الإيمان والإسلام والإحسان فأعلاها الإحسان ثم الإيمان ثم الإسلام، فكل محسن مؤمن مسلم ولا ينعكس وكل مؤمن مسلم لا العكس، فالمرتبة الأولى الإسلام وهى التى يدخل فيها الكافر أول ما يتكلم بإسلام، وأعلى منها مرتبة الإيمان لأن الله نفى عمن ادعى الإيمان من أول وهلة الإيمان وأثبت لهم

وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصى والكبائر كما يفعله الخوارج.

الإسلام كما قال تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾.

المرتبة الثالثة: الإحسان وهى أعلا من المرتبتين الأوليين، فقد ينفى عن الرجل الإحسان ويثبت له الإيمان، وينفى عنه الإيمان ويثبت له الإسلام كما فى حديث: «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن**» ولا يخرجه عن مرتبة الإسلام إلا الكفر بالله والشرك المخرج عن الملة.

وأما المعاصى والكبائر كالزنا وشرب الخمر ونحو ذلك فلا يخرجه عن دائرة الإسلام والإيمان إذا ذكرا جميعاً، فإن الإسلام يفسر بالانقياد للأعمال الظاهرة، والإيمان يفسر بالأعمال الباطنة، كما فرق بينهما فى حديث جبريل فقال: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**».

وروى الإمام أحمد من حديث أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**الإسلام علانية والإيمان بالقلب**» وهذا إذا ذكرا معاً، أما إذا أفرد أحدهما عن الآخر كقوله تعالى: ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام**﴾ فإنه يدخل فيه الآخر، فإذا أفرد الإيمان دخل فيه الإسلام وبالعكس، ففيهما دلالة الاقتران والانفراد، كالفقير والمسكين ونحو ذلك.

قوله:(وهم مع ذلك لا يكفرون):أى لا ينسبونهم للكفر ويحكمون عليهم به.

قوله:(أهل القبلة):أى من يدعى الإسلام ويستقبل الكعبة وإن كان عليه ذنوب ومعاصى عدا الشرك بالله، والكفر المخرج عن الملة الإسلامية،كما قال ﷺ: «**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له مالنا وعليه ماعلينا**» فأهل السنة والجماعة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصى والكبائر كما يفعله الخوارج والمعتزلة،فإن الخوارج يقولون: من فعل كبيرة فهو فى الدنيا كافر وفى الآخرة مخلد فى النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغير شفاعة، والمعتزلة يقولون: من فعل كبيرة فهو فى الدنيا لا مؤمن ولا كافر، بل فى منزلة بين المنزلتين وفى الآخرة خالد مخلد فى النار كقول الخوارج، وقابلتهم المرجئة فقالوا إنه لا يضر مع الإيمان

بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصى كما قال سبحانه فى آية القصاص: ﴿فمن عُفِى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف﴾.

ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقالوا إيمان أفسق الناس كإيمان أبو بكر وعمر، فالخوارج المعتزلة غلوا والمرجئة جفوا، أولئك تعلقوا بأحاديث الوعيد، وهؤلاء تعلقوا بأحاديث الوعد فقط، وهدى الله أهل السنة والجماعة للقول الوسط الذى تدل عليه أدلة الكتاب والسنة، فقالوا إن الفاسق لا يخرج من الإيمان بمجرد فسقه ولا يخلد فى النار فى الآخرة، بل هو تحت مشيئة الله إن عفى عنه دخل الجنة من أول وهلة، وإن لم يعف عنه عذب بقدر ذنوبه ثم دخل الجنة، فلابد له من دخول الجنة ، فالعاصى معرض لعقوبة الله وعذابه ، قال الله تعالى: ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء**﴾ فهذه الآية صريحة فى أن من مات غير مشرك فهو تحت مشيئة الله، ففيها الرد على الخوارج المكفرين بالذنوب وعلى المرجئة القائلين بأن الذنوب لاتضر، وأن الناس فى الإيمان سواء لا تفاضل بينهم وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله لا نكفره بذنب ولانخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثنى الله حتى يقاتل آخر أمتى الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والإيمان بالأقدار**»، رواه أبو داود، وفى الصحيح: « **يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه مثقال ذرة من إيمان**»، ففيه دليل على زيادة الإيمان ونقصانه وعلى دخول طائفة من الموحدين النار، وإن الكبائر لا يكفر فاعلها ولا يخلد فى النار، وقال البخارى رحمه الله: باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر، قال إبراهيم التيمى: ماعرضت قولى على عملى إلا خشيت أن أكون مكذباً، وقال ابن أبى مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل، ويذكر عن الحسن: ماخافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق .

قوله: (بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصى): كما قال تعالى فى آية القصاص: ﴿ **فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان**﴾ فسماه أخاً مع وجود القتل منه ففيه دليل على أن العاصى لا يخرج من الإيمان بمجرد الذنوب والمعاصى.

وقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين. إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾.

قوله: ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾: الآية. الطائفة: القطعة من الشيء ويطلق على الواحد فما فوقه عند الجمهور. وقوله: **﴿من المؤمنين اقتتلوا﴾** فسماهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخارى وغيره على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية لا كما يقول الخوارج والمعتزلة ومن تابعهم.

وفى صحيح البخارى من حديث الحسن عن أبى بكرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**» فكان كما قال ﷺ أصلح الله بين أهل الشام والعراق بعد الحروب الطويلة.

قوله: ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى﴾: أى تعدت إحداهما على الأخرى وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله. قوله: **﴿حتى تفىء إلى أمر الله﴾** أى ترجع إلى أمر الله ورسوله وتسمع للحق وتطيعه، كما فى الصحيح عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»، قلت: يارسول الله، هذا نصرته مظلوماً كيف أنصره ظالماً؟ قال: «**تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه**».

قوله: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾: فيه إثبات المحبة لله كما يليق بجلاله وعظمته، وفيه فضل الإصلاح بين الناس، وفيه مدح العدل والإنصاف وروى ابن أبى حاتم عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «**المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا**» رواه مسلم والنسائى وفيه أنه لم يخرجوا بالبغى من الإيمان، وفيه أنه أوجب قتالهم وأنه أسقط عنهم التبعة فيما أتلفوه فى قتالهم، وفيه إجازة قتال كل من منع حقاً عليه والأحاديث بذلك مشهورة.

قوله: ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾: أى أخوة فى الدين سماهم مؤمنين مع وجود الاقتتال بينهم وجعلهم أخوة فى الدين مع وجود الاقتتال بينهم، فدل على أنهم لا يخرجون من الإيمان بالمعصية.

ولا يسلبون الفاسق الملي الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة.

قوله: (والكبائر): هى جمع كبيرة وهى الفعلة القبيحة من الذنوب العظيم أمرها، والكبيرة كل معصية فيها حد فى الدنيا أو وعيد فى الآخرة، وزاد شيخ الإسلام ابن تيمية: أو ورد فيها وعيد ينفى إيمان أو لعن أو غضب ونحوهما، فى قوله: والكبائر أشارة إلى أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، وهو الصواب الذى تدل عليه الأدلة.

وأما عدد الكبائر فعند سعيد بن جبير رضى الله عنه قال: قال رجل لابن عباس الكبائر سبع، فقال ابن عباس: هى إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع أصرار وقد أوصلها علمائنا إلى أكثر من السبعين ؛ كما فى الأقناع، قال فى شرح الطحاوية: وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف ما يلحقها بالكبائر، وقد يقترن بالكبيرة من الحياء والخوف والوجل ما يلحقها بالصغائر، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وقد يعفى لصاحب الإحسان العظيم مالا يعفى لغيره، فإن فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة:

الأول: التوبة، الثانى: الاستغفار، الثالث: الحسنات الماحية. الرابع: المصائب الدنيوية. الخامس: عذاب القبر، السادس: دعاء المؤمنين واستغفارهم، السابع: ما يهدى إليه بعد الموت من ثواب صدقة أو قراءة أوحج ونحو ذلك، الثامن: أهوال يوم القيامة وشدائده، التاسع: ماثبت أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ليقتص لبعضهم من بعض، العاشر: شفاعة الشافعين، الحادى عشر: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة كما تقدم، انتهى. باختصار.

إذا عرف ماتقدم فينبغى أن يكون المؤمن خائفاً راجياً، ويكون خوفه ورجاؤه سواء، فإنه إذا رجح الخوف حمله على القنوط من رحمة الله، وإذا رجح الرجاء حمله على الأمن من مكر الله وكلاهما من كبائر الذنوب.

قوله :(الفاسق): الفسق **لغة**: الخروج عن الاستقامة والجور، وبه سمى الفاسق فاسقاً، **وشرعاً**: الفاسق من فعل كبيرة أو أصرّ على صغيرة وينقسم إلى قسمين:

الأول: فسق اعتقاد كالرفض والاعتزال ونحوهما .

الثانى: فسق عمل كالزنا واللواط وشرب الخمر ونحو ذلك.

قوله: (الملى): أى الذى على ملة الإسلام ولم يرتكب من الذنوب مايوجب كفره فأهل السنة والجماعة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية وعلى أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ويدخل فى الكفر ومتفقون على أنه لا يستحق الخلود مع الكافرين، وأن من مات على التوحيد فلابد له من دخول الجنة، خلافاً للخوارج والمعتزلة، فإن الخوارج أخرجوهم من الإيمان وحكموا عليهم بالخلود فى النار، والمعتزلة وافقوا الخوارج فى الحكم عليهم في الآخرة دون الدنيا فلم يستحلوا منهم ما استحلته الخوارج، وأما فى الأسماء فأحدثوا المنزلة بين المنزلتين، وهذه خاصة المعتزلة التى انفردوا بها، وسائر أقوالهم قد شاركهم فيها غيرهم، وهذا الخلاف فيما ذكر أول خلاف حدث فى الملة.

قال ابن عبد الهادى فى مناقب الشيخ تقى الدين: أول خلاف حدث فى الملة فى الفاسق الملى هل هو كافر أو مؤمن، فقالت الخوارج: إنه كافر، وقالت الجماعة: إنه مؤمن، وقالت طائفة المعتزله: هو لا مؤمن ولا كافر منزلة بين المنزلتين وخلدوه فى النار واعتزلوا حلقة الحسن البصرى فسموا معتزلة . اهـ .

والأدلة على بطلان مذهب الخوارج والمعتزلة كثيرة جداً، وقد تقدم ذكر بعضها كقوله تعالى: ﴿ **فمن عفى له من أخيه شىء**﴾، وكقوله: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا**﴾ فسماهم مؤمنين مع وجود القتل والاقتتال، وسماهم أخوة مع وجود ذلك، والمراد أخوة الدين كما تقدم، وقد تقدم ذكر انقسام المؤمنين إلى ثلاثة أقسام سابقين ومقتصدين وظالمين لأنفسهم.

وقد تواتر فى الأحاديث: « **أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه مثقال ذرة من إيمان**»، وحديث «**الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»، فعلم أن الإيمان يقبل التبعيض والتجزئة، وأن قليله يخرج به صاحبه من النار إن دخلها، وأيضا فلو كان العاصى كافراً كفراً ينقل عن الملة بالكلية لكان مرتداً ولا يقبل عفو ولى القصاص ولاتجرى الحدود فى الزنا والسرقة وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام، ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزانى والسارق وشارب الخمر والقاذف لايقتل بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد .

بل الفاسق يدخل فى اسم الإيمان المطلق كما فى قوله:﴿ فتحرير رقبة مؤمنة﴾ وقد لا يدخل فى اسم الإيمان المطلق.كما فى قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾.

وقال ابن القيم فى المدارج: والفسوق أيضاً ينقسم إلى قسمين: فسوق من جهة العمل وفسق من جهة الاعتقاد ـ إلى أن قال ـ وفسق الاعتقاد كفسق أهل البدع الذين يؤمنون بالله ورسوله ويحرمون ماحرم الله ورسوله ويوجبون ما أوجبه ولكن ينفون كثيراً مما أثبت الله ورسوله جهلا وتأويلا وتقليداً للشيوخ، ويثبتون ما لم يثبته الله ورسوله كذلك، وهؤلاء كالخوارج المارقة وكثير من الروافض والقدرية والمعتزلة وكثير من الجهمية الذين ليسوا غلاة فى التجهم.

وأما غالية الجهمية وغلاة الرافضة فليس للطائفتين فى الإسلام نصيب، ولذلك أخرجهم جماعة من السلف من الثنتين والسبعين فرقة، وقالوا: هم مباينون للملة، فالتوبة من هذا الفسوق بإثبات ماأثبته الله ورسوله من غير تشبيه ولاتعطيل، وتنزيهه عما نزه به نفسه ونزهه به رسوله من غير تشبيه ولا تعطيل، وتلقى الإثبات والنفى من مشكاة الوحى لا من آراء الرجال ونتائج أفكارهم، فتوبة هؤلاء الفساق من جهة الاعتقادات الفاسدة بمحض اتباع السنة، ولا يكتفى أيضا منهم حتى يبينوا فساد ماكانوا عليه من البدعة.

قوله: (بل الفاسق يدخل) ... إلخ فإن أعتق رقبة مؤمنة فيما يشترط فى العتق إيمان الرقبة، أجزأت الرقبة الفاسقة، فقد دخلت فى اسم الإيمان المطلق وإن لم تكن من أهل الإيمان الكامل، فالفاسق يدخل فى جملة أهل الإيمان على سبيل إطلاق أهل الإيمان، وقد لا يدخل فى اسم الإيمان المطلق كما فى قوله: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾ الآية، فالفاسق لا يسلب عنه اسم الإيمان على الإطلاق ولا يثبت له على الإطلاق بل يقال مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وحقيقة الأمر أن من لم يكن من المؤمنين حقاً يقال فيه إنه مسلم ومعه إيمان يمنعه من الخلود فى النار.

قوله: ﴿إنما﴾: أداة حصر تثبت المذكور وتنفى ماعداه.

قوله: ﴿المؤمنون﴾: أى الإيمان الكامل المأمور به .

وقوله ﷺ: « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن،

قوله: ﴿ وجلت قلوبهم﴾: أى خافت. قوله: **﴿زادتهم إيمانا﴾**فيها دليل على أن الإيمان يزيد وينقص .

قوله: ﴿يتوكلون﴾ : أى يفوضون أمرهم إلى الله، ففيها فضل التوكل وأنه من أجلّ أعمال القلوب، وفيها دليل على أن الأعمال الظاهرة والباطنة داخلة فى مسمى الإيمان شرعا، فكل مانقص من الأعمال التى لا يخرج نقصها من الإسلام فهو نقص فى كمال الإيمان الواجب كما فى حديث أبى هريرة المتفق عليه: «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن**» الحديث، فالمنفى فى هذا الحديث كمال الإيمان الواجب، فلا يطلق الإيمان على مثل أهل هذه الأعمال إلا مقيداً بالمعصية أو الفسوق، فيقال مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فيكون معه من الإيمان بقدر مامعه من الأعمال الباطنة والظاهرة، فيدخل فى أهل الإيمان على سبيل إطلاق أهل الإيمان كما تقدم فى قوله: **﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾**.

وأما المؤمن الإيمان المطلق الذى لايتقيد بمعصية ولا فسوق ونحو ذلك فهو الذى أتى بما يستطيعه من الواجبات مع تركه لجميع المحرمات فهو الذى يطلق عليه اسم الإيمان من غير تقييد، فهذا هو الفرق بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق.

الثانى: هو الذى لا يصر صاحبه على ذنب، **والأول**: هو المصر على بعض الذنوب فمطلق الإيمان هو وصف المسلم الذى معه أصل الإيمان الذى لا يتم الإسلام إلا به فلا يصلح إلا به .

والمرتبة الثانية مرتبة أهل الإيمان المطلق الذين كمل إسلامهم وإيمانهم بإتيانهم بما وجب عليهم، وتركهم ماحرم الله عليهم، وعدم إصرارهم على الذنوب، فهذه المرتبة الثانية الذى وعد الله أهلها بدخول الجنة والنجاة من النار، انتهى .

وفى قوله ﷺ: « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن»: الحديث دليل على دخول الأعمال فى مسمى الإيمان فلولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شىء منها لأن الاسم لا ينتفى إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته، والمراد بنفى الإيمان نفى بلوغ حقيقته ونهايته، وفى هذا الحديث الرد على المرجئة والجهمية ومن اتبعهم الذين يقولون إن مرتكب الكبيرة

ولا ينتهب نُهبة ذات شرف يرفعُ الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»، ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم.

مؤمن كامل الإيمان، ويزعمون أن الإيمان لا يتفاضل، وهو إما أن يزول بالكلية أو يبقى كاملا، وقولهم ظاهر البطلان، فقد دل الحديث على أن الزانى وشارب الخمر ونحوهم حين فعلهم المعصية قد انتفى الإيمان عنهم، وقد دلت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة على أنهم غير مرتدين بذلك، فعلم أن الإيمان المنفى فى هذا الحديث وغيره إنما هو كمال الإيمان الواجب، فإن الله ورسوله لا ينفى اسم مسمى شرعى إلا بانتفاء بعض أركانه أو واجباته.

قوله: (**نهبة**) :بضم النون هو ماينهب، والمراد: المأخوذ جهراً قهراً.

قوله: (**ذات شرف**) : أى ذات قدر عظيم.

قوله :(**يرفع الناس إليها أبصارهم**): أى ينظرونها لعظم قدرها.

قوله:(**ونقول هو مؤمن ناقص الإيمان**): فإن الله سبحانه وتعالى أطلق عليه الإيمان كماتقدم من قوله: ﴿**فمن عفى له من أخيه شىء**﴾ الآية، وقوله: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا**﴾ الآية، وكذلك الرسول ﷺ أطلق عليه الإيمان، كما ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ قال: « **من كانت له عند أخيه مظلمة فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم**...»، الحديث إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على إطلاق الإيمان على الفاسق.

قوله: (**ونقول هو مؤمن ناقص الإيمان**) إلخ: خلافاً للمرجئة والجهمية ومن اتبعهم، فإن الإيمان عندهم لا يقبل الزيادة والنقصان، بل هو شىء واحد يستوى فيه جميع المؤمنين من الملائكة والمقتصدين والمقربين والظالمين،وقد سبق ذكر مذهبهم والرد عليه.

قوله:(**فلا يعطى الاسم المطلق**): أى لا يعطى الفاسق اسم الإيمان المطلق، أى الكامل الذى صاحبه يستحق عليه دخول الجنة والنجاة من النار، وهو فعل الواجبات وترك المحرمات وهو الذى يطلق على من كان كذلك بلا قيد فلا يطلق على الفاسق: الإيمان إلا مقيداً، فيقال مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو يقال مؤمن

ناقص الإيمان فلا يسمى مؤمناً إلا بقيد، وهذا الذى يسميه العلماء مطلق الإيمان .

وقال الشيخ تقى الدين رحمه الله: والتحقيق أن يقال إنه مؤمن ناقص الإيمان مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، فإن الكتاب والسنة نفيا عنه الاسم المطلق، واسم الإيمان يتناوله فيما أمر الله به ورسوله، لأن ذلك إيجاب عليه وتحريم عليه وهو لازم له كما يلتزم غيره، وإنما الكلام فى المدح المطلق، اهـ.

قوله: (**ولا يسلب مطلق الاسم**): كما تقدم إطلاق الإيمان فى الآيات عليه، وكذلك رسوله فيطلق عليه الإيمان مقيداً كما تقدم، فيقال مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، ويقال مؤمن ناقص الإيمان، وعلى هذا يدل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة خلافا للخوارج والمعتزلة. أما ماجاء فى بعض الأحاديث من نفى الإيمان عن بعض العصاة فالمراد به نفى الإيمان المطلق لا مطلق الإيمان كما تقدم.

قال الشيخ تقى الدين فى كتاب الإيمان: الإيمان إذا أطلق فى كلام الله ورسوله يتناول فعل الواجبات وترك المحرمات، ومن نفى الله ورسوله عنه الإيمان فلابد أن يكون ترك واجبا أو فعل محرما، فلا يدخل فى الاسم الذى يستحق أهله الوعد دون الوعيد، انتهى.

قال ابن القيم رحمه الله فى بدائع الفوائد: الإيمان المطلق لا يطلق إلا على الكامل الكمال المأمور به، ومطلق الإيمان يطلق على الكامل والناقص، ولهذا نفى الإيمان المطلق عن الزانى وشارب الخمر والسارق، ولم ينف عنه مطلق الإيمان لئلا يدخل فى قوله : ﴿**والله ولى المؤمنين**﴾ ولا فى قوله: ﴿**قد أفلح المؤمنون**﴾ ولا فى قوله: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾ الآية، ويدخل فى قوله: ﴿**فتحرير رقبة مؤمنة**﴾ وفى قوله: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا**﴾ الآية، فلهذا كان قوله: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾ نفيا للإيمان المطلق لا لمطلق الإيمان لوجوه ساقها، فالإيمان المطلق يمنع دخول النار، ومطلق الإيمان يمنع الخلود فيها، فإذا قيل الفاسق: مؤمن فهو على هذا التفصيل، انتهى.

فصـــل

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ.

فصل

قوله: (**ومن أصول**): جمع أصل وهو **لغة**: مايبنى عليه غيره، **واصطلاحا** ماله فرع ويطلق الأصل على أربعة أشياء: على الدليل غالبا، كقولهم أصل هذه المسألة الكتاب والسنة أى دليله، الثانى: على الراجح من الأمرين كقولهم الأصل فى الكلام الحقيقة دون المجاز. الثالث: القاعدة المستمرة كقولهم: أكل الميتة على خلاف الأصل. الرابع: المقيس عليه، وهو مايقابل الفرع فى باب القياس، انتهى، من الكوكب المنير،

قوله: (**سلامة قلوبهم**): أى من الغل والحقد والبغض والعداوة لأصحاب رسول الله ﷺ وسلامة ألسنتهم من الطعن فيهم واللعن والوقيعة فيهم، كما يفعله الرافضة والخوارج، وكذلك يجب اعتقاد فضلهم رضوان الله عليهم ومعرفة سابقتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم، والكف عما شجر بينهم فإنهم خير القرون وهم السابقون الأولون، وفى الكتاب والسنة من ذكر فضائلهم ومناقبهم ومقاماتهم الحميدة مالا يتسع لذكره هذا المختصر، فلا مقام بعد مقام النبوة أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه،فهم أسعد الأمة بإصابة الصواب، وأجدر بفقه السنة والكتاب لفوزهم بصحبة نبيه فلا يبارون فى فهمهم، ولا يجارون فى علمهم فكل علم وخير وصل فبسببهم، قال الله تعالى:﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ الآية، وفى هذه الآية أعظم رد على الرافضة والخوارج .

قوله:(**لأصحاب...**) إلخ، جمع صاحب والصحابى هو من اجتمع بالنبى ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، قيل: ولو تخللته ردة، وقال البخارى: من صحب النبى ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، انتهى. وآخر من مات منهم رضى الله عنهم هو أبو الطفيل عامر بن وائلة الليثى كما جزم به مسلم فى صحيحه، وكان موته سنة مائة، وقيل: سنة مائة وعشرة، وأما عدد الصحابة فقيل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً كما قال السيوطى:

والفضل فيما بينهم مراتب　　　　وعدهم للأنبيا يقارب

كما وصفهم الله فى قوله تعالى: ﴿ والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

وكلهم عدول ثقات لايفتش عن عدالة أحد منهم بالإجماع، وحكى الإجماع ابن الصلاح وابن عبد البر وحكاه إمام الحرمين، وقال الشيخ تقى الدين: الذى عليه جمهور سلف الأمة وجمهور الخلف أن الصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم فيما أنزله على رسوله بقوله: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾**، اهـ.

قوله: كما وصفهم الله فى قوله: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ الآية، أى كما وصف أتباعهم بإحسان بقوله: **﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾** وهم التابعون الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿يقولون ربنا اغفر لنا﴾: أى يسألون الله المغفرة لهم ولإخوانهم فى الدين الذين سبقوهم بالإيمان، وهم أصحاب رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾: أى ولا تجعل فى قلوبنا بغضا وحسدًا وغشا للذين آمنوا، وفى حديث ابن مسعود الذى رواه الترمذى: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم**»، أى أن هذه الثلاث تنفى الغل عن القلب فلا يبقى فيه معها غل ولا غش، فالإخلاص يمنع غل القلب وفساده، وكذلك النصيحة فإنها لا تجامع الغل فمن نصح الأئمة والأمة فقد برئ من الغل، وهذا بخلاف أهل البدع من الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم فإن قلوبهم ممتلئة غلا وغشا، ولهذا تجد الرافضة أبعد الناس من الإخلاص وأغشهم للأئمة والأمة وأشدهم بعدًا عن جماعة المسلمين، وفى هذه الآية الحث على محبة جميع المؤمنين ومودتهم والدعاء لهم والاستغفار، وأن من صفات المؤمنين سلامة قلوبهم من الغل والحقد والبغض لإخوانهم المؤمنين كما فى الصحيحين من حديث النعمان بن بشير: «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر**». وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا**

عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث». متفق عليه.

قوله: ﴿ربنا إنك رؤوف رحيم﴾: رؤوف أى ذو رأفة وهى أشد الرحمة، وهو أبلغ من الرحيم، تضمنت هذه الآية الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاؤوا من بعدهم يستغفرون لهم ويسألون الله أن لا يجعل فى قلوبهم غلا لهم وتضمنت أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفئ، ولا ريب أن الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة فإنهم لم يستغفروا للسابقين وفى قلوبهم غل عليهم ففيها الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك، وروى ابن بطة وغيره عن مالك بن أنس قال: من سب السلف فليس له من الفئ من نصيب، واستدل بالآية، وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال: أمر الله بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ وهو يعلم أنهم يقتتلون.

وعن عائشة رضى الله عنها: أمرتم بالاستغفار لأصحاب رسول الله ﷺ فسببتموهم، سمعت نبيكم يقول: «**لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها**»، ورواه البغوى. قال العماد بن كثير رحمه الله: فيا ويل من سبهم أو أبغضهم أو أبغض أو سب بعضهم ولا سيما سيد الصحابة بعد رسول الله ﷺ وخيرهم وأفضلهم ـ أعنى الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن قحافة رضى الله عنه ـ فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم ـ عياذًا بالله من ذلك ـ وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضى الله عنهم، وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضى الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله ويوالون من يوالى الله ويعادون من يعادى الله، وهم متبعون لا مبتدعون ومقتدون لا مبتدون، ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون. اهـ.

وقال مالك رحمه الله: من أصبح وفى قلبه بغض لأحد من الصحابة فقد أصابته هذه الآية، يعنى قوله: **﴿ليغيظ بهم الكفار﴾** الآية، وقد ذكر بعض العلماء أن الرافضة ليسوا من فرق الأمة المحمدية، وباستقراء ما هم عليه الآن من الغلو فى أهل البيت والبناء على قبورهم وإظهار اللعن والسب لأصحاب رسول الله ﷺ وسفاهات أخرى يمجها العقل والدين. يعلم أن هذه الطائفة ليست من الإسلام فى شىء، ولذلك صرح بعض العلماء بتكفيرهم لسبهم الصحابة، فقال صاحب تبيين

وطاعة النبى ﷺ فى قوله: «لا تسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه».

المحارم: واعلم أن الروافض كفار عندنا لأنهم يسبون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما، وكذلك من أنكر خلافتهما يكفر عندنا على الأصح، وإمام هذه الطائفة الخبيثة منافق معروف يهودى الأصل وهو عبد الله بن سبأ ادعى الإسلام حيلة وسعى جهده لتفريق وتشتيت الكلمة، وأدرك بغض قصده بقتل عثمان رضى الله عنه ثم أظهر الغلو فى على بن أبى طالب، وقصته مشهورة.

حديث: «لا تسبوا أصحابى»: رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شىء فسبه خالد. فقال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابى فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»** انفرد مسلم بذكر سب خالد لعبد الرحمن دون البخارى، فقوله: **«لا تسبوا أصحابى»** يعنى عبد الرحمن بن عوف وأمثاله من السابقين الأولين، فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وبعد مصالحة النبى ﷺ أهل مكة ومنهم خالد بن الوليد، فنهى من له صحبة أن يسب من له صحبة أولى لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه حتى لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية فكيف حال من ليس من الصحابة بحال.

قوله: «لا تسبوا»: أى لا تشتموا.

قوله: «أحد»: هو جبل معروف فى المدينة سمى بذلك لتوحده من الجبال كما ذكره السهيلى.

قوله:«مد»: المد مكيال معروف وهو رطل وثلث بالعراقى، والنصيف النصف، والمعنى أن غير الصحابة لو أنفق فى سبيل الله جبل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فى الثواب، وفى هذا دليل على تحريم سب أصحاب رسول الله ﷺ وأنه من كبائر الذنوب، وفيه دليل على تحريم لعن أصحاب رسول الله ﷺ من باب أولى وإنه من كبائر الذنوب، فإن الحديث صريح فى تحريم السب، واللعن أعظم من السب، وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **«لعن المؤمن كقتله»** وأصحابه ﷺ خيار المؤمنين كما قال ﷺ: **«خير القرون قرنى»** الحديث، وروى الترمذى عن

عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً، فمن أحبهم فبحبى أحبهم، ومن أبغضهم فيبغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**» قال الترمذى: حديث غريب، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على وجوب احترامهم وحفظ كرامتهم، وتحريم سبهم والطعن فيهم ولعنهم.

قال الشيخ تقى الدين: من لعن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فإنه يستحق العقوبة البالغة باتفاق المسلمين، وقد تنازعوا هل يعاقب بالقتل أو ما دون القتل، واستدل بهذا الحديث على عدالة جميع الصحابة لثناء النبى هذا الثناء العظيم الدال على فضلهم وعدالتهم، وفيه دليل على تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم، وهو قول الجمهور.

قال بعض السلف: ـ لما سئل عن عمر بن عبد العزيز ومعاوية أيهما أفضل؟ قال: غبار فى أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر بن عبد العزيز، وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت فى وقت الضنك والضيق بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان فى نصرته ﷺ وحمايته، وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعاتهم كما قال تعالى: ﴿**لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى**﴾.

قوله: (ويقبلون ما جاء به الكتاب): هذا فيه الرد على الروافض والنواصب، فقد أثنى الله سبحانه على أصحاب رسول الله رضى الله عنهم ووعدهم بالجنة كما قال سبحانه: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ الآية، وقال: ﴿**لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾: وقال: ﴿**لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى**﴾ والآيات والأحاديث فى فضل الصحابة كثيرة جدًا، منها ما فى الصحيحين من حديث عمران وغيره: «**خير القرون قرنى**» الحديث.

وروى ابن بطة باسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «**لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة** ـ يعنى مع النبى ﷺ ـ **خير من عمل**

من فضائلهم ومراتبهم ويفضلون ﴿من أنفق من قبل الفتح﴾ وهو صلح الحديبية - ﴿وقاتل﴾، على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر - وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشرة - : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم.

أحدكم أربعين سنة» وفي رواية وكيع: «خير من عبادة أحدكم عمره» والأدلة في فضل الصحابة كثيرة لا يرتاب فيها إلا زائغ، فلا شك أنهم حازوا قصبات السبق واستولوا على الأمد وبلغوا في الفضل والمعروف والعلم وجميع خصال الخير ما لم يبلغه أحد، فالسعيد من اتبع صراطهم واقتفى آثارهم، تالله لقد نصروا الدين ووطدوا قواعد الملة وفتحوا القلوب والأوطان وجاهدوا في الله حق جهاده فرضي عنهم وأرضاهم.

قوله: (من فضائلهم): هو جمع فضيلة وهو الخصلة الجميلة التي يحصل لصاحبها بسببها شرف وعلو منزلة، انتهى.

قوله: (ومراتبهم): جمع مرتبة والمرتبة بالضم هي المنزلة، والمكان، وفيه جواز المفاضلة بين الصحابة، وهو الذي تدل عليه الأدلة، وبه قال الجمهور، فعند أهل السنة أفضل الصحابة أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة ثم أهل بدر ثم بيعة الرضوان ثم أحد ثم بقية الصحابة ثم باقي الأمة أفضل من سائر الأمم كما قال تعالى: ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ الآية، وفي السنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**».

قوله: ﴿ **من أنفق من قبل الفتح** ﴾: وهؤلاء هم السابقون من المهاجرين والأنصار والمذكورون في قوله: ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار...** ﴾ الآية، فالسابقون: هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم قال تعالى: ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى** ﴾. أي لا يستوي في الأجر والثواب من أنفق ماله في سبيل الله ونصرة رسوله قبل الفتح ومن أنفق بعده، وذلك أن الإنفاق قبل الفتح في حال شدة وضعف، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون، أما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ودخل

الناس فى دين الله أفواجاً، والمراد هنا بالفتح هو: صلح الحديبية كما أشار إليه المصنف.

وفى صحيح البخارى عن أنس فى قوله تعالى: ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبينا**﴾ هو صلح الحديبية. وعن البراء: « أنتم تعدون الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية» ذكره البخارى، وسئل النبى ﷺ عن صلح الحديبية أفتح هو؟ قال: « نعم ». قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: وأهل العلم على أنه أنزل فيه ـ أى صلح الحديبية ـ ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾، قال وهذه الآية نص على تفضيل المنفقين المقاتلين قبل الفتح على المنفقين بعده، ولهذا ذهب جمهور العلماء إلى أن السابقين فى قوله، والسابقون الأولون هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وذهب بعضهم إلى أن السابقين من صلى إلى القبلتين وهذا ضعيف، وأطال الكلام فى رد هذا القول فى كتابه المنهاج، انتهى. وكانت بيعة الرضوان عام الحديبية سنة ست من الهجرة، وبذلك الصلح حصل من الفتح والخير ما لا يعلمه إلا الله، مع أنه كرهه خلق كثير من المسلمين، ولم يعلموا ما فيه من حسن العاقبة، وكان عدد الصحابة الذين بايعوا النبى ﷺ تحت الشجرة أكثر من ألف وأربعمائة وهم الذين فتحوا خيبر، وسورة الفتح أنزلها الله قبل فتح مكة، إنما سمى صلح الحديبية فتحاً؛ لما حصل فية من الخير الكثير الذى لا يعلمه إلا الله. قال فى الهدى: وسمى صلح الحديبية فتحاً فى اللغة عبارة عن فتح المغلق والصلح الذى حصل مع المشركين فى الحديبية كان بابه مسدودا مغلقا حتى فتحه الله، انتهى. وقال ابن كثير رحمه الله: والجمهور على أن المراد بالفتح ها هنا: فتح مكة. ا. هـ.

قوله: (**الحديبية**): كدويهية وقد تشدد، بئر قرب مكة انتهى. قاموس، فى هذه الآية دليل على أن الصدقة ـ وكذلك سائر الأعمال ـ تتفاضل بحسب الزمان والمكان، وفيها دليل على فضل النفقة فى سبيل الله وفضل الجهاد فى سبيل الله، وفيها دليل على تفاضل الصحابة رضوان الله عليهم، واستدل بهذه الآية على أن الصحابة كلهم من أهل الجنة، قال ابن حزم: الصحابة من أهل الجنة قطعاً واستدل

بهذه الآية.

قوله: (ويقدمون المهاجرين على الأنصار): وذلك لما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة كما قال سبحانه: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار**﴾، وقال: ﴿**للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم**﴾ الآية.

قوله:(والمهاجرين): وهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، انتهى. قسطلانى، وقال فى الفتح: والمراد بالمهاجرين من عدا الأنصار، ومن أسلم يوم الفتح وهلم جرا. اهـ.

والهجرة هنا **لغة**: الترك، **وشرعاً**: هو الانتقال من بلد الشرك أو بلد تغلب فيه أحكام البدع المضلة إلى بلد الإسلام أو السنة.

قوله: (الأنصار): أى أنصار رسول الله ﷺ، المراد بهم الأوس والخزرج، وكانوا يعرفون قبل ذلك ببنى قيلة، وهى الأم التى تجمع القبيلتين، فسماهم الرسول ﷺ الأنصار، فصار ذلك علماً عليهم، وخصوا بهذه المنقبة العظمى دون غيرهم من القبائل لما فازوا به من إيواء النبى ﷺ ومن معه والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم، والأحاديث فى فضل الأنصار كثيرة، كحديث أن النبى ﷺ قال: «**آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار**».

قوله: (ويؤمنون بأن الله...) إلخ: كما روى الحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم**»، وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه أن غلاماً لحاطب قال: ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «**كذبت إنه شهد بدراً والحديبية**»،وفى الصحيح من حديث على رضى الله عنه فى قصة كتاب حاطب بن أبى بلتعة لقريش يخبرهم بخروج النبى ﷺ،فقال عمر رضى الله عنه: دعنى أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «**إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم**» رواه الإمام أحمد.

قوله: « لعل الله اطلع»: الحديث،صرح العلماء بأن الترجى المذكور فى كلام الله وكلام رسوله للوقوع،وقد وقع عند أحمد وأبى داود وغيرهم فى حديث أبى

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر النبى ﷺ بل قد رضى الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، ونشهد بالجنة لمن شهد له الرسول ﷺ كالعشرة.

هريرة بالجزم، ولفظه: «**أن الله اطلع على أهل بدر...**» الحديث، وفى هذه الأحاديث دليل على فضيلة أهل بدر وبشارة عظيمة لهم. قال النووى فى شرح مسلم، قال العلماء رحمهم الله: معناه الغفران لهم فى الآخرة، فإن توجه على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه فى الدنيا. ونقل القاضى عياض: الإجماع على إقامة الحد وأقامه عمر على بعضهم، وقال وضرب النبى ﷺ مسطحا وكان بدرياً، انتهى.

قوله:(وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر): أى عدة أهل بدر كما روى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: كنا أصحاب رسول الله ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين عبروا معه النهر ولم يجاوزه معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة، وبدر قرية مشهورة على نحو أربع مراحل من المدينة المنورة، وسميت الوقعة باسم موضعها الذى وقعت فيه، ووقعة بدر من أشهر الوقائع التى أعز الله بها الإسلام وقمع بها عبدة الأصنام.

وكانت وقعة بدر نهار الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان من السنة الثانية من الهجرة، واستشهد فيها من المسلمين أربعة عشر نفساً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، وقتل من الكفار سبعون.

قوله:(وبأنه لا يدخل النار) إلخ: قال الله تعالى: ﴿**لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين أتبعوه فى ساعة العسرة**﴾: وقال تعالى: ﴿**لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾ الآية، وفى صحيح مسلم من حديث جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»، وفى الصحيحين وغيرهما من حديث جابر رضى الله عنه قال: كنا فى الحديبية ألفاً وأربعمائة، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أنتم خير أهل الأرض**» أفاد هذا الحديث أن عدد من بايع تحت الشجرة ألف وأربعمائة، وفى رواية من حديث جابر أنهم ألف وخمسمائة، وفى حديث البراء أنهم ألف وأربعمائة أو أكثر، وجمع بين هذه الروايات بأن من قال ألف وخمسمائة جبر الكسر، ومن قال ألف وأربعمائة ألغاه، وكان سبب هذه البيعة أنه ﷺ قصد مكة ليعتمر فصده المشركون، وكان قد بعث عثمان رضى الله عنه إلى مكة فشاع أن عثمان قتل، فطلب ﷺ البيعة فبايعوه تحت

الشجرة، ثم صالح المشركين صلح الحديبية المعروف، وذلك فى سنة ست من الهجرة فى ذى القعدة، ثم رجع بهم إلى المدينة وغزا بهم خيبر ففتح الله عليهم فى أول سنة سبع وقسمها بينهم.

قوله:(شجرة): هى شجرة خضراء من سدر كانت البيعة تحتها، ويقال لها شجرة البيعة، ولما كان فى خلافة عمر رأى أناساً يذهبون إليها فيصلون تحتها، فقطعها رضى الله عنه مخافة الفتنة بها واختفى مكانها. وأما الحديبية فهى قريبة من مكة أكثرها فى الحرم، والحديبية بئر كانت هناك وسمى المكان بها، بينها وبين مكة نحو مرحلة واحدة، ومن المدينة تسع مراحل.

قوله:(ونشهد بالجنة...) إلخ، أى ويشهد أهل السنة والجماعة بالجنة لمن شهد له الرسول ﷺ كالعشرة وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح وطلحة، كما روى الترمذى فى جامعه عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة والزبير بن العوام فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبى وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة**»، ورواه أحمد فى مسنده والضياء عن سعيد بن زيد، وتبشير النبى ﷺ العشرة بالجنة لا ينافى مجىء تبشير غيرهم فى أخبار أخرى، لأن العدد لا ينفى الزائد.

وعن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين**»، أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه وأخرجه أبو يعلى والضياء فى المختارة عن أنس، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط عن جابر وأبى سعيد، وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم خلافاً للرافضة الذين يبغضونهم ويسبونهم، بل يكرهون لفظ العشرة أو فعل شىء يكون فيه عشرة ويتشاءمون به لموافقته لاسم العشرة المبشرة بالجنة لكنهم يستثنون علياً رضى الله عنه، ولديهم من الجهالات والعوائد الذميمة وسفاهة العقول ما يقضى بعزلهم عن زمرة العقلاء، وإلا فما ذنب هذا النوع من العدد؟! لكنه البغض المتأصل والعداوة البالغة لخيار المؤمنين وساداتهم، وأفضل قرونهم رضوان الله عليهم أجمعين.

وثابت بن قيس، وغيرهم من الصحابة.

قوله: (وثابت بن قيس): هو خطيب رسول الله ﷺ كما رواه البخارى فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل يارسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده فى بيته منكساً رأسه، فقال له: ما شأنك؟ قال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبى ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار، فأتى الرجل النبى ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا، قال فرجع إليه المرة الأخيرة فأخبره ببشارة عظيمة، فقال: « **اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة**»، تفرد به البخارى من هذا الوجه، وفى رواية أحمد عن أنس: فكنا نراه يمشى بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، ورواه مسلم بلفظ آخر، ورواه ابن جرير وغيره وروى ابن أبى حاتم عن ثابت عن أنس فى قصة ثابت بن قيس فقال فى آخرها: فكنا نراه يمشى بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة كان فى بعضنا بعض الانكشاف، فأقبل قد تكفن وتحنط، فقاتل حتى قتل رضى الله عنه .

قوله: (وغيرهم من الصحابة): وذلك كعبد الله بن سلام والحسن فقد شهد النبى للمذكورين، كما روى البخارى فى صحيحه عن سعد بن أبى وقاص قال: ماسمعت النبى ﷺ يقول لأحد يمشى إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، وفى حديث أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺقال: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»، وفى حديث عكاشة بن محصن: لما ذكر السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب، فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «**أنت منهم...**» الحديث، ولا يشهد لغير من شهد له النبى ﷺ بجنة ولا نار؛ لأنه لا يعلم ماذا يختم له به، وألحق بعض العلماء بمن تقدم من اتفقت الأمة على الثناء عليه كعمر بن عبد العزيز والحسن البصرى وغيرهما، وكان أبو ثور يشهد لأحمد ابن حنبل بالجنة، وفى المسند: «**يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار**»، قالوا: بماذا يارسول الله؟ قال: «**بالثناء الحسن والثناء السيئ**» .

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ مر عليه بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال: «**وجبت**»، ومر عليه بجنازة فأثنوا عليها شراً فقال: « **وجبت**»، فقيل يارسول الله ماقولك وجبت؟ فقال: «**هذه الجنازة أثنيتم عليها بالخير فقلت وجبت لها الجنة، وهذه الجنازة أثنيتم عليها شراً فقلت وجبت لها النار، أنتم شهداء الله فى الأرض**».

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ويثلثون بعثمان ويربعون بعلى، رضى الله عنهم كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان فى البيعة.

قوله: (ويقرون): الإشارة للرد على الرافضة الذين يفضلون عليا على أبى بكر وعمر، ويطعنون فى خلافتهما، ويزعمون أن عليا أفضل منهما، وأن النبى ﷺ أوصى إليه، وقد سئل على عن ذلك فأنكر ذلك، كما روى الإمام أحمد والبخارى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر. قال الحافظ الذهبى: هذا متواتر، والروافض تكذب هذه الأخبار - لعنهم الله- ما أجهلهم وأضلهم.

وقال فى الفتاوى للشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله: وقد روى عن على من نحو من ثمانين وجها أو أكثر أنه قال على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، وقال فى المنهاج: وروى الترمذى عنه أنه سمع ذلك من النبى ﷺ، ولا ريب أن علياً لا يقطع بذلك إلا عن علم، وروى عنه أنه قال: لا أوتى بمن يفضلنى على أبى بكر وعمر إلا جلدته جلد المفترى.

وروى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: كان أبو بكر أعلمنا برسول الله ﷺ، وروى الترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر: «**هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا الأنبياء والمرسلين**»، وروى أبو الدرداء عن النبى ﷺ أنه قال: «**ما طلعت شمس ولاغربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبى بكر وعمر**»، وذكر الشيخ تقى الدين بن تيمية فى غير موضع من كتبه اتفاق العلماء على أن أعلم الصحابة أبو بكر ثم عمر.

وذكر الإمام السمعانى أحدالأئمة الستة فى كتاب تقويم الأدلة: أجمع علماء السنة على أن أبا بكر أعلم من على، قال الشيخ تقى الدين بن تيمية: وما علمت أحداً من الأئمة المشهورين ينازع فى ذلك. ا هـ.

قوله: (ويثلثون بعثمان ويربعون بعلى) : أى يكملون بعثمان ثلاثة ويكملون بعلى أربعة، فالخلفاء الأربعة على هذا الترتيب فى الفضل والخلافة، كما روى

الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنه قال: كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، وفى لفظ: يبلغ ذلك النبى ﷺ ولا ينكره، وقال أبو أيوب السختيانى وأحمد بن حنبل والدارقطنى وغيرهم: من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، فهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون، كما فى حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه: «**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور...**» الحديث.

قوله: (وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان فى البيعة): فإن الصحابة رضوان الله عليهم اختاروه وأجمعوا على بيعته، كما فى حديث عبد الرحمن بن عوف أنه قام ثلاثاً لم يغتمض فيها بنوم يشاور الأولين والتابعين لهم بإحسان، وشاوروا أمراء الأنصار، فأشار عليه المسلمون بولاية عثمان رضى الله عنه، وهذا من الأدلة الدالة على أن عثمان أفضل؛ لأنهم قدموه باختيارهم وأجمعوا عليه كما تقدم من قول أبى أيوب وأحمد والدارقطنى، وغيرهم من الأئمة: من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، فأفضل الأمة أبو بكر بإجماع أهل السنة، ولا ينازع فى ذلك إلا زائغ، واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تميم بن مرة، الصديق لقبه النبى ﷺ بذلك، وهو أول الناس إيماناً وتصديقا للنبى ﷺ على المشهور عند أهل السنة، وقيل: أول الناس إسلاما علىّ وقيل غير ذلك.

وروى عن الإمام أبى حنيفة أنه قال: الأورع أن يقال أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، ومن الصبيان علىّ، ومن النساء خديجة، ومن الموالى زيد ابن حارثة، ومن العبيد بلال، وهكذا روى عن إسحاق بن راهويه، وهذا من أحسن ماقيل لجمعه الأقوال، وأبو بكر أول من ولى الخلافة وأحق الناس بها وأول من سمى خليفة.

قال الإمام الشافعى: خلافة أبى بكر قضاها الله فى سمائه، وجمع عليها قلب نبيه، وقال ابن القيم رحمه الله فى الأعلام: ولا يحفظ لأبى بكر الصديق خلاف نص واحد أبداً، ولا يحفظ له فتوى ولا حكم مأخذها ضعيف، وهو تحقيق فى كون خلافته خلافة نبوة، انتهى.

صحب أبو بكر النبى ﷺ من حين أسلم إلى أن توفى وشهد معه المشاهد كلها، ومناقبه أشهر من أن تذكر، توفى وله ثلاث وستون سنة، وكانت خلافته سنتين وأشهر، ودفن بجنب النبى ﷺ. ثم بعد أبى بكر عمر فى الفضل وهو عمر ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب يجتمع مع النبى ﷺ فى كعب بن لؤى، سماه النبى ﷺ الفاروق لفرقه بين الحق والباطل، أسلم فى السنة السادسة من البعثة وعمره سبع وعشرون سنة، ومناقبه أشهر من أن تذكر، وكناه النبى ﷺ بأبى حفص وهو لغة الأسد، وهو أول من سمى أمير المؤمنين لا ستثقالهم خليفة خليفة رسول الله، ولي الخلافة بعد الصديق سنة ثلاثة عشر، وقام بها أتم قيام، وكثرت الفتوح فى مدة خلافته رضى الله عنه، وهو أفضل هذه الأمة بعد أبى بكر رضى الله عنه بإجماع السلف، وسيرة عمر قد أفردها بعض العلماء بالتأليف وبلغت مجلدات، وعدله يضرب به المثل، فيقال سيرة العمرين، والعمران أبو بكر وعمر، وقيل لهما العمران تغليبا مثل مايقال القمران للشمس والقمر والأبوان للأب والأم، مات رضى الله عنه شهيداً طعنه أبو لؤلؤة فى المسجد سنة ثلاثة وعشرين ودفن بالحجرة النبوية بجنب أبى بكر مع النبى ﷺ.

ثم بعد عمر فى الفضل عثمان بن عفان بن الحارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ولد فى السنة السادسة من الفيل، وأسلم قديما وهاجر الهجرتين، وتزوج بنتى النبى ﷺ فسمى ذو النورين، وجمع رضى الله عنه القرآن وجهز جيش العسرة، ولى الخلافة بعد عمر بإجماع الصحابة رضى الله عنهم وفضائله كثيرة، استشهد فى داره سنة خمس وثلاثين وله بضع وثمانون سنة، تجمعت أوباش وأنذال من أوباش العراق ومصر والشام فحاصروه فى بيته، وأخيراً اقتحموا عليه وقتلوه شهيداً رضى الله عنه.

ثم بعد عثمان فى الفضل على بن أبى طالب رضى الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ وزوج بنته فاطمة الزهراء، ومناقبه كثيرة، بايعه الناس بعد قتل عثمان رضى الله عنهما، واتفق السلف على فضله وخلافته بعد عثمان.

قال الإمام أحمد رحمه الله: عليّ رابعهم فى الخلافة والتفضيل، وهو أول خليفة من بنى هاشم، وقيل: إنه أول من أسلم ونقل بعضهم الإجماع عليه،

مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا فى عثمان وعلى رضى الله عنهما، بعد اتفاقهم على تقديم أبى بكر وعمر ـ أيهما أفضل فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلى، وقدم قوم علياً، وقوم توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم على.

وتقدم الكلام فى أول من أسلم فى مناقب أبى بكر الصديق، ومناقبه كثيرة وفضائله شهيرة، حتى قال أحمد بن حنبل: ماجاء لأحد من الفضائل ماجاء لعلى رضى الله عنه، مات ليلة الأحد لتسع عشرة مضت من رمضان سنة أربعين، قتله عبد الرحمن بن ملجم قبحه الله، وعمره ثلاثة وستون سنة وخلافته خمس سنين إلا نحو أربعة أشهر.

قوله: (مع أن بعض أهل السنة) إلخ: فروى عن أبى حنيفة تقديم علىّ على عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان، وكذلك روى عن سفيان الثورى تقديم علىّ على عثمان، ويقال إنه رجع عنه لما اجتمع به أبو أيوب السختيانى، وقال من قدم علياً على عثمان فقد أرزى بالمهاجرين والأنصار، وقيل لا يفضل أحدهما على الآخر، قال مالك فى المدونة وتبعه جماعة منهم يحيى القطان، ومن المتأخرين ابن حزم والذى عليه جمهور أهل السنة بل استقر أمر أهل السنة عليه تقديم عثمان على علىّ رضى الله عنهما كما أشار إليه المصنف، قال فى المنهاج: وسائر أئمة أهل السنة على تقديم عثمان، وهو مذهب جماهير أهل الحديث وعليه يدل النص والإجماع والاعتبار، انتهى.

وفى الصحيح عن ابن عمر قال: كنا نقول ورسول الله حى: أفضل أمة النبى ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على، وفى لفظ: يبلغ ذلك النبى ﷺ ولا ينكره، وقال عبد الرحمن بن عوف لعلى رضى الله عنه إنى نظرت أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، وقال أبو أيوب: من لم يقدم عثمان علىّ على فقد أرزى بالمهاجرين والأنصار وقد تقدم، وهذا دليل على أن عثمان أفضل لأنهم قدموه باختيارهم واشتوارهم، وعلى رضى الله عنه من جملة من بايع عثمان وغزا معه وكان يقيم الحدود بين يديه.

قوله:(بعد اتفاقهم) إلخ: أى أن أهل السنة متفقون على تقديم أبى بكر وعمر على عثمان،وذلك لما لأبى بكر وعمر من الفضائل التى لم يشاركهما فيها أحد من

وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعليّ ليست من الأصول التى يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن التى يضلل فيها مسألة الخلافة، وذلك إنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على.

ومن طعن فى خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله.

الصحابة لا عثمان ولا على ولا غيرهما، وهذا كان متفقاً عليه فى الصدر الأول إلا أن يكون خلاف شاذ لا يعبأ به.

قوله:(وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان)إلخ: أى مسألة التفضيل بينهما لوجود الخلاف، فقد قال بعض أهل السنة بتقديم عليّ، والبعض توقف، وأما من حكى الإجماع على تفضيل عثمان فقد غلط، فالخلاف موجود فلذا لايضلل المخالف.

قوله:(التى يضلل فيها) إلخ: أى ينسب إلى الضلال هى مسألة الخلافة، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق لفضله وسابقته وتقديم النبى ﷺ له على جميع الصحابة، وإجماع الصحابة على ذلك، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة.

ثم أحقهم بالخلافة بعد أبى بكر عمر رضى الله عنهما، وذلك لفضله وعهد أبى بكر إليه واتفاق الأمة بعده عليه، ثم عثمان رضى الله عنه لتقديم أهل الشورى له واتفاق الأمة عليه. قال الإمام أحمد: ما اجتمعوا على بيعة مااجتمعوا على بيعة عثمان رضى الله عنه، ثم عليّ لفضله وإجماع أهل عصره عليه، ولا شك أن علياً هو الخليفة فى زمانه خلافة نبوة، كما دل على ذلك حديث سفينة الذى سيأتى. وقال الإمام أحمد رحمه الله عليّ رابعهم فى الخلافة والتفضيل، وأما معاوية فهو من العدول الفضلاء والصحابة النجباء رضى الله عنهم، فهؤلاء هم الخلفاء الأربعة المشار إليهم فى حديث العرباض بن سارية: «**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ...**» الحديث.

قوله: (من طعن فى خلافة واحد منهم) إلخ: لمخالفته النصوص الصريحة والإجماع ولم يخالف فى ذلك إلا ضال زائغ.

قال الإمام أحمد رحمه الله: من فضل علياً على أبى بكر وعمر وقدمه عليهما فى الفضيلة والإمامة دون النسب فهو رافضى مبتدع فاسق، ذكره القاضى أبو يعلى وتبرأ الإمام أحمد ممن ضللهم أو أحداً منهم، وقال الإمام أحمد: من لم يربع بعلى فى الخلافة فهو أضل من حمار أهله، واحتج الإمام أحمد بحديث سفينة عن النبى ﷺ قال: «**تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة، ثم تكون ملكا**»، وآخر الثلاثين خلافة علىّ رضى الله عنه مع أيام ابنه الحسن، وكانت ستة أشهر وشيئاً وروى حديث سفينة أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره، فترتيب الخلفاء فى التفضيل والخلافة كما ذكره المصنف خلافاً للرافضة من الشيعة وغيرهم الذين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد نص على خلافة على، وهذا من أعظم الكذب والافتراء، والأدلة على بطلان هذه الدعوى لا تحصى، بل قد سئل على رضى الله عنه عن ذلك فأنكره، قال النووى: وأما ماتدعيه الشيعة من النص على علىّ والوصية إليه فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين، وأول من كذبهم علىّ رضى الله عنه، ثم ذكر ما روى البخارى عن أبى جحيفة قال: قلت لعلىّ رضي الله عنه: هل عندكم من الوحى شىء غير القرآن؟ قال: لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يعطيه الله رجلا فى القرآن، وما فى هذه الصحيفة، قلت: وما فى هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر، وروى مسلم عن الأسود بن يزيد قال: ذكروا عند عائشة أن علياً كان وصياً، فقالت: متى أوصى إليه فقد كنت مسندته ـ تعنى النبى ﷺ ـ إلى صدرى فدعى بالطست فلقد انخنث فى حجرى وماشعرت إنه مات، فمتى أوصى إليه، إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على بطلان ماتزعمه الشيعة من أنه أوصى إليه أو أن لدى أهل البيت شىء من العلم لاسيما علىّ لم يطلع عليه أحد غيره، وقد أطال فى المنهاج فى رد هذا وإبطاله بأدلة واضحة صريحة ـ إلى أن قال ـ وأما النص الذى تدعيه الرافضة فهو كالنص الذى تدعيه الراوندية على العباس وكلاهما معلوم الفساد بالضرورة عند أهل العلم ولو لم يكن فى إثبات خلافة علىّ إلا هذا لم تثبت له إمامة، كما لم تثبت للعباس إمامة بنظيره . اهـ.

ويحبون أهل بيت رسول الله ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خم :« أذكركم الله فى أهل بيتى».

قوله: (**ويحبون أهل بيت رسول الله**)إلخ: أى أن أهل السنة والجماعة يحبون أهل بيت الرسول ﷺ ويتولونهم ويحترمونهم ويكرمونهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ فاحترامهم ومحبتهم والبر بهم من توقيره واحترامه ﷺ وامتثالا لما جاء به الكتاب والسنة من الحث على ذلك ، قال تعالى: ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى**﴾ وقد تكاثرت الأحاديث بالأمر بذلك والحث عليه، قال ابن كثير رحمه الله بعد كلام : ولا ننكر الوصاية بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة وأشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسبا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلى رضى الله عنه وأهل بيته وذويه، وأهل البيت هم آل النبى ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة، كما فسر ذلك راوى الحديث وهم آل على وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وبنو الحارث ابن عبد المطلب كما جاء تفسيره فى صحيح مسلم، وكذلك أزواج النبى ﷺ من أهل بيته كما دل عليه سياق آية الأحزاب، كما قرر ذلك الشيخ تقى الدين وابن القيم وغيرهما ، انتهى، وأفضل أهل بيته علىّ وفاطمة والحسن والحسين الذى أدار عليهم الكساء وخصهم بالدعاء، ذكره الشيخ تقى الدين رحمه الله تعالى.

قوله:(**ويحفظون فيهم وصية رسول الله**)الخ:أى أن الرسول أوصى باحترامهم والإحسان إليهم وإكرامهم كما فى الحديث الذى ذكره المصنف.

قوله (**حيث قال يوم غدير خم**) الحديث. قوله (**خم**) بضم الخاء وتشديد الميم هو اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة وهو غدير مشهور يضاف إلى الغيضة فيقال غدير خم، والغيضة الشجر الملتف، والحديث رواه مسلم فى صحيحة عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيبا بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «**أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب، وإنى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**» فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ثم قال: «**وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى**

وقال أيضاً للعباس عمه، وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفوا بني هاشم، فقال: « والذى نفسى بيده لا يؤمنون حتى يحبونكم لله ولقرابتى».

أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى»، فقال حصين: ومن أهل بيته يازيد أليس نساؤه من أهل بيته؟قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال من هم؟قال: هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضى الله عنهم، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم، وروى هذا الحديث أحمد وغيره وقد رواه الترمذى وزاد فيه وإنهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: وقد طعن غير واحد من الحفاظ في هذه الزيادة، وقال: إنها ليست من الحديث، فهذا الحديث فيه الوصية بأهل البيت والحث على احترامهم وإكرامهم.

قوله: (أذكركم الله فى أهل بيتى): أى أذكركم الله، أى ما أمر به من احترامهم وإكرامهم والقيام بحقهم. قوله ثلاثاً: مبالغة فى الحث على ذلك وكرره للتأكيد قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: وهذا اليوم الذى خطب النبى ﷺ فى هذا الغدير المشهور هو ثامن عشر ذى الحجة، مرجعه من حجة الوداع، وقد زاد أهل الأهواء فى ذلك وزعموا أنه عهد إلى علىّ رضى الله عنه بالخلافة، وذكروا كلاماً طويلا باطلا، وزعموا أن الصحابة تمالئوا على كتمان هذا النص وغصبوا الوصى حقه، وفسقوا وكفروا إلا نفراً قليلا وقد جعل أهل البدع هذا اليوم عيداً، وهذا ابتداع فى الدين إذ الأعياد شريعة من الشرائع فيجب فيها الاتباع لا الابتداع، ولم يكن فى السلف ، لا من أهل البيت ولا من غيرهم من اتخذ ذلك عيداً، انتهى من الاقتضاء .

قوله: (وقال أيضاً للعباس) إلخ: هذا الحديث رواه الإمام أحمد وغيره عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت يارسول الله إن قريشا إذا لقى بعضهم بعضاً لقوهم ببشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها، فغضب النبى ﷺ غضباً شديداً وقال: **«والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله»** رواه أحمد وفى لفظ ثم قال: **«يا أيها الناس من آذى عمى فقد آذانى، فإنما عم الرجل صنو أبيه»**. رواه الترمذى وقال حسن صحيح.

وقال « إن الله اصطفى من بنى إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بن هاشم واصطفانى من بنى هاشم».

قوله: (العباس) : هو ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عم رسول الله ﷺ ووالد الخلفاء العباسيين، وكان أسن من النبى ﷺ بسنتين أو ثلاث وكان إسلامه على المشهور قبل فتح مكة وكنيته أبو الفضل، ومات فى خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين وله بضع وثمانون سنة، وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع رضى الله عنه .

قوله:(وقد اشتكى إليه): من الشكوى وهو أن تخبر عن مكروه أصابك . انتهى نهاية **قوله :يجفوا**: الجفاء: ترك البر والصلة انتهى نهاية .

قوله:(والذى نفسى بيده) فيه الحلف على الفتيا ، وفيه دليل على دخول الأعمال فى مسمى الإيمان، وهذا قول أهل السنة والجماعة. **قوله:(لايؤمنون)**: الحديث، هذا نفى لكمال الإيمان الواجب، ففيه دليل على عظيم حقهم ووجوب احترامهم والتحذير من بغضهم والترغيب فى حبهم حتى نفى الإيمان عمن لايحبهم، وفيه أن محبة أهل البيت وقرابة النبىﷺمن محبتهﷺواحترامه وإكرامه، وفيه دليل على فضل قرابة النبى ﷺ.

قوله:(ولقرابتى): قرابة النبىﷺ من ينسب إلى جده الأقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبى ﷺ أو رآه من ذكر أو أنثى، انتهى فتح البارى. وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : ارقبوا محمداً فى أهل بيته. وفى الصحيح أن الصديق قال لعلى رضى الله عنه: والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلىّ أن أصل من قرابتى، وقال عمر بن الخطاب للعباس: والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلم، لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب.

قوله:(إن الله) إلخ: هذا الحديث رواه أحمد ومسلم عن واثلة بن الأسقع بلفظ: « **إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم** » ورواه أيضا الترمذى بلفظ «**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة**» الحديث، قال الترمذى :حسن صحيح.

قوله: (اصطفى): أى اختار، والصفوة الخيار فى هذا الحديث دليل على

شرف نسبه ﷺ ودليل على فضله ﷺ وأنه أفضل الخلق على الإطلاق، وروى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: « **أنا سيد ولد آدم ولا فخر** »، وقال ابن عباس رضى الله عنه: «**إن الله فضل محمداً على أهل السماء وعلى الأنبياء**» رواه البيهقى، وفى هذا الحديث إشارة إلى فضل إسماعيل على سائر إخوته، وهذا الحديث صريح فى أنه ﷺ من ذرية إسماعيل ولا خلاف فى ذلك فهو ﷺ محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وفيه دليل على فضل العرب وأنهم أفضل من غيرهم، وفيه أن محبتهم دين؛ لأن الحب والبغض يتبع الفضل، وقد روى حب العرب إيمان وبغضهم نفاق وكفر، وقد احتج بهذا الحديث حرب الكرمانى وغيره، فقال حرب فى وصفه للسنة التى قال فيها: هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها، وساق كلاماً طويلا إلى أن قال: ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله ﷺ «**حب العرب إيمان وبغضهم نفاق**» ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالى الذين لا يحبون العرب ولا يقرون بفضلهم، فإن قولهم بدعة وخلاف، انتهى من اقتضاء الصراط المستقيم ملخصاً.

وقال الشيخ تقى الدين أيضا: الذى عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم، عبرانيهم وسريانيهم، رومهم وفرسهم وغيرهم، وأن قريشا أفضل العرب، وأن بنى هاشم أفضل قريش، وأن رسول الله ﷺ أفضل بنى هاشم، فهو أفضل الخلق نفسا وأفضلهم نسبا، انتهى من اقتضاء الصراط المستقيم. قال النووى رحمه الله: واستدل به أصحابنا على أن غير قريش من العرب ليس بكفء لهم ولا غير بنى هاشم كفؤ لهم، إلا بنى المطلب فإنهم هم وبنو هاشم شيء واحد كما صرح به الحديث. ا.هـ.

قوله: (ويتولون أزواج رسول الله) إلخ: أى أن أهل السنة والجماعة يتولون جميع أزواج رسول الله الطاهرات المبرءات من كل سوء ويترضون عنهم ويعظمون قدرهن ويعرفون فضلهن ويتبرؤوا ممن آذاهن أو سبهن.

قوله:(أزواج):جمع زوج، وقد يقال زوجه والأول أفصح كما قال الله سبحانه: ﴿ **اسكن أنت وزوجك الجنة**﴾ الآيه.

قوله: (أمهات المؤمنين): أى فى الاحترام والتعظيم وتحريم نكاحهن على التأبيد لا فى النظر والخلوة بهن فإنه يحرم فى حقهن كالأجانب،قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم**﴾أى فى الاحترام والتعظيم، فيجب احترامهن وتعظيمهن ويحرم الطعن فيهن وقذفهن لاسيما عائشة أم المؤمنين فمن قذفها بما برأها الله منه فهو كافر،وأما من قذف غيرها من نساء النبى ففيه قولان: قال ابن كثير: والأصح إنهن كعائشة رضى الله عنهن أجمعين.

قوله:(ويؤمنون بأنهن أزواجه فى الآخرة):وذلك لما فى صحيح البخارى وغيره: لما بعث على عماراً والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم خطب عمارا فقال: إنى لأعلم أنها زوجته - أى عائشة - فى الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها وعند ابن حبان من طريق سعيد بن كثير عن أبيه حدثتنا عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال لها: « **ترضين أن تكونى زوجتى فى الدنيا والآخرة**» وفي حديث سودة لما أراد النبى ﷺ فراقها أنها قالت: يارسول الله والله مالى بالرجال من حاجة ،ولكن أحب أن أبعث مع نسائك يوم القيامة، الحديث.

وأول زوجاته ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد، تزوجها رسول الله بمكة وهو ابن خمس وعشرين سنة،وبقيت معه إلى أن أكرمه الله برسالته فآمنت به ونصرته، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، ومن خصائصها رضى الله عنها أنهﷺ لم يتزوج عليها غيرها، وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم فإنه من سريته ماريه، ومنها أنها خير نساء الأمة، واختلف فى تفضيلها على عائشة على ثلاثة أقوال: منها: أن الله بعث إليها السلام مع جبريل فبلغها النبى ﷺ ذلك، ومنها: أنها لم تسؤه قط ولم تغاضبه ولم ينلها منه إيلاء ولا عتب قط ولا هجر، ومنها:أنها أول امرأة آمنت بالله ورسوله من هذه الأمة،فلما توفاها الله تزوج بعدها سودة بنت زمعة وكبرت عنده وأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة وهذه من خصائصها،وتزوج الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنها وهى بنت ست قبل الهجرة بسنتين، وبنى بها الرسول أول مقدمه فى السنة الأولى وهى بنت تسع، ومات عنها وهى بنت ثمانية عشر سنة، وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وأوصت أن

يصلى عليها أبو هريرة سنة ثمانية وخمسين، ومن خصائصها أنها أحب أزواج النبى ﷺ إليه، وأنه لم يتزوج بكراً غيرها وأنه كان ينزل عليه الوحى فى لحافها، وأن الله لما أنزل آية التخيير بدأ بها فخيرها، وأن الله برأها مما رماها به أهل الإفك، وأن أكابر الصحابة كان إذا أشكل عليهم الأمر استفتوها فيجدون علمه عندها، وأن رسول الله ﷺ توفى فى بيتها وفى يومها وبين سحرها ونحرها، ودفن فى بيتها، وأن الملك أرى صورتها للنبى ﷺ قبل أن يتزوجها فى سرقة حرير، وأن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يومها من رسول الله تقربا إلى رسول الله ﷺ: وتزوج رسول الله حفصة بنت عمر بن الخطاب وتوفيت قبل سنة سبع، وقيل: ثمانية وعشرين، وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبى سفيان، واسمها رملة وتزوجها رسول ﷺ وهى بأرض الحبشة وأصدقها عنه النجاشى أربعمائة دينار، وولى نكاحها عثمان بن عفان، وتزوج الرسول أم سلمة واسمها هند بنت أبى أمية، وتوفيت قبل سنة اثنين وخمسين، ودفنت بالبقيع، وهى آخر أزواج النبى ﷺ موتاً، وقيل: ميمونة، وتزوج الرسول ﷺ زينب بنت جحش وكانت قبل عند مولاه زيد بن حارثة فطلقها، فزوجها الله إياه من فوق سبع سموات، وأنزل الله عليه: ﴿**فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها**﴾ وهذا من خصائصها، وتوفيت بالمدينة سنة عشرين ودفنت بالبقيع .

وتزوج الرسول ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية، تزوجها الرسول سنة ثلاث من الهجرة، وكانت تسمى أم المساكين ولم تلبث عند رسول الله إلا يسيراً شهرين أو ثلاثة وتوفيت، وتزوج رسول الله ﷺ جويرية ابنة الحارث من بنى المصطلق وكانت سبيت فى غزوة بنى المصطلق فوقعت فى سهم ثابت بن قيس فكاتبها فقضى رسول الله ﷺ كتابتها وتزوجها سنة ست من الهجرة، وتوفيت سنة ست وخمسين، وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيى من ولد هارون بن عمران أخى موسى سنة سبع فإنها سبيت من خيبر، توفيت سنة ست وثلاثين، وقيل: سنة خمسين، ومن خصائصها أن رسول الله ﷺ أعتقها وجعل عتقها صداقها، وتزوج رسول الله ميمونة بنت الحارث الهلالية، تزوج بها فى سرف وبنى بها بسرف وماتت بسرف، وسرف على سبعة أميال من مكة، وميمونة آخر من تزوج النبى ﷺ من أمهات المؤمنين، توفيت سنة ثلاث وستين، فهؤلاء جملة من دخل بهن من النساء، وهن إحدى عشرة .

خصوصا خديجة رضى الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية.

قال الحافظ المقدسى : وعقد على سبع ولم يدخل بهن، ولا خلاف أنه ﷺ توفى عن تسع كان يقسم منهن لثمان وهن: عائشة وحفصة وزينب بنت جحش وأم سلمة وصفية وأم حبيبة وميمونة وسودة وجويرية، وأول نسائه لحوقاً به زينب بنت جحش سنة عشرين، وآخرهن موتاً أم سلمة سنة اثنتين وستين فى خلافة يزيد، انتهى من كلام ابن القيم.

قوله:(خصوصا): أى ولاسيما خديجة وعائشة فلهن من المزايا والخصائص ما ليس لغيرهن من أزواج النبى ﷺ والخصوص:الإفراد، يقال خص فلان بكذا، أى أفرد به ولا شركة للغير فيه، وقد تقدم ذكر بعض خصائصهن رضى الله عنهن.

قوله: (أم أكثر أولاده): بل هى أم أولاده كلهم سوى إبراهيم فإنه من سريته مارية، ويروى أن عائشة أتت بسقط ولم يصح ذلك، والمتفق عليه من أولاده ﷺ منها القاسم وبه كان يكنى مات صغيراً قبل بعثته ﷺ أو بعدها، وبناته الأربع: زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة وعبد الله ولد بعد المبعث فكان يقال له الطاهر والطيب،وقيل:هما أخوان له،ومات الذكور صغاراً باتفاق،انتهى من فتح البارى.

قوله: (وأول من آمن به): أى من النساء لا مطلقا كما تقدم كلام لأبى حنيفة وغيره أن أول من آمن من الرجال أبو بكر، ومن الصبيان علىّ، ومن النساء خديجة... إلخ، وقيل: إنها أول من آمن به على الإطلاق كما ذكره المصنف.

قوله :(وعاضده): أى أعانه ونصره، فإن خديجة رضي الله عنها عاضدته ﷺ فى أول أمره، ونصرته واحتملت من الأذى مالم يحتمله غيرها، وكانت نصرتها للرسول ﷺ فى أعظم أوقات الحاجة.

قوله: (وكان لها منه المنزلة العالية): أى الرفيعة؛ لأنها من أول من آمن به وعاضده وكانت له وزير صدق، وكان النبى ﷺ يحبها كثيراً ويذكرها، كما روي أحمد من حديث مسروق عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال:« **آمنت بى إذ كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء**».

والصديقة بنت الصديق رضى الله عنها، التى قال فيها النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»

وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت: ماغرت على امرأة للنبى ﷺماغرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها بقصر من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدى فى خلائلها منها مايسعهن، فهذا الحديث وغيره دليل على محبة النبى ﷺ لها وعلى عظم قدرها عنده ومزيد فضلها.

قوله: (والصديقة بنت الصديق): أى عائشة رضى الله عنها حبيبة رسول الله ﷺ بنت الصديق الأكبر، أبوها أبو بكر الصديق لقبه النبى ﷺ بذلك وأنزل الله براءتها من فوق سبع سموات، واتفقت الأمة على كفر قاذفها، وأفتى غير واحد بقتل سابها، رضى الله عنها، وتقدم ذكر خصائصها.

قوله:«فضل عائشة على النساء...» إلخ: هذا الحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»** فهذا الحديث فيه دليل على فضل عائشة رضى الله عنها، واستدل به كثير من أهل السنة على أن عائشة أفضل نسائهﷺ، وذهب بعض العلماء كالموفق وابن حجر وغيرهما إلى أن خديجة رضى الله عنها أفضل من عائشة لأدلة ذكروها، قالوا: والحديث المتقدم ليس صريحاً فى تفضيل عائشة على خديجة رضى الله عنهما، والذى يفهم من كلام المصنف توقفه عن التفضيل لتقارب جهات التفضيل بينهن، وقال فى موضع آخر اختصت كل واحدة منهن بخصائص، فخديجة كان تأثيرها فى أول الإسلام وبذلت نفسها فى نصرة الرسول ﷺ ومالها، واحتملت من الأذى مالم يحتمله غيرها، وكانت نصرتها للرسول ﷺ فى أعظم أوقات الحاجة، فلها من النصرة والبذل والتأثير فى الإسلام ماليس لغيرها، وعائشة رضى الله عنها تأثيرها فى آخر الإسلام، فلها من الفقه والعلم ماليس لغيرها . اهـ .

قوله:(كفضل الثريد على سائر الطعام): الثريد هو الخبز إذا أدم بلحم كما قال الشاعر:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

قوله:(**على سائر الطعام**) : أى جميعه، انتهى، والثريد هو أفضل الأطعمة؛ لأنه خبز ولحم، والبر أفضل الأقوات واللحم أفضل الأدام، كما فى الحديث الذى رواه ابن قتيبة وغيره عن النبى ﷺ: «**سيد أدام أهل الدنيا والآخرة اللحم**» فإذا كان اللحم سيد الأدام والبر سيد الأقوات ومجموعها الثريد؛ كان الثريد أفضل الطعام، وقد صح من غير وجه عن الصادق المصدوق أنه قال: « **فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**». وفى الصحيح عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: قلت: يارسول الله أى النساء أحب إليك ؟ قال: «**عائشة**»، قلت: ومن الرجال؟ قال: «**أبوها**»، قلت: ثم من؟قال: «**عمر**»، وسمى رجالا، انتهى منهاج.

قوله:(**ويتبرأون من طريقة الروافض**) إلخ: أى أن أهل السنة والجماعة وسط فى أصحاب رسول الله ﷺ ويترضون عنهم جميعاً ويحبونهم ويتبرأون من طريقة الرافضة الذين يسبون الصحابة ويطعنون فيهم، ويزعمون أنهم عصوا الرسول ﷺ وارتدوا بعده إلا بضعة عشر منهم، ويغلون فى على بن أبى طالب وأهل البيت، فالرافضة ينقسمون إلي ثلاثة أقسام: قسم غلاة غلوا فى على بن أبى طالب رضى الله عنه حتى زعموا أنه إله، أو أن الله حل فيه، أو أنه الرسول ولكن جبريل غلط، أو أخطأ فى إعطاء الرسالة إلى محمد ﷺ إلى غير ذلك من أنواع الغلو، وقسم مفضلة يفضلون علياً على أبى بكر وعمر وغيرهما من الصحابة، وقسم الثالث سبابه يسبون أبا بكر وعمر وغيرهما من الصحابة، ويزعمون أن علياً هو الوصى، وأن الصحابة غصبوه حقه وظلموه بتقديم أبو بكر وعمر.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: فعاقب أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه الطوائف الثلاث، فأمر بإحراق أولئك الذين ادعوا فيه الإلهية، فإنه خرج ذات يوم فسجدوا له، فقال لهم ما هذا؟ فقالوا: أنت هو، قال: من أنا؟ قالوا: أنت الله الذى لا إله إلا هو، فقال وبحكم هذا كفر ارجعوا عنه وإلا ضربت أعناقكم، فصنعوا به فى اليوم الثانى والثالث، وأخرهم ثلاثة أيام؛ لأن المرتد يستتاب ثلاثة أيام فلما لم يرجعوا أمر بأخاديد من نار فحدث أنه قال:

لما رأيت الأمر أمراً منكرا   أججت نارى ودعوت قنبرا

وقتل هؤلاء واجب بالاتفاق، لكن فى جواز تحريقهم نزاع، وأما السبابة

وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

الذين يسبون أبا بكر وعمر، فإن علياً رضى الله عنه لما بلغه ذلك طلب ابن السوداء الذى بلغه ذلك عنه، وقيل إنه أراد قتله فهرب منه إلى قرقيسا.

وأما المفضلة الذين يفضلونه على أبى بكر وعمر فروى عنه أنه قال: لا أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر إلا ضربته حد المفترى، وقد تواتر عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وروى عنه هذا من أكثر من ثمانين وجهاً، ورواه البخارى وغيره، انتهى من كلام الشيخ باختصار.

قوله: (وطريقة النواصب): جمع ناصب، يقال ناصبه مناصبة، أى عاداه وقاومه، وهم الذين ينصبون العداوة لعلى بن أبى طالب وأهل البيت ويتبرأون منهم ولا يحبونهم، بل يكفرونهم أو يفسقونهم كالخوارج، قال الشيخ تقى الدين بعد كلام: فأهل السنة وسط فى جميع أمورهم، فهم فى علىّ وسط بين الخوارج والروافض، وفى عثمان وسط بين المروانية والزيدية وفى سائر الصحابة بين الغلاة فيهم والطاعنين عليهم، وقال أيضاً: والروافض شر من النواصب، وأما أهل السنة فيتولون جميع المؤمنين ويتكلمون فيهم بعلم وعدل ليسوا من أهل الجهل ولا من أهل الأهواء ويتبرأون من طريقة الروافض والنواصب جميعا، ويتولون السابقين الأولين كلهم ويعرفون قدر الصحابة وفضلهم ومناقبهم، ويرعون حقوق أهل البيت التى شرعها الله لهم ولا يرضون بما فعله المختار ونحوه من الكذابين ولا ما فعله الحجاج ونحوه من الظالمين، ويعلمون من هذا مراتب السابقين الأولين، ويعرفون ما لأبى بكر وعمر من التقدم والفضائل مالم يشاركهما فيها أحد من الصحابة لا عثمان ولا على ولا غيرهما، كان هذا متفقاً عليه فى الصدر الأول إلا أن يكون خلاف شاذ لا يعبأ به حتى أن الشيعة الأولى من أصحاب على لم يكونوا يرتابون فى تقديم أبى بكر وعمر، كيف وقد ثبت عنه من وجوه متواترة أنه كان يقول: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر انتهى، ومن كذب الرافضة وضلالهم تسميتهم أهل السنة ناصبة حيث لم يوافقوهم على بدعتهم وظلمهم، فإن الرافضة يزعمون أن من تولى الصحابة لم يتولى القرابة، ويقولون: لا ولاء إلا ببراء، فمن لم يتبرأ من الصحابة لم يتول القرابة، ويقابلهم الخوارج وأشباههم من النواصب

الذين يزعمون أن الرفض هو محبة أهل البيت ويذمون الرفض بهذا المعنى، وهذا كله كذب وضلال، فلا دليل على ذم النصب بالتفسير الذى زعمه الرافضة، كما لا دليل على ذم الرفض بمعنى موالاة أهل البيت، ولكن المبتدعة يلقبون أهل السنة بألقاب يتنقصون بها فيسمونهم رافضة وناصبة، فهم كما قيل: «رمتنى بدائها وانسلت، وقد تقدم أن أهل السنة رضوان الله عليهم يوالون جميع الصحابة والقرابة ويترضون عنهم، وينزلونهم منازلهم التى يستحقونها فلا يغمطونهم حقهم ولا يغلون فيهم، وقد قال الإمام الشافعى رحمه الله على الناصبة :

يا راكبا قف بالمحصب من منى   واهتف بقاعد خيفها والناهض
إن كان رفضا حب آل محمد   فليشهد الثقلان أنى رافضى

وقال غيره:

إن كان نصبا حب صحب محمد   فليشهد الثقلان أنى ناصبى

وقال غيره:

إن كان نصب ولاء الصحاب   فإنى كما زعموا ناصبى
وإن كان رفضا ولاء الجميع   فلا برح الرفض من جانبى

قوله: (ويمسكون عما شجر بين الصحابة): أى يقفون عن الخوض عما وقع بين الصحابة من اختلاف ومنازعة، مثل ماوقع بين على ومعاوية، وما وقع بين طلحة والزبير وعلى وغير ذلك.

قوله:(شجر): أى اضطرب واختلف الأمر بينهم،واشتجر القوم وتشاجروا: تنازعوا، والمشاجرة المنازعة فمذهب أهل السنة والجماعة الكف عما جرى بين أصحاب رسول الله ﷺ،والإمساك عما شجر بينهم لما فى الخوض فى ذلك من توليد الإحن والحزازات والحقد على أصحاب رسول الله ﷺ،وذلك من أعظم الذنوب، فإنهم خير القرون والسابقون الأولون فتجب محبتهم جميعا والترضى عنهم والكف عما جرى بينهم مما لعله لم يصح،وما صح فله تأويلات سائغة، ثم هو قليل مغمور فى جانب فضائلهم .

قال ابن حمدان من أصحابنا فى نهاية المبتدئين:يجب حب كل الصحابة

والكف عما جرى بينهم كتابة وقراءة وإقراء وسماعا وإسماعا، ويجب ذكر محاسنهم، والترضى عنهم والمحبة لهم، وترك التحامل عليهم، واعتقاد العذر لهم وأنهم فعلوا مافعلوا باجتهاد سائغ لايوجب كفرا ولا فسقا بل ربما يثابون عليه لأنه اجتهاد سائغ . انتهى.

وأما الحروب التى كانت بينهم فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها، وكلهم عدول ومتأولون فى حروبهم وغيرها، ولم يخرج شىء من ذلك أحداً منهم عن العدالة؛ لأنهم مجتهدون اختلفوا فى مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم بل يجب الترضى عنهم واعتقاد عدالتهم، وإن ما وقع منهم هم فيه معذورون ومأجورون، وأما معاوية رضى الله عنه فهو من العدول الفضلاء وهو مجتهد مخطئ، والحق فى جانب على، وعلى هو الخليفة فى وقته بالإجماع لا خلافة لغيره، وقد تقدم الكلام على ذلك، والناس انقسموا فى ذلك الزمان إلى ثلاثة أقسام:

قسم: رأى الحق مع أحد الطرفين، فوجب عليه اتباعه بموجب اعتقاده والقتال معه، وقسم: توقف ولم يظهر له شىء فاعتزل، وهذا هو الواجب عليه، وكلهم معذورون ومأجورون، رضوان الله عليهم أجمعين .

قال الشيخ تقى الدين فى المنهاج: وأما الصحابة فجمهورهم وجمهور أفاضلهم لم يدخلوا فى فتنة، ثم ساق عن ابن سيرين قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين، وهذا أصح إسناد على وجه الأرض، وساق كلاماً طويلاً يدل على أن أكثر الصحابة اعتزل الفريقين، إذا عرفت ماتقدم علمت أن طريق السلامة هو الكف عما شجر بينهم والترضى عن الجميع، ونقول كما قال الله تعالى عن التابعين بإحسان: إنهم يقولون: ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾ وما شجر بينهم وتنازعوا فيه أمره إلى الله لا تسأل عن ذلك، قال تعالى: ﴿ **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** ﴾ وما أحسن ماروى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه قال لما سئل عما وقع بين الصحابة: تلك دماء طهر الله منها يدى فلا أحب أن أخضب بها لسانى.

ويقولون: إن هذه الآثار المروية فى مساويهم منها ماهو كذب، ومنها ما قد زيد فيها ونقص وغيّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون ـ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون .

قوله: (ويقولون إن هذه الآثار المروية) إلخ: أى أن أهل السنة متفقون على محبة الصحابة والترضى عنهم؛ وأنهم خير الأمة بعد نبيهم لما تواتر من الأدلة فى فضلهم ولما اشتهر عنهم من الأعمال الفاضلة ومسابقتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله، وبذل نفوسهم وأموالهم فى سبيل الله، كما أنهم متفقون على أن الصحابة كلهم عدول ثقات لا يفتش عن عدالة أحد منهم، فلا يترك هذا العلم المتيقن المتحقق الثابت لمشكوك فيه بل مقطوع بكذبه، فما يروى فى حقهم من المثالب إما أن يكون كذباً محضاً، وإما أن يكون محرفاً قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرجه إلى الذم والطعن، والصحيح من ذلك هو من موارد الاجتهاد التى إن أصاب المجتهد فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، كما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وعمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد** » فما وقع منهم رضى الله عنهم إن ثبت فهو عن اجتهاد فهم معذورون ومأجورون على كلا الحالين، ولهذا اتفق أهل الحق ممن يعتد به فى الإجماع على قبول شهادتهم وروايتهم وثبوت عدالتهم، وأنه يجب تزكية جميعهم ويحرم الطعن فيهم، ويجب اعتقاد أنهم أفضل جميع الأمة بعد النبى ﷺ. قال أبو زرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن القرآن حق والرسول حق وما جاء به حق، وما أدى ذلك النبأ كله إلا الصحابة، فمن جرحهم فإنما أراد إبطال الكتاب والسنة . اهـ .

قال الشيخ تقى الدين فى المنهاج بعد كلام: ما ينقل عن الصحابة من المثالب فهو نوعان: أحدهما: ما هو كذب كله، وإما محرف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرجه إلى الذم والطعن، وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب يرويها الكذابون المعروفون بالكذب، مثل أبى مخنف لوط بن يحيى، ومثل هشام بن محمد بن السائب الكلبى وأمثالهما من الكذابين، والنوع الثانى: ماهو صدق، وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها من أن تكون ذنوباً وتجعلها من موارد

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب فى الجملة.

الاجتهاد التى إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب، وما قدر من هذه الأمور ذنباً محققا، فإن ذلك لا يقدح فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم أهل الجنة؛ لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه فى الآخرة بأسباب متعددة، منها: التوبة والحسنات الماحية، ومنها المصائب المكفرة، ومنها دعاء المؤمنين بعضهم لبعض وشفاعة نبيهم، فما من سبب يسقط به الذم والعقاب عن أحد من الأمة إلا والصحابة أحق بذلك، فهم أحق بكل مدح، ونفى كل ذم ممن بعدهم من الأمة.

قوله: (معصوم): من العصمة وهى: الحماية والحفظ. قوله: **(بل يجوز)**: أى يمكن، أى أن أهل السنة يعرفون قدر أصحاب النبى ﷺ وقرابته فينزلونهم منازلهم كما ورد فى الحديث: «**ونزلوا الناس منازلهم**» فلا يغلون فيهم بحيث يرفعونهم عن منزلتهم التى أنزلهم الله بها فلا يعتقدون أنهم معصومون عن الذنوب والخطايا بل يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من الذنوب والخطايا، وفى الحديث أن النبى ﷺ قال: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**» وفى حديث أبى ذر: «**إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم**» وقال الشيخ تقى الدين: ولم يقل أحد يعتد به إن الصحابة رضى الله عنهم أو غيرهم من الأولياء أو القرابة معصوم من كبائر الذنوب أو من الصغائر، بل يجوز عليه وقوع الذنب والله يغفر لهم، وقصة حاطب فى الصحيح، فقد غفر له الذنب العظيم بشهوده بدراً. ا. هـ.

فأهل السنة والجماعة لا يرون عصمة أحد لا من الصحابة ولا من القرابة ولا يؤثمونهم باجتهادهم، بخلاف أهل البدع الذين غلوا من الجانبين: طائفة عصمتهم وطائفة أثمتهم. قال الشيخ تقى الدين بن تيمية: ولم يقل أحد من الأئمة إلا الإمامية والإسماعيلية. وقول بعضهم: إن النبى معصوم والولى محفوظ إن أراد بالحفظ مايشبه العصمة فباطل، انتهى.

أما الأنبياء عليهم السلام فاتفق العلماء على أنهم معصومون فى تبليغ الرسالة لا يجوز أن يستقر فى ذلك شىء من الخطأ، وكذلك معصومون من الكبائر أما

ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم.

الصغائر فقد تقع منهم ولكن لا يقرون عليها. قال الشيخ تقى الدين رحمه الله بعد كلام: فالعلماء متفقون على أنهم لا يقرون على خطأ فى الدين أصلا، ولا على فسق أو كذب فى الجملة، كل مايقدح فى نبوتهم وتبليغهم عن الله فهم متفقون على تنزيههم عنه، وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها فلا يصدر منهم مايضرهم، كما جاء فى الأثر كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة، والله سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين، وإن العبد يفعل السيئة يدخل بها الجنة، وأما النسيان والسهو فى الصلاة فذلك واقع منهم، وفى وقوعه حكمة استنان المسلمين بهم، كما روى فى موطأ مالك: إنما أنسى أو أنسى لأسن . اهـ .

قوله: (ولهم من السوابق والفضائل) إلخ: أى حدث فما يقع منهم رضى الله عنهم يغتفر فى جانب مالهم من الحسنات العظيمة كما فى قصة حاطب: فقد غفر له الذنب العظيم بشهوده بدراً ﴿**وكلا وعد الله الحسنى**﴾ . وفى جامع الترمذى أن النبى ﷺ قال لما جاءه عثمان لتجهيز جيش العسرة: «**ما ضر عثمان ماعمل بعد اليوم**» مرتين، رواه الترمذى وقال: حديث حسن،وروى أحمد وأبو داود والترمذى عن جابر أن رسول الله ﷺقال: «**لايدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»، وأخرج أحمد بسند رجاله ثقات عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال لأهل الحديبية: «**لا يدركن قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم**».

قوله:(حتى أنهم يغفر لهم من السيئات) إلخ: وذلك لما لهم من الفضائل والسوابق والوعد بالمغفرة قال تعالى: ﴿**وكلا وعد الله الحسنى**﴾ فلأصحاب رسول الله من الحسنات والأسباب التى تمحو السيئات أعظم نصيب،قال: ﴿**ليكفر عنهم أسوأ الذى عملوا**﴾والحبيب يسامح بما لايسامح به غيره؛ لأن المحبة أكبر شفعائه كما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

فلمقاماتهم العظيمة وجهادهم فى الله أعدائه حق الجهاد يحتمل لهم مالا

وقد ثبت بقول الرسول ﷺ أن خير القرون قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.

يحتمل لغيرهم، وذكر ابن القيم رحمه الله فى المدارج فى أثناء كلام له: إنه يعفى للمحب ولصاحب الإحسان العظيم ما لايعفى لغيره ويسامح بما لايسامح به غيره، قال: وقد استدل الشيخ تقى الدين رحمه الله على ذلك بقصة سليمان حين ألهته الخيل عن صلاة العصر فأتلفها فعوضه الله سبحانه وتعالى الريح، وكذلك لطم موسى عين ملك الموت ففقأها ولم يعتب عليه ربه، وفى ليلة الإسراء عاتب ربه فى النبىﷺ أنه رفع فوقه، ولم يعتبه الله على ذلك لما له من المقامات العظيمة. وكان شديد الغضب لربه فاحتمل له مالم يحتمله لغيره، وذو النون لما لم يكن له هذا المقام سجنه فى بطن الحوت من أجل غضبه و﴿ **قد جعل الله لكل شىء قدرا**﴾ انتهى بتصرف .

قوله:«وقد ثبت بقول الرسول» ﷺ إلخ: أخرجه مسلم فى الفضائل من حديث أبى هريرة، وأخرجه أبو داود من حديث ابن مسعود، وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى من حديث عمران بن حصين رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» قال عمران بن حصين: فلا أدرى أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً، وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ،ويمينه شهادته**».

قوله: (قرنى): القرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا فى أمر من الأمور المقصودة، ويطلق القرن على مدة من الزمان اختلفوا فى تحديدها، ووقع فى حديث عبدالله بن بسر عند مسلم ما يدل على أن القرن مائة عام، وهو المشهور، انتهي من فتح البارى، والمراد بقرنه ﷺ: الصحابة، واتفق العلماء على أن خير القرون قرنه.

قوله:« ثم الذين يلونهم» :يعني التابعين«**ثم الذين يلونهم**»يعنى أتباع التابعين، واقتضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين، والتابعين أفضل من أتباع التابعين، واستدل بهذا على تعديل القرون الثلاثة وإن تفاوتت منازلهم فى الفضل، واستدل على جواز المفاضلة بين الصحابة رضوان الله عليهم.

وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه . أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذى هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلى ببلاء فى الدنيا كفر به عنه.

قوله: (**وإن المد من أحدهم**).إلخ : كما فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»، وقد تقدم الكلام عن هذا الحديث .

قوله:(**ثم إذا كان قد صدر**)إلخ : والتوبة تجبّ ماقبلها كما فى الحديث: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»والتوبة مقبولة من جميع الذنوب، قال تعالى: ﴿**إلا من تاب**﴾، وقال: ﴿**إلا الذين تابوا**﴾، وقال: ﴿**أفلايتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم**﴾ وقد أخبر الله فى كتابه عن توبة أنبيائه ودعائهم بالتوبة، قال تعالى: ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**﴾ وقال عن موسى عليه السلام أنه قال : ﴿ **تبت إليك وأنا أول المؤمنين**﴾ إلى غير ذلك من الآيات، وأما المأثور عن النبى ﷺ فكثير جداً، وأصحابه كانوا أفضل قرون الأمة، فهم أعرف القرون بالله وأشدهم له خشية،وقد وقع من بعضهم أشياء ندموا عليها وتابوا منها وهذا مشهور .

قوله: (**أو أتى بحسنات تمحوه**): قال الله تعالى: ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ وقال النبى ﷺ: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»وقال ﷺ للرجل الذى قال أصبت حداً فأقمه علىّ، فقال: «**هل صليت معنا هذه الصلاة؟**» قال: نعم، قال: «**اذهب فإن الله قد غفر لك حدك**» الحديث،والحسنات تتفاضل بحسب مافى القلوب من الإيمان والتقوى، وحينئذ فيعرف أن من هو دون الصحابة قد تكون له حسنات تمحو مايذم من أحدهم، فكيف بالصحابة رضى الله عنهم.

قوله:(**أو غفر له بفضل سابقته**): كما تقدم من الأدلة على ذلك ، ومنها قوله ﷺ: «**لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اصنعوا ماشئتم فقد غفرت لكم**»، وكما فى قصة حاطب بن أبى بلتعة فقد غفر له ذلك الذنب العظيم بشهوده بدراً، وقد برئ النبىﷺمماصنع خالد ببنى جذيمة وقال: «**اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد**» ولم يؤاخذه به لحسن بلائه ونصره للإسلام،إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة.

فإذا كان هذا فى الذنوب المحققة فكيف الأمور التى كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور.

ثم القدر الذى ينكر من فعل بعضهم نزر مغمور فى جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد فى سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح.

قوله :(أو بشفاعة محمد) إلخ: فإنهم أخص الناس بدعائه وشفاعته.

قوله: (أو ابتلى ببلاء فى الدنيا كفر به عنه) : أى امتحن وأصيب بمصيبة كفر الله بها عنه، أى محى عنه ذلك الذنب لأنها تكفر الذنب، كما فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه**» متفق عليه، ذكر المصنف هنا بعض الأسباب المسقطة للعقوبة، وقد استوفاها فى المنهاج وشرحها شرحا وافياً ثم قال: فهذه الأسباب لاتفوت كلها من المؤمنين إلا القليل، فكيف بالصحابة رضوان الله عليهم الذين هم خير قرون هذه الأمة، فإذا كان الذنب المحقق تسقط عقوبته بعدة أسباب فى حق آحاد الناس فكيف فى أصحاب رسول الله ﷺ، فما من ذنب يسقط به الذم والعقاب عن أحد من الأمة إلا والصحابة أحق بذلك، فهم أحق بكل مدح ونفى كل ذم ممن بعدهم من الأمة، انتهى.

قوله: (فإذا كان هذا فى الذنوب المحققة): تسقط عقوبتها عن آحاد الأمة بأسباب عديدة فكيف بأصحاب رسول الله ﷺ فهم أحق بذلك لما لهم من الفضائل والسوابق والوعد بالمغفرة إلي غير ذلك مما لا يمكن أن يلحقهم فيه من بعدهم فإذا كان ماتقدم فى الذنوب المحققة فكيف الأمور التى كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور، فهم مأجورون على كلا الحالين، كما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وعمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**»، وقد تقدم، فما صدر منهم فهم فيه معذورون ومأجورون ولم يخرج ذلك أحداً منهم عن العدالة؛ لأنهم مجتهدون اختلفوا فى مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون.

قوله :(ثم القدر) إلخ: ثم حرف عطف. **قوله:(جانب)**: أى جهة وناحية.

ومن نظر فى سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء.

لا كان ولا يكون مثلهم، وإنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التى هى خير الأمم وأكرمها على الله.

قوله:(نزز): أى قليل تافه. **قوله:(مغمور)**: أى مغطى من غمره إذا غطاه وعلاه أى إن ماأتوا به من الحسنات ومالهم من الفضائل والسوابق غمر ماوقع منهم وغطاه وجعله كلا شيء أو كقطرة نجاسة وقعت فى بحر، هذا على فرض ثبوت ذلك عنهم ووقوعه منهم، وإلا فغالب ما ينقل عنهم من المساوئ إما كذب محض وإما محرف كما تقدم؛ لأن غالب ماذكر عنهم ذكره المؤرخون الذين يكثر الكذب فيما يروونه، وقل أن يسلم نقلهم من الزيادة والنقصان، وأيضاً إذا ثبت صدوره عنهم فهو صادر عن اجتهاد سائغ هم مأجورون فيه على كلا الحالين.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: ومن علم مادل عليه القرآن والسنة من الثناء على القوم رضى الله عنهم واستحقاقهم الجنة؛ وأنهم خير هذه الأمة التى أخرجت للناس لم يعارض هذا المتيقن المعلوم بأمور مشتبهة منها مالا يعلم صحته، ومنها مايتبين كذبه، ومنها مالا يعلم كيف وقع ، ومنها مايعلم عذر القوم فيه، ومنها مايعلم توبتهم منه، ومنها مايعلم أن لهم من الحسنات مايغمره، فمن سلك سبيل أهل السنة استقام قوله، وكان من أهل الحق والاستقامة والاعتدال، وإلا حصل فى جهل ونقص وتناقض كحال هؤلاء الرفضة الضلال.

قوله: (ومن نظر): أى تدبر وتفكر فيها. **قوله:(فى سيرة القوم)**: أى خطتهم وعادتهم، وماكانوا عليه من الأحوال الفاضلة والسيرة العادلة وجمعها سير، وهو ما يعامل به الناس من خير وشر، وأصل السيرة: هيئة فعل السير وسير رسول الله ﷺ هيئة أفعاله حيث كانت.

قوله: (بعلم): العلم هو حصول صورة المعلوم فى الذهن. **قوله: (وبصيرة)**: أى معرفة ويقين، والبصيرة للقلب والبصر للعين، قال ابن القيم فى المدارج بعد كلام على قوله: ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة**﴾ قال: يريد أن تصل باستدلالك إلى أعلى درجات العلم وهى البصيرة التى تكون نسبة المعلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئى إلى البصر، وهذه الخصيصة التى اختص بها الصحابة عن سائر

الأمة وهى أعلا درجات العلماء، انتهى.

قوله: (علم يقينا): أى علما لازماً لا يدخله شك ولا شبهة، فاليقين لغة، طمأنينة القلب على حقيقة الشيء، يقال يقن الماء فى الحوض إذا استقر فيه واصطلاحا هو: اعتقاد جازم لايقبل التغيير، ومراتب اليقين ثلاثة: حق اليقين، وعلم اليقين، وعين اليقين، فعلم اليقين هو التصديق التام به بحيث لا يعرض له شك ولا شبهة تقدح فى تصديقه، وعين اليقين هى مرتبة الرؤية والمشاهدة، وحق اليقين هى مباشرة الشيء والإحساس به. **قوله: (لا كان ولا يكون مثلهم)** كان تامة.

قوله: (الصفوة): أى الخيار والصفوة من كل شيء خالصه وخياره، فأصحاب رسول الله ﷺ هم خير الخلق بعد الأنبياء، ومن نظر فى سيرتهم وتأمل أحوالهم وماهم عليه من الدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله وبذل النفس والنفيس فى سبيل إعلاء كلمته مع ماهم عليه من الصدق مع الله والمسارعة إلى الخير مع العلم النافع- إلى غير ذلك من صفاتهم الفاضلة علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، وأنهم أكمل هذه الأمة عقلا وعلما ودينا، كما قال فيهم عبد الله بن مسعود: من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحى لاتؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد كانوا خير هذه الأمة وأبرها قلوباً وأعمقها علما وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لنبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم فى آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، رواه غير واحد، منهم ابن بطة عن قتادة، وروى هو وغيره بالأسانيد إلى ذر بن حبيش قال: قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: « **إن الله سبحانه نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وراء نبيه يقاتلون على دينه. فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ** » رواه أحمد وأبو داود الطيالسى وماقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فيهم حق كما تواترت بذلك الأحاديث عن النبى ﷺ أنه قال: «**خير القرون قرنى**»الحديث، وهم أفضل الأمة الوسط الشهداء على الناس، وهم الصفوة من قرون هذه الأمة وأكرمها على الله سبحانه، قال تعالى: ﴿**قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى**﴾ قال طائفة من السلف هم أصحاب محمد ﷺ ولا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة التى قال الله فيها ﴿ **ثم أورثنا الكتاب**

فصـــــل

ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء ومايجرى الله على أيديهم من خوارق العادات فى العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات.

الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ فأمة محمدﷺالذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم اليهود والنصارى، وقد أخبر أنهم الذين اصطفى، فأصحاب محمد هم المصطفين من المصطفين من عباد الله، فهم صفوة الصفوة رضوان الله عليهم أجمعين، فأمة محمد خير الأمم وأكرمها على الله كما قال سبحانه: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ وروى الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله سبحانه**» رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم فى مستدركه، وأصحاب رسول الله ﷺ خير هذه الأمة، فهم أفضل الخلق على الإطلاق بعد النبيين والمرسلين .

فصـــــل

قوله: (التصديق بكرامات الأولياء) إلخ : أى من أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات أوليائه، كما دل على ذلك القرآن والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم، وإنما أنكرها أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ومن تابعهم، والكرامة هو ما يجرى الله على أيدى أوليائه من المؤمنين من خوارق العادات، كما جرى لأسيد بن حضير فى نزول الظلة عليه بالليل فيها مثل السرج، فأخبر النبى ﷺ بذلك فقال: «**تلك الملائكة نزلت لسماع قراءتك**» ومثل ماجرى لسعد بن أبى وقاص فى القادسية ومرورهم على الماء بجنودهم، وقد جرى قبل ذلك نحوه للعلاء بن الحضرمى.

قوله:(من خوارق العادات) إلخ : أى أنها خرقت العادة وخالفت مقتضاها وجاءت على خلاف مألوف الآدميين كإحياء ميت وانفجار الماء من بين الأصابع.

قوله :(فى العلوم والمكاشفات وأنواع القدرةوالتأثيرات) إلخ : أى أن الكرامة تنقسم إلى أقسام: منها مايكون فى الكشف والعلم، ومنها ما يكون فى القدرة

والتأثير، فما كان من باب العلم والكشف، فتارة يسمع مالا يسمعه غيره أو يرى مالا يراه غيره يقظة أو مناماً أو نحو ذلك، ويسمى كشفاً ومشاهدات ومكاشفات ومخاطبات، فالسماع مخاطبات، والرؤيا مشاهدات والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله كشفاً ومكاشفة أى كشف له عنه وأطلعه على مالم يطلع عليه غيره، فحصل لقلبه من انكشاف الحقائق التى لا تخطر ببال غيره ماخصه الله به، فمن باب الكشف والعلم للأنبياء عليهم السلام إخبار نبينا عن أخبار الأنبياء المتقدمين وأممهم، وكذلك عن الأمور المستقبلة كمملكة أمته وزوال مملكة فارس والروم وقتال الترك ونحو ذلك مما لا يحصى، وأما القدرة والتأثير فكانشقاق القمر، ورد الشمس ليوشع بن نون، وإسرائه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ونبع الماء بين أصابعه غير مرة إلى غير ذلك مما لا يحصى، وأما الخوارق لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم، فمثل قول عمر فى قصة سارية ومثل إخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلا، وقصة صاحب موسى فى علمه بحال الغلام، وأما من باب القدرة والتأثير فمثل قصة الذى عنده علم من الكتاب، وقصة أهل الكهف وقصة مريم ونحو ذلك، انتهى، ملخصا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وشرط كون الخارق كرامة أن يكون من جرى على يديه صالح متبع للسنة، فمن ادعى محبة الله وولايته ولم يتبع محمداً ﷺ فليس من أوليائه، بل من أعدائه وأولياء الشيطان، كما قال تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾.

قال الحسن: ادعى قوم محبة الله فامتحنهم الله بهذه الآية، ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لو طار فى الهواء ومشى على الماء لم يثبت له ولاية بل ولا إسلام حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهى الذى بعث الله به رسوله فولى الله هو المؤمن المتقى كما قال تعالى: ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ وسمى وليا لموالاته لطاعة الله، والولى خلاف العدو، وهو مشتق من الولاء وهو الدنو والقرب، فولى الله من والى الله بموافقته فى محبوباته والتقرب إليه بمرضاته، والأولياء على قسمين: مقتصدون ومقربون، فالمقتصدون الذين يتقربون إلى الله بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح، والسابقون الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين هم أولو العزم، وهم:

إبراهيم ونوح وموسى وعيسى ومحمد، قيل: وأفضلهم محمد ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نوح ،ونظمهم بعضهم على هذا الترتيب فقال:

محمد إبراهيم موسى كليمه فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

ولا يشترط فى الولى أن يكون معصوماً، بل من ادعى العصمة لأحد من الأولياء فقد كذب،ولا يمكن أن يصل الولى مهما علت رتبته وبلغ فى الجد والاجتهاد مابلغ إلى مراتب الأنبياء عليهم السلام، وليس للولى زى خاص ولا لباس خاص، وأما مايجرى الله على أيدى الأنبياء والرسل من خوارق العادات يدل بها عباده على صدق ما ادعوه من النبوة والرسالة، فيقال له معجزة، أما إذا كانت حال من ظهرت الخارقة على يديه غير مرضية فليست بكرامة بل هو استدراج وخيال شيطانى ليس من حال أولياء الله وكرامتهم، فمن زعم أنه يصل إلى حد تسقط عنه التكاليف الشرعية أو زعم أنه يسعه الخروج من شريعة محمد، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى أو زعم أنه محتاج للنبى ﷺ فى علم الظاهر دون علم الباطن أو فى علم الشريعة دون علم الحقيقة، فهو كافر بالله العظيم من أولياء الشيطان ليس من أولياء الرحمن،كما ذكر ذلك الشيخ تقى الدين وغيره، إذ قد أجمع العلماء على أن شرط الكرامة كونها على يد متبع للشرع المطهر،وبهذا التفصيل يظهر الفرق بين المعجزة والكرامة والأحوال الشيطانية، فالثلاث تجتمع فى كونها خارقة للعادة وتمتاز المعجزة فى كونها على يد مدعى الرسالة والنبوة، فيؤيد الله الصادقين بأنواع المعجزات والأخلاق والأعمال التى تدل على صدقهم، وقد يكون منها مالا يستطيع المخلوق مثله كإنزال القرآن ونبوع الماء من بين أصابعه وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى فى حق عيسى وكعصى موسى ويده. أما الكرامة فهى الخارقة الحاصلة على يد المؤمن التقى التابع لشرع محمد ﷺ ودينه،إما لتقوية إيمانه أو لحاجة أو لإقامة حجة على خصمه المعارض له فى الحق، كما جرى لسعيد بن زيد وسعد بن أبى وقاص لما دعوا على من زماهما بخلاف الحق، فأجاب الله دعوتهما، والكرامة، فى الحقيقة من معجزات ذلك النبى الذى اتبعه ذلك المؤمن الذى وقعت له تلك الكرامة كما قال بعض العلماء: كل كرامة لولى فهى معجزة لنبيه؛ لأنها لم تقع له إلا بسبب اتباعه له،

كالمأثور عن سالف الأمم فى سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة وهى موجودة فيها إلى يوم القيامة.

أما إذا وقعت الخارقة على يد معرض عن الشرع صاد عن الحق متلبس بالمعاصى فما وقع من الأحوال الشيطانية التى تصد بها الشياطين الناس عن اتباع الحق، فإن الشياطين تعمل كل حيلة لإضلال الناس وصدهم عن الحق، وتدخل الأصنام وتكلم عبادها وتحكم بينهم، وقد تقضى لأوليائها بعض الحاجات، وقد ترفع بعضهم فى الهواء ثم تعيده ولا سيما فى الرقص واللعب، وقد تنقل بعض عبادها إلى بلدة بعيدة ثم ترجعه أو إلى عرفات وقت الحج ثم تعيده كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

قوله:(كالمأثور عن سالف الأمم):أى كالمنقول عن سالف الأمم،أى متقدمها، كما ذكر الله تعالى في كتابه عن حمل مريم بلا زوج ووجود فاكهة الشتاء عندها فى الصيف وبالعكس، وإحضار آصف بن برخيا عرش بلقيس فى لحظة من مسيرة شهر، وكما ذكر سبحانه فى سورة الكهف عن أصحاب الكهف أنهم بقوا ثلاثمائة سنة، فإن بقائهم ثلاثمائة سنة بلا آفة من أعظم الخوارق، وكالمأثور عن صدر هذه الأمة، أى أولها، وصدر كل شىء أوله، أى أول هذه الأمة من الصحابة، كما فى قصة العلاء بن الحضرمى وأصحابه حين مشوا على الماء، وكرؤية عمر لجيش سارية وهو على المنبر فى المدينة ونداثه لأمير الجيش وهو بنهاوند: ياسارية الجبل تحذيراً له من العدو مع بعد المسافة، وكشرب خالد بن الوليد السم من غير أن يحصل له منه تضرر به، وكجريان النيل بكتاب أمير المؤمنين عمر إلى غير ذلك من كرامات الصحابة التى لا تحصى.

قوله (من الصحابة والتابعين): التابع لغة: التالى، وفى عرف الفقهاء: من اجتمع بالصحابى، أى أن كرامات الأولياء لاتزال موجودة إلى يوم القيامة فى جميع أصناف أمة محمد ﷺ بشرطها المتقدم،كما روى أن الحسن تغيب عن الحجاج فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه، ودعا على بعض الخوارج كان يؤذيه فخر ميتاً، وصلة بن أشيم مات فرسه وهو فى الغزو، فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق علىّ منّة ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه فلما وصل إلى

بيته قال: يابنى خذ سرج الفرس فإنه عادية فأخذ سرجه فمات الفرس، وجاع مرة بالأحواز فدعا الله عز وجل واستطعمه فوقعت خلفه دوخلة رطب فى ثوب حرير فأكل التمر وبقى الثوب عند زوجته زماناً، وجاءه الأسد وهو يصلى في غيضة بالليل، فلما سلم قال له اطلب الرزق من غير هذا الموضع فولى الأسد وله زئير، وكان سعيد بن المسيب فى أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله ﷺ فى أوقات الصلوات وكان المسجد قد خلى فلم يبقى غيره، ولما مات أويس القرنى وجدوا فى ثيابه أكفاناً لم تكن معه قبل، ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد فى صخرة فدفنوه فيه وكفنوه فى تلك الأثواب، وكان عمرو بن عقبة بن فرقد يصلى يوماً فى شدة الحر فأظلته غمامة، وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه؛ لأنه كان يشترط على أصحابه فى الغزو أنه يخدمهم، وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير إذا دخل بيته سبحت معه آنيته، وكان هو وصاحب له يسيران فى ظلمة فأضاء لهما طرف السوط إلى غير ذلك من كرامات أولياء الله التى لا تحصى، ذكر ذلك الشيخ تقى الدين فى كتابه الفرقان قال: وأما مانعرفه نحن عياناً ونعرفه فى هذا الزمان فكثير، انتهى.

قوله: (وسائر): أى باقى أو جميع فرق الأمة، ولا يختص ذلك فى صنف معين بل توجد الكرامات وخوارق العادات فى جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجد ذلك فى أهل القرآن وأهل العلم، وفى أهل الجهاد، وفى التجار والصناع والزراع وغيرهم ممن كان صالحا متبعاً لسنة محمد ﷺ.

فصـــــل

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ .

فصـــل

قوله: (طريقة) : أي سبيل ومنهاج. قوله: **(السنة)**: لغة: الطريقة. وشرعاً: هي أقوال النبي وأفعاله وتقريراته وقد تقدم، وهذا معناها باعتبار العرف الخاص، وأما معناها باعتبار العرف العام فهو مانقل عن النبي ﷺ أو عن السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة المقتدى بهم. قال ابن رجب: وكثير من المتأخرين يخصون السنة بما يتعلق بالاعتقاد؛ لأنها أصل الدين والمخالف فيها على خطر عظيم، انتهى، وقد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في التحليل والتحريم وغير ذلك، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه**»، وما روى من الأمر بعرض الأحاديث على القرآن، فقال يحيى بن معين: إنه موضوع وضعته الزنادقة، وهو مخالف لقوله تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ الآية ، وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بأكمل من هذا فارجع إليه.

قوله: (اتباع آثار رسول الله ﷺ): أي سلوك طريقه والسير على منهاجه. قال ابن القيم رحمه الله: الاتباع سلوك طريق المتبع والإتيان بمثل ما أتى به، انتهى.

قال الله تعالى: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه**﴾ وقال: ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾ وقال: ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «**لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي فيها الأمر باتباع الرسول ﷺ والوعيد الشديد في الإعراض عن هديه ﷺ، فاتباعه ﷺ وامتثال أمره من أعظم الفروض، بل كل قول أو عمل يخالف ماعليه النبي ﷺ وأصحابه فهو باطل مردود على فاعله كائناً من كان، كما في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: « **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**» فاتباع الرسول شرط لصحة العمل، كما قال تعالى: ﴿ **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن**﴾ وقال: ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾ قال الفضيل بن عياض : أي

أخلصه وأصوبه، قيل يا أبا على ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على سنة رسول الله ﷺ، وقد اتفق المسلمون على أن حب الرسول ﷺ فرض بل لا يتم الإيمان والإسلام إلا بكونه أحب إلى العبد من نفسه فضلا عن غيره، واتفقوا على أن حبه لا يتحقق إلا باتباع آثاره والتسليم لما جاء به والعمل على سنته وترك ماخالف قوله، كما قال تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**﴾وقال: ﴿**فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** ...﴾ الآية فمن زعم أن أدلة القرآن والسنة لا تفيد اليقين، وأن أحاديث الأسماء والصفات أخبار آحاد لاتفيد العلم فهو بعيد عن هذا التحكيم، فيجب اعتقاد أنه ﷺ الواسطة فى التبليغ عن الله شرعه ودينه، فالله سبحانه المشرع ورسوله المبلغ، فالحلال ما أحله الله والحرام ماحرمه والدين ماشرعه، فاتخاذ الواسطة ينقسم إلى قسمين: الأول: اتخاذ واسطة بينك وبين الله على أنها تنفع وتضر، فاتخاذ هذه الواسطة شرك وكفر بالإجماع كما ذكر ذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية. الثاني: اتخاذ الأنبياء عليهم السلام واسطة في التبليغ عن الله شرعه ودينه فإسقاط هذه الواسطة كفر بالله، فمن زعم أنه يأخذ عن الله بدون واسطة رسله وأنبيائه فهو كافر، أو زعم أنه يصل إلى حد تسقط عنه التكاليف الشرعية، أو أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، أو أنه محتاج إلى محمد ﷺ فى علم الظاهر دون علم الباطن أو فى علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو أن هدى غير محمد أحسن من هديه فهو كافر بالله العظيم.

قوله: (آثار رسول الله ﷺ) : أى ما أثر عنه وروى عنه من قول أو فعل أو تقرير، وليس المراد آثاره الحسية كمواضع نومه ﷺ وجلوسه وقيامه ونحو ذلك، فلا ينبغى تتبع ذلك؛ لأنه وسيلة إلى الفتنة بتلك المواضع وربما آل إلى جعلها معابد ولذلك قطع عمر بن الخطاب الشجرة التى بايع النبى ﷺ تحتها الصحابة لما بلغه أن أناساً يذهبون إلى شجرة فيصلون تحتها، ونهى عن اتباع آثاره الحسية، وقال إنما هلك من كان قبلكم باتباع آثار أنبيائهم، وأما ما كان يفعله ابن عمر من تتبع آثار رسول الله ﷺ حتى إنه بال فى الموضع الذى بال فيه رسول الله، فقد

باطنا وظاهراً واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

خالفه أبوه وجمهور الصحابة، والصواب معهم حسما لمواد الشرك وسداً للذرائع التى توصل إليه، والإسلام مبنى على أصلين: أن لا نعبد إلا الله، وأن نعبده بما شرع لانعبده بالبدع وقد تقدم ذكر ذلك.

قوله: (باطنا وظاهراً): إشارة إلى أنه لابد من الإخلاص فى العمل، وأن كل عمل لا يراد، وجه الله فليس لعامله فيه ثواب، كما أن كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله.

قوله: (واتباع سبيل السابقين) إلخ: أى سلوك طريقهم والسير على منهاجهم والسبيل فى الأصل الطريق، فمن أصول أهل السنة اتباع سبيل السابقين، وذلك لما خصهم الله به من العلم والفضل والفقه عن الله ورسوله فقد شاهدوا التنزيل وسمعوا التأويل وتلقوا عن الرسول ﷺ بلا واسطة أحد، فهم أحق بإصابة الصواب وأجدر باتباع السنة والكتاب.

قال ابن القيم رحمه الله فى أعلام الموقعين: ومن المحال أن يكون الصواب فى غير طريق من سبق إلى كل خير على الإطلاق، انتهى، قال تعالى: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه**﴾ وذلك متناول لكل من اتبعهم إلى يوم القيامة كما ذكر ذلك أهل العلم، قال الشاطبى رحمه الله: للصحابة سنة يعمل عليها ويرجع إليها، ومن الدليل على ذلك أمور ثم ساقها، وقال عبد الله بن مسعود: من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علما وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، انتهى فخير قلوب العباد أحق الخلق بإصابة الصواب، فكل خير وإصابة ومعارف ومكارم إنما عرفت فوصلت إلينا منهم رضى الله عنهم.

وقال الإمام أحمد: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ولهذا كان اعتقاد الفرقة الناجية هو ماكان عليه رسول الله ﷺ كما شهد لهم بذلك فى قوله: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى**». وأكثر العلماء على أن أقوال الصحابة حجة يجب اتباعها، ويحرم الخروج عليها حيث

واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة».

لانص نبوى، وقد غلط من زعم أن طريقة السلف، أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، فإن هذا القائل لم يعرف قدر السلف بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين حق المعرفة، كيف يكون هؤلاء المحجوبين المنقوصين الحيارى أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكامه من السابقين الأولين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء الذين وهبهم الله علم الكتاب والحكمة وأحاطوا من حقائقه ومعارفه ماعجز أولئك عن فهم معانيه وإدراكه، ثم كيف يكون خير قرون هذه الأمة أنقص فى العلم والحكمة لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وصفاته وآياته من هؤلاء الأصاغر المنقوصين الحيارى المتهوكين، ولا شك أن هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده فى غاية الجهالة بل فى غاية الضلالة.

قوله: (حيث قال): أى فى حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين...**» الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى: حسن صحيح، وقال الحافظ أبو نعيم جيد صحيح، وفى هذا الحديث: الحث على التمسك بسنة رسول الله ﷺ ووجوب اتباعها، وفيه قرن سنة الخلفاء الراشدين بسنته ووجوب اتباعها مع عدم وجود سنته، وفيه أن للخلفاء سنة وأن الأخذ بها واتباعها رشاد وهدى، وفيه أن ماسنه الخلفاء الراشدون أو أحدهم حجة لا يجوز العدول عنها بخلاف غيرهم من ولاة الأمور، ولحديث: « **اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر**» ولو لم تقم الحجة بقولهم لما أمرنا باتباعهم، وهذا القول هو الحق.

قوله :(وسنة الخلفاء الراشدين): وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى كما فى حديث سفينة: « **الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون ملكا**» رواه أحمد وصححه ورواه غيره، وإنما وصف الخلفاء بالراشدين؛ لأنهم عرفوا الحق وقضوا به، والراشد ضد الغاوى، والغاوى من عرف الحق وعمل بخلافه.

قوله: (المهديين): يعنى أن الله سبحانه يهديهم إلى الحق ولا يضلهم عنه، فالأقسام ثلاثة: راشد وغاوى وضال، فالراشد عرف الحق واتبعه، والغاوى عرفه ولم يتبعه، والضال لم يعرفه بالكلية، انتهى من كلام ابن رجب.

قوله: (تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ): هذا كناية عن شدة التمسك بها، والنواجذ: آخر الأضراس.

قوله: (محدثات): بضم الميم وسكون الحاء جمع محدثة، والمراد بها البدع، والبدعة لغة: كل شيء عمل على غير مثال سابق، وأما البدعة الشرعية فهى مالم يدل عليه دليل شرعى، فلفظ البدعة فى اللغة أعم من لفظ البدعة فى الشريعة، وهذا الحديث دل على التحذير من البدع والرد على من زعم تقسيم البدعة إلى حسنة وقبيحة، وأما قول عمر (نعمت البدعة) فالمراد بها البدعة اللغوية، إذ أصل صلاة التراويح مشروعة، فقد صلاها الرسول ﷺ بأصحابه ثم تركها لما خشى أن تفرض عليهم، وتنقسم البدعة إلى قسمين: بدعة اعتقاد، وهو اعتقاد خلاف ما أخبر به الرسول ﷺ كقوله: «**ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة**» قالوا من هى يارسول الله؟ قال: « **من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابى**» الثانية: بدعة عملية وهو التعبد بغير ماشرع الله ورسوله، فمن تعبد بغير الشرع أو حرم مالم يحرمه الشارع فهو مبتدع، والبدعتان غالبا متلازمتان قلَّ أن تنفك إحداهما عن الأخرى.

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: اعلم أن المحدث على قسمين: محدث ليس له أصل من الشريعة فهذا باطل مذموم، ومحدث يحمل النظير على النظير فهذا ليس بمذموم؛ لأن البدعة ولفظ المحدث لايذمان لمجرد الاسم، بل لمعنى مخالفة السنة، والداعى إلى الضلالة، ولا يذم ذلك مطلقاً، فقد قال سبحانه: ﴿ **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث**﴾ الآيه، وقال عمر: نعمة البدعة هذه ـ يعنى التراويح .

قال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله: وأصل ضلال أهل الأرض إنما نشأ من هذين: إما اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم مالم يحرمه الله، ولهذا كان الأصل الذى بنى عليه الإمام أحمد وغيره من الأئمة مذاهبهم أن أعمال الخلق تنقسم إلى عبادات يتخذونها وإلى عادات ينتفعون بها فى معائشهم، فالأصل فى العبادات أن لا يشرع إلا ماشرعه الله ورسوله، والأصل فى العادات أن لا يحظر منها إلا ماحظره الله ا هـ.

قال العلماء رحمهم الله: العبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على

الاختراع والابتداع، فالأصل فى العبادات التحريم إلا ماشرعه الله ورسوله، ولهذا يشترط للعبادة شرطان: الإخلاص والمتابعة كما فى الصحيح من حديث عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد**» أى مردود كائناً ماكان، وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه أنه كان يقول فى خطبته: «**إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**» وفى رواية النسائى: «**وكل ضلالة في النار**» وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه: «**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**»، وقال الأوزاعى رحمه الله: «**عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول**» إلى غير ذلك من الأدلة على تحذير الأمة من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة، وتقدم أن المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له من الشرع يدل عليه، وأما ماكان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة.

قوله: (ويعلمون أن أصدق) إلخ: فلا أحد أصدق منه قولا ولا خبراً، فكل ماأخبر به سبحانه فهو صدق وحق لامرية فيه ولا شك، قال تعالى: ﴿ **ومن أصدق من الله قيلا** ﴾ ﴿ **ومن أصدق من الله حديثا** ﴾ وقال: ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا** ﴾ وعن جابر رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: «**صبحكم ومساكم ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**» رواه مسلم.

قوله: (وخير الهدى هدى محمد): الهدى بفتح الهاء وسكون الدال: السمت والطريقة والسيرة، وقرئ بالضم أى الدلالة والإرشاد والمراد تفضيل دينه وسنته على سائر الأديان والسنن، فدينه ﷺ أكمل الأديان على الإطلاق، وشريعته أفضل الشرائع اختارها الله لخيرته من خلقه ولأمته خير أمة أخرجت للناس، وجعلها حجة باقية إلى يوم القيامة لا يتطرق إليها النسخ ولا يعتريها التبديل والتغيير الذى وقع فى الشرائع قبلها، ولهذا المعنى الذى ذكرناه كان كل عاقل من اليهود والنصارى كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يعترف بأن دين الإسلام حق وأن

محمداً رسول الله، وأن من أطاعه منهم دخل الجنة، بل كثير منهم يعترفون بأن دين الإسلام خيراً من دينهم كما أطبقت على ذلك الفلاسفة كما قال ابن سينا: أجمع فلاسفة العالم على أنه لم يطرق العالم ناموس أعظم من هذا الناموس، ولاشك أن هذه الشريعة العظيمة الكاملة من دلائل نبوته ﷺ وكذلك أخلاقه وأقواله وأفعاله وسيرته ﷺ كلها من آياته ودلائل نبوته، كما أشار إلى ذلك الشيخ تقي الدين رحمه الله فقد جبله الله سبحانه وتعالى على أجمل الأخلاق وأزكاها واختار له أفضلها وأولاها، وأخلاقه مقتبسة من القرآن كما قال تعالى: ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ قال العوفى عن ابن عباس: ﴿**وإنك لعلى دين عظيم**﴾ وهو دين الإسلام، وفى صحيح مسلم عن سعيد بن هشام قال: «سألت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، فقالت: كان خلقه القرآن» ومعنى هذا أنه ﷺ مهما أمره الله به فى القرآن امتثله ومهما نهاه عنه اجتنبه، هذا ماجبله الله سبحانه عليه من الأخلاق الجبلية الأصلية العظيمة التى لم يكن أحد من البشر، ولا يكون على أجمل منها، فكان فيه ﷺ من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح وسائر الأخلاق الكاملة ما لا يحد ولايمكن وصفه، وقد خرج الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

قوله: (ويؤثرون كلام الله) إلخ: أى يقدمون كلام الله على كلام غيره من خلقه كائناً من كان، ولا يعدلون عنه ولا يعارضونه بمعقول ولا قول فلان، فإنه الفرقان، المفرق بين الحق والباطل، والنافع والضار، وهو الإمام الذى يجب اتباعه والرجوع إليه عند التنازع، إذ لاسعادة فى الدنيا والآخرة إلا بالاعتصام بحبل الله، ولا نجاة إلا بالتمسك بما جاء فى كتابه، فإنه الشفاء والنور والحياة الحقيقية، قال الله تعالى: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ قال قتادة والسدى وكثير من أهل التفسير: هو القرآن، وقال عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ: إن هذا القرآن هو حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، وقال على بن أبى طالب عن النبى ﷺ فى القرآن: هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تختلف به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه، من

ويقدمون هدى محمد ﷺ على هدى كل أحد، ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين.

قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم، وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: جمع الله في هذا الكتاب علم الأولين والآخرين وعلم ماكان وعلم مايكون، والعلم بالخالق أمره وخلقه، أخرجه ابن رزين، انتهى، وقد سماه سبحانه وتعالى روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونوراً لتوقف الهداية عليه قال تعالى: ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ماالكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم**﴾، وقال: ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء**﴾، وقال: ﴿ **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**﴾ وقال: ﴿**فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾ والرد إليه هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته، والرجوع إلى سنته بعد وفاته، هذا معناه بإجماع المفسرين، فيجب الرجوع إلي كتاب الله وسنة رسوله، ولا يجوز العدول عنها ولا معارضتها ولا الاعتراض عليها، ففيها غاية البغية وفصل النزاع، قال تعالى: ﴿**أوَ لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم**﴾.

قوله: (ويقدمون هدى محمد ﷺ) إلخ: أى يقدمون شرعه ودينه، فدينه أكمل الأديان على الإطلاق، وشريعته أفضل الشرائع، فمن ادعى أن هدى غير محمد أفضل من هديه، أو ادعى غناه عن الرسالة بمكاشفة أو مخاطبة أو عصمة، سواء ادعى ذلك لنفسه أو لغيره فهو من أضل الناس، بل من اعتقد أنه يجوز له أن يخرج عن طاعة الرسول ﷺ وتصديقه فى شيء من أموره الباطنة والظاهرة فإنه يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل كائنا من كان.

ذكر ذلك شيخ الإسلام تقى الدين فى كتابه الفرقان، وكذلك من زعم أن الشريعة قاصرة وأنها لا تساير الزمن، وأنه يسوغ له سن النظم والتعليمات لكل زمان بما يناسبه على زعمه، أو زعم أن النظم الأفرنجية أحسن من نظام الشريعة أو نحو ذلك من الأقوال فهو زنديق.

قوله: (ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة): وذلك لاتباعهم للكتاب والسنة الثابتة عن نبيهم فى الأصول والفروع، والأخذ بهما وتحكيمهما فى القليل والكثير

والاستغناء بهما وتقديمهما على قول كل أحد كائنا من كان بخلاف الخوارج والمعتزلة والروافض ومن وافقهم فى بعض أقوالهم فإنهم لا يتبعون الأحاديث التى رواها الثقات عن النبى ﷺ، فالمعتزلة يقولون هذه أخبار آحاد والرافضة يطعنون فى الصحابة ونقلهم، والخوارج يقول قائلهم: اعدل يامحمد فإنك لم تعدل، فيجوزون على النبى أنه يظلم. قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: السنة ماكان عليه رسول الله ﷺ وصحابه فى عهده مما أمرهم به أو أقرهم عليه أو فعله هو.

قوله:(وسموا أهل الجماعة). إلخ: لاجتماعهم على آثار الرسول والاستضاءة بأنواره وتحكيمه فى القليل والكثير، فالجماعة هم المجتمعون الذين مافرقوا دينهم وكانوا شيعاً، والذين فرقوا دينهم خارجون عن الفرقة الناجية وقد برأ الله نبيه منهم، قال تعالى: ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء**﴾ الآية قال فى المرقاة المراد بالجماعة أهل الفقه والعلم الذين اجتمعوا على اتباع آثاره ﷺ فى النقير والقطمير ولم يبتدعوا بالتحريف والتغيير، وقال بعض العلماء: المراد بالجماعة من كان على الحق ولو واحداً، وذلك لأن الحق هو ماكان عليه الجماعة فى الصدر الأول، وقد تكاثرت الأدلة فى الحث على الاجتماع والنهى عن التفرق والاختلاف قال تعالى: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ وقال: ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله**) وقال تعالى: ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾ قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة، وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**إن ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاردة القاصية، فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد**» وورد: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**» وورد عن ابن مسعود أنه قال: «الخلاف شر» وحديث: « **إن أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاثة وسبعين ملة...**»، يعني الأهواء كلها فى النار إلا واحدة، وهى الجماعة إلى غير ذلك من الأدلة فى الحث على الاجتماع وذم الاختلاف والتفرق، وينقسم الاختلاف إلى قسمين: اختلاف تنوع واختلاف تضاد، فالأول هو مايكون القولان أو الفعلان مشروعا كما فى أنواع الاستفتاحات وأنواع القراءات والأذان ونحو ذلك مما قد شرع جميعه، وأما اختلاف التضاد فهما القولان المتنافيان إما فى الأصول أو فى الفروع.

والإجماع:وهو الأصل الثالث الذى يعتمد عليه فى العلم والدين، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ماعليه الناس من أعمال وأفعال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين.

قوله:(والإجماع):الإجماع يطلق لغة:على العزم كما قال سبحانه ﴿**فاجمعوا أمركم**﴾ وقال ﷺ: «**لا صيام لمن لم يجمع الصيام من الليل**» وهذا يتأتى من الواحد والجماعة ويراد به أيضاً الاتفاق. واصطلاحا: هو اتفاق علماء العصر من الأمة على أمر دينى وهو حجة قاطعة يجب العمل به عند الجمهور ، وأنكره بعض المبتدعة من المعتزلة والشيعة، والدليل على حجية الإجماع قوله تعالى: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**﴾ وعن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا:«**لا تجتمع هذه الأمة على ضلالة أبداً**» رواه الترمذى، وعن أنس رضى الله عنه مرفوعا: «**لا تجتمع هذه الأمة على ضلالة فإن رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم الحق وأهله**» رواه ابن ماجه وعن أبى ذر مرفوعا: «**عليكم بالجماعة فإن الله لم يجمع أمتى إلا على هدى**» رواه أحمد.

وعن أبى ذر مرفوعا: «**من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**» رواه أحمد وأبو داود، وعن ابن مسعود رضى الله عنه: «**ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيىء**» رواه أبو داود الطيالسى وأخرجه البزار وأبو نعيم فى ترجمة ابن مسعود.

قوله:(وهو الأصل الثالث):الأصل لغة: أسفل الشيء وأساسه، واصطلاحا: مابنى عليه غيره. **قوله:(الثالث)** أى من الأدلة التى هى الكتاب والسنة ، والثالث هو الإجماع، ولم يزل أئمة الإسلام على تقديم الكتاب على السنة، والسنة على الإجماع، وجعل الإجماع فى المرتبة الثالثة. قال الشافعى رحمه الله: الحجة كتاب الله وسنة رسوله واتفاق الأئمة، وروى الترمذى فى جامعه عن معاذ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له لما بعثه إلى اليمن: «**كيف تقضى**» ؟ قال أقضى بما فى كتاب الله، قال :«**فإن لم يكن فى كتاب الله**»؟ قال: بسنة رسول الله، قال: «**فإن لم يكن فى سنة رسول الله**» قال: أجتهد برأيى، قال: «**الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله**» ا هـ .

والإجماع جميع ماعليه الناس مما له تعلق بالدين،والإجماع الذى ينضبط هو ماكان عليه السلف الصالح، وبعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة.

قوله: (الذى يعتمد عليه فى العلم والدين): أى يستند ويركن إليه للأدلة الكثيرة الدالة على عصمة هذه الأمة من الاجتماع على ضلالة، وإن الإجماع كما تقدم حجة قاطعة يجب العمل به لما تقدم.

قوله :(وهم يزنون) إلخ: أى أن أهل السنة والجماعة يعرضون جميع الأقوال والاعتقادات على هذه الأصول الثلاثة - وهى الكتاب والسنة والإجماع - ويجعلون هذه الأصول الثلاثة هى المعيار التى توزن به الأعمال، إذ لا حجة إلا فى هذه الأصول المتقدمة، وأما القياس ففيه خلاف معروف.

قوله: (مما له تعلق بالدين): أى كصلاة وصيام وحج وزكاة ومعاملات ونحو ذلك، أما مالا تعلق له بالدين كأمور المعائش والعادات، فالأصل فيه الإباحة فالإجماع ليس بحجة فيها، قال الكورانى: لا معنى للإجماع فى ذلك لأنه ليس أقوى من قوله ﷺ وهو ليس دليلا لا يخالف فيه، واستدل على ذلك بما روى مسلم فى صحيحه عن أنس أن النبى ﷺ قال: « **أنتم أعلم بأمر دنياكم** ».

قوله: (والإجماع جميع ما عليه الناس) إلخ: أى من عبادات ومعاملات وغير ذلك. **قوله: (مماله تعلق بالدين)** احتراز من اتفاقهم على أمر دنيوى كإقامة مصنع أو حرفة أو متجر أو نحو ذلك، فإن ذلك ليس إجماعاً شرعياً: قال فى اللمع: أما أمور الدنيا كتجهيز الجيوش وتدبير الحروب والعمارة والزراعة وغيرها من مصالح الدنيا فالإجماع ليس بحجة فيها؛ لأن الإجماع فيها ليس بأكثر من قول الرسول ﷺ وقد ثبت أن قوله إنما هو حجة فى أحكام الشرع دون مصالح الدنيا، ولهذا روى أنه نزل منزلا فقيل له إنه ليس برأى فتركه.

قوله:(والإجماع الذى ينضبط): إلخ: أى الإجماع الذى ينضبط، أى يحفظ ويضبط ضبطا تاماً بدون نقص، ويمكن العلم به هو ماكان عليه السلف الصالح لا مابعد ذلك، فتعذر العلم به غالباً لانتشار الإسلام وكثرة العلماء وتفرقهم فى البلاد، فالعلم بحادثة واحدة انتشرت فى جميع الأقطار، ووقف كل مجتهد عليها ثم أطبقوا فيها على قول واحد، ، هذا مما لا تساعد العادة على وقوعه، فضلا

فصل

ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة .

عن العلم به، وهذا هو الذى أنكره أحمد وغيره لا وقوع الإجماع.

قال الإسنوى: ولأجل هذه الاحتمالات قال الإمام أحمد: من ادعى الإجماع فهو كاذب. قال أبو المعالى: والإنصاف أنه لا طريق لنا إلى معرفة الإجماع إلا فى زمن الصحابة، وقال البيضاوى: إن الوقوف عليه لا يتعذر في أيام الصحابة، فإنهم كانوا قليلين محصورين ومجتمعين في الحجاز، ومن خرج منهم بعد فتح البلاد كان معروفاً فى موضعه. وقال ابن بدران فى شرح روضة الناظر بعد ذكر ماتقدم. قلت وهو الحق البين، انتهى. وقال ابن القيم رحمه الله فى الأعلام: وليس عدم علمه بالمخالف إجماعا، وقد كذب أحمد من ادعى الإجماع، وكذلك الشافعى فى رسالته الجديدة، على أن مالا يعلم فيه بخلاف لا يقال له إجماع، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبى يقول: ما يدعى فيه الرجل الإجماع فهو كذب لعل الناس اختلفوا، هذه دعوى بشر المريسى والأصم، فهذا هو الذى أنكره أحمد والشافعى لا ما يظنه بعض الناس أنه استبعاد لوجوده.

فصــــل

قوله : (ثم هم): أى أهل السنة والجماعة. **قوله: (مع هذه الأصول المتقدمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)** كما وصفهم الله بذلك فقال تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾، وقال: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾، وقال تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ وفى صحيح مسلم والترمذى وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» فما تقدم دليل على عظم شأن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأنهما من أعظم الواجبات، وأصل عظيم من أصول الشريعة، ولولا

. . . .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لهدم بنيان الشريعة وتداعى، وعمت الفوضى وساءت البلاد، نسأل الله العافية، والأدلة على الحث على الأمر بالمعروف والترغيب فيه والوعيد الشديد فى إهماله والتساهل فيه كثيرة جداً، انتهى. والمعروف: اسم جامع لكل ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، والمنكر: اسم جامع لكل ما يكرهه الله ونهى عنه، انتهى اقتضاء الصراط المستقيم، وقد تطابق على وجوبهما الكتاب والسنة والإجماع، وهما أيضاً من النصيحة، ولم يخالف فى ذلك إلا بعض الرافضة كما ذكره إمام الحرمين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية مختصان بأهل العلم والدين والذين يعرفون كون ما يأمرون به وما ينهون عنه من الدين، فإن كان الذى علم بالمنكر واحد تعين عليه الإنكار أو كانوا جماعة لكن لا يحصل المقصود إلا بهم جميعاً تعين عليهم.

ويشترط فى وجوب الإنكار أن يأمن المنكر على نفسه وأهله وماله، فإن خاف على نفسه السيف أو السوط أو النفى أو نحو ذلك من الأذى سقط عنه أمرهم ونهيهم، فإن خاف السب أو سماع الكلام السيئ لم يسقط عنه الإنكار بذلك، نص عليه أحمد، فإن احتمل الأذى وقوى عليه فهو أفضل، نص عليه أحمد أيضاً وقيل له: أليس قد جاء عن النبى ﷺ أنه قال: «**ليس للمؤمن أن يذل نفسه**» أى يعرضها من البلاء ما لا طاقة له به، قال ليس هذا من ذلك، وهل يجب إنكار المنكر على من علم أنه لا يقبل منه، فيه روايتان عن أحمد، وصحح القول بوجوبه، وهو قول أكثر الصحابة كما ذكره ابن رجب، والمنكر الذى يجب إنكاره ما كان مجمعا عليه، أما المختلف فيه، فمن أصحابنا من قال: لا يجب إنكاره على من فعله مجتهداً أو مقلداً لمجتهد تقليداً سابقا، واستثنى القاضى فى الأحكام السلطانية ما ضعف فيه الخلاف، ومراتب الإنكار ثلاث كما تقدم من حديث أبى سعيد، وفيه دليل على أن إنكار المنكر يجب بحسب القدرة عليه، وأن إنكاره بالقلب لابد منه بخلاف الذى قبله، وأفاد وجوب تغيير المنكر بكل طريق، فلا يكفى الوعظ إن أمكنه إزالة المنكر باليد، ولا يكفى بالقلب إذا أمكن باللسان.

قوله: (على ما توجبه الشريعة): أى أنه يجب أن يكون الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر متبصراً عالماً بما يأمر به، وأنه مطابق للأمر، قال تعالى: ﴿**قل هذه**

سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾، قال الشيخ تقى الدين فى المنهاج: ولا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولابد من العلم بحال المأمور والمنهى ولابد فى ذلك من الرفق، ولابد أن يكون حليماً صبوراً على الأذى فإنه لابد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فلابد من هذه الثلاثة: العلم والرفق والصبر، العلم قبل الأمر والنهى والرفق معه والصبر بعده، ا.هـ. وقال سفيان الثورى: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى، عدل فيما يأمر عدل فيما ينهى، عالم بما يأمر عالم بما ينهى، انتهى.

وقال ابن القيم رحمه الله فى الأعلام: وقد شرع النبى ﷺ لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ فى قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها فقالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «**لا ما أقاموا الصلاة**»، وقال: «**من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يداً من طاعة**» إلى أن قال: فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده. **الثانية**: أن يقل وإن لم يزل بجملته. **الثالثة**: أن يخلفه ما هو مثله. **الرابعة**: أن يخلفه ما هو شر منه فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد. والرابعة محرمة، فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارها عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمى النشاب وسبق الخيل ونحو ذلك، انتهى ملخصاً، وقال بعضهم:

ومن أزال منكراً بأنكرا ... كغاسل الحيض ببول أغيرا

وقال النووى رحمه الله: ثم إنه يأمر وينهى من كان عالما بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا ونحوها فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من

دقائق الأفعال والأقوال وما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء، انتهى .

قوله:(**ويرون**): أي ويعتقدون، من رآه وارتآه إذا اعتقده، أي من أصول أهل السنة والجماعة أن الصلاة التي تقيمها ولاة الأمور تصلي خلفهم على أي حالة كانوا كما يحج معهم ويغزى، ولا يرون الخروج عليهم وقتالهم بالسيف إذا كان فيهم ظلم، خلافاً للمبتدعة من الخوارج والمعتزلة والرافضة الذين يرون جواز الخروج على ولاة الأمور إذا فعلوا ما هو ظلم أو ما ظنوه هم ظلما، ويرون ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقولهم باطل ترده أدلة الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾الآية، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها**»، قالوا فما تأمرنا ؟ قال: « **تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم**». وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**». وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً«**الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً**»رواه أبو داود. وفي الصحيح: «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «**إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف**»، وروى مسلم في صحيحه عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية**» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: « **من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية**» رواه مسلم، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإن خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية**»إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على وجوب طاعة ولاة الأمور، فإذا أمروا بطاعة الله وجبت طاعتهم وإذا أمروا بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة، كما في الصحيح أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**»، وصح عنه ﷺ أنه قال: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على الحث على السمع

والطاعة لولاة الأمور إذا أمروا بطاعة الله، فإن فى طاعة ولاة الأمور من المنافع والمصالح ما لا يحصى، ففيها سعادة الدين وانتظام مصالح العباد فى معاشهم ويستعينون بها على إظهار دينهم وطاعة ربهم، كما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر، إن كان فاجراً عبد المؤمن ربه، وحمل الفاجر فيها إلى أجله.

وقال الحسن فى الأمراء: هم يلون من أمورنا خمساً: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا أو ظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، وروى: «ستون سنة مع إمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام» وروى أن عمرو بن العاص أوصى ابنه فقال: إمام عادل خير من مطر وابل، وأسد خطوم خير من إمام ظلوم، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم وقال عبد الله بن المبارك:

إن الخلافة حبل الله فاعتصموا	منه بعروته الوثقى لمن كانا
كم يدفع الله بالسلطان معضلة	عن ديننا رحمة منه ودنيـانا
لولا الخلافة لم نؤمن لنا سبـل	وكان أضعفنا نهبـا لأقوانا

وأجمع العلماء على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة ووجوبه فى الشرع، وأدلة ذلك كثيرة، ونصبه يكون بأحد أمور: إما باستخلاف من قبله له كما فعل أبو بكر الصديق فى استخلافه عمر رضى الله عنهما، أو باتفاق أهل الحل والعقد على عقدها لصالح، أو يجعلها شورى بين جماعة كما فعل عمر رضي الله عنه، أو قهر الناس حتى دانوا له ودعوه. أما ما قال أحمد فى رواية عبدوس بن مالك العطار: ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة، وسمى أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله يبيت ولا يراه إماماً براً كان أو فاجراً، وقد أفردت أحكام الإمامة بمصنفات فارجع إليها.

قوله: (أبراراً كانوا أو فجاراً): البر بكسر الباء أصله: التوسع فى فعل الخير، وهو اسم جامع للخيرات كلها ويطلق على العمل الصالح الدائم، والفجور يطلق على الميل إلى الفساد والانبعاث فى المعاصى، وهو اسم جامع للشر، فتجب طاعة ولاة الأمور فى الطاعة، وتحرم مخالفتهم والخروج عليهم، سواء كانوا أبراراً أو

ويحافظون على الجمع والجماعات.

فجارا، فلا ينعزل الإمام بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع، ولا يجوز الخروج عليه بل يجب وعظه، وذلك لما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين، فتكون المفسدة فى عزله أكثرمنها فى بقائه، والشريعة جاءت بجلب المصالح ودفع المضار.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذى سلطان إلا وكان فى خروجها من الفساد أكثر من الذى فى إزالته، وقال أيضاً فى أثناء كلام له: ونهى الرسول ﷺ عن قتال أئمة الجور، وأمر بالصبر على جورهم ونهى عن القتال فى الفتنة، فأهل البدع من الخوارج والشيعة والمعتزلة وغيرهم، يرون قتالهم والخروج عليهم إذا فعلوا ما هو ظلم أو ظنوه هم ظلما، ويرون ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. اهـ

وقال النووى رحمه الله فى شرح مسلم: وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة على أن الإمام لا ينعزل بالفسق، وقال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتنة وإراقة الدماء وإفساد ذات البين، فتكون المفسدة أكثر من المفسدة فى بقائه. انتهى.

قوله:(ويحافظون على الجمع والجماعات): لأنها من أوكد العبادات ومن أجلّ الطاعات ومن أعظم شعائر الإسلام الظاهرة، وقد تكاثرت الأدلة فى الحث على حضور الجمع والجماعات والترغيب فى ذلك؛ وتحريم التخلف عنهما إلا لعذر، هذا ماعليه أهل السنة خلافاً للمبتدعة من الرافضة وغيرهم الذين لا يرون الجهاد ولا حضور الجماعة إلا مع الإمام المعصوم، وإمامهم هذا الذى يزعمون هو معدوم، وهم ينتظرونه من مدة طويلة، ولم يقفوا له على عين ولا أثر، إن هى إلا مجرد أوهام وأمانى وظنون كاذبة، وأن الظن لا يغنى عن الحق شيئا **﴿تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾**.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: ومن ظن أن صلاته وحده أفضل من أجل خلوته أو غير ذلك فهو مخطئ ضال، وأضل منه من لم يرى الجماعة إلا خلف معصوم فعطل المساجد وعمر المشاهد، انتهى. وصلاة الجماعة فرض عين، وهذا

هو المشهور عن أحمد وغيره من أئمة السلف وعلماء الحديث، وقال بعض العلماء: إن صلاة الجماعة شرط لحديث «**لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد**» واختاره الشيخ تقى الدين وابن عقيل وغيرهم، وقال الشيخ تقى الدين رحمه الله: ومن قال لا تجوز خلف من لا تعرف عقيدته، وماهو عليه فهو قول لم يقله أحد من المسلمين، فإن أهل الحديث والسنة كالشافعى وأحمد وإسحاق وغيرهم متفقون على أن صلاة الجمعة تصلى خلف البر والفاجر، حتى إن أكثر أهل البدع كالجهمية الذين يقولون بخلق القرآن وأن الله لا يرى فى الآخرة، ومع أن أحمد ابتلى بهم وهو أشهر الأئمة بالإمامة فى السنة، ومع هذا لم تختلف نصوصه أنه تصلى الجمعة خلف الجهمى والقدرى والرافضى، وليس لأحد أن يدع الجمعة لبدعة فى الإمام، لكن تنازعوا هل تعاد؟ على قولين هما روايتان عن الإمام أحمد، قيل: تعاد خلف الفاسق، ومذهب الشافعى وأبى حنيفة لا تعاد .ا.هـ.

وهذا هو الصحيح فإن الصحابة كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة والفجار ولا يعيدون، كما كان عبد الله بن عمر يصلى خلف الحجاج بن يوسف، وكذلك أنس وكذلك عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم، وغيرهم يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبى معيط وكان يشرب الخمر.

وأخرج الدارقطنى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً: «**صلوا خلف كل بر وفاجر**»، وقال: لم يلق مكحول أبا هريرة، وفى إسناده معاوية بن صالح متكلم فيه، وقد احتج به مسلم فى صحيحه، وخرج الدارقطنى أيضا وأبو داود عن مكحول عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم برا كان أو فاجرا، وإن عمل بالكبائر، والجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا وإن عمل بالكبائر**» انتهى.

قوله: (**ويدينون بالنصيحة للأمة**): أى يتعبدون، يقال دان بالإسلام دينا بالكسر تعبد به وتدين به كذلك، أى أن أهل السنة يدينون أى يتعبدون بالنصيحة لجميع الأمة، كما تكاثرت الأخبار فى الحث عليها والترغيب فيها، ولأن عليها مدار الدين كما فى الصحيحين من حديث تميم الدارى أن رسول الله ﷺ قال: «**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة**»، قالها ثلاثاً، قلنا لمن يارسول الله؟

ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»، وشبك بين أصابعه .

قال : «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم» فقد حصر الدين فيها.

قال الخطابى: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له، وقال ابن بطال: والنصيحة تسمى دينا وإسلاماً، والدين يقع على العمل كما يقع على القول، وقال: وهى فرض كفاية يجزئ فيه من قام به ويسقط عن الباقين، وقال: والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل منه وأمن على نفسه المكروه، فإن خشى على نفسه أذى فهو فى سعة. انتهى.

وأخرج الطبرانى من حديث حذيفة بن اليمان عن النبى ﷺ أنه قال: « **من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يمسى ويصبح ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم**» قال الخطابى: فمعنى النصيحة لله صحة الاعتقاد فى وحدانيته وإخلاص النية فى عبادته، والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه، والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة فيما أمر به ونهى، والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم .

وفى صحيح مسلم عن النبى ﷺ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **حق المؤمن على المؤمن ست**» فذكر منها: « **وإذا استنصحك فانصح له** » وفى المسند عن حكيم بن أبى يزيد عن أبيه عن النبى ﷺ قال: « **إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له** ».

قوله: (ويعتقدون معنى قوله ﷺ) إلخ: هذا الحديث رواه البخارى ومسلم من حديث أبى موسى الأشعرى.

قوله: (المؤمن للمؤمن) الحديث: أى المؤمن الإيمان الكامل، فى هذا الحديث الحث على التناصر والتناصح والتعاون، وقد تكاثرت الأحايث بمعنى هذا الحديث وقال القاضى رحمه الله: هو تمثيل وتقريب للفهم يريد الحث على التعاون والتناصر، فيجب امتثال ما حث عليه. وقال ابن بطال: والمعاونة فى أمور الأخرة، وكذا فى الأمور المباحة من الدنيا مندوب إليها، وقد ثبت فى حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «**والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه**».

وقوله ﷺ:« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر».

قوله: (وشبك بين أصابعه):يستفاد منه أن الذى يريد المبالغة فى بيان أقواله يمثلها فى حركاته، وليكون أوقع فى النفس. ذكره فى الفتح.

قوله: (مثل المؤمنين): هذا الحديث أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث النعمان بن بشير، وفى رواية لمسلم: «**المسلمون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله**»، والمراد بـ (المؤمنين) الإيمان الكامل.

قوله: (كمثل الجسد الواحد): أى بالنسبة إلى جميع أعضائه، ووجه التشبيه فيه التوافق فى التعب والراحة.

قوله: (فى توادهم): بتشديد الدال مصدر توادد أى تحابب وتراحم. أى تلاطفهم .

قوله :(تعاطفهم): عطف بعضهم على بعض.

قوله: (إذا اشتكى): أى تألم عضو من أعضاء جسده (تداعى)أي دعى بعضه بعضا إلى المشاركة فى الألم.

قوله: (سائر): أى باقى (**والحمى**) هى المرض المعروف (**والسهر**) عدم النوم فى الليل، قاله فى القاموس. فهذان الحديثان دلا على أن من صفات المؤمنين التعاطف فيما بينهم والتراحم ومحبة بعضهم لبعض الخير، وفى حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال:«**المؤمن مرآة المؤمن، المؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه**» .

رواه أبو داود وخرجه الترمذى بلفظ: «**إن أحدكم مرآة أخيه، فمن رأى به أذى فليمطه عنه**» وفيهما دليل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن، ويسوؤه مايسوؤه، ويحب له ما يحب لنفسه من الخير، وهذا كله مما يدل على سلامة القلب من الغش والحسد والحقد، وفيها أن من صفات المؤمنين الاجتماع والاتفاق والتعاضد ومساندة بعضهم لبعض فى غير إثم ولامكروه. قال النووى رحمه الله:

ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء .

هذه الأحاديث صريحة فى تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد فى غير إثم ولا مكروه، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعانى إلى الأفهام.

قوله:(ويأمرون بالصبر): الأمر استدعاء الفعل بالقول على وجه الاستعلاء، قال بعضهم:

أمر مع استعلاء وعكسه دعا وفى التساوى فالتماس وقعا .

وهذه الثلاثة المذكورة فى المتن من صفات المؤمنين،وهى عنوان السعادة وعلامة الفلاح. أخرج الطبرانى بسند حسن عن سنجرة مرفوعا: «**من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فاستغفر وظلم فنفر أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**» والصبر معناه لغة: الحبس. قال ابن القيم رحمه الله: هو حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكى والتسخط، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب، وقد تكاثرت الأدلة فى الأمر بالصبر والحث عليه،قال تعالى: ﴿**وبشر الصابرين**﴾، وقال: ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾وقال النبىﷺ: «**الصبر ضياء**»، وقال على رضى الله عنه: إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد،ثم رفع صوته فقال: ألا أنه لا إيمان لمن لا صبر له،وقد تقدم الكلام فى الصبر فلا نطيل بإعادته.

أما الرضا فهو من أجلِّ الطاعات وأشرف منازل السائرين إلى الله سبحانه، وهو مستحب بالإجماع، وقال بعض العلماء بوجوبه لقوله ﷺ: «**فمن أرضى الله فله الرضا ومن سخط فعليه السخط**»، والأدلة على فضله والحث عليه كثيرة جداً قال الله تعالى : ﴿ **وما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه**﴾ وكان من دعاء النبى ﷺ: «**وأسألك الرضا بعد القضا**» وجاء رجل إلى النبى ﷺ فسأله أن يوصيه وصية جامعة موجزة،فقال: «**لاتتهم الله فى قضائه**»، وفى صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ قال: «**ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا**» فالرضا بربوبيته يتضمن الرضا بعبادته وحده لاشريك له، والرضا بتدبيره العبد واختياره له،وقد تقدم الكلام على الرضا على قوله: ﴿**رضى الله عنهم ورضوا عنه**﴾، والشكر هو فعل ينبئ عن تعظيم

المنعم لكونه منعما، وهو شرعاً صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه لما خلق لأجله ويتعلق بالقلب واللسان والجوارح كما قيل:

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا

والشكر من أجلّ الطاعات وأفضلها، ومن أشرف منازل السائرين إلى الله وأرفعها وهو مؤذن بالمزيد، قال تعالى: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾ قال ابن القيم رحمه الله: منزلة الشكر أعلى المنازل وهو فوق منزلة الرضا، فالرضا مندرج فى الشكر إذ يستحيل وجود الشكر بدونه وهو نصف الإيمان، والإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر إلى أن قال: وأهله هم القليل، قال تعالى: ﴿ **وقليل من عبادى الشكور**﴾، وقال: ﴿ **واشكروا لى ولا تكفرون**﴾ انتهى، والتحدث بالنعمة شكر كما قال تعالى: ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾ وأما حكم الشكر فواجب لما تقدم، وهو مبنى على ثلاثة أركان: التحدث بالنعمة ظاهراً ،والاعتراف بها باطنا، وصرفها فى طاعة موليها ومسديها وهو الله. ذكره ابن القيم بتصرف.

قوله: (ويدعون إلى مكارم الأخلاق) المكارم جمع مكرمة بضم الراء، وهى من الكرم، وكل فائق فى بابه يقال له كريم .

قوله :(ومحاسن الأعمال): أى جميلها، وقال الراغب الحسن عبارة عن كل مرغوب فيه، أى أن أهل السنة والجماعة يحثون ويرغبون فى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال كالكرم والشجاعة والصدق والأمانة ونحو ذلك؛ لما تكاثرت به الأدلة من الحث على ذلك والترغيب فيه، وأن ذلك من صفات المؤمنين بل من أخص علامات الإيمان كما فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً: «**خصلتان لا يجتمعان فى منافق حسن سمت وفقه فى الدين**» رواه الترمذى، قال تعالى فى نبيه: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ قالت عائشة رضى الله عنها: كان خلقه القرآن يأتمر بأوامره وينزجر عن زواجره ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه، أى كان متمسكا بآدابه وأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف. قال ابن القيم رحمه الله فى المدارج: وقد جمع الله له مكارم الأخلاق فى قوله: ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾ قال جعفر بن محمد: أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية انتهى.

ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً».

وفى الصحيح أن أبا ذر رضى الله عنه قال لأخيه لما بلغه مبعث النبى ﷺ: اركب إلى هذا الوادى فاسمع من قوله، فرجع فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» رواه أحمد والبزار، ورواه مالك فى الموطأ ولفظه: قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: «**بعثت لأتمم حسن الأخلاق**» قال القرطبى فى المفهم: الأخلاق أوصاف الإنسان التى يعامل فيها غيره، وهى محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك، فتنصف منها ولا تنصف لها، وعلى التفصيل العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج ونحو ذلك، والمذموم ضد ذلك. انتهى.

وقال الحسن: حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه. رواه الترمذى عن عبد الله بن المبارك.

قال ابن القيم رحمه الله فى المدارج: الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك فى الدين، وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان: الصبر والعفة والشجاعة والعدل، فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش، والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، والشجاعة تحمله على عزة النفس وقوتها على إخراج المحبوب وتحمله على كظم الغيظ والحلم، والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه بين طرفى الإفراط والتفريط، فمنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة، ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان: الجهل والظلم والشهوة والغضب. انتهى.

قوله: (ويعتقدون معنى قوله ﷺ) إلخ: هذا الحديث رواه أحمد والترمذى وقال: حسن صحيح من حديث أبى هريرة وتمامه: «**وخياركم خياركم لنسائهم**» واقتصر أبو داود على قوله: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»، وأخرجه أبو يعلى عن أنس، فهذا الحديث كغيره فيه: الحث على حسن الخلق وإنه من صفات المؤمنين، فحسن الخلق هو احتياز الفضائل واجتناب الرذائل، وقال النووى رحمه الله: حسن الخلق كلمة جامعة للإحسان إلى الناس وكف الأذى عنهم. انتهى، وتقدم كلام الحسن فى حقيقة حسن الخلق.

والخلق بالضم صورة الإنسان الباطنة وبالفتح صورته الظاهرة، وقد تكاثرت

ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك.

الأحاديث فى مدح حسن الخلق وذم سوء الخلق، فعن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا أنه سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**» رواه جماعة منهم الترمذى وصححه، ولأبى داود من حديث عائشة مرفوعاً: «**إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم**». وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن سعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق** » أخرجه أبو يعلى وصححه الحاكم.

وأخبر النبى ﷺ: « **أن حسن الخلق أثقل ما يوضع فى الميزان،وأن صاحبه أحب الناس إلى الله وأقربهم من النبيين مجلساً**» فخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذى من حديث أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال: «**ما من شىء يوضع فى ميزان العبد أثقل من حسن الخلق ، وأن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**».

وأخرج ابن حبان فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ: «**ألا أخبركم بأحبكم إلي الله وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة؟**» قالوا: بلى، قال: «**أحسنكم أخلاقاً**» انتهى،وفى الحديث المذكور فوائد،منها مدح حسن الخلق والثناء على أهله والحث على التخلق بأحسن الأخلاق، وفيه أن حسن الخلق من خصال الإيمان، وفيه دليل على أن الأعمال داخلة فى مسمى الإيمان، وفيه تفاضل الناس فى الإيمان والرد على من زعم أن الإيمان لا يتفاضل وأن الناس فيه سواء.

قوله :(ويندبون إلى أن تصل من قطعك): أى يدعون ويحثون ويرغبون فى صلة من قطعك، والندب لغة: الدعاء والمنتدب المدعو كما قيل:

لايسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ماقال برهانا

واصطلاحاً المندوب: هو ماأثيب فاعله ولم يعاقب تاركه، ويسمى المندوب سنة وتطوعاً ومستحباً ونفلا، وقربة ومرغبا فيه وإحساناً، أى أن أهل السنة يندبون إلى أن تصل من قطعك إلخ: لما روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث معاذ بن أنس الجهنى رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: « **أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتصفح عمن شتمك**».

وخرج الحاكم من حديث عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «**ياعقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة، تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك**» وروى أن جبريل قال للنبى ﷺ حين نزل ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾ قال فى تفسير ذلك: أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك.

قوله:(تعفو عمن ظلمك): العفو هو الصفح والتجاوز عن الذنب، أى تصفح عمن ظلمك وتتجاوز عن ذنبه ولا تؤاخذه بما نال منك، فإن ذلك من خصال الإيمان، وسبب للرفعة والعزة كما روى ابن عمر مرفوعاً «**ابتغوا الرفعة عند الله تحلم عمن جهل عليك وتعطى من حرمك**» أخرجه ابن عدى . وعن أنس الجهنى عن أبيه أن رسول الله (ﷺ) قال: « **من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء**» رواه أبو داود والترمذى.

قوله:(وتصل من قطعك):أى تصل رحمك وإن قطعك، كما في الصحيح: «**ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها**»وروى عبدالرزاق عن عمر موقوفا: «**ليس الوصل أن تصل من وصلك ذلك القصاص، ولكن الوصل أن تصل من قطعك**» وفى حديث أبى ذر :«**وأوصانى أن أصل رحمى وإن أدبرت**».

قوله:(وتعطى من حرمك): أى منعك ماهو لك؛ لأن مقام الإحسان إلى المسيء ومقابلة إساءته بإحسان من كمال الإيمان.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: وجماع حسن الخلق مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء له والاستغفار والثناء عليه والزيارة له، وتعطى من حرمك من التعليم والمنفعة والمال، وتعفو عمن ظلمك فى دم أو مال أو عرض، وبعض هذا واجب وبعضه مستحب، انتهى. ففى هذه الأحاديث الحث على العفو والصفح، وأن ذلك من أفضل الأعمال وأشرف الأخلاق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **والعافين عن الناس**﴾وقال : ﴿ **وإذا غضبوا هم يغفرون**﴾.

وروى الحاكم من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا:« **إن الله عفو يحب العفو**» وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:« **ما نقصت صدقة**

من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه» أخرجه مسلم،وفيها الحث على الصلة للأقارب والأرحارم وإن عاملوك بالقطيعة فلا تقطع عنهم الصلة مجازاة لهم للأدلة الحاثة على ذلك، والمصرحة بتحريم القطيعة، وأنها من كبائر الذنوب، وأن هذا من أشرف أخلاق المؤمن.

قوله: (ويأمرون ببرالوالدين): أى طاعتهما والإحسان إليهما بما لا يخالف الشرع وخفض الجناح لهما والشفقة عليهما والتلطف بهما، وذلك لعظم حقهما، ولذلك قرن سبحانه حقه بحقهما، قال الله تعالى: ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا** ﴾ وقال: ﴿ **أن اشكر لى ولوالديك**﴾.

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود أنه قال: قلت: يارسول الله أى العمل أفضل؟ قال: « **الصلاة فى أول وقتها**»، قال: قلت: ثم أى؟ قال: «**الجهاد فى سبيل الله**» قال: قلت: ثم أى؟ قال: « **بر الوالدين**» والبر بكسر الراء هو التوسع فى فعل الخير.

وروى الإمام أحمد من حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة**».

وعن أبى بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ألا أخبركم بأكبر الكبائر**»؟ قال: قلنا بلى يارسول الله، قال: «**الإشراك بالله وحده وعقوق الوالدين**»، وكان متكئاً ثم جلس فقال: «**ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**»، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. رواه البخارى ومسلم.

قوله: (وعقوق الوالدين): قال العلقمى: يقال عق والده عقوقا فهو عاق إذا آذاه وعصاه وخرج عليه، وهو ضد البر بهما، والآيات والأحاديث فى الأمر ببر الوالدين وتحريم عقوقهما كثيرة جداً.

قوله:(وصلة الأرحام): أى الإحسان إلى الأقربين من ذوى النسب والأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم ورعاية أحوالهم،وضد ذلك قطيعة الرحم، والأرحام جمع رحم وهو من المرأة الفرج. قال الراغب: ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة، وصلة الأرحام واجبة وقطيعتها حرام، والأدلة من

الكتاب والسنة تشهد لذلك، قال تعالى: **﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾**، وفى هذه الآية وأشباهها أعظم وعيد فى قطيعة الرحم، وفيها أصرح دلالة على حرمة قطيعة الرحم، وأنها كبيرة من الكبائر.

وفى الصحيحين من حديث جبير بن مطعم عن أبيه مرفوعا: « **لا يدخل الجنة قاطع**» يعنى قاطع رحم، انتهى، والقطيعة الهجر والصد، والرحم الأقارب كما تقدم.

وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يبسط له فى رزقه، وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه**» يقال وصل رحمه يصلها وصلا كأنه بالإحسان إليهم وصل مابينه وبينهم من علاقة القرابة. قال فى فتح البارى: قال القرطبى: الرحم التى توصل خاصة وعامة، فالعامة رحم الدين وتجب مواصلتها بالتودد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، وأما الرحم الخاصة فبمزيد النفقة على القريب وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم، وتتفاوت مراتب استحقاقهم فى ذلك، انتهى.

قوله:(وحسن الجوار):بإيصال ضروب الإحسان إليهم بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك،وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه، وقد تكاثرت الأدلة فى تعظيم حق الجار، وأن حفظ الجار من كمال الإيمان ومن أعظم مكارم الأخلاق،قال تعالى: **﴿والجار ذى القربى والجار الجنب﴾**.

وفى الصحيح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**»، وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**».

وأخرج الترمذى بسند صحيح عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه،وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»،وفى صحيح البخارى عن أبى شريح عن النبى ﷺ قال:«**والله لا**

يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل من يارسول الله ﷺ: قال: **«من لا يأمن جاره بوائقه»** إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على عظم حق الجار والحث على إكرامه واحتمال أذاه، وأن ذلك من صفات المؤمنين، وفيه النهى عن أذى الجار والدلالة على تحريمه، وأنه من كبائر الذنوب، فإن الأذى بغير حق حرام لكل أحد، ولكن في حق الجار أشد تحريما كما فى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أنه سأل النبى ﷺ،أى الذنب أعظم؟. قال: **« أن تجعل لله نداً وهو خلقك»**، قال: قلت ثم أى؟قال: **«أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»**، قال: قلت ثم أي؟قال: **«أن تزانى حليلة جارك»**، والجار له مراتب بعضها أعلى من بعض، فيعطى كل بحسب حاله،كما وردت الإشارة إلى ذلك فى الحديث المرفوع الذى أخرجه الطبرانى من حديث جابر رضى الله عنه مرفوعاً: **«الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وهو المشرك له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق وهو المسلم القريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم»**.

وقال النووى وغيره: الجار يقع على أربعة: الساكن معك فى البيت قال الشاعر:

أجارتنا فى البيت إنك طالق

ويقع على من لاصق بيتك، ويقع علي أربعين داراً من كل جانب، ويقع على الساكن في البلد، قال الله تعالى﴿ **ولا يجاورونك فيها إلا قليلا**﴾.

قوله:(والإحسان إلى اليتامى): اليتيم لغة: المنفرد. وشرعاً: من مات أبوه قبل بلوغه والإحسان إلى اليتامى رعاية أحوالهم والتلطف بهم وإكرامهم والشفقة عليهم، وفيه فضل عظيم، كما فى الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: **« أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا»** وقال بأصبعيه السبابة والوسطى. وفى حديث آخر: **« من مسح على رأس يتيم ولم يمسح إلا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده عشر حسنات، ومن أحسن فى يتيم كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين»**، وقرن بين أصبعيه وروى أنه ﷺ قال: **« إذا أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وامسح على رأس اليتيم»**.

قوله: (والمساكين): جمع مسكين وهو الذى يركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك، وإذا أطلق المسكين دخل فيه الفقير وبالعكس، وإذا ذكرا معا فسر كل واحد منهما بتفسير كالإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، والفقير فى الاصطلاح: من وجد أقل من نصف كفايته أو لم يجد شيئاً أصلا، والمسكين من وجد نصف كفايته فأكثر، فالفقير أشد حاجة من المسكين عندنا خلافاً لأبى حنيفة ومالك، والمراد بالإحسان إلى المساكين: رعاية أحوالهم وتقريبهم والتلطف بهم وإكرامهم، قال تعالى: ﴿ **وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين**﴾ وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ« **الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله**» وأحسبه قال ـ يشك القعنبى ـ «**كالقائم لا يفتر والصائم لا يفطر**» رواه البخارى ومسلم.

قوله: (وابن السبيل): وهو المسافر المنقطع به، والسبيل الطريق، وسمى بذلك لملازمته السفر، كما يقال ابن الليل لمن يكثر الخروج فى الليل، وقال بعض العلماء: المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن ضيافته. وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»، وفيهما عن أبى شريح العدوى قال: سمعت رسول الله ﷺ أذناى وأبصرت عيناى حين تكلم النبى ﷺ فقال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره،ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته**»، قالوا: وماجائزته؟قال: «**يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام وماكان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خير أو ليصمت**».

قوله: (والرفق بالمملوك): الرفق بكسر الراء وسكون الفاء وهو: لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف، وقد تكاثرت الأدلة فى الحث على ذلك كما أوصى سبحانه بذلك، قال تعالى: ﴿ **وما ملكت أيمانكم**﴾، وكذلك أوصى النبى ﷺ بهم كثيراً وأمر بالإحسان إليهم، وروى أن آخر ما أوصى به عند موته: « **الصلاة وماملكت أيمانكم**»، فروى الإمام أحمد والنسائى وابن ماجه وابن حبان عن أنس، ومالك وأحمد وابن ماجه عن أم سلمة زوج النبى، والطبرانى عن ابن عمر بأسانيد صحيحة مرفوعة أن النبى ﷺ قال: « **الصلاة وما ملكت**

وينهون عن الفخر، والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق.

أيمانكم»، فجعل يرددها في مرض موته حتى ما يفيض بها لسانه، وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة سيئ الملكة»**، أخرجه الترمذى.

قوله: ﴿ وينهون عن الفخر﴾: أى المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك، سواء كان فيه أو فى آبائه، ذكره فى المصباح، قال تعالى: **﴿ إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾** المختال: هو المتكبر العظيم فى نفسه الذى لا يقوم بحقوق الناس، والفخور: هو الذى يفخر على الناس ويعدد مناقبه تكبراً وتطاولا على من دونه، وينظر إلى غيره نظر ازدراء واحتقار، قال تعالى: **﴿ ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾**.

وروى مسلم فى صحيحه من حديث عياض بن حمار رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ: قال: **« إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد»**.

قال الشيخ تقى الدين فى اقتضاء الصراط المستقيم على هذا الحديث: فنهى سبحانه عن نوعى الاستطالة على الخلق وهو الفخر والبغى؛ لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر، وإن كان بغير حق فقد بغى. قال ابن القيم رحمه الله فى المدارج: والافتخار نوعان: محمود ومذموم، فالمذموم إظهار مرتبته على أبناء جنسه ترفعاً عليهم، والمحمود إظهار الأحوال السنية والمقامات الرفيعة لا على وجه الفخر بل على وجه التعظيم للنعمة والفرح بها وذكرها والتحدث بها والترغيب فيها، وذلك من المقاصد فى إظهارها، كما قال ﷺ: **« أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»**، وقال سعد: « أنا أول من رمى بسهم في سبيل الله» انتهى.

قوله: (والخيلاء): قال تعالى: **﴿ ولا تصعر خدك للناس ولاتمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾** قوله: **﴿ ولا تصعر خدك﴾** أى تميله وتعرض عن الناس تكبراً، وقوله: **﴿ مختال فخور﴾** أى ذى خيلاء يفخر على الناس ولا يتواضع لهم.

ويأمرون بمعالى الأخلاق وينهون عن سفسافها، وكل مايقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة.

قال المنذرى: الخيلاء بضم الخاء المعجمة وكسرها: الكبر والعجب، والمخيلة بفتح الميم وكسر المعجمة من الاختيال، وهو الكبر واستحقار الناس، انتهى. وعن ابن عمر رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء**»، متفق عليه، وفى البخارى معلقا عن ابن عباس رضى الله عنهما: «**كل ما شئت واشرب ماشئت ما أخطأتك اثنتان سرف ومخيلة**» وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسوله الله ﷺ قال: «**لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطراً**» متفق عليه، وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل جمته يختال فى مشيته إذ جسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**».

قوله: (والبغى): وهو العدوان على الناس، قال العلقمى: أصل البغى مجاوزة الحد، قال الله تعالى: ﴿**إنما بغيكم على أنفسكم**﴾ أى أن إثم البغى وعقوبة البغى على الباغى إما عاجلا وإما آجلا، وفى هذه الآية شؤم البغى وسوء مصرع الباغى، قال تعالى: ﴿**إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق**﴾ والفخر والخيلاء كلها خصال مذمومة وردت الأحاديث بالنهى عنها والتحذير منها، ووردت أحاديث فى سرعة عقوبة الباغى، فعن أبى بكر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مامن ذنب أجدر أو أحق من أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر الله له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم**» رواه الترمذى والحاكم وصححاه.

قوله:(والاستطالة على الخلق بحق وبغير حق): أى الترفع عليهم واحتقارهم والوقيعة فيهم، قال العلقمى: يقال طال عليه واستطال وتطاول إذا علاه وترفع عليه.

قوله: (ويأمرون بمكارم الأخلاق وينهون عن سفسافها): أى يأمر أهل السنة بمعالى الأخلاق؛ لأنها من أخلاق المؤمنين بل من أخص علامات الإيمان كما تقدم حديث: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقاً**» الحديث، أى يأمرون بأعالى مراتب الخلق الحسن كالسخاء والصدق والأمانة والشجاعة والحلم،ونحو ذلك، مشتق من على فى المكان يعلى من باب قعد علاء بالفتح والمد (**وينهون عن سفسافها**) أى

رديئها وحقيرها كالبخل والجبن والكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك، كما روى الخلال عن سهل بن سعد مرفوعاً: « **إن الله كريم يحب الكريم ومعالى الأخلاق ويكره سفسافها**» وروى أيضاً عن جابر مرفوعاً: « **إن الله يحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها**» وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن طلحة بن عبيد الله مرفوعا « **إن الله جواد يحب الجود، ويحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها**» وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس. قال فى النهاية: السفساف: الأمر الحقير والردىء من كل شىء وهو ضد المعالى والمكارم، وأصله ما يطير من غبار الدقيق إذا نخل والتراب إذا أثير، وفى الحديث: « **إن الله يحب معالى الأمور ويبغض سفسافها** » انتهى.

قوله: (وكل مايقولونه ويفعلونه)إلخ: أى كل ما يقوله أهل السنة ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه مما تقدم ذكره فى هذه الرسالة وغيره، فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة فهم متبعون لا مبتدعون، مقتدرون لا مبتدون، فأقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم كلها مقيدة بالكتاب والسنة، ولذا سموا أهل الكتاب والسنة لاتباعهم للكتاب والسنة وتقيدهم بما جاء فيهما، وتحكيمهما في الكثير والقليل، ونبذهم كل ماخالفهما، فهم يزنون أقوالهم وأعمالهم واعتقادهم بالكتاب والسنة إذ لا نجاة إلا باتباعهما، ولا طريق موصل إلى السعادة فى الدنيا والآخرة إلا بسلوك الصراط المستقيم الذى أوصانا الله بسلوكه، وهو ماكان عليه النبي ﷺ وأصحابه، قال الله تعالى: ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل**﴾ فأهل السنة يجعلون كلام الله وكلام رسوله هو الإمام الذى يجب اتباعه والرجوع إليه عند التنازع، قال الله تعالى: ﴿ **فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول**﴾ الآية، فكما يجب إفراد الله سبحانه بالعبادة يجب توحيد الرسول ﷺ بالتحكيم، فهما توحيدان لانجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول، فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره، فمن أعرض عن الكتاب والسنة ورغب عن تحكيمهما أو زعم حصول السعادة والفلاح بالاستغناء عنهما، والتحاكم إلى غيرهما كائناً من كان فقد نبذ الإسلام وراء ظهره، قال تعالى: ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**﴾ الآية.

وطريقتهم هى دين الإسلام الذى بعث الله به محمداً ﷺ، لكن لما أخبر النبى ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة، وفى حديث عنه أنه قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به** » قال النووى: حديث حسن صحيح رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح ، وتقدم ذكر معنى الاتباع وهو الاقتفاء والاستنان، وذكر ابن القيم رحمه الله الفرق بين الاتباع والتقليد، وذكر الأدلة فى ذم التقليد وذكر الإجماع الذى ذكره ابن عبد البر أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم، ثم قال بعد كلام: فإن الاتباع سلوك طريق المتبع والإتيان بمثل ما أتى به، وذكر كلام ابن خريز أن التقليد معناه فى الشرع: الرجوع إلى قول لا حجة لقائله، وذلك ممنوع فى الشريعة والاتباع ماثبت عليه حجة، وذكر فى الكوكب المنير شرح مختصر التحرير الفرق بين التأسى والموافقة، فقال التأسى، برسول الله ﷺ فعلك كما فعل لأجل أنه فعل، وأما التأسى فى الترك فهو أن تترك ماتركه لأجل أنه تركه، وأما التأسى فى القول فهو امتثاله على الوجه الذى اقتضاه وإلا أى، وإن لم يكن كذلك فى الكل فهو موافقة لا متابعة؛ لأن الموافقة المشاركة فى الأمر، وإن لم يكن من أجله فالموافقة أعم من التأسى، لأن الموافقة قد تكون من غير تأسى، انتهى .

قوله: (**وطريقتهم هى دين الإسلام**) إلخ : أى سبيلهم ومذهبهم وصراطهم المستقيم الذى لا طريق إلى الله سبحانه إلا هو ولا نجاة إلا بسلوكه، قال تعالى: ﴿**وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه**﴾ هو دين الإسلام الذى بعث الله به محمدا وهو دينه سبحانه الذى لا يقبل ديناً سواه، قال تعالى: ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام**﴾ وقال: ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**﴾ .

قوله:(لكن لما أخبر النبى ﷺ)إلخ: هذا الافتراق مشهور عن النبى ﷺ من حديث أبى هريرة ومعاوية وعمرو بن عوف وغيرهم، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتى على**

ثلاث وسبعين فرقة» رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه مختصراً: وقال الترمذى: حسن صحيح.

وعن معاوية رضى الله عنه أنه قام فقال: إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «**ألا أن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين كلها فى النار إلا واحدة فى الجنة وهي الجماعة**» رواه أبو داود، وفى رواية الترمذى: «**كلهم فى النار إلا واحدة**»، قالوا: من هى يارسول الله؟ قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى**» وقال: هذا حديث غريب مفسر لانعرفه إلا من هذا الوجه، والأمه هى الجماعة، قال الأخفش هى فى اللفظ واحد وفى المعنى جمع، والمراد هنا أمة الإجابة لا الدعوة.

قوله:(ستفترق أمتى)إلخ: أى أمة الإجابة، وقد وقع هذا الافتراق كما أخبر النبى ﷺ فافترقت هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كل فرقة تضلل الأخرى، وأصول هذه الفرق قيل: خمس، وقيل: ست، وقيل: غير ذلك، وهم المعتزلة: وهم عشرون فرقة. الثانية: الشيعة وهى اثنتان وعشرون فرقة. الثالثة: الخوارج افترقوا إلى سبع فرق. الرابعة: المرجئة وهى خمس فرق. الخامسة: الجبرية الذين يقولون إنا مجبورون على أعمالنا، ويسندون الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى. السادسة: المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه، وهذه الأحاديث فيها أخبار منه ﷺ بما يقع فى أمته من الافتراق فى أصول الدين وفروعه، فوقع كما أخبر ﷺ، وهذا علم من أعلام نبوته، وفيه ذم التفرق، فإن الخبر خرج مخرج الذم للاختلاف ، والأدلة على ذمه من الكتاب والسنة كثيرة، كما قال تعالى: ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات**﴾ وقوله: ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء**﴾ الآية، وفيه عامة أن المختلفين هالكون إلا فرقة واحدة وهم أهل السنة والجماعة.

قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: وهذا الحديث وما قبله يفيد أن الفرقة والاختلاف لابد من وقوعهما في هذه الأمة وتحذير أمته من الخلاف، إلى أن قال: فأفاد من ذلك شيئين: أحدهما: تحريم الاختلاف فى مثل هذا. الثانى. الاعتبار بمن كان قبلنا والحذر من مشابهتهم، انتهى.

صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة.

قال الخطابى فى معالم السنن: فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجة من الدين إذ جعلهم النبى ﷺ كلهم من أمته، وفيه أن المتأول لا يخرج من الملة وإن أخطأ، انتهى. قال الشيخ تقى الدين رحمه الله بعد كلام: والنبى ﷺ لم يخرج الثنتين والسبعين فرقة من الإسلام بل جعلهم من أمته، ولم يقل إنهم يخلدون فى النار فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، انتهى، وفيها الرد على من زعم أن الفرقة الناجية هم الأشعرية والماتريدية وأهل الحديث، فإن الحديث ليس فيه فرقة ناجية إلا واحدة، فهو ينافى التعدد، وفيه وصف الفرقة الناجية بأنها المتبعة للكتاب والسنة، وإنها من كان على مثل ماعليه النبى وأصحابه، وفى رواية فسر الفرقة الناجية بأنهم الجماعة، وهم المجتمعون الذين مافرقوا دينهم وكانوا شيعاً، وبهذا يعلم أنه وصف الفرقة الناجية باتباع سنته التى كان عليها هو وأصحابه وبلزوم جماعة المسلمين، فمن عدى هؤلاء فليس من الفرقة الناجية.

قوله (بالإسلام) أى الاستسلام لله وحده بطاعته والانقياد لأمره، والمراد هنا الإسلام والإيمان؛ لأنه كما تقدم إذا أطلق أحدهما دخل فيه الآخر، والمحض هو الخالص الذى لم يخالطه غيره، والخالص هو السالم، يقال خلص الشىء صفاه وميزه عن غيره، والشوائب هى الأقذار والأدناس، وأصل الشوب الخلط، لما ذكر المصنف رحمه الله ما تقدم من الأحاديث التى فيها ذكر افتراق هذه الأمة، وفيها ذكر الفرقة الناجية، وإنهم الجماعة ومن كان على مثل ماكان عليه الرسول وأصحابه، فاتضح مما تقدم أن أهل السنة والجماعة هم المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوائب البدعية والطرق المخالفة لما كان عليه ﷺ، فهم المعتصمون بالإسلام المتمسكون به بالأقوال والأعمال والاعتقادات الذين لم يشوبوه بالبدع والخرافات فهؤلاء هم أهل السنة والجماعة الذين انطبقت عليهم الصفات المذكورة فى الأحاديث المتقدمة، وأما من عداهم من سائر الفرق فقد حكموا المعقول وخالفوا المنقول عن رسول الله ﷺ فسطوا على النصوص بتخطئة الروايات وتكذيبهم، فإن لم يجدوا سبيلا إلى ذلك سطوا على معانيها بالتحريف والتأويل، وأصل فساد هذا العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأى على الوحى والهوى على النقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان فى قلب إلا استحكم هلاكه ولا فى

أمة إلا مرج أمرها واختل نظامها وانعقد سبب هلاكها ، وبسبب ذلك انفتح باب الجدل واتسعت شقة الخلاف، فكل فريق يرى أنه على الحق وأن غيره ضال، فهم كما قال الله تعالى: ﴿ **كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾ قال الشاعر:

وكــلا يــدعى وصــلا لليـلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

إذا اشتبكت دموع فى خـــدود ... تبين من بكى ممن تباكى

وكل ماوقع هو بسبب إعراضهم عن الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، فلا نجاة إلا باتباع ذلك كما قال بعضهم:

• تخالف الناس فيها قد رأوا ورووا ... وكلهم يـدعـون الفـوز بالظـفر

فخذ بقـول يكــون النص ينصره ... إما عن الله وإما عن سيد البشر

وقال آخر:

فخير الأمور السالفات على الهدى ... وشر الأمور المحدثات البدائع

ولا شك أن من لم يعتصم بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح فمآله إلى الحيرة والاضطراب وعدم الوصول إلى نتيجة كما قال الرازى:

نهايـة إقــدام العقــول عقــــــال ... وأكثر سعـى العالمين ضــــلال

ولم نستفد من بحثنا طــول عمرنا ... سوى أن جمعــنا فيه قيل وقالوا

وأرواحنا فى وحشة من جســومنـا ... وغايـــة دنيــانا أذى ووبـــال

وقال الشهرستانى:

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفى بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم.

إذا عرفت ماوصل إليه هؤلاء مع مالديهم من الذكاء والعلم عرفت أن النجاة والسعادة هو بالاعتصام بالكتاب والسنة وماكان عليه السلف الصالح، قال تعالى: ﴿**فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى**﴾.

قال ابن عباس رضى الله عنه: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة، ثم قرأ هذه الآية.

وفيهم الصديقون والشهداء ومنهم أعلام الهدى، مصابيح الدجى أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة

قوله: (وفيهم الصديقون والشهداء) إلخ: الصديقون: الذين صدقوا أقوالهم بأفعالهم المبالغون فى الصدق والتصديق، قال في المختار: الصديق يوزن السكيت: الدائم التصديق وهو أيضاً الذى يصدق قوله بالعمل ، انتهى ، وقد تقدم الكلام على هذا.

قوله: (أعلام): جمع علم بفتحتين العلامة وهو ما يهتدى به إلى الطريق من جبل أو غيره على قول الخنساء في أخيها صخر.

وإن صخراً لتأتم الهداة به   كأنه علم فى رأسه نار

وسمى العالم علماً: لأنه يهتدى الناس بعلمه كما يقال: فلان جبل فى العلم، والهدى وهو الدلالة والإرشاد، والهادى هو الدال والمرشد، فالعلماء هم الهداة، أى المرشدون إلى طريق الخير، هداية دلالة وإرشاد وتوضيح وبيان، وأما الهداية المذكورة فى قوله سبحانه: ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت**﴾ فالمراد بها هداية التوفيق والإلهام، فالرسل وأتباعهم هم الأدلة حقاً، والله هو الموفق الملهم الخالق للهدى فى القلوب.

قوله: (مصابيح): جمع مصباح وهو السراج ، والدجى الظلمة، أى يستضاء بهم فى ظلمات الجهل، كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به فيه، أى من أهل السنة والجماعة أئمة الإسلام وهداة الأنام والدالون للأمة على نهج الرسول والكاشفون لهم عن معانى الكتاب والسنة، والمستضاء بهم فى ظلمات الجهل وسواد الشرك والخرافات والوثنية، والذابون عن الشريعة المدافعون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الظالمين، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا.

وعن أنس مرفوعا: اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة، أخرجه فى مسند الفردوس بسند ضعيف، وفى مسند أحمد رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم فى السماء يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة**».

قوله: (أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة): أى أصحاب المناقب، وهى

جمع منقبة ضد المثلبة. قال فى القاموس: المنقبة: المفخرة، والمأثورة أى المذكورة، ومنه أثر الحديث، أى نقله عن غيره، والفضائل جمع فضيلة، وهى ضد النقيصة، والفضل: الخير(**المذكورة**)، أى الذائعة الصيت المترددة على الألسن، والذكر هو الصيت والشرف، قال تعالى: ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك**﴾ وهذا الذكر عمر ثان وحياة أخرى، وذلك أحق ماتنافس به المتنافسون ورغب به الراغبون، ومن تأمل أحوال أئمة الإسلام كيف هم تحت التراب، وهم فى العالمين كأنهم أحياء بينهم لم يفقدوا منهم إلا صورهم، وإلا فذكرهم والثناء عليهم غير منقطع، علم أن هذه الحياة حقاً كما قال المتنبى:

ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته ... مافاته وفضول العيش إشغال

وقال ابن دريد:

وإنما المرء حديث بعده ... فكـن حديثاً حسناً لمن وعى

وقال آخر:

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله ... فأجسامهم قبل القبـور قبـور

وأرواحهم فى وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور

وقال آخر:

أخو العلم حى خـــالد بعد موته ... وأوصاله تحت التراب رميـم

وذو الجهل ميت وهو يمشى على الثرى ... يعد من الأحياء وهو عديم

وفى حديث على رضى الله عنه أنه قال: مات خُزَّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون مابقى الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة.

قوله:(وفيهم الأبدال): أى فى أهل السنة والجماعة الأبدال، قال فى النهاية: هم الأولياء والعباد،سموا بذلك؛ لأنهم كل مامات منهم واحد أبدل بآخر، انتهى.

قال فى الآداب الشرعية: ونص أحمد رحمه الله على أن لله أبدالا فى الأرض، قيل من هم؟ قال: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أعرف لله أبدالا. وقال أيضا عنهم : إن لم يكونوا هؤلاء فلا أدرى من الناس، انتهى.

وقد ورد فى الأبدال عدة أحاديث وكلها متكلم فيها، وصنف السيوطى مصنفاً فى الأبدال وذكر الأحاديث الواردة فيهم، وقال الشيخ تقى الدين رحمه الله تعالى: كل حديث يروى عن النبى ﷺ فى عدة الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب ونحو ذلك، فليس فى ذلك شىء صحيح عن النبى ﷺ، ولم ينطق السلف بشىء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال روى فيهم حديث أنهم أربعون وأنهم فى الشام، وهو فى المسند من حديث على، وهو حديث منقطع ليس بثابت، انتهى. إذا عرفت ماتقدم فما يزعمه المخرفون من أن مدد الخلائق ونصرهم ورزقهم يكون بواسطة هؤلاء لا شك فى بطلانه، وأنه ليس من دين المسلمين، بل من دين المشركين، وقد ذكر الشيخ الإجماع على أن من جعل بينه وبين الله واسطة يدعوه ويتوكل عليه أنه كافر، قال الله تعالى حاكياً عن المشركين أنهم يقولون: ﴿ **مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ وقال عنهم أنهم يقولون: ﴿**هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾.

قال ابن القيم فى النونية :

والشرك فهو توسل مقصوده الزلفى إلى الرب العظيم الشان

وقال الشيخ تقى الدين رحمه الله بعد كلام: والذين تكلموا باسم البدل أفردوه بمعانى، منها أنهم كل مامات منهم رجل أبدل بآخر، ومنها أنهم أبدلوا السيئات بأخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بالحسنات، وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين ولا بأقل ولا أكثر ولاتحصر بأهل بقعة من الأرض، إلى أن قال: فالغرض أن هذه الأسماء تارة تفسر بمعانى باطلة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، مثل تفسير بعضهم بأن الغوث هو الذى يغيث الله به أهل الأرض من رزقهم ونصرهم، فإن هذا نظير ماتعتقده النصارى فى الباب، وهو معدوم العين والأثر وتشبيه بحال المنتظر، وكذلك من فسر الأربعين الأبدال بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل بل النصر والرزق يحصل بأسباب من أوكدها دعاء المسلمين والمؤمنين وصلاتهم وإخلاصهم، ولا يتقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل، وقد يكون للنصر والرزق أسباب أخر، انتهى بلتخيص.

قوله: (**وفيهم أئمة الدين**)إلخ: أى فى أهل السنة والجماعة أئمة الدين، أى

المقتدى بهم فيه كالإمام أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وسفيان الثورى وغيرهم كالشيخ تقي الدين وابن القيم وكإمام هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيرهم من أئمة الهدى الذين اشتهرت إمامتهم، وأجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، فلا يقبل فيهم قول جارح ولا طعن طاعن، إذ من ظهرت عدالته واشتهرت إمامته فلا يلتفت فيه إلى قول قائل.

وقد روى عن النبى ﷺ بأنه قال: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**». قال ابن القيم رحمه الله: وهذا يتضمن تعديله ﷺ لحملة العلم الذى بعث به، فلهذا اشتهر عند الأمة عدالة نقلته اشتهاراً لا يقبل شكا ولا امتراءاً، ولا ريب أن من عدله الرسول ﷺ لا يسمع فيه جرح جارح، فلهذا لا يقبل قدح بعضهم فى بعض، وهذا بخلاف من اشتهر عند الأمة جرحه والقدح فيه كأئمة البدع، ومن جرى مجراهم من المتهمين، فإنهم ليسوا عند الأمة من حملة العلم، انتهى بتصرف، وقد اشتهر عن هؤلاء الأئمة النهى عن التقليد والحث على اتباع الكتاب والسنة كما روى عن الإمام أحمد أنه قال: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان، والله تعالى يقول: ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾ أتدرى ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد قوله أو بعض قوله أن يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك.

وقال مالك رحمه الله: كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر. وقال الشافعى رحمه الله: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد. إلى غير ذلك من كلام الأئمة في الحث على الاتباع وذم التقليد، قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: قد اتفق الأئمة اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول وعلى أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وإذا جد لواحد منهم قول قد جاء الحديث الصحيح بخلافه، فلابد له من عذر في تركه، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف: أحدها: عدم اعتقاد أن الرسول ﷺ قاله. والثانى: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول. الثالث: أن ذلك الحكم منسوخ، انتهى من كلام رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبى ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة، فنسأل الله أن يجعلنا منهم وأن لا يزغ قلوبنا بعدإذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب والله أعلم وصلى الله علي محمد وآله وصحبه

قوله:(المنصورة): أى بالحجة والبيان أو بالسيف والسنان، فعلى الأول هم أهل العلم، وبه قال البخارى وغيره، وقال ابن القيم: هم أهل العلم والمعرفة بما بعث الله به رسوله .

قوله: (الذين قال فيهم النبى ﷺ): الحديث رواه مسلم من حديث جابر بن سلمة، وجابر بن عبد الله وثوبان، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبى سفيان.

قوله (ظاهرين): أى غالبين، والظهور: الغلبة. وقوله:(حتى تقوم الساعة) أى ساعة موتهم بهبوب الريح تقبض روح كل مؤمن، وهي الساعة فى حق المؤمنين، وإلا فالساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، وقد تقدم ذلك، وفى هذا الحديث فوائد منها أن فيه علماً من أعلام نبوته ﷺ، ومعجزة ظاهرة للنبى، فإن هذا الوصف مازال بحمد الله من زمن النبى ﷺ إلى الآن ولا يزال، وفيه دليل لكون الإجماع حجة، وقال القرطبى: وهو أفصح ماستدل به من الحديث، أما حديث: «لا تجتمع أمتى على ضلالة» فضعيف، وفيه الآية العظيمة إنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم،وفيها البشارة أن الحق لايزول بالكلية، قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كتاب التوحيد، واحتج به أحمد على أن الاجتهاد لا ينقطع وأن هذه الطائفة موجودة،واستدل به أيضاً على أن الأمة لا تجتمع على ضلالة ولا ترتد جميعها بل لابد أن يبقى الله من المؤمنين من هو ظاهر إلى قيام الساعة، فإذا مات كل مؤمن فقد جاءت الساعة.

قوله: (فنسأل الله): أى نطلبه ونفرده بالمسألة سبحانه، قال تعالى: ﴿ واسألوا الله من فضله﴾ وفى حديث ابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من لم يسأل الله يغضب

عليه». رواه الترمذى، وعن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً: «**سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل** » رواه الترمذى، وقد وردت أحاديث كثيرة فى النهى عن مسألة المخلوقين، وقد بايع النبى ﷺ جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً، منهم أبو بكر وأبو ذر وثوبان، وكان أحدهم يسقط سوطه فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه.

قوله:(أن يجعلنا منهم): أى من الفرقة الناجية المتمسكة بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وهى الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

قوله: (أن لا يزيغ قلوبنا): أى يميلها عن الحق والهدى (**بعد إذ هدانا**) أى وفقنا وألهمنا، فإنه سبحانه الهادى ﴿ **من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له**﴾ وقد ورد أن النبى ﷺ كان أكثر يمينه «**لا ومقلب القلوب**»، وكان ﷺ يقول فى دعائه: « **يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك** » فقيل يانبى الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا، فقال: « **نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء**» خرجه أحمد والترمذى من حديث أنس، وورد أن قلب ابن آدم كريشة ملقاة فى فلاة تفيئها الرياح، ولذا قيل: إن القلب سمى قلباً لتقلبه، كما قال بعضهم:

ماسمى القلب إلا من تقلبه ... فاحذر على القلب من قلب وتحويل

وقال آخر:

وما سمى الإنسان إلا لنسيه ... وماسمى القلب إلا أنه يتقلب

قوله :(وأن يهب لنا): أى يعطينا .

قوله: (من لدنه): أى من عنده.

قوله :(الوهاب): أى كثير الهبات والعطايا فلا خير إلا خيره ولا إله غيره.

قد تم ما أردنا إيراده فى هذه العجالة، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين، وكان الفراغ من تعليقه على يد جامعه الفقير إلى الله عبد العزيز بن ناصر بن عبد الله بن عبد العزيز الرشيد سنة ١٣٧٧ فى أول من ذى الحجة، والعصمة لله ولكتابه، والعاقل من اغتفر قليل خطأ المرء فى كثير صوابه.